نيل شسترمان
NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مُفرَّغ III
UNSOULED

السلسلة الأكثر
مبيعًا بقائمة
«نيويورك تايمز»

ترجمة: علا سمير الشربيني



مُفرّغ
UNSOULED





- العنوان الأصلي: UnSouled
- العنوان العربي: مُفرَّغ
- طُبِع بواسطة: Simon & Schuster
- حُقوق النشر:
Copyright © 2013 by Neal Shusterman
- الطبعة الأولى: أكتوبر/ 2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: علا سمير الشربيني
- تحرير: أحمد حسين
- تدقيق لغوي: كارم أحمد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 20486/2024م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-414-4

نيل شسترمان

NEAL SHUSTERMAN

الكاتب الحائز على جائزة الكتاب الوطنية

مكتبة ياسين

مكتبة

مُفرَّغ

UNSOULED

السلسلة الأكثر
مبيعًا بقائمة
«نيويورك تايمز»

عصير الكتب

ترجمة: علا سمير الشربيني

إلى جان وإريك وروبي وكيث وتيريزا وكريس وباتريشيا ومارسيا وأندريا ومارك، وكل أصدقائي الذين دعموني في أكثر أوقات احتياجي إليهم.

الجزء الأول

طائر لا يطير

"من المؤكد أن هذه التكنولوجيا الطبية الجديدة سوف تحررنا ولن تستعبدنا، لأني أعتقد اعتقادًا راسخًا أن التعاطف الإنساني يفوق الطمع البشري. ولتحقيق هذا الهدف، وجدتُ بموجب هذا أن منظمة المواطنة الاستباقية تعتبر جهةً رقابيةً قوية على الاستخدام الأخلاقي للتطعيم العصبي. وأنا واثق أن الانتهاكات ستكون الاستثناء لا القاعدة".

- **جينسون راينشيلد**

"لقد أصبحتُ الموت، ومدمر العوالم".

- **ج. روبرت أوبنهايمر**

الزوجان راينشيلد

"لقد وقَّعوا الاتفاقية. انتهت حرب الجوهر".

أغلق جينسون راينشيلد الباب الأمامي، ملقيًا معطفه على الأريكة، ثم انهار على مقعد بذراعين، كأنما فقدتْ جميع مفاصله ترابطها؛ كأنما تفكك جسده بالكامل.

قالت سونيا: "مستحيل! لن يُوقِّع أي شخص في كامل قواه العقلية اتفاقيةَ التفكيك البشعة تلك".

نظر إليها في مرارة ليست هي السبب فيها، لكنه لم يجد مكانًا آخر ليوجهها إليه، وتساءل: "من امتلك كامل قواه العقلية طوال السنوات التسع الماضية؟".

جلستْ على ذراع الأريكة في أقرب مكان إليه، وأمسكت يده في يأس، وكأن يدها هي الشيء الوحيد الذي يمنعه من السقوط في الهاوية.

- اتصل بي الرئيس الجديد لمنظمة المواطنة الاستباقية، ذلك المراوغ النرجسي داندريتش، قبل أن يصدروا أي إعلان رسمي، ليخبرني توقيعَ الاتفاقية. قال إنني يجب أن أعرف أولًا "من باب الاحترام". لكنكِ تعلمين -مثلي- أنه فعل ذلك على سبيل الشماتة.

- لا معنى لتعذيب نفسك يا جينسون. هذا ليس خطأك، ولا يوجد ما يمكنك عمله حيال ذلك.

سحب يده بعيدًا عنها ونظر إليها، قائلًا: "أنتِ على حق؛ هذا ليس خطئي. إنه خطؤنا. لقد فعلنا هذا معًا يا سونيا".

جاء رد فعلها كأنه لطمها. لم تبتعدْ عنه فحسب، بل نهضت مبتعدةً، وبدأت تذرع الغرفة جيئةً وذَهَابًا، ففكَّر جينسون: "هذا جيد، إنها بحاجة إلى الإحساس بالقليل بما أشعر به".

أصرَّت: "لم أرتكب أي خطأ، ولا أنتَ أيضًا!".

- لقد جعلنا ذلك ممكنًا! التفكيك يعتمد على تكنولوجيتنا! وعلى أبحاثنا!

- لقد سُرِقَتْ منَّا!

نهض جينسون عن مقعده، عاجزًا عن تحمل لحظة جلوس واحدة. الجلوس بدا له قبولًا. إنه شعور كالاعتراف بالإخفاق. بعد ذلك، سينهار في أحضان ذلك المقعد ذي الذراعين، حاملًا مشروبًا في يديه، ويحرك الثلج ليسمع صوت قعقعة، ويشعر بالكحول الذي يخدِّره ويدفعه إلى الخضوع. لا، ليس هو ذلك الشخص، ولن يكونه أبدًا.

سمع بعض الصراخ في الشارع. نظر من نافذة غرفة المعيشة، فرأى بعض أطفال الحي يتشاجرون في ما بينهم. "الجامحون"، هكذا تسميهم الأخبار الآن. مراهقون جامحون. "يجب اتخاذ إجراء ما بشأن المراهقين الجامحين الذين خلقتهم هذه الحرب"، هكذا صرخ السياسيون من خلال أقلامهم التشريعية. حسنًا، ماذا توقعوا عند تحويل التمويل التعليمي إلى الحرب؟ كيف لم يعرفوا أن التعليم العام سيخفِق، في ظل عدم وجود مدارس، ولا وظائف، ولا شيء للمراهقين سوى وقت الفراغ؟ ماذا اعتقدوا أن يفعل هؤلاء الصبية، بخلاف إثارة المشكلات؟

مرَّ الغوغاء في الشارع -يصعب أن يُطلَق عليهم حشد، في ظل كونهم أربعة أو خمسة فقط- دون وقوع أي حادث. لم يواجها قطُّ أي مشكلة في منزلهما، رغم أنه المنزل الوحيد في الشارع الخالي من قضبان على النوافذ وبوابة أمنية حديدية. لكن على الجانب الآخر، طال التخريب العديد من البوابات المؤمَّنة في الشارع. ربما افتقر هؤلاء الصبية إلى التعليم منذ إغلاق المدارس، لكنهم ليسوا أغبياء. لقد رأوا عدم الثقة بهم في كل مكان حولهم، وهذا زاد رغبتهم في التعبير عن غضبهم، كأنما يقولون من خلال عنفهم: "كيف تجرؤون على عدم الثقة بنا؟ أنتم لا تعرفوننا". لكنَّ الناس انغمسوا في إجراءاتهم الأمنية المخيفة، لدرجة منعتهم من سماع ذلك.

في تلك اللحظة، جاءت سونيا من خلفه، وأحاطته بذراعيها. أراد أن يقبل مواساتها، لكنه لم يستطع أن يسمح لنفسه بذلك. لا يمكنه أن يشعر بالمواساة أو السلام، إلى أن يمحو هذا الخطأ الفادح.

اقترحت سونيا: "ربما يشبه الأمر الحرب الباردة القديمة. من يدري؟ إنهم يمتلكون هذا السلاح الجديد: «التفكيك». ربما مجرد التهديد به يكفي. قد لا يستخدموه فعليًّا أبدًا".

- الحرب الباردة تعني توازن القوى. ما السلاح الذي يملكه هؤلاء الصبية للدفاع عن أنفسهم، إذا بدأت السلطات في تفكيكهم؟

تنهدتْ سونيا، وقد فهمتْ أخيرًا وجهة نظره، وأجابته: "لن يجدوا أي فرصة للنجاة".

الآن فقط، تمكن من الشعور ببعض الراحة، لأنها فهمتْ، وبهذا لم يعِد الوحيد الذي يرى الأعماق الغامضة التي يمكن أن يقود إليها هذا القانون الجديد.

ذكَّرته، قائلة: "لكنَّ هذا لم يحدث بعد. لم يتخلص أحد من مراهق جامح واحد".

قال جينسون: "لا. لأن القانون لن يدخل حيز التنفيذ حتى منتصف الليل".

وهكذا، قررا قضاء بقية أمسيتهما معًا، متعانقين بقوة، كأنما هي الليلة الأخيرة للحضارة. لأنها -بالمعنى الحقيقي للغاية- كانت كذلك.

***

1 - كونر

بدأ الأمر بقتل كائن على الطريق، وهو حادث عشوائي سخيف، لدرجة تمنع العقل من تأمل الأحداث التي سيؤدي إليها.

كان يجب أن يتوقف كونر على جانب الطريق، لينام، خاصة في ليلة عاصفة كهذه. من المؤكد أن ردود فعله في أثناء القيادة ستصبح أفضل بكثير في الصباح، لكنَّ رغبته الشديدة في الوصول مع ليف إلى أوهايو، ظلت تدفعه بقوة أكبر كل يوم.

قال لنفسه: "إنه مجرد مخرج آخر على الطريق السريع"، ورغم أنه قرر التوقف بمجرد عبورهم إلى «ولاية كانساس»، فقد تجاوز تلك النقطة منذ نصف ساعة. يجيد ليف عادةً إعادة كونر إلى رشده، لكنه لم يفعل الليلة، لأنه استغرق في النوم بسرعة في المقعد المجاور للسائق.

تجاوز الوقت منتصف الليل بنصف ساعة، عندما قفز المخلوق التعِس أمام المصابيح الأمامية للسيارة، ولم يحظَ كونر بوقت كافٍ ليدرك كُنهه، فيما يدير عجلة القيادة في محاولة يائسة لتجنب الاصطدام.

- لا يمكن أن يكون هذا ما أظنه...

رغم انحرافه مبتعدًا، فإن ذلك الكائن الغبي اندفع مباشرة إلى مسار السيارة مرة أخرى، كأنه ينشد الموت.

اصطدمتِ السيارة «التشارجر» "المُستعارة" بالمخلوق، فتدحرج فوق غطاء المحرك كالصخرة، محطمًا الزجاج الأمامي إلى مليون قطعة. انحشرت جثته في فتحة الزجاج الأمامي المحطم، وقد اخترقت شظية زجاج حادة عنقه النحيل. فقد كونر السيطرة على عجلة القيادة، فخرجت السيارة عن الطريق

الأسفلتي، وانحرفتْ بعنف وسط مجموعة من النباتات العشوائية على جانب الطريق.

أخذ كونر يصرخ ويلعن تلقائيًّا، عندما مزَّق المخلوق -الذي ظل متشبثًا بالحياة- صدره بمخالبه، ونهش النسيج واللحم، إلى أن استجمع كونر أخيرًا ما يكفي من سرعة بديهته، ليضغط المكابح، فاندفع المخلوق البغيض من خلال فتحة الزجاج الأمامي، منطلقًا إلى الأمام، كقذيفة أُطلِقَت من مدفع. مالت السيارة كسفينة تغرق، ثم توقفت فجأة بعد انحدارها في حفرة، وفي النهاية، انفتحتِ الوسائد الهوائية، كمظلة معطلة لا تنفتح إلا عند الاصطدام بالأرض.

الهدوء الذي تبع ذلك، بدا كالصمت الذي يسود في الفضاء الخالي من الهواء، باستثناء صفير الرياح.

بعد أن استيقظ في لحظة الاصطدام، لم ينبس ليف ببنت شفة. أخذ يلهث فحسب، لالتقاط الهواء الذي أفرغته من صدره الوسادةُ الهوائيةُ. كشف كونر أن ليف من النوع الذي يتلقى الصدمات في صمت، ولا يصرخ. الذعر يُجمِّد أوصاله.

فحص كونر جرح صدره، وهو يحاول استيعاب ما حدث في الثواني العشر الماضية. أسفل قميصه الممزق، وجد جرحًا قطعيًّا، قد يبلغ طوله ست بوصات. الغريب في الأمر أن رؤية الجرح أشعرته بالارتياح، لأنه لا يهدد حياته، والجروح السطحية يمكن تضميدها. وكما اعتادت ريسا أن تقول إبان إدارتها المستوصف الطبي في مقبرة الطائرات: "إن الخياطة الجراحية هي أقل الشرور على الإطلاق". سيتطلب هذا الجرح اثنتي عشرة غرزة تقريبًا. وستكون المشكلة الأكبر هي المكان الذي يمكن فيه لهارب من التفكيك -يُفترض أنه ميت- الحصول على رعاية طبية.

خرج مع ليف من السيارة، وصعدا من الحفرة لتفقد الكائن القتيل. شعر كونر أن ساقيه ضعيفتان ترتعشان، لكنه لم يُرِدِ الاعتراف بذلك لنفسه، لذلك استنتج أنه مجرد اهتزاز سببه اندفاع الأدرينالين في جسده. نظر إلى ذراعه -التي تحمل وشم القرش- وضمَّ قبضته، مستجمعًا القوة الوحشية لتلك الذراع المسروقة ليضخها في باقي جسده.

سأل ليف، وهما ينظران إلى الطائر الميت الضخم: "أهي نعامة؟".

قال كونر في غضب: "لا، إنه عدَّاء الطريق غريب الأطوار". في الواقع، هذا التفكير غير العقلاني هو أول ما تبادر إلى ذهن كونر، عندما ظهر الطائر العملاق فجأة أمام المصابيح الأمامية لسيارته. النعامة -التي كانت حيَّة بما يكفي لإصابة صدر كونر منذ دقيقة واحدة- أصبحت الآن في عداد الأموات. التوى عنقها الممزق بشدة، فيما حدقت عيناها الزجاجيتان إليهما بقوة كالموتى الأحياء.

قال ليف: "تعرضنا لنوع من الغارات الجوية". لم يعد منزعجًا من الأمر، بل علق عليه كمراقب فحسب. ربما لأنه لم يَقُد السيارة، أو ربما لأنه رأى أشياء أسوأ بكثير من الطيور الجارحة التي تُقتَل على الطريق. حسد كونر ليف على هدوئه في الأزمات، وسأل: "لماذا بحق الجحيم توجد نعامة على الطريق السريع؟". جاءته الإجابة سريعًا، عندما أضاءت مصابيح السيارات المارة جذع شجرة بلوط، أسقطته الرياح على سياج. تسبب الجذع الثقيل للغاية في تدمير جزء من السياج الذي تحركت خلفه كائنات طويلة العنق، وقد عبر الثغرة فعلًا عدد قليل من النعام، وأخذ يتجول على الطريق. لعلَّ حظهم يكون أفضل من حظ رفيقتهم.

سمع كونر أن مَزارع النعام ازدادت شيوعًا مع ارتفاع أسعار اللحوم الأخرى، لكنه لم يرَ مثل هذه المزارع من قبل. تساءل بلا مبالاة هل يُعَدُّ موت الطائر انتحارًا، أم لا. لعله وجد الموت على الطريق أفضل من التعرض للشواء. قال ليف: "أتعلم أن تلك الطيور كانت ديناصورات؟".

تنفس كونر بعمق، وقد أدرك الآن فقط معاناته صعوبةً في التنفس، بسبب الألم، والصدمة الناتجة عن ذلك كله. أظهر جرحه إلى ليف، قائلًا: "بالنسبة إليَّ، ما زالت كذلك. لقد حاول هذا الشيء تفكيكي".

تجهم ليف، وسأله: "أأنت بخير؟".

- سأصبح بخير.

خلع كونر سترته، وساعده ليف على لفها بإحكام حول ظهره وصدره كضمادة مؤقتة.

نظرا إلى السيارة -التي لم تكن لتتضرر أكثر من ذلك، لو صدمتها شاحنة، ليس طائرًا لا يطير- وسأل ليف: "حسنًا، لقد خططتَ للتخلص من السيارة خلال يوم أو اثنين، أليس كذلك؟".

- بلى، لكني لم أقصد إلقاءها في حفرة.

لقد قالت النادلة التي سمحتْ لهم بأخذ سيارتها إنها لن تُبلِغ عن فِقدانها بضعةَ أيام. لم يملك كونر إلا أن يأمل أن تسعد المرأة بأموال التأمين.

مرَّ عدد قليل من السيارات على الطريق السريع، والحطام بعيد عن الطريق بما يكفي كي لا يلاحظه مَن لا ينظر تجاهه. لكنَّ بعض الأشخاص مهمتهم البحث.

مرَّت سيارة، وأبطأت على مسافة مئة ياردة، ثم انعطفتْ على شكل حرف "U" خلال الطريق الترابي. وفي أثناء ذلك، أضاءت المصابيح الأمامية لسيارة أخرى جسم السيارة المنعطفة ذي اللونين الأبيض والأسود. إنها سيارة دورية على الطريق السريع. ربما رآهما الضابط -أو رأى النعام للتو- لكنْ في كلتا الحالتين، نفدت خياراتهما فجأة.

قال كونر: "اجرِ!".

- سيرانا!

- ليس حتى يضيء مصابيح سيارته. اجرِ!

توقفتْ سيارة الدورية على جانب الطريق، وكفَّ ليف عن الجدال. استدار ليركض، لكنَّ كونر أمسك ذراعه، قائلًا: "لا، من هنا".

- نحو النعام؟

- ثق بي!

أتى الضوء الكاشف، لكنه تسلَّط على أحد الطيور القريبة من الطريق، وليس عليهما. وصل كونر وليف إلى ثغرة السياج. انتشرت الطيور حولهما، وهذا ما خلق المزيد من الأهداف المتحركة لأضواء سيارة الدورية.

همس ليف: "من خلال السياج؟ هل أنت مجنون؟".

- إذا ركضنا بمحاذاة السياج، فسيُقبَض علينا. يجب أن نختفي. هذه هي الطريقة الوحيدة للاختفاء.

في وجود ليف إلى جواره، اندفع كونر من خلال السياج المحطَّم، ومثل العديد من المرات الأخرى في حياته، وجد نفسه يركض في الظلام كالأعمى.

***

في ما يلي إعلان سياسي مدفوع الأجر

"العام الماضي، فقدتُ زوجي -بعد ارتباط دام خمسة وثلاثين عامًا- بسبب لص. دخل ببساطة من النافذة. حاول زوجي صده، فأطلق عليه الرصاص. أعلم أنني لا أستطيع إعادة زوجي، لكنِ الآن يوجد اقتراح مطروح للاقتراع يمكن أن يجعل المجرمين يدفعون ثمن جرائمهم، والعين بالعين.

من خلال إضفاء الشرعية على تفكيك المجرمين، لا يمكننا تقليل اكتظاظ السجون فحسب، بل يمكننا أيضًا توفير الأنسجة المُنقِذة للحياة، وزرعها. إضافة إلى أن قانون العدالة الجسدية سيسمح بأن تذهب نسبة مئوية من جميع عائدات مبيعات الأعضاء مباشرة إلى ضحايا جرائم العنف وأُسَرهم.

صوِّتوا بنعم على الاقتراح رقم 73. لنقف متحدين، ويسقط المجرمون منقسمين".

- ممول من التحالف الوطني للضحايا من أجل العدالة الجسدية

لم يستطيعا البقاء في مزرعة النعام. اشتعلتِ الأضواء في بيت المزرعة؛ من المرجح أن المالك قد أُخطِرَ بالمشكلة على الطريق السريع، وسيكتظُّ المكان بعمال المزارع والشرطة للسيطرة على الطيور.

على طريق ترابي، يبعد نصف ميل عن المزرعة، صادفا مقطورة مهجورة. وجدا فيها سريرًا عليه مرتبة، لكنها قذرة للغاية، فقرر كلاهما أن النوم على الأرض أفضل.

رغم كل شيء، استسلم كونر للنوم في دقائق. راودته أحلام غامضة عن ريسا التي لم يرها منذ عدة أشهر، وقد لا يراها مرة أخرى، وكذلك أحلام عن المعركة في مقبرة الطائرات. عملية الإزالة التي واجهتِ المكان. في أحلامه، جرَّب كونر عشرات الأساليب المختلفة، لإنقاذ مئات الصبية -الذين تولى رعايتهم- من هيئة الأحداث. لم ينجح شيء قطُّ. والنتيجة هي نفسها دائمًا:

يُقتَل الصبية جميعًا، أو يُوضعون في شاحنات نقل متجهة إلى مخيمات الحصاد. حتى أحلام كونر كانت عقيمة.

لم يستيقظ كونر إلا في الصباح. لم يجد ليف في المكان، وشعر بصدره يؤلمه مع كل نَفَس. فك الضمادة، فوجد النزيف قد توقف، لكنَّ الجرح ملتهب، وما زال حديثًا للغاية. أعاد ربط الضمادة، إلى أن يتمكن من العثور على شيء آخر غير سترة واقية ملطخة بالدماء لتغطية الجرح.

وجد ليف في الخارج؛ يتفحص المكان المحيط بهما. وجد الكثير ليفحصه. ما بدا في الليل كمجرد مقطورة وحيدة هو في الواقع القطعة المركزية في ساحة خردة واسعة. في كل مكان حول المقطورة، وجدا مجموعة من الأشياء الكبيرة معدومة الفائدة. سيارات صدئة، وأدوات مطبخ، وكذلك حافلة مدرسية قديمة جدًّا، حتى إنها لم تعدْ تحتفظ بأي من ألوانها الأصلية، ولا نافذة واحدة سليمة.

قال ليف: "أجدني مدفوعًا إلى التساؤل عن الشخص الذي عاش هنا".

بينما ينظر كونر في أرجاء ساحة الخردة، أزعجه أن بدت له مألوفة. وذكَّر ليف، قائلًا: "لقد عشتُ في ساحة خردة الطائرات أكثرَ من عام. لا أحد يخلو من المشكلات".

صحَّح له ليف: "مقبرة، لا ساحة خردة".

- أهناك فرق؟

- إحداهما لها هدف نبيل. الأخرى ليست سوى.. قُمامة.

أطرق كونر، وركل علبة صدئة، قائلًا: "نهايتنا في المقبرة، ابتعدتْ تمامًا عن النبل".

قال ليف: "توقف عن رثاء نفسك، فقد أصبح مكررًا".

لكنَّ الأمر لم يتعلق برثاء الذات، ويجب أن يعرف ليف ذلك. الأمر يتعلق بالصبية الذين فُقِدوا. من بين أكثر من سبعمئة صبي في رعاية كونر، مات أكثر من ثلاثين، وشُحِنَ قرابة أربعمئة إلى مخيمات الحصاد ليُفكَّكوا. ربما لم يستطع أحد منع ذلك، لكنه حدث أمام عيني كونر. وعليه أن يتحمل ثقل المسؤولية .

ألقى كونر نظرة طويلة على ليف، الذي بدا راضيًا في الوقت الحالي بفحص سيارة «كاديلاك» بلا إطارات، أو غطاء محرك، أو سقف؛ مغطاة بالأعشاب الضارة من الداخل والخارج، فبدت كإناء زرع.

قال ليف: "أتعلم أن بها نوعًا من الجمال؟ مثل السفن الغارقة، التي أصبحت في النهاية جزءًا من الشعاب المرجانية".

سأله كونر: "كيف يمكنك أن تبتهج إلى هذا الحد؟".

واجهه ليف بهز شعره الأشقر الطويل، وابتسامة مبهجة متعمدة، وقال: "ربما لأننا حيَّان وحُرَّان.. ربما لأنني أنقذتك بمفردي من قرصان الأعضاء".

هنا، لم يملك كونر إلا أن يبتسم أيضًا، قائلًا: "كفَّ عن ذلك؛ تهنئتك لنفسك أصبحت مكررة".

لم يكن كونر ليلقي اللوم على ليف لأنه متفائل. لقد لاقت مهمته نجاحًا مذهلًا. دخل في قلب معركة لا مفرَّ منها، ولم يجد مخرجًا فحسب، بل أنقذ كونر من نيلسون، شرطي الأحداث المفصول، الذي يحمل ضغينة، وأراد بيع كونر في السوق السوداء.

قال كونر لليف: "بعد ما فعلته، سيرغب نيلسون في قطع رأسك".

- وأجزاء أخرى، أنا واثق من ذلك. لكنْ عليه أن يجدني أولًا.

هنا فقط، بدأ تفاؤل ليف يؤثر في كونر. صحيح أن وضعهما مزرٍ، لكنْ عندما تكون في حالة مزرية، يمكن أن تصبح الأمور أسوأ. إنهما حيَّانٍ وحُرَّان، وهذا أمر مهم، وحقيقة أن لديهما وجهة -قد تمنحهما بعض الإجابات الحاسمة- تضيف قدرًا لا بأس به من الأمل إلى هذا المزيج.

حرَّك كونر كتفه، فتزايدت آلام جرحه، وهو تذكير بضرورة الاهتمام العاجل به. أضاف هذا تعقيدًا غير مرغوب فيه إلى موقفهما. لن تعالجه أي عيادة أو غرفة طوارئ، دون طرح أسئلة. إذا تمكن فحسب من الحفاظ على نظافة الجرح، وتغطيته حتى يصلا إلى أوهايو، فهو يعلم أن سونيا ستوفر له الرعاية التي يحتاج إليها.

هذا لو أنها لا تزال في متجر التحف، ولو أنها ما زالت حيَّة.

قال كونر لليف: "أشارت آخر لافتة على الطريق -قبل أن يقفز نحونا الطائر- إلى وجود بلدة أمامنا مباشرة. سأذهب لإحضار سيارة وأعود لاصطحابك".

قال ليف: "لا، لقد سافرتُ في أرجاء البلاد للعثور عليك، ولن أتركك تغيب عن ناظري".

- أنت أسوأ من شرطي أحداث.

قال ليف: "مجموعتان من الأعين، أفضل من واحدة".

- لكنْ إذا قُبِضَ على أحدنا، يمكن للآخر أن يصل إلى أوهايو. لو ذهب كلانا، سنخاطر بالقبض علينا معًا.

فتح ليف فمه ليقول شيئًا، لكنه أغلقه مرة أخرى، فمنطق كونر لا يمكن دحضه.

قال ليف: "هذا لا يروق لي على الإطلاق".

- وأنا أيضًا، لكنه خيارنا الأفضل.

- وماذا يفترض بي أن أفعل في أثناء غيابك؟

منحه كونر ابتسامة خبيثة، قائلًا: "أن تصبح جزءًا من الشعاب المرجانية".

***

إنها مسيرة طويلة، خاصة بالنسبة إلى شخص يتألم. قبل مغادرته، وجد كونر بعض الأغطية "النظيفة" في المقطورة، بالإضافة إلى كمية من الويسكي الرخيص، المثالي لتنظيف الجرح، وهو أمر مؤلم أيضًا، لكنْ كما يقول كل مدربي الرياضة في العالم: "الألم ضَعف يغادر الجسد". لطالما كره كونر المدربين. وبمجرد توقف لسعات الكحول، ابتكر ضمادة أكثر إحكامًا، يرتديها الآن أسفل قميص أبيض شاحب يخص آخر ساكني المقطورة. القميص ثقيل للغاية بالنسبة إلى هذا الجو الحار، لكنه أفضل ما أمكنه الحصول عليه.

الآن، وهو يتصبب عرقًا من الحرارة ويشعر بالألم من الجرح، عدَّ كونر خطواته على الطريق الترابي حتى يصبح مرصوفًا. لم يرَ بعد سيارة عابرة، لكنَّ هذا جيد. كلما قل عدد الأعين التي تراه، كان ذلك أفضل. الأمان في العزلة.

كونر أيضًا لم يعرف ما ينتظره في هذه البلدة الصغيرة. عندما يتعلق الأمر بالمدن والضواحي، وجد كونر أن معظمها متطابق إلى حد ما، الجغرافيا فقط تتغير. لكنَّ المناطق الريفية تختلف اختلافًا كبيرًا. بعض البلدات الصغيرة هي أماكن قد ترغب في القدوم منها والعودة إليها في النهاية، فهي

تمثل مجتمعات دافئة وجاذبة للزوار؛ تتنفس منتجات «أمريكانا»، كما تتنفس الغابات المطيرة الأكسجين. ثم هناك مدن مثل «هارتسديل» في كانساس.

هذا هو المكان الذي مات فيه المرح.

رأى كونر بوضوح أن هارتسديل تعاني الكساد الاقتصادي، وهو أمر شائع. كل ما يتطلبه الأمر هذه الأيام حتى تصاب إحدى المدن بكساد اقتصادي هو أن يُغلِق مصنع كبير أبوابه، أو تتبع إدارته إجراءً خسيسًا، من خلال اللجوء إلى تشغيل عمالة أرخص وافدة من الخارج. لكنَّ هارتسديل لا تعاني الكساد فحسب؛ إنها قبيحة من جذورها، وعلى أكثر من مستوى.

الطريق الرئيسي مليء بالمباني المنخفضة مسطحة الواجهات، وكلها بدرجات اللون البيج. رغم مرور كونر بمزارع كثيرة -مزدهرة وخضراء تحت شمس يوليو- فإن وسط المدينة ليست به أشجار ولا مزروعات، باستثناء الأعشاب الضارة بين شقوق الأرصفة. توجد كنيسة غير جذابة مبنية من الطوب بلون الخردل، وعلى لوحة الإعلانات رسالة وعظ تقول: "من سيكفِّر عن خطاياك؟ العب «بينجو»[1] في أيام الجمعة".

المبنى الأكثر جاذبية في المدينة هو مرأب جديد للسيارات مكون من ثلاثة طوابق، لكنه مغلق. أدرك كونر أن السبب هو المساحة الفارغة المجاورة له، وبها لوحة إعلانات توضح أن مُجَمَّع مكاتب حديث سيُشيَّد هناك، لذا ربما يحتاج يومًا ما إلى ثلاثة مستويات من مواقف السيارات، لكنَّ الحالة البائسة للمكان كشفت عن حقيقة أن مجمع المكاتب ربما ظل في مراحل التخطيط عقدًا من الزمن، ويُحتمَل ألا يُنشأ أبدًا.

المكان ليس مدينة أشباح بالضبط، فقد رأى كونر الكثير من الناس يذهبون إلى أعمالهم الصباحية، لكنْ ألحت عليه رغبة في سؤالهم: "لِمَ تتجشمون العناء؟ ما الهدف؟". المشكلة في بلدة مثل هذه هي أن أي شخص لديه حتى غريزة بقاء أساسية تمكن من مغادرتها منذ زمنٍ طويل، وربما

(1) من المتعارف عليه في الغرب، تنظيم الكنائس أمسيات يلعب فيها الناس لعبة «بينجو» كوسيلة لجمع مبالغ لتمويل أوجه الإنفاق النبيلة التي تشرف عليها الكنيسة، بحيث يتعهد اللاعبون بالتبرع بمكاسبهم من اللعبة إلى الكنيسة في نهاية الأمسية. "المترجم".

استقرَّ في إحدى تلك البلدات الصغيرة الأخرى. البلدات ذات القلب الذي تفتقر إليه هارتسديل، والتي لم تبقَ بها سوى الأرواح العالقة سيئة الحظ.

وصل كونر إلى أحد متاجر السوبر ماركت، اسمه «بابليكس»، وملحق به ساحة انتظار سيارات سوداء السقف؛ تشعُّ منها موجات من الحرارة. إذا أراد سرقة سيارة، فيوجد هنا الكثير للاختيار منه، لكن السيارات كلها في العراء، لذا لا يمكنه السرقة دون المخاطرة بافتضاح أمره. إضافة إلى ذلك، كان يأمل العثور على مرأب تنتظر فيه السيارات أوقاتًا طويلة، حيث لا يكتشف أحدهم سرقة سيارته قبل مرور يوم أو أكثر. حتى لو تمكن من الفرار بسيارة من ساحة الانتظار هذه، فستتلقى الشرطة بلاغًا عن سرقتها خلال ساعة. لكنْ من يحاول أن يخدع؟ مرأب الانتظار طويل الأمد يعني أن مالكي السيارات المتوقفة هناك لديهم مكان يذهبون إليه، لكنْ يبدو أن الناس في هارتسديل لا يذهبون إلى أي مكان.

الجوع هو الذي دفعه دفعًا نحو المتجر، فأدرك أنه لم يأكل منذ نصف يوم. في وجود قرابة عشرين دولارًا في جيبه، رأى أن لا حرج في شراء طعام. من السهل أن تظل مجهول الهُويَّة في المتجر لمدة خمس دقائق كاملة.

عندما فُتِحَ الباب آليًّا، ضربه تيار من الهواء البارد، الذي أنعشه في البداية، ثم جعل ملابسه المتعرقة باردة على جسده. أشعَّ المتجر بضوء ساطع، وامتلأ بالمتسوقين الذين تحركوا ببطء في الممرات، وربما جاءوا للهروب من الحرارة، أكثر من حاجتهم إلى التسوق.

أخذ كونر الشطائر المعدَّة سابقًا وعلب الصودا له ولليف، ثم ذهب إلى مخرج الحساب الذاتي، ليجده مغلقًا. لا سبيل لتجنب الاتصال البشري اليوم. اختار موظف الخزانة الذي بدا غير مهتم ومشتت الانتباه. بدا أكبر سنًّا من كونر بعام أو اثنين. نحيف، له شعر أسود متناثر وشارب صغير لم يمنحه مظهرًا رجوليًّا. أمسك بمشتريات كونر، ومررها خلال الماسح الضوئي.

سأله الموظف بلا تركيز: "أهذا كل شيء؟".

- نعم.

- هل وجدت كل شيء على ما يرام؟

- نعم، لا توجد مشكلة.

ألقى نظرة على كونر؛ بدت طويلة للغاية، لكن ربما تلقى أوامر بإجراء تواصل بصري مع العملاء، إضافة إلى طرح أسئلته الروتينية المعتادة.

- أتحتاج إلى مساعدة في حمل مشترياتك إلى الخارج؟

- أعتقد أنني قادر على حملها بنفسي.

- هوِّن على نفسك يا رجل. يكفي الجو الحارق بالخارج.

غادر كونر المكان، دون وقوع المزيد من الحوادث. خرج عائدًا إلى الجو الحار، وبينما هو يعبر ساحة انتظار السيارات، سمع في منتصف الطريق...

- مهلًا، انتظر!

توتر كونر، وأغلق قبضته اليمنى في تحفز معتاد، لكن عندما استدار، رأى موظف الخزانة يتبعه، وهو يلوح بحافظة نقود في يده.

- انتظر يا رجل! لقد تركتَ هذه على المنضدة.

قال له كونر: "آسف. إنها ليست حافظتي".

فتحها الموظف، ليلقي نظرة على محتوياتها، وسأل: "أأنت واثق؟ لأن...".

أتى الهجوم بغتة، لدرجة فاجأت كونر. لم يجد فرصة لحماية نفسه من الضربة، التي جاءت منخفضة. ركلة في الفخذ أصابته بصدمة، تبعتها موجة متضخمة من الألم المبرح. أطاح كونر بقبضته تجاه مهاجمه، ولم تخذله ذراع رولاند. وجه ضربة قوية إلى فك الموظف، ثم أتبعها بأخرى، مستخدمًا ذراعه الطبيعية، لكن الألم أصبح الآن مبرحًا للغاية، ولم تجد لكمته هدفها. فجأة أصبح مهاجمه خلفه، خانقًا كونر بذراعه. واصل كونر المقاومة. إنه أكبر حجمًا من هذا الرجل، وأقوى، لكن الموظف يعرف ما يفعله، فتباطأت ردود فعل كونر. القبضة المشددة على عنقه، قطعت مسار الهواء في قصبته الهوائية، وضغطتِ الشريان السباتي. أصبحت رؤيته سوداء، فعلم أنه على وشك الغياب عن الوعي. والحسنة الوحيدة للإغماء ستكون أنه لن يشعر بالألم في فخذه.

***

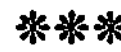
إعلان خدمة عامة

"كنت أتهكم على المصفقين، إلى أن استهدف ثلاثة منهم مدرستي في مبادرة مجنونة، وفجروا أنفسهم في ممر مزدحم. من كان يظن أن مجرد جمع يديك معًا يمكن أن يخلق الكثير من البؤس؟ لقد فقدتُ الكثير من الأصدقاء في ذلك اليوم.

لو اعتقدت أنه لا يوجد ما يمكنكَ فعله لوقف المصفقين، فأنت مخطئ. يمكنك الإبلاغ عن المراهقين المشتبه فيهم في منطقتك، فالوثائق تشير إلى أن معظم المُصَفِّقين تحت سن العشرين. احذر من الذين يرتدون ملابس ثقيلة جدًّا لا يتطلبها الجو، فالمصفقون يحاولون في كثير من الأحيان إحاطة أجسادهم ببطانة واقية، حتى لا تنفجر على سبيل الخطأ. احذر كذلك من الأشخاص الذين يسيرون بحذر مبالغ فيه، كأنَّ كل خطوة قد تصبح الأخيرة بالنسبة إليهم. ولا تنسَ الضغط لفرض حظر على التصفيق في المناسبات العامة في مجتمعك.

معًا يمكننا القضاء على المُصفِّقين إلى الأبد. أيدينا ضد أيديهم".

- موّلته منظمة «أبعدوا أيديكم من أجل السلام».



أفاق كونر، واستردَّ وعيه وإدراكه كاملين. لم يساوره الشك لحظة؛ علِم أنه تعرض للهجوم، وعَرَفَ أنه في مأزق. والسؤال هو ما مدى سوء هذا المأزق؟

آلمه جرح صدره، وشعر بالصداع، لكنه دفع أفكار الألم بعيدًا، وبدأ سريعًا في استيعاب ما يحيط به. جدران من الطوب وأرض ترابية. وهذا جيد، لأنه يعني أنه ليس في زنزانة سجن أو مقر احتجاز. الضوء الوحيد أتى من مصباح تدلى فوق رأسه. هناك إمدادات غذائية وصناديق من زجاجات المياه تكدست بجوار الحائط على يمينه، وعلى يساره، رأى دَرَجًا خرسانيًّا يؤدي إلى فتحة بأعلى. إنه في مكان كالقبو أو المخبأ. ربما قبو للاحتماء من العواصف. وهذا يُفسِّر وجود إمدادات الطوارئ.

حاول التحرك لكنه لم يستطع، فيداه مقيدتان إلى عمود خلف ظهره.

- لقد استغرقتَ وقتًا طويلًا لتستيقظ!

التفت كونر، فرأى موظف السوبرماركت ذا الشعر الدهني يجلس في الظل بجوار الإمدادات الغذائية. تقدم الموظف نحو الضوء، قائلًا: "الاختناق الذي سببته لكَ يؤدي عادةً إلى الغياب عن الوعي عشرَ دقائق أو ربما عشرين، لكنَّ إغماءتك استمرَّت قرابة ساعة".

لم ينبس كونر ببنت شفة. أي سؤال، أو كلام، سيعدُّ بمنزلة إظهار الضعف. لم يُرِد أن يمنح هذا الفاشل أي قوة أكبر مما لديه فعلًا.

- لو واصلتُ خنقكَ عشر ثوانٍ أخرى، لقتلتكَ. أو لتسببتُ -على الأقل- في إصابتك بتلف في الدماغ. لم يتضرر دماغك، أليس كذلك؟

واصل كونر الصمت، بلا أي رد فعل سوى التحديق إليه ببرود.

قال الموظف: "لقد تعرَّفتك في اللحظة التي وقعتْ فيها عيني عليك. قال الناس إن إوُول آكرون لقي حتفه، لكني كنت أعلم أن حديثهم كله أكاذيب، وأقول: (Habeas corpus) أي "أحضروا لي جثته"، لكنهم لم يستطيعوا إحضارها، لأنك لم تمت!".

لم يستطع كونر مواصلة الصمت أكثر من ذلك، فقال: "هذا ليس ما تعنيه عبارة (Habeas corpus)(1)، أيها الأحمق".

ضحك الموظف، ثم أخرج هاتفه والتقط صورة. زاد الفلاش من ألم رأس كونر.

- ألديك أي فكرة عن مدى استمتاعي بما يحدث يا كونر؟ يمكنني أن أدعوك كونر، أليس كذلك؟

نظر كونر إلى أسفل، فرأى جرح صدره قد ضُمِّدَ بشاش حقيقي ولاصق طبي. قدرته على رؤية الضمادة، لفتت انتباهه إلى حقيقة أنه بلا قميص.

- ماذا فعلت بقميصي؟

(1) (Habeas corpus): باللاتينية تعني "الأمر بمثول المتهم أمام القضاء"، وتُمثِّل قاعدة تشريعية تقضي بعدم إصدار القضاة أحكامًا غيابية عن تهم قد تكون ملفقة، لذا يجب مثول المتهم شخصيًّا أمام القاضي.

- اضطُررتُ إلى خلعه. عندما رأيت الدم، قررت أن أفحصك. مَن أصابك؟ أكان شرطي أحداث؟ وهل رددتَ الهدية بأفضل منها؟

قال كونر: "نعم، لقد لقي حتفه". أَمِل أن يترجم خَصْمه تحديقه المستمر إلى: "**وأنت التالي**".

قال الموظف: "ليتني رأيت ذلك! أنت بطلي. تعلم هذا، أليس كذلك؟ (ثم تحدث بنبرة مغايرة، كأنه مذيع): لقد فجر إوُول آكرون مخيم حصاد «هابي جاك» على بكرة أبيه، وهرب من التفكيك. أصاب إوُول آكرون شرطي أحداث ببندقيته الخاصة. إوُول آكرون حوَّل عُشرًا إلى مصفق!".

- لم أفعل ذلك.

- نعم، حسنًا، لقد فعلتَ الباقي، وهذا يكفي.

فكر كونر في ليف، الذي ينتظر عودته في حقل النُّفايات، وبدأ يشعر بالغثيان.

- لقد تابعت مسيرتك المهنية يا رجل، إلى أن قالوا أنك مِتَّ، لكنني لم أصدق ذلك قطُّ، ولا حتى دقيقة واحدة. رجل مثلك لا يسقط بهذه السهولة.

قال كونر، وهو يشعر بالاشمئزاز من أسلوب عبادة الأبطال الذي يتبعه هذا الرجل: "ليست مسيرة مهنية"، لكنَّ الآخر بدا كأنه لا يسمعه.

- لقد مزقتَ العالم. أتعلم؟ يمكنني أن أفعل ذلك أيضًا، أحتاج فقط إلى الفرصة. وربما شريك في الجريمة يعرف ماذا يفعل. يعرف كيف يعبث مع السلطات. أنت تعرف ما أرمي إليه، أليس كذلك؟ أثق بهذا، فأنت أذكى من ألا تعرف. علمتُ دائمًا أننا إذا التقينا فسنصبح صديقين. روحانا المتشابهتان ستتوافقان، وما إلى ذلك، (ثم ضحك): إوُول آكرون في قبوي. لا يمكن أن يكون ذلك مجرد مصادفة. إنه القدر يا رجل!

- لقد ركلتني في ساقي. لم يفعل القدر هذا، بل قدمك.

- نعم، أعتذر عن ذلك. لكن -كما ترى- اضطررتُ إلى فعل شيء، وإلا ستغادر. أعلم أن ساقك تؤلمك، لكن لا يوجد ضرر حقيقي. أتمنى ألا تسيء فهم الأمر.

ضحك كونر بمرارة من قوله. لم يستطع أن يمنع نفسه. تساءل هل رأى أحدهم الهجوم عليه. لو أن هذا قد حدث، فهذا الشخص لم يهتم، أو على الأقل لم يهتم بما يكفي لإيقاف الهجوم.

قال كونر، موضحًا: "الأصدقاء لا يربطون أصدقاءهم في قبو".

- نعم، أعتذر عن ذلك أيضًا. (لكنه لم يبادرْ إلى فك وثاق كونر): هنا يكمن المأزق. أنت تعرف ما المأزق، أليس كذلك؟ أنا واثق أنك تعرف. كما ترى، إذا فككتُ قيودك، فربما تهرب. لذلك يجب أن أقنعكَ أنني الصفقة الحقيقية، وأنني رجل محترم، رغم ضربي إياك وتقييدك. يجب أن أقنعك أن من الصعب العثور على صديق مثلي في هذا العالم الفاسد، وأن هذا هو المكان الذي تريد أن تكون فيه. عليك ألا تهرب بعد الآن. كما ترى، لا أحد يبحث عن أحد في هارتسديل.

وقف آسره، وسار في أرجاء المكان ملوحًا بيديه. اتسعت عيناه وهو يتحدث، كمن يروي قصة لرفاق التخييم حول نار التدفئة. لم يعد ينظر إلى كونر، وهو ينسج قصة من وحي خياله المحدود. تركه كونر يتحدث، متصورًا أنه قد يتفوَّه في -إسهابه- ببعض المعلومات المفيدة له.

واصل الموظف حديثه، قائلًا: "لقد دبرتُ كل شيء. سنصبغ شعركَ، ليصبح داكنًا كشعري. أعرف رجلًا سيحقن أصباغًا في عينيك بثمن بخس، حتى تبدوَا بنفس لون عينيَّ البندقي، رغم أنني أرى أن إحدى عينيك تختلف قليلًا عن الأخرى، لكن يمكننا أن نجعلهما متطابقتين، أليس كذلك؟ ثم سنخبر الناس أنك ابن عمي من «ويتشيتا»، لأن الجميع يعلم أن لي أسرة هناك. بمساعدتي، سوف تختفي بنجاح، ولن يعرف أحد أنك حي".

إن فكرة تحويلك إلى شخص يشبه هذا الرجل -بأي شكل- مزعجة كركلة في الفخذ. ويريده أن يختفي في هارتسديل؟ هذا الاقتراح هو المادة الخام للكوابيس. ومع ذلك، ورغم كل شيء، رسم كونر أدفأ ابتسامة أمكنه تقديمها.

- تقول إنك تريدنا أن نصبح أصدقاء، لكنني لا أعرف حتى اسمك.

قال في استياء واضح: "كُتِبَ على بطاقة اسمي في المتجر، ألا تتذكر؟".

- لم أره.

- لستَ قويَّ الملاحظة، أليس كذلك؟ على رجل في مثل وضعك أن يتعلم كيف يصبح أكثر انتباهًا للتفاصيل. (ثم أضاف): ليس وضعك هنا. أعني وضعك هناك.

انتظر كونر إلى أن قال آسره أخيرًا: "اسمي آرجان. إنه يعني المال بالفرنسية. آرجان سكينر في خدمتك".

- من أسرة سكينر في ويتشيتا.

بدا آرجان مصدومًا بعض الشيء، وازداد تشككًا، وهو يسأله: "أسمعت بنا؟".

فكر كونر في التلاعب به، لكنه قرر أن آرجان لن ينظر إليه بلطف بمجرد أن يكشف ذلك، فقال: "لا، لقد ذكرتَ ذلك منذ قليل".

- صحيح.

هنا، حدق آرجان إليه، مبتسمًا إلى أن انفتح باب القبو، ونزل شخص آخر على الدرج. بدت المرأة شبيهة بآرجان إلى حدٍ ما، لكنها أكبر منه ببضع سنوات، وأطول، وأثقل وزنًا قليلًا؛ ليست بدينة، لكنها غير متناسقة الجسم إلى حد ما، وغير أنيقة، لو أمكن وصف فتاة شابة بذلك. بدت أكثر غموضًا بعض الشيء من آرجان، لو أن هذا ممكن فعلًا.

- أهذا هو؟ هل يمكنني رؤيته؟ أهو إوُول آكرون حقًّا؟

فجأة، تغير سلوك آرجان بالكامل، وصرخ: "أغلقي فمك الغبي! أتريدين أن يعرف العالم كله مَن زارنا؟".

بدا أن كتفيها قد تهدلتا عند تعرضها للتوبيخ، وقالت: "آسفة يا آرجي".

سرعان ما أدرك كونر أنها أخت آرجان الكبرى. عمرها اثنان وعشرون عامًا أو ثلاثة وعشرون، رغم أنها بدت أصغر سنًّا بكثير. أشار التعبير المتراخي على وجهها إلى بلادة ليست ذنبها، رغم أن آرجان يلومها بوضوح عليها.

- إذا أردتِ البقاء معنا، فاذهبي واجلسي في الزاوية بهدوء.

التفت آرجان مرة أخرى إلى كونر، موضحًا: "تواجه جرايس مشكلة في ضبط مستوى صوتها داخل المنزل".

علقت جرايس بإصرار: "لسنا في الداخل. المخبأ في الفناء؛ أي خارج المنزل".

تنهَّد آرجان، وهز رأسه، موجهًا إلى كونر نظرةً طويلةً مبالغًا فيها، تُعبِّر عن المعاناة، وقال: "أرأيتَ؟".

قال كونر: "نعم".

دوَّن في رأسه معلومة إضافية. هذا القبو ليس في المنزل، بل في الفناء. هذا يعني أنه إذا تمكن من الهروب من القبو، فربما يصبح على بعد ياردات قليلة من الحرية. سأل كونر: "ألن يكون صعبًا إبقاء وجودي هنا سرًّا، بمجرد عودة الجميع إلى المنزل؟".

قال آرجان: "لن يأتي أحد آخر". هذه هي الأخبار التي يبحث كونر عنها. وقد تناقض إحساسه بشأن هذا الأمر. من ناحية، لو احتوتْ هذه الأسرة على أفراد آخرين، فقد يوجد بينهم شخص عقلاني بما يكفي لإيقاف ما يحدث، قبل أن يتفاقم الوضع. لكنْ من ناحية أخرى، من المرجح أن يسلِّم الشخص العقلاني كونر إلى السلطات.

- حسنًا، أرى أن لكما منزلًا، لذا لا بدَّ أن لكما أسرة. ربما أبوان.

قالت جرايس: "لقد تُوفِّيا. تُوفِّيا.. تُوفِّيا.. تُوفِّيا".

حدجها آرجان بنظرة تحذيرية قاسية، قبل أن يلتفت، عائدًا إلى كونر، وقال: "ماتت والدتنا في ريعان شبابها، ورحل والدنا العام الماضي".

أضافت جرايس مبتسمة: "هذا جيد أيضًا. كان سيفكك آرجان، للحصول على المال".

في حركة واحدة سلسة، التقط آرجان زجاجة ماء وقذفها بسرعة تجاه جرايس كأنها كرة بيسبول. تراجعت، لكنْ ليس بالسرعة الكافية، فاصطدمت الزجاجة بجانب رأسها، لتصرخ من الألم.

صرخ آرجان: "لقد قال ذلك فحسب، دون أن يعنيه! كنتُ قد تجاوزت سن التفكيك".

أمسكتْ جرايس جانب رأسها، لكنها واصلت تحديه، قائلة: "لست كبيرًا بالنسبة إلى قراصنة الأعضاء. إنهم لا يهتمون بعمرك!".

- ألم آمرك بإغلاق فمك؟

صمت آرجان لحظةً حتى يتبدد غضبه، ثم حاول الحصول على دعم كونر، فقال: "إن جرايس كالكلب. في بعض الأحيان عليك أن تلفت نظرها حتى تتعلم".

لم يستطع كونر كبح جماح غضبه الهائج، فقال: "ما فعلته أكثر من مجرد لفت نظر". نظر إلى جرايس، التي ما زالت تمسك برأسها، لكنَّ كونر وثق أن روحها جُرِحَتْ أكثر من أي شيء آخر.

قال آرجان: "نعم، حسنًا، التفكيك ليس أمرًا يحتمل المزاح. أنت تعرف ذلك، أكثر من أي شخص آخر. الحقيقة هي أن والدنا كان سيفككنا لو استطاع، حتى لا يجد لديه فاهين ليطعمهما. لكنَّ جرايس ليست مؤهلة على الإطلاق، لوجود قوانين ضد تفكيك المتأخرين عقليًّا، ولا حتى القراصنة يمكنهم ذلك. ولم يستطع أن يفعلها معي أيضًا، لأنه احتاج إليَّ لرعاية جرايس. أفهمت؟".

- نعم، فهمت.

قالت جرايس متذمرة: "ضعف القشرة الدماغية. لستُ متأخرة عقليًّا. أعاني ضعف القشرة الدماغية. هذه الصيغة أقل إهانة".

رغم أن ضعف القشرة الدماغية بدا دائمًا مهينًا جدًّا بالنسبة إلى كونر. لوى معصميه وقاس مدى إحكام قيوده. من الواضح أن آرجان ماهر جدًّا في ربط العُقَد، لأن الأحبال لم تتراخَ على الإطلاق. قُيِّدَتْ يداه منفصلتين، لذا عليه التخلص من مجموعتي الأربطة لتحرير نفسه. جعل هذا كونر يتذكر ربطه ليف إلى شجرة بعد أن أنقذه لأول مرة. لقد احتجز ليف ضد إرادته، لإنقاذ حياته. حسنًا، يرى كونر أن الدوائر تدور. ها هو الآن تحت رحمة شخص يعتقد أنه يبقيه أسيرًا لمصلحته.

سأل كونر: "أيحتمل أنك احتفظت بالشطائر التي اشتريتها؟ لأنني جائع".

- لا. أعتقد أنها ما زالت في ساحة انتظار السيارات.

- حسنًا، إذ إنني ضيفك، ألا تعتقد أن من الوقاحة عدم إطعامي؟

فكر آرجان في قوله، وقال: "بلى، إنها وقاحة. سأذهب لأعدَّ لك شيئًا".

أمر جرايس بإعطاء كونر بعض الماء من مخزونهما، ثم قال: "لا تفعل أي شيء غبي في غيابي".

لم يهتم كونر حقًّا بقوله. بعد رحيل آرجان، استرختْ جرايس بوضوح، وتحررت من دائرة نفوذ شقيقها. مدتْ زجاجة الماء ليأخذها كونر، ثم أدركت

أنه لا يستطيع إمساكها، ففتحت الغطاء، وصبت الماء في فمه. حصل على جُرْعة جيدة، رغم أن معظمها انسكب على سرواله.

قالت جرايس وهي في حالة أقرب إلى الذعر: "آسفة!".

عرف كونر سبب ذعرها، فقال: "لا تقلقي. سأخبر آرجان أنني تبولت على نفسي. لا يمكنه أن يغضب منكِ لذلك".

ضحكت جرايس، قائلة: "سوف يجد سببًا".

نظر كونر إلى عيني جرايس، فوجد فيهما براءة تتحطم ببطء. سألها: "إنه لا يعاملك جيدًا، أليس كذلك؟".

- من؟ آرجي؟ لا، إنه جيد. إنه غاضب من العالم فحسب، لكنَّ العالم ليس هنا ليصبَّ غضبه عليه. أنا فقط هنا".

تبسم كونر لقولها، وقال: "إنكِ أذكى مما يعتقده آرجان".

قالت جرايس: "ربما. (لكنها لم تبدُ مقتنعة للغاية. نظرتْ إلى الخلف تجاه باب القبو المغلق، ثم غيرت الموضوع) يروق لي وشمك. أهو القرش الأبيض العظيم؟".

قال كونر: "قرش النمر. إنه ليس وشمي، بل ينتمي إلى صبي حاول فعلًا خنقي بنفس هذه الذراع. ومع ذلك، لم يتمكن من فعلها. لقد جَبُنَ في الثانية الأخيرة. على أي حال، لقد فككوه، وحصلتُ على ذراعه".

حاولت جرايس فهم الأمر، ثم هزت رأسها، واحمرَّ وجهها قليلًا، وقالت: "أنت تختلق ذلك. أتظنني غبية بما يكفي لأصدق أن إوُول آكرون سيقبل الحصول على ذراع صبي مُفكَّك؟".

- لم يكن لي الخيار. لقد نقلوا إليَّ هذا الشيء، في أثناء سقوطي في غيبوبة.

- إنك تكذب.

- فكي قيودي، وسأريكِ الندبة التي تخلفت عن زرع الذراع.

- محاولة جيدة.

- نعم، كانت المحاولة ستصبح أفضل، لو أنني أرتدي قميصي، ولستِ قادرة على رؤية الندبة بنفسك.

اقتربت جرايس، وركعتْ على ركبتيها، لتفحص كتف كونر، ثم صاحت: "اللعنة. إنها ذراع مزروعة!".

- نعم، وهذا مؤلم كالجحيم. لا يمكنكِ ربط ذراع مزروعة إلى الخلف بهذه الطريقة.

نظرتْ إليه جرايس؛ ربما فتشت عمًّا في عيني كونر، كما فتَّش هو عمًّا في عينيها.

- أتحمل عينين جديدتين أيضًا؟

- واحدة فقط.

- أيهما؟

- اليمنى. أما اليسرى، فهي عيني.

قالت جرايس: "هذا جيد، لأنني قررت فعلًا أن هذه هي عينك الأصلية. (مدت يديها خلف ظهره لتمسك الأحبال، مضيفة): لن أفكَّ قيودك -أنا لستُ غبية إلى هذا الحد- لكني سأرخي الحبل الذي يلف ذراعك قليلًا، حتى لا يضغط على كتفك بشدة".

شعر كونر بارتخاء الحبل، فقال: "شكرًا لكِ يا جرايس".

لم يكذب، فقد احترقتْ كتفه ألمًا من الإجهاد. عندما ارتخى الحبل، سحب يده. فانزلقت من خلال الحلقة، وأصبحت يده -يد رولاند- حرة. ضم قبضته، وأصبحت جاهزة للضرب. غريزة كونر دفعته إلى ذلك، لكنَّ صوت ريسا -الحاضر دائمًا في رأسه، كأنه مزروع هناك- منعه. فكر أن ريسا كانت ستقول: "لا تفعل أي شيء متهور".

الحقيقة هي أن يدًا واحدة فقط هي الحرة. أسيتمكن من ضرب جرايس، ثم تحرير يده الأخرى والهرب قبل عودة آرجان؟ وفي حالته الحالية، هل يمكنه التفوق عليهما، وماذا عن العواقب، إذا أخفق؟ كل هذا ومض في ذهن كونر في جزء من الثانية. ظلت جرايس تحدق إلى قبضة كونر المحررة في صدمة، دون أن تدري ماذا تفعل. اتخذ كونر القرار. تنفَّس بعمق، وأرخى أصابعه، وصافحها، قائلًا: "شكرًا. هذا أفضل كثيرًا. والآن، أعيدي ربط يدي بسرعة، قبل أن يعود آرجان، لكن ليس بالشدة نفسها هذه المرة".

بعد أن شعرت بالارتياح، أعادت جرايس ربط الحبل، وتركها كونر تفعل ذلك بلا مقاومة. سألته جرايس:

”لن تخبره بما فعلتُ، أليس كذلك؟“.

تبسم لها كونر. من الأسهل رسم ابتسامة على وجه جرايس، مقارنة بآرجان. أجابها: ”سيكون هذا سرنا“.

بعد قليل، عاد آرجان حاملًا شطيرة بها الكثير من المايونيز، والقليل من اللحم المقدد. أطعمها كونر بيده، دون أن يلاحظ التحول الدقيق الذي حدث. لقد أصبحتْ جرايس الآن تثق بكونر، أكثر مما تثق بأخيها.

***

2 - مُصفِّق

راودت المُصفِّق شكوك، لكنه تجاوز نقطة اللاعودة.

لعدة أشهر قبل اليوم، ظل يعاني في الشوارع. الأشياء التي اضطُرَّ إلى فعلها في سبيل البقاء مرعبة ومحبطة. تجرد من إنسانيته حتى كاد يشعر أنه لم يعد يمت بصلة إلى البشر. استسلم للعار الناتج عن ذلك، وسلَّم نفسه لحياة هامشية في أقذر الشوارع الخلفية بمدينة الخطيئة.

ذهب إلى لاس فيجاس معتقدًا أن الهارب من التفكيك يمكنه أن يختفي بسهولة هناك، لكنَّ لاس فيجاس لا تعامل أي شخص يصل إلى هناك جيدًا. من يملكون الحرية في المغادرة فقط هم الحاصلون على معاملة الشخصيات المهمة، ورغم أن معظمهم يغادرون بجيوب خاوية، فإن ذلك أفضل من البقاء كصَدفة فارغة.

وبحلول الوقت الذي تجند فيه، كان المصفِّق قد فقد قدرته على الاهتمام. انتُزِعت منه على كل المستويات، وأصبح مستعدًّا تمامًا للوقوع في الفخ.

قال المُجنِّد: "تعالَ معي. سأعلمك كيف تجعلهم يدفعون الثمن".

بضمير "هم" قصد الجميع. العالم المسؤول عن تدمير حياته. أخطأ الجميع، ويجب أن يدفعوا ثمن أفعالهم. وقد فهم المُجنِّد ذلك، وهكذا أُبرِمَ الاتفاق.

والآن -بعد مرور شهرين- ها هو يسير بحذر شديد مع فتاة أحلامه في نادٍ رياضي في «بورتلاند»، بولاية «أوريجون». إنها بعيدة كل البعد عن لاس فيجاس، وبعيدة عن طبيعة حياته قبل ذلك. الأبعد هو الأفضل. هذه الحياة الجديدة -رغم أنها في الغالب قصيرة- ستكون مشرقة، وصاخبة، ومن المستحيل تجاهلها. شخص ما -في أعلى التسلسل الهرمي للمصفقين- اختار

هذا الهدف العشوائي. من المضحك أنه لم يعتقد قطُّ أن المُصفقين منظمون إلى هذا الحد، لكنْ من المؤكد وجود هيكل وتسلسل هرمي خلف الفوضى. التفكير في أن الجنون له خطة منظمة، أشعره ببعض الارتياح.

إنه جزء من خلية ثنائية. مدرب متحمس -لا بدَّ أنه عمِلَ متحدثًا تحفيزيًّا في حياة سابقة- جهَّزه هو والفتاة ووجههما.

قال لهما: "العشوائية ستغير العالم. بعد سنوات من الآن، سيبتسم الناس عند ذكر فعلتكما، وإلى أن يحدث هذا، سيكون انتقامكما جميلًا".

المصفِّق لا يهتم بتغيير العالم، بقدر ما يهتم بالانتقام. عرف أنه سيموت كحقير في الشوارع، لكنِ الآن على الأقل سيصبح لنهايته المريرة معنى. سيتحكم في نهايته من خلال القوة المطلقة لتصفيقه. أم إنه يخدع نفسه فقط؟

سألته الفتاة وهي تقترب من صالة الألعاب الرياضية: "أأنت مستعد لهذا؟".

لم يطلعها على شكوكه. أراد أن يصبح قويًّا وحازمًا وشجاعًا من أجلها. قال: "فلننفذ أكبر مذبحة. هيا بنا!".

ذهبا إلى صالة الألعاب الرياضية. أمسك لها الباب، فتبسَّمت له. مثل هذه الابتسامات واللحظات اللطيفة بينهما هي أقصى ما يمكن أن تصل إليه علاقتهما. لقد أرادا المزيد، لكنَّ هذا ليس مقدَّرًا لهما. دماؤهما المتفجرة جعلت المزيد مستحيلًا.

سأل موظف الاستقبال: "أيمكنني مساعدتكما؟".

- نودُّ التحدث إلى شخص ما عن عضوية صالة الألعاب الرياضية.

- ممتاز! اسمحا لي باستدعاء أحدهم لمساعدتكما.

تنفست الفتاة بعمق وهي ترتجف. أمسك الصبي يدها بلطف. كن لطيفًا دائمًا، لأنك لا تحتاج دائمًا إلى مُفجِّر لتفجير نفسك. أجهزة التفجير تجعل الأمر سريعًا ونظيفًا، لكنَّ الحوادث تقع.

قالت له: "أريد أن أكون معك عندما... نكمل مهمتنا".

- وأنا أيضًا، لكنَّ هذا غير ممكن. أتعلمين أن... أعدك أنني سأفكر فيكِ.

الأوامر نصَّت على وقوف كل منهما على بعد عشرة أمتار عن الآخر على الأقل. كلما تباعدت المسافة بينهما، زادت فعَّاليتهما في تنفيذ مهمتهما.

اقترب منهما رجل مفتول العضلات بابتسامة متكلفة، وقال: "مرحبًا، اسمي جيف. أنا منسق الأعضاء الجدد. وأنتما؟".

قال المصفق: "سِيد ونانسي". ضحكتِ الفتاة في توتر. كان بإمكانه أن يقول توم وجيري؛ لا يهم، أو حتى يذكر اسميهما الحقيقيين، لكنَّ الأسماء المزيفة تضيف بطريقة ما إلى حبكة الخَدْعَة.

ابتسامة جيف تعد سببًا كافيًا لتفجير المكان إلى عنان السماء، وهو يقول: "تفضلا. اسمحا لي باصطحابكما في الجولة الكبرى".

قادهما ليمروا بمكتب المدير الذي بينما يتحدث هاتفيًّا، نظر إلى المُصفِّق، وتواصل معه بصريًّا لحظةً. أشاح المُصفِّق ببصره بعيدًا، وشعر أن الرجل قد قرأه. إنه يشعر أن كل غريب يراه يمكنه قراءة نواياه، والشعور بأن يديه في وضع الاستعداد للتصفيق. لكنَّ المدير بدا متشككًا بحق، لذا تحرك المصفِّق مبتعدًا عن نطاق بصره بسرعة.

- هنا مِنْطَقة الوزن الحر. آلات المقاومة على اليمين. جميعها طبعًا على أحدث طراز، ومزودة بوحدات تحكم ترفيهية ثلاثية الأبعاد.

لم يستمع أي منهما، لكن يبدو أن جيف لم يلحَظ ذلك، وأشار لهما ليتبعاه إلى أعلى الدرج، مضيفًا: "منصة التمارين الرياضية في الطابق العلوي".

قال المصفق: "اذهبي يا نانسي. سوف أتحقق من الأوزان الحرة". تبادلا إيماءة قصيرة. هنا سيتركان مسافة بينهما. هنا سيقولان وداعًا.

تحرك مبتعدًا عن الدرج، واتجه إلى مِنْطَقة الوزن الحر. إنها الساعة الخامسة؛ وقت مزدحم. أيشعر بالندم على مجيئه في هذا الوقت من اليوم؟ فقط عندما ينظر إلى وجوه الناس، فحاول ألا يفعل. إنهم ليسوا أشخاصًا، بل أفكارًا؛ مجرد امتداد للعدو. إضافة إلى ذلك، فهو لم يختَرِ الحضور في الوقت الأكثر ازدحامًا في صالة الألعاب الرياضية. لقد طُلِبَ منهما الحضور الآن بالتحديد، في هذا اليوم تحديدًا، وعندما يكون الحدث بهذا الحجم، فمن السهل الاختباء وراء عبارة "أنا أنفذ الأوامر فحسب".

خطا خلف أحد الأعمدة، ومد يده إلى جيبه، مخرجًا جهازي التفجير الدائريين الشبيهين بضمادتين، وثبتهما على راحتيه. هذا حقيقي. سينفجر كل شيء. يا إلهي! يا إلهي!

وكأنَّ أحدهم يردِّد ما يدور بذهنه، سمع صوتًا يقول: "يا إلهي!".

رفع عينيه، ليرى المدير واقفًا أمامه، وقد أمسك به وهو يثبت جهازي التفجير الصغيرين على راحتيه كندبتين. لا يوجد أي شك في ما ينوي فعله. أمسك المدير معصميه وأبقي يديه متباعدتين. صاح المصَفِّق: "دعني!".

همس المدير: "يوجد ما يجب أن تعرفه قبل أن تفعل هذا! أنت تعتقد أن هذا عشوائي، لكنه ليس كذلك. لقد استغلوك!".

- دعني، وإلا أقسم أن...

- ماذا ستفعل؟ ستفجرني؟ هذا ما يريدون. أنا من منظمي المقاومة المناهضة للانقسام. أيًّا كان من أرسلك إلى هنا، فهو يستهدفنا! هذا لا يتعلق بالفوضى، بل بالقضاء علينا! أنت تعمل لمصلحة الجانب الخطأ!

- لا توجد جوانب!

تراجع مبتعدًا، واستعد للتصفيق.. لكن فجأة، لم يعد جاهزًا كما كان منذ لحظة.

- أنت تتبع المقاومة؟

- يمكنني مساعدتك!

شعر بتدفق الأدرينالين في عروقه، وسمع نبض قلبه يتردد في أذنيه، فتساءل هل خفقان القلب يكفي لتفجيره، وقال: "لقد فات الأوان!".

- يمكننا تنظيف دمك! يمكننا إنقاذك!

صاح به: "أنت كاذب!"، لكنه يعلم أن ذلك ممكن. لقد نزعوا فتيل قنبلة ليف كالدر، أليس كذلك؟ لكن بعد ذلك، لاحقه المصفقون وحاولوا قتله، لأنه لم يصفق.

أخيرًا، لاحظ أحد رافعي الأثقال طبيعة المحادثة وتراجع إلى الخلف، ثم صرخ متجهًا مباشرة نحو الباب: "المصفقون! المصفقون!". قيَّم الآخرون الموقف بسرعة، وبدأ الذعر ينتشر، لكنَّ المدير لم يرفع عينيه عن المصفق، وكرر: "دعني أساعدك!".

فجأة هز انفجار صالة الألعاب الرياضية، وانهارَ سطحُ قاعةِ تمارينِ زيادةِ معدلِ الحرقِ في الطابق الأول. لقد فعلتْها! فعلتْها! لقد رحلَت، وهو ما زال هنا.

تعثر الأشخاص الملطخون بالدماء أمامه وهم يسعلون ويصرخون، وأمسكه المدير مرة أخرى بقوة كافية لتفجيره، قائلًا: "ليس عليك أن تتبعها! اتخذ قرارك بمفردك. قاتل في الجانب الصحيح!".

ورغم رغبته في تصديق وجود جانب صحيح -وأن هذا الأمل حقيقي، وليس كاذبًا- فإن رأسه أصبح مشوشًا كالركام المحترق الذي لا يزال ينهمر من حوله. أيمكنه خيانتها؟ هل يستطيع أن يغلق الباب الذي فتحته، ويرفض إكمال ما بدأته؟

- يمكنني إرسالك إلى مكان آمن. ينبغي ألا يعرف أحد أنك لم تنفجر!

قال وقد حسم قراره: "حسنًا. لا بأس".

تنفَّس المدير الصُّعداء، وتركه يفلت، وفي اللحظة التي فعل فيها ذلك، أبعد المصفق يديه عن بعضهما، ثم صدمهما معًا.

- لاااا!!

واختفى المصفِّق مع رجل المقاومة، وبقية صالة الألعاب الرياضية، وأي شيء يبعث على الأمل.

***

3 - كام

ارتدى أول إنسان مُجَمَّع في العالم ملابس سوداء. حُلَّته الرسمية للسهرة مصممة على أعلى مستويات الجودة. بدا وسيمًا.. رائعًا.. جذابًا. بدا أكبر سنًّا في حُلَّة السهرة، لكن لما كان العمر مفهومًا غامضًا بالنسبة إلى كامو كومبري، فلم يستطع تحديد العمر الذي من المفترض أن يبدو عليه.

يبدو أنه لا يوجد أحد من كل الصبية المختلفين الموجودة أجزاؤهم في رأسه عَرَفَ كيفية عقد رابطة العنق على هيئة فراشة. قال لروبرتا وهي تعقد رابطة عنقه: "حددي لي عمرًا".

روبرتا هي أقرب ما تكون إلى الأم بالنسبة إليه. إنها بالتأكيد مشغوفة به كأمه. أجابته وهي تشد رابطة عنقه وتحكم عقدها وتنمقها: "اخترْ لنفسك. أنت تعرف اليوم الذي جُمِّعتَ فيه".

قال كام: "بداية خاطئة. كل جزء مني وُجِدَ قبل تجميعي، لذا فهو ليس يومًا للاحتفال".

- كل جزء من كل إنسان يوجد قبل تقديمه للعالم كفرد.
- تقصدين يُولَد.

أقرت روبرتا: "يُولَد. لكنَّ أعياد الميلاد عشوائية. يأتي الأطفال مبكرًا، وربما يتأخرون. إن تحديد حياة المرء باليوم الذي قُطِعَ فيه الحبل السري أمر تعسفي تمامًا".

أوضح كام: "لكنهم وُلِدَوا، وهذا يعني أنني وُلِدْتُ. لكن لم تولد كل أجزائي في الوقت نفسه، وولدتها عدة أمهات".

قالت روبرتا، وهي تتراجع لتتأمله: "هذا صحيح جدًّا. منطقك لا تشوبه شائبة مثل مظهرك".

استدار كام، لينظر إلى نفسه في المرآة. لقد قُصَّتْ وصُفِّفَتْ أجزاء شعره ذات الألوان المختلفة بمثالية. ألوان البشرة المختلفة التي تنبع من نقطة واحدة في وسط جبهته أضافت إلى طبيعة مظهره المذهلة. لم تعد ندباته تبدو كذلك، بل أصبحت كمنابت الشعر. غريبة، وليست فظيعة. أصبح شكل بشرته وشعره وجسده كله جميلًا.

- لماذا إذن تهجرني ريسا؟

قال تلقائيًّا: "الإغلاق"، ثم تنحنح، محاولًا التظاهر بأنه لم يقل ذلك. "الإغلاق" هي الكلمة التي يقولها أخيرًا، كلما أراد طرد فكرة ما من ذهنه. ولا يستطيع منع نفسه من التفوه بها. تجلب الكلمة صورة لأبواب حديدية تهوي، لتحبس الفكرة بداخلها، وترفض إرسالها إلى أي مكان في ذهنه. أصبح الإغلاق أسلوب حياة بالنسبة إلى كام.

من سوء الحظ، تعرف روبرتا بالضبط ما تعنيه الكلمة.

قال كام بسرعة، قبل أن تجد روبرتا الفرصة للسيطرة على المحادثة: "العاشر من أكتوبر. عيد ميلادي سيكون في العاشر من أكتوبر، يوم كولومبوس. ما الأنسب من يوم ذكرى اكتشاف أرض وأشخاص وُجِدوا هناك فعلًا، ولم يحتاجوا إلى من يكتشفهم؟ سأبلغ الثامنة عشرة من عمري في العاشر من أكتوبر".

قالت روبرتا: "رائع. سننظم لك حفلًا. لكنِ الآن لدينا طرف آخر يتطلب اهتمامنا". أمسكت كتفيه بلطف، وأجبرته على مواجهتها، وهي تضبط زاوية رابطة عنقه بالطريقة نفسها التي قد تضبط بها صورة معلقة على الحائط: "أنا واثقة أنني لا أحتاج إلى إخبارك بمدى أهمية هذا الحفل".

- لستِ بحاجة إلى ذلك، لكنكِ ستفعلينه على أي حال.

تنهدت روبرتا، وقالت: "لم يعد الأمر يتعلق بتقليل الضرر يا كام. إن خيانة ريسا وورد نكسة، سأعترف بذلك، لكنكَ تجاوزتها بنجاح. وهذا كل ما سأقوله في هذا الشأن". لكنْ يبدو أن هذا لم يكن كل شيء، لأنها أضافت: "إنك الآن تحت رقابة أولئك الذين يجعلون الأشياء تحدث في هذا العالم. إنك تبدو مذهلًا في تلك الحُلَّة الرسمية. الآن، أَرِهم أنك رائع من الداخل كما تبدو من الخارج".

- الروعة أمر شخصي.

- حسنًا. أظهرْ لهم روعتك.

نظر كام من النافذة، فرأى سيارتهما الليموزين قد وصلت. أمسكت روبرتا حقيبتها، وفتح كام -الرجل المحترم دائمًا- لها الباب، فيما يغادران منزل المواطنة الاستباقية الفخم في واشنطن، في ليلة حارة ورطبة من شهر يوليو. شكَّ كام في أن المنظمة القوية تمتلك مساكن في كل مدينة رئيسية في جميع أنحاء البلاد، وربما في جميع أنحاء العالم.

لماذا خصصت منظمة المواطنة الاستباقية الكثير من أموالها ونفوذها لدعمي؟ كثيرًا ما تساءل كام. كلما أعطوه أكثر، زاد استياؤه، لأن ذلك يزيد أسره وضوحًا. لقد رفعوه وثبَّتوه على قاعدة تمثال، لكنَّ كام أدرك بمرور الوقت أن تلك القاعدة ليست أكثر من قفص أنيق. لا توجد جدران، ولا أقفال، لكنْ ما لم يمتلك المرء أجنحة ليطير بها مبتعدًا، سيظل محاصرًا. قاعدة التمثال هي السجن الأكثر خداعًا على الإطلاق.

قالت روبرتا بخجل وهما يتجهان نحو الطريق الدائري: "مستعدة لدفع المال مقابل سماع أفكارك".

تبسَّم كام، لكنه لم ينظر إليها، وأجاب: "أعتقد أن المواطنة الاستباقية يمكنها أن تدفع الكثير"، لكنه لم ينوِ مشاركة أي من أفكاره معها بصرف النظر عن ذلك.

حلَّ الغسق فيما تسير السيارة الليموزين على طول نهر «بوتوماك». وعلى الجانب الآخر من النهر، سطعتْ أضواء المعالم الأثرية في العاصمة. أحاطتِ السقالات بجزء كبير من نصب واشنطن التذكاري، فيما تكافح هيئة المهندسين بالجيش لتصحيح الميل الواضح الذي طرأ عليه في العقود القليلة الماضية. وقد أدى تآكل الأساس والتحول الزلزالي إلى منح المدينة برجًا مائلًا خاصًا بها. ومن المعروف أن النقاد السياسيين يقولون: "إنه يميل إلى يمين كرسي لينكولن، وإلى يسار سلم الكونجرس".

هذه أول مرة يزور فيها كام العاصمة، لكنه -رغم ذلك- يحمل ذكريات عن وجوده هنا. ذكرى ركوب الدراجة في ممرات «ناشونال مول» مع أخت من الواضح أنها آمبر. ذكرى أخرى لقضاء إجازة مع والدين من أصل ياباني، شعرا بالغضب، لعجزهما عن احتواء السلوك سريع الغضب لطفلهما. تذكر إصابته بعمى الألوان وهو ينظر إلى لوحة نسيجية ضخمة لفيرمير مُعلَّقة في متحف «سميثسونيان». وبالتوازي، تذكر رؤيته العمل الفني نفسه، لكنْ بالألوان الكاملة.

أصبح كام يستمتع باستعراض ذكرياته المختلفة والمقارنة بينها. المفترض أن تتطابق ذكريات الأماكن نفسها أو الأشياء، لكنها ليست كذلك أبدًا، لأن المفككين المختلفين الماثلين في دماغه يرون العالم من حوله بطرق مختلفة تمامًا. في البداية، وجد كام هذا الأمر مربكًا ومحيرًا -وهو ما سبَّب له الذعر والقلق- لكنه الآن يجده مفيدًا ومثيرًا للفضول. الذكريات المختلفة تمنحه تصورًا عقليًّا متوازيًا للعالم. نوع من الإدراك العميق يتجاوز وجهة النظر المحدودة للفرد الواحد. يمكنه أن يقول هذا لنفسه وسيكون صحيحًا، لكنْ وراء ذلك، يوجد غضب بدائي يختمر عند كل نقطة تحول. وفي كل مرة تتناقض الذكريات المندمجة، يتردَّد صدى التنافر في جوهر كِيانه، كتذكير بأنه لا يملك حتى ذكرياته.

وصلت الليموزين إلى الممر نصف الدائري لقصر مُقام على طراز مزرعة، وهو إما قديم جدًّا، وإما حديث للغاية، لكنه مُصمَّم ليبدو قديمًا، مثل الكثير من الأشياء. سيارات سِيدان خاصة، وسيارات ليموزين اصطفَّت في الممر. تدافَع الخدم لصف سيارات الضيوف الذين لا يرافقهم سائق.

قالت روبرتا: "أنت تعلم أنك تنتمي إلى أعلى طبقة في المجتمع التي ترى الاضطرار إلى صف السيارة أمرًا محرجًا".

توقفت الليموزين، وفُتِحَ لهما الباب.

قالت له روبرتا: "تألَّق يا كام.. تألَّق كنجم". طبعتْ قُبلة لطيفة على وجنته، لكنْ بمجرد خروجهما من السيارة، وتحول انتباهها إلى الطريق الممتد أمامهما، مسح كام بقايا القبلة بظهر يده.

***

إعلان

"كم مرة وُجِدَتْ كلمة على طرف لسانك، ثم ضاعت منك؟ كم مرة حاولت حفظ رقم هاتف، ونسيته بعد لحظة؟ الحقيقة هي أن مع تقدمنا في السن، يصبح من الصعب تكوين تلك الذكريات طويلة المدى التي نعتمد عليها.

يمكنك تجربة النسيج العصبي، لكنه باهظ الثمن ويأتي محملًا سابقًا بمعلوماته، وليست معلوماتك. لكنِ الآن

يوجد نظام التخزين العصبي الذي كنت تنتظره "فكر بسرعة" (ThinkFast)!

"فكر بسرعة" هو غرسة حية بحجم عملة معدنية تُغرَس بشكل منفصل خلف الأذن، وهذا ما يُعزِّز ذاكرتك بملايين الخلايا العصبية الشابة وافرة الصحة، التي حُصِدَت من أفضل المفككين.

لا تنسَ أبدًا اسمًا، أو عيد ميلاد، أو ذكرى سنوية مرة أخرى. اتصل بـ"فكر بسرعة" اليوم لتحديد موعد للاستشارة، وانسَ مشكلات الذاكرة إلى الأبد!".

***

سألتِ الفتاة الجميلة: "أصحيح ما يقولونه عنك؟".

ارتدتْ ثوبًا قصيرًا جدًّا لا يلائم حدثًا مليئًا بملابس السهرة الفاخرة والحُلل الرسمية. إنها واحدة من القلائل بعمر كام، الذين حضروا الحفل.

قال لها: "هذا يعتمد على ما يقولونه!".

وقفا في مكان معزول في القصر، بعيدًا عن صخب الحفل المزدحم وضجيجه، حيث يوجد جدار من الكتب القانونية ذات غِلاف جلدي، ومقعد مريح، ومكتب كبير للغاية لا يمكن استخدامه عمليًّا. جاء كام إلى هنا هربًا من "التألُّق" أمام مختلف الضيوف الأثرياء والأقوياء. وتبعته الفتاة.

- يقولون إن كل ما تفعله، لا مثيل له، (دلفت من الباب، وتحركت نحوه): وأن كل جزء منك اختير ليكون مثاليًّا في كل شيء.

قال بمكر: "هذا ليس أنا. أعتقد أن ماري بوبينز[1] هي التي تدعي أنها مثالية عمليًّا في كل شيء".

ضحكتْ وهي تقترب منه، قائلة: "إنك خفيف الظل أيضًا".

إنها جميلة. من الواضح أنها أيضًا مأخوذة بالمشاهير والنجوم. أرادت أن تنعم بنوره، وتساءل هو هل ينبغي أن يسمح لها بذلك.

---

(1) ماري بوبينز: شخصية خيالية رئيسية في فيلم أمريكي حمل الاسم نفسه؛ من إنتاج «ديزني» عام 1964، وبطولة النجمة جولي أندروز. "المترجم".

- ما اسمك؟

قالت بلطف: "ميراندا. أيمكنني.. لمس شعرك؟".

- فقط لو بإمكاني لمس شعركِ أيضًا.

مدت يدها إليه بتحفظ في البداية، وربَّتت شعره، ثم مرَّرتْ أصابعها بين الأنسجة والألوان المتنوعة.

- إنك غَرِيب جدًّا. اعتقدتُ أنني سأخاف عند رؤيتك شخصيًّا، لكن هذا لم يحدث.

فاحتْ منها رائحة الفانيليا والأزهار البرية، وهي رائحة تُنعِش ذكرياته في عدة أماكن غير محددة. إنه عطر شائع بين الفتيات الجذابات.

قالت له: "ريسا وورد مُجرِمة، بالنظر إلى الطريقة التي هجرتك بها على شاشة التلفاز الوطني، وتلاعبها بك، ثم التخلص منك. أنت تستحق امرأة أفضل. امرأة يمكنها تقديرك".

صاح كام: "إغلاق!".

تبسَّمت، واتجهت نحو الباب، قائلة: "ليس هناك قفل، لكن يمكنني بالتأكيد إغلاقه".

أغلقتِ الباب وعادت لتعانقه في لحظة. لم يستطعْ حتى أن يتذكر انتقالها إلى هناك، وكأنها سالت من الباب إلى حِضنه. عجز عن التفكير بوضوح. هناك الكثير من المدخلات التي يجب التعامل معها، لكنَّ هذا إحساس جيد على سبيل التغيير.

فكَّت رابطة عنقه. يعلم أنه لا يستطيع ربطها مرة أخرى، لكنه لم يهتم حقًّا. حملها بين ذراعيه، فمالت إلى الأمام، وقبَّلته. تراجعتْ لحظة لالتقاط أنفاسها فحسب، ثم واصلت وهي تنظر إليه بإغراء شديد. مالت عليه لتستكشفه أكثر بقبلة أخرى. وجد كام أنه ليس مبتدئًا في هذا الأمر. وافترض وجود ذكريات سابقة بشأنه.

تراجعت مرة أخرى، وهي أكثر لهاثًا. ثم ألصقت وجنتها بوجنته، وقرَّبت شفتيها من أذنه، هامسة بهدوء شديد حتى كاد ألا يسمعها: "أريد أن أكون الأولى بالنسبة إليك". اقتربتْ منه أكثر، فأصدر احتكاك ملابسهما صوتًا.

- يبدو أنكِ فتاة تحصل على ما تريد.

أجابته: "دائمًا".

لم يأتِ كام إلى هنا بحثًا عن هذا. يمكنه أن يرفضها، لكن لماذا؟ لِمَ يرفض هذا عندما يُعرَض عليه بكل حرية؟ إضافة إلى ذلك، أثار ذكر ريسا فيه روح التحدي. جعله يريد أكثر أن يكون هنا في هذه اللحظة مع هذه الفتاة التي نسي اسمها فعلًا.

قبَّلها مرة أخرى ليواكب هجومها المتنامي، وهنا فُتِحَ الباب.

تجمَّد كام، وابتعدت عنه الفتاة، لكنْ بعد فوات الأوان. وقف في المدخل رجل مميز، بدا مهيبًا في حُلَّته، أكثر من كام.

- ارفع يديك عن ابنتي!

ولأن يديه قد رُفِعَتا فعلًا عن ابنة الرجل، فلم يجد الكثير ليفعله، سوى الوقوف في مكانه ومراقبة ما يحدث.

- من فضلك يا أبي! إنك تحرجني!

في هذه اللحظة، وصل آخرون، وقد شعروا بالفضول تجاه هذا المشهد الدرامي. لم يفترْ غضب الرجل قطُّ، وكأنه قد تدرب عليه احترافيًّا، وصاح: "أحضري معطفكِ يا ميراندا. سنرحل".

- إنك تبالغ في رد فعلك يا أبي. دائمًا تبالغ في رد فعلك!

- لقد سمعتِني.

هنا، سالت دموع ميراندا، وانتحبت، معتبرة إذلالها بمنزلة إصابة حرب، وقالت: "لماذا تصرُّ دائمًا على تدمير كل شيء!".

لم يعرف كام رد الفعل المناسب إزاء كل هذا، لذا ظل ساكنًا. وضع يديه في جيبيه، خشية أن يظل متهمًا بوضعهما على جسد ميراندا التي تتحرك في أرجاء القاعة، وأبقى على وجهه تعبيرًا جامدًا يخفي ما بداخله، في حين بدا الرجل الغاضب كأنه قد يحترق ذاتيًّا.

وصلت روبرتا، وسألت في تردد: "ماذا يحدث هنا؟".

بدت ضعيفة وعاجزة على نحو غير معهود، وهذا يعني أن الأمر أسوأ مما يعتقده كام.

صرخ الرجل: "سأخبركِ بما يحدث. هذا الـ... شيء.. حاول مغازلة ابنتي".

قال كام: "في الواقع، هي التي حاولت مغازلتي.. ونجحت".

أثار هذا ضحكات خافتة من العديد من الحاضرين.

- أتتوقع مني أن أصدق ذلك؟

تقدم نحوه، فأخرج كام يديه من جيبيه، مستعدًّا للدفاع عن نفسه، إذا لزم الأمر.

حاولت روبرتا أن تحول بينهما، قائلة: "سيناتور مارشال، لو أنك فقط...".

لكنه دفعها جانبًا، ولوح بإصبعه في وجه كام. أراد جزء من كام الوصول إلى هذه الإصبع وكسرها. جزء آخر منه أراد أن يعضها. جزء ثالث أراد أن يستدير ويركض هاربًا، وجزء رابع أراد أن يضحك. أوقف كام تلك الدوافع المتضاربة، وتمسَّك بموقفه دون أن يجفل، فيما قال السيناتور: "لو اقتربتَ من ابنتي، فسوف أتأكد من تفكيكك قطعة قطعة. أهذا واضح؟".

قال كام: "لا يوجد ما هو أوضح من ذلك".

تراجع السيناتور، محولًا غضبه إلى روبرتا، وقال: "لا تأتي بحثًا عن دعمي لـ"مشروعك" الصغير، لأنكِ لن تحصلي عليه". ثم اندفع خارجًا كالعاصفة، تاركًا أجواءً من الصمت القهري.

نظرت روبرتا إلى كام في صمت وعدم تصديق عاجز. قالت عيناها: لماذا؟ لماذا بصقتَ على كل ما حاولتُ أن أقدمه لك؟ لقد انتهيتَ يا كام. لقد دمرتنا، وحطمتني.

ثم شقَّ الصمتَ رجلٌ بدأ يصفق. إنه أكبر سنًّا إلى حد ما، وأضخم حجمًا من السيناتور مارشال. أصدرتْ يداه الثقيلتان صوتًا مخيفًا وهما تصفقان. يجب أن يحسده المُصَفِّقُون.

قال الرجل الضخم بلهجة جنوبية ثقيلة: "أحسنتَ يا بني! لقد حاولتُ التغلب على مارشال لسنوات، وتمكنتَ أنت من ذلك في أمسية واحدة. المجد لك!"، ثم أطلق قهقهة كبيرة، فانفجر الاضطراب متلاشيًا، كفقاعة صابون.

تقدمتِ امرأة ترتدي ثوبًا ذهبيًّا متلألئًا وبيدها كأس شمبانيا، لتلفَّ ذراعها حول كام وتتحدث بنبرة مخمورة قليلًا: "ثق بي. أنت لست الصبي الأول الذي تحاول ميراندا مارشال التهامه بالكامل. إنها كأفعى الأناكوندا!".

ضحك كام من قولها، وقال: "حسنًا، لقد حاولتْ أن تلتف حولي".

ضحك كل الحاضرين، وصافحه الرجل الضخم، قائلًا: "لكننا لم نلتقِ بشكل مناسب يا سيد كومبري. أنا بارتون كوب، سيناتور كبير من جورجيا"، ثم التفتَ موجهًا حديثه إلى روبرتا التي بدت كمن نزلت للتو من لعبة العجلة الدوارة: "سيحصل مشروعك على دعمي غير المشروط يا آنسة جريسولد، وإذا لم يرقْ هذا لمارشال، فيمكنه صدم رأسه بالحائط". قهقه مرة أخرى، ونظر كام حوله، فبدا كأنَّ الحفل بأكمله قد انتقل إلى المكتبة. أخذ الناس يتعارفون، حتى الذين صافحهم فعلًا من قبل، بادروا بتقديم أنفسهم مرة أخرى. في البداية، جاء كام إلى الحفل كإضافة جديدة -نوع من الزينة تُضفي نكهة مميزة على الحدث- لكنه الآن محطُّ اهتمام الجميع. إنه دور أشعره بارتياح أكبر، وكلما زاد الاهتمام الذي يحظى به، أصبح أكثر استرخاءً. كلما زادت الأضواء المسلطة عليه، قلَّت الظلال.

روبرتا أيضًا تصبح في أفضل حالاتها عندما يصبح كام مركز الاهتمام، كفراشة تحوم حول نوره. تساءل هل لديها أدنى فكرة عن مدى احتقاره لكل ما تُمثِّله. والغريب في الأمر هو أنه لا يعرف حتى ما تمثله حقًّا، وهذا ما يجعله يحتقرها أكثر.

قالت وهي تمسك مرفق كام بلطف، وتُوجِّهه نحو رجل يرتدي الزي العسكري، ومن الواضح أنه لا يذهب إلى أحد: "أقدم لك يا كام الجنرال إدوارد بوديكر".

صافح كام الرجل، وانحنى إلزاميًّا في تهذيب، قائلًا: "لقاؤك شرف لي يا سيدي".

قال الجنرال: "إحساس متبادل. كنت أسأل الآنسة جريسولد للتو هل كنتَ تفكر في مستقبل في الجيش".

منحه كام إجابته المفضلة: "أنا لا أستبعد أي شيء يا سيدي".

- هذا جيد. يمكننا تحقيق استفادة جيدة من شاب مثلك.

- حسنًا يا سيدي، المشكلة الوحيدة في ذلك هي أنه لا يوجد شباب مثلي.

ضحك الجنرال في حرارة، وربَّت كتفه بلطف أبوي.

نسي الجميع تمامًا الاضطراب الذي حدث قبل دقائق قليلة. من الواضح أنه قد صنع العدو الصحيح، لأنه يملك الآن العديد والعديد من الأصدقاء.

***

4 - مدير ليلي

إنه مرض واضح وصريح، يُفسِد العالم كله. المُصَفِّقُون! المُصَفِّقُون الملاعين. ينتشرون في كل مكان كالمرض.

لا يجد المدير الليلي لمتجر «7 -إلفين» على طريق "بالم ديزرت درايف" الكثير ليفعله في معظم لياليه، سوى التفكير في حال حياته في منتصف العمر، وعالم العصر الحديث، والصحف الشعبية، التي -بصرف النظر عن رصد الكائنات الفضائية والمشاهير المتوفين- يروق لها كتابة التقارير عن مذابح المُصَفِّقِين. الحديث عن الوحشية والدماء بمستوى قراء في الصف الخامس، بهدف الترفيه والمتعة. تدمير مبنى إداري، تفجير مطعم. آخر هجوم لمُصَفِّق وقع في نادي لياقة بدنية غريب. لقد دخلوا صالة الألعاب الرياضية ببساطة، ودون إلقاء التحية، فجَّروا أنفسهم! الأوغاد المساكين الذين مارسوا التمارين الرياضية لم يجدوا فرصة للهرب. لا يمكنك فعل الكثير لتجنب أوزان الرصاص المتطايرة كالشظايا.

في الثانية والربع صباحًا، دخل رجل غامض المظهر واشترى مشروب «توكسين إنرجي» وعلبة من العلكة. لكنَّ أي شخص يظهر على الطريق الجانبي لـ«7 -إلفين» في هذا الوقت من الليل، يبدو مثيرًا للشك، ولديه قصة لا تريد سماعها.

لاحظ الرجل الصحيفة الشعبية التي يقرأها المدير الليلي، فعلَّق: "إنه جنون، أليس كذلك؟ من أين أتى المُصَفِّقُون؟".

قال المدير الليلي: "أعرف أين يذهبون. يجب جَمْع كل المصفقين والهاربين من التفكيك والجانحين، ووضعهم على متن طائرة، ثم تحطيمها".

ظنَّ أنه وجد أذنًا متعاطفة، لكنَّ العميل نظر إليه مصدومًا، وقال: "كلهم، هاه؟ ألم تسقطْ طائرة محملة بالهاربين من التفكيك في بحر سالتون منذ أسبوعين؟".

- تخلصنا منهم جيدًا. أتمنى لو كنت قريبًا بما يكفي لرؤية ما حدث.

ساد صمت غريب بينهما، ثم عاد المدير يقول: "الحساب 65,5 دولارات". دفع العميل، لكنه حرص على النظر ببرود إلى المدير الليلي، مسقطًا كل الباقي الذي حصل عليه في الصندوق الخيري لإنقاذ الهاربين، الذي يساعد في تقويم سلوك المراهقين الجانحين، قبل أن يفاجئهم أحد بأمر لتفكيك أجسادهم معدومة القيمة. إنه هدف يحتقره المدير الليلي، لكنَّ الاحتفاظ بهذا الصندوق الخيري في مكانه هو سياسة الشركة.

غادر العميل، ووجد المدير الليلي شيئًا آخر ليتذمر منه. قلوب نازفة. الكثير من الناس غير مستعدين لاتخاذ موقف متشدد بشأن ما لا يمكن حله. من المؤكد أن اقتراعات عدَّة ستُجرى هذا العام. أيجب تخصيص مليارات من الدولارات لبناء مخيمات حصاد جديدة؟ نعم أم لا؟ أيجب السماح بالتفكيك الجزئي والتقسيم المتسلسل البطيء؟ نعم أم لا؟ وحتى دستورية قانون «كاب- 17» تتعرض للطعن.

لكنْ مع انقسام السكان بالتساوي في تأييدهم للتفكيك، فإن الأمر كله يعود إلى نسبة الـ30% الضخمة من الناس، الذين إما ليس لهم رأي وإما يخشون التعبير عنه. "الجماهير الواهنة" -كما يسميهم المدير الليلي- أضعف من أن يتخذوا موقفًا. إذا بدأ المتعاطفون والمتسامحون مع الجانحين يفوقون العقلاء عددًا، فإن كل التشريعات المتشددة التي تهدف إلى حل المشكلة قد تُخفق، وماذا سيحدث بعد ذلك؟

في الساعة 2:29 صباحًا، جاءت امرأة لديها انتفاخات أسفل عينيها أكثر من تلك الأمتعة المحشوة في سيارتها المزدحمة، لتشتري رقائق البطاطس وأبرزت رخصة التبغ الطبي مقابل علبة من سجائر «كاملز».

قالت وهي تغادر: "أتمنى لك ليلة طيبة.. رغم فوات الأوان لذلك".

أطلق شكمان صدئ لسيارة «فولكس فاجن» قذيفة خلفية من الدخان الأزرق الكثيف الذي وصلت رائحته إلى المدير الليلي بالداخل. يجب تفكيك

بعض الأشخاص لحماية البيئة فحسب. أضحكته الفكرة. حماية البيئة.. من المتعاطف الآن؟

أصبح الليل هادئًا على غير العادة. لا شيء سوى صراصير الحقل وضوضاء سيارة مارة من حين إلى آخر. عادة ما يستمتع بمتجر فارغ، لكنِ الليلة ساد جو من الاضطراب بسبب هذا الصمت. ولأن الحدس هو الأداة الأكثر فائدة للمدير الليلي، تحقَّق من أسفل المنضدة للتأكد من وجود بندقيته ذات الماسورة القصيرة هناك. ليس من المفترض أن يمتلك واحدة، لكن على الرجل أن يحمي نفسه.

في الساعة 3:02، هجم المراهقون الجانحون على متجر «7 -إلفين» من العدم، وتدفقوا من الباب. العشرات والعشرات منهم احتشدوا كسرب من الجراد وأخذوا ينتزعون البضائع من الممرات. وصل المدير الليلي إلى البندقية، لكنْ قبل أن يتمكن من الإمساك بها، وجد مسدسًا مصوبًا نحو وجهه، وآخر، وثالث، وقد أجبر الصبية الثلاثة هدفهم على البقاء ثابتًا.

قالت واحدة منهم: "ضع يديك حيث أستطيع رؤيتهما". إنها فتاة طويلة ذات شعر قصير وكتفي رجل. بدت بالتأكيد قوية بما يكفي لتفجير دماغه دون تردد. ومع ذلك، قال لها: "اذهبي إلى الجحيم!".

تبسَّمت لرده، وقالت: "كن مطيعًا وطيبًا، وافعل ما يُطلَب منك، وقد تعيش لتبيع المزيد من الرقائق غدًا".

على مضض، رفع يديه وراقب الصبية وهم يدخلون ويخرجون، ويملأون أكياس القُمامة بكل ما يمكن أن تقع عليه أيديهم. جميع المشروبات من المبردات، والوجبات الخفيفة من الممرات، وحتى أدوات النظافة. ثم فجأة أدرك هُويَّة هؤلاء الصبية. لا بدَّ أنهم الناجون من تلك الطائرة التي سقطت في سالتون!

فاحتْ من أحدهم رائحة الاستعلاء الكريهة. من الواضح أنه المسؤول. ليس طويل القامة، لكنه مفتول العضلات، وله شعر أحمر كثيف بجذور داكنة للغاية. يوجد أيضًا شيء ما في يده اليسرى. لقد ضُمِّدت بطبقة تلو الأخرى من الشاش، كأنَّ باب سيارة قد صدمه، أو ما هو أسوأ من ذلك. جاء إلى المنضدة وابتسم للمدير الليلي، قائلًا بمرح: "لا تكترث بنا. سنمضي في طريقنا خلال دقيقة واحدة. متجرك الصغير بدا مناسبًا جدًّا بحيث لا يمكننا تفويته".

ولولا خوف مدير المتجر على حياته، لبصق في وجه الصبي.

- الآن تأتي اللحظة التي أطلب فيها منك أن تفتح الخزانة، فتشير إلى اللافتة التي تقول "موظف الخزانة لا يمكنه رد أكثر من عشرين دولارًا كباقٍ"، لكنني أطلب منك فتحها على أي حال".

فتح المدير الليلي درج خزانة النقود ليكشف أن اللافتة صادقة.

- أترى؟ كل الأموال تذهب إلى صندوق النقود، ومفتاحه ليس معي أيها الحثالة.

لم ينزعج الصبي، وأجابه: "موقفك يذكرني بطيارنا. لو أنك ترغب في زيارته، فهو في قاع بحر سالتون".

قالت الفتاة وهي ما زالت تُصوِّب سلاحها نحو الرجل: "يمكننا أن نرسلك إلى هناك أيضًا".

مدَّ الصبي المسؤول يده إلى درج النقود، وأخذ عملة معدنية صغيرة. ثم أمسك بعض بطاقات اليانصيب التي تُخدَش، ووضعها على المنضدة، مستخدمًا العملة المعدنية بيده السليمة لكشط الظلال الفضية. ظل الثلاثة الآخرون يوجهون أسلحتهم نحو وجه المدير الليلي، وواصل سرب الصبية خلفهم النهب بلا هوادة، وهم يحملون كل شيء بأذرعهم الصغيرة الجشعة.

قال المسؤول: "انظر! لقد فزتُ بخمسة دولارات!" ثم مرر بطاقة الخدش الفائزة إلى مدير المتجر، قائلًا: "احتفظ بها. إنها هديتي لك. اشترِ لنفسك شيئًا جميلًا".

ثم غادر وتبعه الباقون، ما عدا الفتاة حاملة البندقية، التي بقيت حتى رحيل الجميع؛ ثم تراجعت، مواصلة تصويب المسدس نحو المدير الليلي حتى خرجت من الباب الأمامي. في اللحظة التي غادرت فيها، ذهب للحصول على بندقيته وأسرع خلفهم. أطلق النار في الظلام على الظلال المنسحبة، لكنْ لم يسقط أحد. لم يكن سريعًا بما يكفي. صرخ عليهم، ولعنهم، وأقسم إنه سينال منهم، لكنه عرف أنه لن يفعل، وهذا أثار المزيد من غضبه.

استدار ليعود إلى المتجر ويحدق إليه فحسب. لم يبقَ شيء تقريبًا. لم يسرقوا المتجر فقط، بل حصلوا على كل شيء غير مُثبَّت في مكانه بمسامير. التهموا المكان كأسماك البيرانا المفترسة.

بعد أن سقط منهارًا على الأرض خلف المنضدة، وجد هناك صندوق إنقاذ الهاربين، ففكر المدير الليلي: "فليذهبوا إلى الجحيم"، ومد يده مفرغًا كل ما في الصندوق من أموال. إن الجانحين الذين يحاول هذا الصندوق إنقاذهم لا يستحقون هذا المال، كما لا يستحقه هؤلاء الهاربون من التفكيك، وسيكون ملعونًا إذا سمح لهم بالحصول على أي منه. فليُسجَنوا أو يُمَزَّقوا إرْبًا. دعهم يخدمون المجتمع بعد تحولهم إلى أجزاء، بدلًا من هدمه وهم مكتملون.

أعلينا منح المزيد من الصلاحيات لسلطة الأحداث؟ نعم أم لا؟ لا شك إلى أي منهما سيذهب تصويت المدير الليلي.

***

5 - ليف

ما كان له أن يوافق قطُّ على السماح لكونر بالذَّهَاب بمفرده ليحصل على سيارة لهما. ولم يعد عصرًا، ولا مساءً، ولا في أثناء الليل. والآن جاء فجر اليوم التالي. غاب كونر أربعًا وعشرين ساعة، وتزايد قلق ليف، فضلًا عن سخطه على نفسه وعلى كونر. ربما كانت الخطة الأفضل هي ملاحقة كونر على مسافة بعيدة، حتى إذا حدث خطأ ما، فعلى الأقل يرى ليف ذلك ويعلم. الآن يقتله الشك. تخلص من إحباطه بركل جانب مجفف صناعي قديم صدئ نصف مدفون في الأعشاب. يجب أن يتوقف، لأن هذا الشيء يرن كالجرس مع كل ركلة، وهو يعلم أن الناس قد يسمعونه على بعد أميال. جلس في ظل المجفف، محاولًا معرفة ما يجب فعله الآن. الخيارات قليلة جدًّا. إذا لم يظهر كونر قريبًا، فسيُضطَرُّ إلى الذَّهَاب وحده إلى أوهايو، للعثور على متجر تحف لم يزره من قبل، والتحدث إلى عجوز لا يعرفها عن رجل اختفى قبل ولادة ليف.

قال كونر لليف: "سونيا قد تكون مفتاح كل شيء". أوضح كونر كيف أدارت العجوز –وهي لاعب رئيسي في المقاومة المناهضة للانقسام– مخبأً آمنًا للهاربين من التفكيك، وهذا ما أدى إلى إبعادهم عن الشارع. وفَّرت المأوى لكونر وريسا خلال تلك الأيام الأولى من الهروب. ما لم يعرفه كونر في ذلك الوقت هو أن زوجها هو جينسون راينشيلد، العالِم الذي جعل التفكيك ممكنًا من خلال تقدُّمه في العلوم الطبية.. والرجل الذي مُحِيَ من التاريخ بدقة ومنهجية من قِبَل المنظمة نفسها التي أسسها لمنع إساءة استخدام تقنيته.

سأل ليف كونر في أثناء رحلتهما الطويلة من أريزونا: "لو أنها تعرف شيئًا يستحق المعرفة، لماذا لم تُخفِها المواطنة الاستباقية أيضًا؟".

أجاب كونر: "ربما لا يعتبرونها تهديدًا، أو ربما لا يعرفون أنها حيَّة، كما هو الوضع في حالتي".

المواطنة الاستباقية ليست اسمًا مألوفًا بالنسبة إلى ليف. لقد سمع بها رغم ذلك. الجميع سمع بها، لكنْ لا أحد يُعيرها الكثير من الاهتمام. إنها مجرد واحدة من العديد من المنظمات الخيرية التي تسمع بها لكنْ ليست لديك أي فكرة عما تفعله حقًّا، أو عن مدى قوتها الفعلية.

بصرف النظر عن مدى قوة المواطنة الاستباقية، يوجد شيء واحد مؤكد: أن رجالها يخشون جينسون راينشيلد. السؤال هو لماذا؟

قال كونر: "لو أردتَ إثارة الفوضى، فمن هنا نبدأ".

لكنَّ ليف نفسه تعرض للتدمير، وأُثيرتْ به الفوضى بما فيه الكفاية. لقد حوَّل نفسه إلى قنبلة، لكنه اختار عدم نزع فتيلها. كان هدفًا لهجوم انتقامي من جانب المُصفِّقين. جرى تدليله وعزله ومعاملته كشخص مقدس في قصر مليء بالأعشار الذين أُنقِذوا من التفكيك. كما دخل مِنْطَقة قتال، لإنقاذ صبي اعتبره صديقه الحقيقي، وربما الوحيد.

وبعد أن مر بذلك كله، فإن ما يريده ليف أكثر من أي شيء آخر هو حياة طبيعية. أحلامه ليست العظمة أو القوة أو الثروة أو الشهرة. لقد حصل على كل هذه الأشياء في وقت أو آخر. لا، ما يريده هو أن يصبح طالبًا في المدرسة الثانوية، لا يقلق إلا بشأن طبيعة معلمي صفه، وهل ينضم إلى فريق البيسبول أو لا.

في بعض الأحيان تتضمَّن تخيلاته عن الحياة البسيطة ميراكولينا، العُشر التي عزمتْ بشدة على أن تُفكَّك، والتي احتقرتْه واحتقرتْ كل ما يمثله، على الأقل في البداية. وضعتهما تخيلاته الحالية في المدرسة نفسها بالضواحي، ولا يهم أي ضاحية. ينفذان مشروعات مدرسية معًا. يذهبان إلى السينما. يتغازلان على الأريكة، عندما يغادر والداها المنزل. تهتف له في مباريات البيسبول، لكنْ ليس بصوت يعلو على صوت الجمهور، لأنها ليست من هذا النوع.

ليست لديه أي فكرة عن مكانها الآن، أو هل هي حيَّة. وهو الآن يواجه حالة عدم اليقين نفسها مع كونر. لقد أدرك ليف أنه قوي، لكنْ يحدث الكثير مما يفوق قدرته على الاحتمال.

قرر ليف الانتظار ساعة أخرى، قبل الخروج بمفرده. إنه لا يعرف كيفية توصيل أسلاك السيارة، على عكس كونر. ومن الناحية الفنية، لا يعرف أيضًا القيادة، رغم أنه فعل ذلك من قبل بنجاح هامشي. أفضل رهان للوصول إلى أوهايو هو الاختباء، وهذا يعني الذَّهَاب إلى المدينة والعثور على شاحنة أو حافلة أو قطار متجه في الاتجاه الصحيح. مهما كان الأمر، فإنه سيعرضه لخطر جسيم. لقد انتهك شروط إطلاق سراحه المشروط، لذا فهو هارب. إذا قُبِضَ عليه، فلا يمكن التنبؤ بما سيحدث له.

ظل ليف مترددًا ومتذمرًا، وأخذ يحاول التحلي بالثبات الذي سيتطلبه التخلي عن كونر، وهنا وصل زائر. لم يملك ليف خيار الاختباء، فقد رصد اللحظة التي توقفت فيها السيارة وخرجت المرأة. بدلًا من الركض، دخل ليف بهدوء المقطورة القديمة ونظر في الأدراج، حتى وجد سكينًا كبيرة تكفي لإحداث الضرر، لكنها صغيرة بما يكفي لإخفائها.

لم يطعن ليف أحدًا قطُّ. لقد هدَّد ذات مرة -في لحظة غضب شديد- بضرب رجل وامرأة بمضرب بيسبول. لقد فككا ابنهما، وعاد جزء من دماغ ابنهما في جسد طفل آخر، طالبًا منهما المغفرة.

قال ليف لنفسه إن هذا مختلف، فالأمر لا يتعلق بالغضب لسبب نبيل، بل بالنجاة. قرر أنه لن يستخدم السكين إلا دفاعًا عن النفس.

خرج ليف من المقطورة، لكنه وقف على حافة المدخل، لأنه يعلم أن ذلك يجعله يبدو أطول قامة. وقفت زائرته على بعد عشر أقدام، وأخذت تنقل ثقلها من ساق إلى أخرى، ثم تعود مرة أخرى. إنها في أوائل العشرينيات من عمرها كما دلَّ مظهرها. طويلة القامة، وبدينة بعض الشيء، وعلى جبهتها كدمة. احمرَّ وجهها من الشمس، ربما بسبب قيادة السيارة الـ«تي-بيرد» المكشوفة التي هي في حالة سيئة للغاية بحيث لا يمكن اعتبارها سيارة كلاسيكية.

قال ليف بأكبر قدر ممكن من الثقة والقوة: ”هذه ملكية خاصة“.

قالت الزائرة: ”لكنها ليستْ ملكًا لك. إنها ملكوودي بيمان، لكنَّ وودي مات منذ عامين“.

ارتجل ليف قصة من العدم: ”أنا ابن عمه. لقد ورثنا المكان. والدي في المدينة حاليًّا يستأجر رافعة شوكية للتخلص من كل هذه النفايات وتنظيف المكان».

لكنْ بعد ذلك قالت الزائرة: "لم يخبرْني كونر أنه أنت. قال فحسب إن صديقًا هنا. كان يجب أن يخبرني أنه أنت".

تبخرتْ كل أكاذيب ليف العفوية، وسألها: "هل أرسلكِ كونر؟ أين هو؟ ماذا حدث؟".

- قال كونر إنه يريدك أن تواصل طريقك من دونه. إنه يقيم معنا هنا في هارتسديل. لن أخبر أحدًا أنكَ كنتَ هنا، لذا يمكنك الذَّهَاب.

حقيقة أن كونر تمكَّن من إيصال رسالة إلى ليف منحتْ ذلك الأخير موجة من الارتياح الشديد. لكنَّ الرسالة نفسها ليس لها أي معنى. من الواضح أنها إشارة استغاثة. كونر في ورطة.

سأل ليف: "من تقصدين بضمير الجمع؟".

هزَّت الزائرة رأسها، وركلت الأرض كما يفعل طفل، وقالت: "لا يمكنني إخباركَ بذلك". نظرت إلى ليف وحدقت إلى الشمس المشرقة، وسألت: "هل ما زال بإمكانك تفجير نفسك؟".

- لا.

هزَّت المرأة كتفيها، وقالت: "حسنًا. على أي حال، لقد وعدت بأن أخبرك بما قلتُه لكَ، وقد فعلت. الآن يجب أن أذهب قبل أن يعلم أخي أنني خرجتُ. سعدتُ بلقائكَ يا ليف. اسمكَ ليف، أليس كذلك؟ ليف كالدر؟".

- جاريتي. لقد غيَّرتُ اسمي.

أومأتْ برأسها مؤيدة، وقالت: "أعتقد أنك لم ترغب في الاحتفاظ بشيء يمتُّ بصلة إلى الأسرة التي ربَّتك على الرغبة في تفكيك نفسك". ثم استدارتْ عائدة إلى السيارة.

فكَّر ليف في ملاحقتها -وإخبارها أنه أيضًا يريد البقاء في هارتسديل- لكنْ حتى لو انطلت عليها الخَدْعَة، فإن ركوب تلك السيارة يعتبر فكرة سيئة. مهما كانت المشكلة التي يواجهها كونر، من الحماقة التطوُّع للوقوع في المزيد من المشكلات.

بدلًا من ذلك، أسرع ليف إلى حافلة المدرسة القديمة المتهالكة وصعد إلى غطاء المحرك ومن ثَمَّ إلى سطح الحافلة، متجنبًا المواضع الصدئة. ومن موقعه المرتفع، شاهد السيارة الـ«تي-بيرد»، وهي تثير الغبار على الطريق الترابي حتى انعطفت يسارًا إلى طريق مرصوف. تتبعها ليف أطولَ مدة

ممكنة حتى اختفت في هارتسديل. الآن، بعد أن عرف الاتجاه العام الذي ذهبتْ إليه الـ«تي-بيرد»، يمكنه التجوُّل في الشوارع حتى يجدها مرة أخرى.

ربما يريد كونر أن يواصل ليف الحياة من دونه، لكنه يعرف أن ليف لن يتخلى عنه.

***

في ما يلي إعلان سياسي مدفوع الأجر

"جدتي ترفض الحديث عن ذلك، لكنها تتذكر الوقت الذي كانت فيه السيارات تحترق في الشارع والقضبان على النوافذ لم تكفِ لدرء الخطر. إنها تتذكر عندما أرهب المراهقون المتوحشون حيَّنا، ولم يشعر أحد بالأمان.

حسنًا، هذا يحدث مرة أخرى. يسمح قانون «كاب - 17» للآلاف من الأشخاص غير القابلين للإصلاح الذين يبلغون من العمر سبعة عشر عامًا بالعودة إلى الشوارع، ويحدُّ بشدة من العمر الذي يمكن للآباء فيه اختيار التفكيك.

الأسبوع الماضي، تعرض صبي في المبنى الذي أعيش فيه للطعن على يد أحدهم وهو في طريقه إلى المدرسة، وأخشى أن أكون التالي.

اتصل بعضو الكونجرس في دائرتك أو اكتب إليه اليوم. أخبره أنك تريد إلغاء قانون «كاب- 17». دعونا نجعل الشوارع آمنة مرة أخرى للأطفال مثلي!

- برعاية أمهات ضد السلوك السيئ

***

خرج "ليف" في النهار الحارق لأداء مهمته الاستطلاعية. حافظ على رأسه منخفضًا، لكنه أبقى عينيه مفتوحتين على اتساعهما. لاحظ ليف أن السيارة الـ«تي-بيرد» متسخة بما يكفي للإشارة إلى تركها تنتظر في الشارع، وليس في مرأب، لكنَّ هارتسديل مخبأ للفئران وليست بها شبكة طرق منظمة، وقد ثبت أن البحث المنهجي في الشوارع أمر صعب.

بحلول الثانية عصرًا، تملَّكه اليأس لدرجة المخاطرة بالتواصل مع مواطني المدينة. استعدَّ لذلك بشراء قبعة بيسبول «شيفرون» من محطة وقود وعلبة من العلكة. ارتدى القبعة لإخفاء جزء أكبر من وجهه، ومضغ عدة قطع من العلكة حتى تخلَّص من السكر، ثم وضع نصف العلكة في لثته العلوية فوق أسنانه الأمامية، والنصف الآخر في لثته السفلية. يكفي فقط تغيير شكل فمه دون أن يبدو شديد الغرابة. ربما يكون هاجس تعرُّفه من قبل الآخرين مَرضيًا ومتطرفًا بعض الشيء، لكنه يطبق مقولة يغرم بها الهاربون من التفكيك: "حذِر أفضل من مفكك".

مرَّ بأحد مطاعم «سونيك» في ذلك الصباح، حيث توجد نادلات جميلات يتحركن على زلاجات، ويُحضِرن الطعام إلى السيارات المتوقفة، كما يحدث منذ بداية تاريخ الوجبات السريعة المسجَّل. لو وُجِدَ من يعرف سيارات هذه المدينة، فهنَّ نادلات «سونيك».

ذهب ليف إلى شباك الطلبات، وطلب برجرًا ومشروبًا، متحدثًا بلهجة مزيفة تبدو من أعماق الجنوب، بحيث لا يمكن أن يكون من كانساس، لكنَّ هذا أفضل ما أمكنه فعله.

بعد حصوله على الطعام، جلس إلى إحدى المناضد الخارجية، وركز على إحدى النادلات الجالسات إلى المنضدة المجاورة، ويرسلن رسائل النصية عندما لا توجد طلبات.

قال ليف: "مرحبًا"، (ثم كرَّر): "مرحبًا.. أليس الجو شديد الحرارة؟ خمس درجات أخرى، ويمكنكِ قلي بيضة على ساعدي".

عبارته الأخيرة جعلتها تبتسم وتنظر إليه. أمكنه قراءة أفكارها من تعبيرات وجهها: إنه ليس عاديًا. إنه لطيف. إنه يافع للغاية. سأعود إلى الرسائل النصية.

قال ليف: "ربما يمكنكِ مساعدتي. توجد سيارة تحمل لافتة "للبيع" انتظرت على جانب الطريق في ذلك اليوم، لكنني الآن لا أستطيع العثور عليها".

قالت مفترضة: "ربما بيعت".

- أتمنى ألا يكون هذا قد حدث. اسمعي، سأحصل على رخصتي خلال شهرين. أتمنى حقًّا الحصول على الـ«تي-بيرد». إنها سيارة مكشوفة خضراء. هل تعرفينها؟".

واصلتْ إرسال الرسائل النصية لحظةً، ثم قالت: "السيارة المكشوفة الخضراء الوحيدة الموجودة هنا مملوكة لآرجان سكينر. لو عرضها للبيع، فلا بدَّ أنه يواجه وقتًا أصعب من المعتاد".

- أو ربما يشتري شيئًا أفضل.

أطلقت ضحكة تشكك مكتومة، فمنحها ليف ابتسامة استمالة على شفتين منتفختين قليلًا. استغرقتْ لحظةً لإعادة التقييم، وقدَّرتْ أن حتى في وجود رخصة قيادة، فإنه لا يزال صغير السن جدًّا، بحيث لا يحظى باهتمامها، وقالت: "إنه يعيش في شارع «ساجوارو»، على بعد بنايتين من «ديري كوين»".

شكرها ليف، وتوجه إلى هناك حاملًا البرجر والمشروب. إذا بدا شديد الحماس، فسيدعم ذلك قصته المزيفة.

لأنه مر بـ«ديري كوين» في وقت سابق من ذلك الصباح، فهو يعرف بالضبط إلى أين يذهب، لكن عندما وصل إلى المكان، سمع شيئًا بدا غير مألوف في بلدة مثل هارتسديل؛ الصوت الإيقاعي لطائرة مروحية تقترب.

وقبل وصوله، توقفت سلسلة من سيارات الشرطة في الشارع. انطلقتْ صفارات الإنذار، لكنَّ سرعتها أشارت إلى خطورة الأمر. توجد أكثر من اثنتي عشرة سيارة، من بينها سيارات شرطة الأحداث، باللونين الأبيض والأسود، وسيارات غير مميزة أيضًا. بدأت الطائرة -التي ظهرت الآن في السماء- تحلق حول الحي، وشعر ليف بتراجع عنيف في جرأته.

وبدلًا من متابعة السيارات، اختار مراقبة المشهد من شارع مجاور، وقطع بضعة أفنية خلفية، حتى لا يراه أحد. أخيرًا، وجد نفسه يختلس النظر من خلال شرائح سياج خشبي إلى منزل مُهمَل على طراز المزرعة تحيط به سيارات الشرطة.

منزل به سيارة «تي-بيرد» خضراء مكشوفة متوقفة على الممر.

***

6 - كونر

في ذلك الصباح نفسه، نزل آرجان، حاملًا تلفازًا، ووصَّله بمصدر الطاقة المتصل بوَحْدَة الإضاءة المتدلية الوحيدة، قائلًا لكونر في سعادة: "كل وسائل الراحة المنزلية متاحة".

آرجان الذي يحب مشاهدة برامج متلفزة رديئة وإعلانات طوال الليل، لم يستيقظ إلا بعد رحيل جرايس وعودتها، لتوصيل الرسالة إلى ليف. قالت: "لا تتحدث". استخدمتْ تعبيرًا شعبيًّا لم يعرف كونر قطُّ أي شخص آخر يستخدمه. الآن، عندما دخلتْ من خلف آرجان، أشارت إلى كونر في الخفاء بالتزام الصمت.

التقط التلفاز الصغير إشارة لاسلكية ضعيفة، وهذا ما جعل المشاهدة صعبة.

قالت جرايس لكونر: "سأبحث عن وسيلة حتى يعمل بشكل أفضل".

- شكرًا يا جرايس. سأشعر بالامتنان إذا فعلتِ.

لم يهتم كونر بمشاهدة التلفاز، لكنَّ إظهار التقدير لجرايس أكثر مما يفعل آرجان أمر أساسي.

قال آرجان: "لا داعي للقلق. لا نحتاج إلى إشارة أو سلك لمشاهدة مقاطع الفيديو".

وَفْقَ تقديرات كونر، فهو في الأَسْر منذ أربع وعشرين ساعة تقريبًا. من الأفضل لليف أن يكون قد مضى في طريقه من دونه. متجر التحف بالقرب من المدرسة الثانوية في آكرون حيث انفصلا أول مرة. لا بدَّ أن هذا يكفي لكي يجده ليف.

قضى آرجان -الذي حصل على إجازة مرضية من السوبرماركت- الصباح في تشغيل مقاطع الفيديو والموسيقى المفضلة لديه، وعرض كل ما يفضله على كونر.

قال له آرجان: "لم تكن مُطَّلعًا وقتًا طويلًا. يجب أن أعيد تثقيفك عمَّا تطور في العالم"، كأنه يعتقد أن كونر اختبأ حرفيًّا تحت صخرة عاميْن. يميل ذوق آرجان المسرحي إلى العنف، ويميل ذوقه الموسيقي إلى النشاز. لقد رأى كونر ما يكفي من العنف الحقيقي، لدرجة تمنعه من الاستمتاع به بعد الآن. وبالنسبة إلى الموسيقى، فإن معرفة ريسا بها قد وسَّعَت آفاقه.

قال كونر لآرجان: "حالما تسمح لي بالخروج من هذا القبو، سأصطحبك لرؤية فرق موسيقية ستذهلك".

لم يستجب آرجان إلى ذلك على الفور. منذ الأمس، أخذ كونر يذكر الأشياء التي قد يفعلانها معًا، كصديقين. أيًّا كان الإطار الزمني الذي يضعه آرجان في رأسه لإقناع كونر بفكرته، فإن الأمر لا بدَّ أن يستغرق وقتًا، ولم يحن أوانه بعد. وإلى أن يحدث ذلك، فإن أي شيء يقوله كونر سيظل محل شك من جانب آرجان.

ترك آرجان كونر مع جرايس لأداء بعض المهمات، فسارعت هي إلى إخراج رقعة الشطرنج البلاستيكية، وإعداد القطع، وقالت لكونر: "يمكنك اللعب، أليس كذلك؟ فقط أخبرني بخطوتك، وسأنفذها نيابةً عنك".

كونر يعرف اللعبة، لكنْ لم يملك قطُّ الصبر اللازم لتعلم استراتيجياتها. ومع ذلك، لم يشأ حرمان جرايس من اللعب، فشاركها اللعبة.

قالت بعد أربع حركات: "افتتاحية كاسباروف الكلاسيكية"، وفجأة لم تعدْ تبدو مصابة بضعف القشرة الدماغية على الإطلاق: "لكنها لا تفيد في مواجهة خطة الدفاع الصقلية".

تنهد كونر، قائلًا: "لا تخبريني أنكِ قد حصلتِ على نسيج عصبي".

قالت جرايس بفخر: "مستحيل قطعًا! دماغي كله ملكي، كما هو. إنني ماهرة في الألعاب فحسب"، ثم بدأت تتغلب على كونر بسرعة محرجة.

قالت جرايس وهي تستعد لجولة ثانية: "آسفة".

- لا تعتذري أبدًا عن الفوز.

قالت جرايس مجددًا: "أعتذر. ليس عن الفوز، لكن عن شعوري بالأسف لفوزي".

طوال المباراة التالية، قدمتْ جرايس تحليلًا تفصيليًّا، مشيرةً إلى جميع التحركات التي كان على كونر اتخاذها ولماذا.

قالت جرايس، وهي تلتهم وزير كونر بفيل واضح للعيان: "لا تقلق. لقد ارتكب مورفي هذا الخطأ في مواجهة أندرسن، لكنه -رغم ذلك- فاز بتلك المباراة الغريبة".

لم يحالفْ كونر الحظ. مُنِيَ بهزيمة ساحقة من جرايس مرة أخرى. في الواقع، كان كونر سيصاب بخيبة أمل لو لم يحدث ذلك.

- من علمكِ اللعب؟

هزَّت جرايس كتفيها، وأجابت: "لقد لعبتُ ضد هاتفي وأمورًا من هذا القبيل. (ثم أضافت): "لا يمكنني اللعب مع آرجان. إنه يغضب عندما أفوز، ويغضب أكثر عندما يفوز، لأنه يعلم أنني سمحتُ له بذلك".

قال كونر: "لا تتركيني أفوز".

تبسمت جرايس وأجابته: "لن أفعل".

انصرفتْ جرايس، ثم عادت حاملة طاولة عتيقة الطراز، وهي لعبة اضطُرَّت أن تُعلِّم كونر كيفية استخدامها. ليست بارعة للغاية في الشرح، لكنَّ كونر فهم الأساسيات.

عاد آرجان خلال المباراة الثانية، وبإصبع واحدة قلب اللعبة، فتناثرت القطع البنية والبيضاء في كل مكان.

قال لجرايس: "كُفِّي عن إضاعة وقت الرجل. إنه لا يريد اللعب".

قال له كونر، بابتسامة حرص عليها: "ربما أرغب في ذلك".

- لا، لم تكن لترغب في ذلك. جرايس تريد أن تجعلك تبدو أغبى منها فحسب. وعلى أي حال، فهي معدومة الفائدة. لم تتمكن من الفوز مرة واحدة في لاس فيجاس.

تمتمتْ جرايس بنبرة حزينة: "لا أضع الورق في حسباني. إنني ألعب الألعاب الأخرى فحسب".

أظهر آرجان لكونر أنبوبًا زجاجيًّا عتيقًا، وقال: "على أي حال، معي هنا شيء أفضل بكثير من الطاولة".

قالت جرايس، لاهثة قليلًا: "آرجي! ينبغي ألا تستخدم أرجيلة جدنا الأكبر!".

- لمَ لا؟ إنها ملكي الآن، أليس كذلك؟ إنها إرث! حسنًا، الشكل يتبع الوظيفة.

أخطأ آرجان المعنى الحقيقي للعبارة مرة أخرى. هذه المرة لم يكلفْ كونر نفسه عناء توضيح ذلك إليه.

سأله آرجان: "أتريد تدخين بعض المهدئات؟".

قال له كونر: "لقد هُدِّئتُ بما يكفي. لستُ بحاجة إلى تدخين هذه الأشياء".

- لا، استمع لي. الأمر يختلف عندما تدخنها. إنها لا تفقدك الوعي، بل تلقي بك فحسب في حلقة مفرغة.

أخرج كبسولة حمراء وصفراء -وهي أخف الأنواع المستخدمة في سهام التهدئة- ووضعها في الوعاء مع بعض الحشيش المنتشر في الفناء، قائلًا وهو يشعلها: "هيا، سيروق لك الأمر".

كان كونر قد اكتفى من هذا النوع من الأشياء، قبل توقيع أمر تفكيكه. انطلاقُ المطاردين خلفه، قتل نوعًا ما ميله إلى ذلك.

- لا أريد.

تنهَّد آرجان، قائلًا: "حسنًا، سأعترف لك بشيء. لطالما تخيلتُ تدخيني المهدئات مع إوُول آكرون فيما نتحدث عن بعض الهراء الروحي العميق. أنت الآن هنا فعلًا، لذا علينا أن نفعل ذلك".

- لا أعتقد أنه يريد التدخين يا آرجي.

قال دون أن ينظر حتى إلى جرايس: "هذا ليس من شأنكِ". أخذ آرجان نفسًا من الأنبوب، ثم وضعه على فم كونر، ممسكًا بأنفه حتى لا يجد أمامه خيارًا سوى سحب الهواء من الأنبوب.

حدثتِ الاستجابة الفسيولوجية بسرعة. في أقل من دقيقة، شعر كونر بأذنيه كأنهما تنكمشان، واكتنف الدوار رأسه، وبدا أن الجاذبية ينعكس اتجاهها عدة مرات.

- أتشعر بذلك؟

لم يُرِد كونر إكرامه بالرد. بدلًا من ذلك، نظر إلى جرايس التي تجلس بلا حول ولا قوة على جُوال من البطاطس. سحب آرجان نفسًا ثانيًا وأجبر كونر أيضًا على ذلك.

بينما يسيل عقل كونر، عادت إليه ذكريات حياته قبل التفكيك. كاد يسمع والديه يصرخان عليه وهو يبادلهما الصراخ. تذكَّر كل الأشياء -القانونية وغير القانونية- التي فعلها لإسكات الشعور بالاضطراب والقلق في إحدى ضواحي أوهايو المملة.

رأى القليل من شخصيته القديمة في آرجان. هل كان كونر غريب الأطوار إلى هذا الحد؟ لا، مستحيل. إضافة إلى ذلك، فقد تجاوز تلك المرحلة، لكنَّ آرجان لم يفعل قطُّ. ربما يبلغ آرجان العشرين من عمره، لكنه لا يزال يتخبَّط في حفرة الإخفاق الموحِلة، وتركها تتحول إلى حفرة من القطران تحت قدميه. ذاب الغضب الذي شعر به كونر تجاه آرجان في سائل أفكاره، متحولًا إلى طبقة رفيعة وعريضة من الشفقة.

سحب آرجان نفسًا آخر، ونظر بعينين زائغتين إلى كونر، قائلًا: "إنه صِنف جيد يا رجل!". مزيج المهدئات والحشيش جعل كونر عاطفيًّا. إنه يعلم أن الأمر يتعلق بماضيه، لكنَّ آرجان الذي يعتبره حلقة وصل بينهما، قال: "إننا متماثلان يا كونر. هذا ما تفكر فيه، أليس كذلك؟ كان من الممكن أن أصبح أنت. وما زال بإمكاني ذلك. (بدأ يضحك) يمكننا أن نصبح أنت معًا".

انتقلتْ عدوى الضحك إلى كونر الذي وجد نفسه يضحك بلا سيطرة، فيما جعله آرجان يسحب نفسًا آخر.

قال آرجان: "يجب أن أعرض عليك هذا. ستغضب، لكنْ يجب أن أريه لك على أي حال". ثم أخرج هاتفه وأراه إحدى الصور التي التقطها مع كونر بالأمس.

- جيدة، أليس كذلك؟ لقد وضعتُها في ملفي الشخصي على «فيسلينك».

- ما.. ماذا فعلت؟

ضحك آرجان مرة أخرى، وقال: "ليس أمرًا مهمًّا. فقط لأصدقائي وأشيائي". ضحك الاثنان، ووجد كونر نفسه يضحك في هيستيريا.

- أتعرف مدى سوء الأمر يا آرجان؟

- أعرف.

- لا، إنك لا تعرف شيئًا. السلطات.. هيئة الأحداث.. يملكون أجهزة تتبع الوجه على شبكة الإنترنت.

- أجهزة تتبع، هذا صحيح.

- سيهدمون هذا المنزل، ويقبضون عليَّ. سيعاقب كل منكما بالسجن ما بين خمس سنوات إلى عشر بتهمة (لم يستطع كونر التحكم في ضحكته) المساعدة والتحريض.

قالت جرايس من الزاوية: "أوه، هذا سيئ يا آرجي".

قال آرجان دون أن يغير وعيه المغيب معاملته لشقيقته: "من سألكِ؟".

قال كونر: "يجب أن نخرج من هنا يا آرجان. علينا أن نذهب الآن. كلانا هارب الآن".

لم يفهم آرجان الأمر تمامًا بعد، فقال: "حقًّا؟ سنهرب أنا وأنت؟ حسنًا، وليذهب العالم إلى الجحيم!".

- إنه القدر، تمامًا كما قلت.

- القدر.

- آرجان وإوُول آكرون.. لكنْ عليك أن تحل قيودي، قبل أن يأتوا للقبض علينا!

- أحل قيودك...

- لا يوجد وقت. من فضلك يا آرجان.

- أيمكنني الوثوق بك حقًّا؟

- هل دخنًّا المهدئات معًا للتو، أم لم نفعل؟

هذا يكفي لإبرام الصفقة. وضع آرجان الأنبوب جانبًا، ثم وقف خلف كونر ليفك يديه. ثنى كونر أصابعه وأدار كتفيه المتألمتين. ولم يدرِ هل الخدر في ذراعيه بسبب التقييد أم المهدئات.

سأله آرجان: "أين نذهب إذن؟".

جاء رد كونر في هيئة أنبوب زجاجي في الرأس. هوى بالأنبوب على فك آرجان مباشرةً، فتحطم، وهذا ما أحدث ثلاث إصابات على الأقل في الجانب

الأيسر من وجه الرجل. تراخت ساقا آرجان، وسقط مرتطمًا بالأرض، وهو يئنُّ في حالة نصف وعي، لكنه عجز عن النهوض، وسالت الدماء من وجهه.

وقفت جرايس محدقة إلى كونر، وقالت في ذهول: "لقد كسرتَ أرجيلة جدنا الأكبر".

- نعم، أعرف ذلك.

لم تذهب لمساعدة آرجان، بل نظرتْ إلى كونر فحسب، وهي تتساءل في شك، هل تعرضتُ للخيانة أم تحررتُ للتو. سألته: "أصحيح ما قلته عن ملاحقة الشرطة لنا؟".

لم يجد كونر ضرورة للإجابة، لأنه سمع صرير مكابح السيارات وهي تتوقف في الخارج، والأزيز المستمر لطائرة هليكوبتر تحلق فوق رأسه.

***

7 - جرايس

جرايس إليانور سكينر تخشى الموت مثل أي شخص آخر، لكنها تخشى الألم أكثر. ذات مرة، منذ وقت طويل، أجبرها آرجي على صعود منصة الغوص العالية، فيما كانا في إجازة. استحضرت قوة إرادتها، واستجمعت شجاعتها التي مارست بها الألعاب المائية وما شابهها، لكن حال الصعود إلى المنصة التي يبلغ ارتفاعها عشرة أمتار، شعرت بالضعف. بدا حمام السباحة بالأسفل صغيرًا وبعيدًا للغاية. القفز في الماء سيؤذيها. وبينما وقفت على الحافة، وأصابع قدميها ملتوية على اللسان الخرساني، أخذ آرجي يضايقها بأسفل.

صرخ ليسمعه الجميع: "لا تكوني ضعيفة وغبية يا جرايسي. لا تفكري في الأمر، اقفزي فحسب!".

وخلفها، نفد صبر الآخرين.

- هيا اقفزي يا جرايسي! إنك تغضبين الجميع!

في النهاية، تراجعت جرايس، ونزلت السلم وهي تشعر بالخجل. هذا نفس إحساسها اليوم. الفرق فقط أن الآن أصبح التهديد أكثر واقعية بكثير. تذكرتْ كلمات آرجي في ذلك اليوم. لا تفكري في الأمر، اقفزي فحسب! واتبعت النصيحة هذه المرة.

دفعتْ باب القبو لتفتحه، وخرجت في ضوء النهار. قالت لنفسها: "إنها لعبة. اعتدتُ الفوز في الألعاب".

يوجد قناصة في الفناء، لكنهم لم يروها في البداية. توجهت بنادقهم نحو المنزل، والقبو يقع في أقصى الجزء الخلفي من الفناء. لم يدخلوا بعد. القوة لا تزال متمركزة.

صرخت وهي تجري في الفناء المليء بالأعشاب، وتجذب انتباه القناصة: "لا تطلقوا النار! لا تطلقوا النار!". على الفور، اتجهت جميع البنادق نحوها، ولم تعتقد أنها مليئة برصاصات تهدئة.

قالت مرة أخرى: "لا تطلقوا النار. إنه هنا. من هذا الطريق. لا تطلقوا النار!".

أمرها أحد القناصة: "اهبطي على الأرض! على الأرض الآن!".

لكن لا. القاعدة الأولى تقول: "لا تسمح أبدًا بالقبض عليك، إلا إذا منحك ذلك مزية ما".

استدارت، وما زالت يداها مرفوعتين في الهواء، وصاحتْ وهي تركض عائدة إلى القبو: "من هنا! اتبعوني!". توقع نصفها إطلاق النار عليها، لكنَّ النصف الآخر فاز؛ لم يطلقوا النار. أسرعتْ تهبط الدرج إلى القبو، وانتظرتْ. وفي لحظة، أصبح القناصة هناك، حموا ظهور بعضهم، واستهدفوها في ضوء القبو الخافت، كأنهم جنود في مِنْطَقة معادية. ورغم إحساسها بأن قلبها ينفجر، ورغبتها في الصراخ، فإنها قالت بهدوء: "لستم بحاجة إلى أسلحة. إنه غير مسلح". ظل الرماة متمسكين بمواقعهم، موفرين الحماية لضابط يرتدي زيًّا رسميًّا؛ تبعهم إلى أسفل.

قالت له جرايس: "علمتُ أنها فكرة سيئة. أخبرتُ آرجي بذلك، لكنه لم يستمع".

نظر الضابط إلى جرايس بسرعة واستخفاف، تمامًا كما يفعل الجميع. خمَّنَ أنها تعاني ضعف القشرة الدماغية، وربَّت كتفها، قائلًا: "أحسنتِ صنعًا يا آنسة".

جاء المزيد من الضباط إلى القبو، فأصبح مزدحمًا.

بدا الشخص المقيد إلى العمود غير متزن ونصف واعٍ. أمسك الضابط الرئيسي شعره، ليرفع رأسه وينظر في وجهه.

- من هذا بحق الجحيم؟

قالت جاريس: "إنه أخي، آرجان. قلتُ له ألا يسرق كل هذه الأشياء من السوبرماركت. أخبرتُه أنه سيقع في ورطة كبيرة. لقد ضربتُه وقيدتُه. اضطُرِرْتُ إلى أن أؤذيه -كما ترى- حتى لا تُطلقوا عليه الرصاص. إنه لا

يقاوم، أليس كذلك؟ لذا ستتساهل معه، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ أخبرني أنك ستتساهل معه!".

لم يعد الضابط لطيفًا مع جرايس، بل أخذ يحدق إليها، متسائلًا: "أين لاسيتر؟".

- من؟

- كونر لاسيترا!

ثم أخرج صورة آرجان مع إوُول آكرون التي لا بدَّ أنه حصل عليها من شبكة الإنترنت.

- أوه، أتقصد هذا الذي في الصورة؟ لقد ركَّبها آرجي مستخدمًا الكمبيوتر. إنها مجرد مزحة يعرضها على أصدقائه. إنها تبدو حقيقية، أليس كذلك؟

نظر الضباط الآخرون إلى بعضهم، فيما بدا قائدهم منزعجًا على أقل تقدير، وقال: "أمن المفترض أن أصدق ذلك؟".

هزت جرايس كتف أخيها، وصاحت: "أخبرهم يا آرجي". ثم انتظرت رده. ربما يحمل آرجي الكثير من العيوب، لكنه ماهر للغاية في الحفاظ على نفسه. وكما قال كونر، فإن "المساعدة والمجادلة" -أو أيًّا كان اسمها- جريمة خطِرة. لكن فقط في حالة الإمساك بك متلبسًا.

حدَّق آرجان إلى جرايس -من خلال عينيه المغطاتين بالدماء- بنظرات أشعت بكراهية أخته، لدرجة أنه قد يقتلها إذا أُطلِقَ سراحه، ثم صاح: "إنها الحقيقة. هذه الصورة مزيفة. لعرضها على أصدقائي".

ليس هذا ما يريد الضابط سماعه. ضحك الآخرون من خلفه.

قال، محاولًا الحفاظ على ما تبقى من هيبته: "حسنًا، فكُّوا قيوده وانقلوه إلى المستشفى، وفتشوا المنزل على أي حال. ابحثوا عن الملف الأصلي. أريد تحليل تلك الصورة".

قطعوا الأحبال المقيد بها آرجي وأخرجوه من القبو. لم يحتجَّ أو يقاوم، ولم ينظر حتى إلى جرايس.

وبعد مغادرة الآخرين، تباطأ أحد الضباط المعاونين، ونظر حوله إلى مخزون الطعام، "أسرق كل هذا؟".

- أستعتقله؟

ضحك الضابط، وأجاب: "ليس اليوم يا جرايسي".

الآن تعرَّفته كرجل ذهبتْ معه إلى المدرسة. وتذكرتْ اعتياده مضايقتها، لكنْ يبدو أنه قد خفَّف من حدة سلوكه، أو على الأقل أعاد توجيه سلوكه السيئ إلى آخر جيد.

قالت وهي تتذكر اسمه، أو أَمِلَتْ على الأقل تذكره بشكل صحيح: "شكرًا لك يا جوي".

ظنت جرايس أنه سيغادر، لكنه ألقى نظرة ثانية على أجولة إمدادات الطوارئ، وقال: "هذه كمية هائلة من البطاطس".

ترددتْ جرايس وهزت كتفيها، قائلة: "وماذا في ذلك؟ البطاطس بطاطس".

- أحيانًا تكون كذلك، وفي أحيان أخرى لا.

ثم سحب مسدسه، وأبقى عينيه مركزتين على الكومة الكبيرة من أجولة البطاطس: "ابتعدي عن الطريق يا جرايسي".

***

8 - كونر

اشتبه الضابط فحسب في وجود كونر، لكنه لم يصدق ذلك حقًّا. من الواضح أنه لا يرى جرايس بالكفاءة الكافية لإيواء أحد الهاربين، ويراها شديدة الغباء، بحيث لا يمكنها ذلك. بمجرد عثوره على كونر، من المرجح أن يطلق النار عليه على الفور، لأن قتل إوُول آكرون يتساوى مع القبض عليه، وكلاهما جيد. كل ما يملكه كونر الآن هو عنصر المفاجأة، لكن ذلك سيختفي بمجرد اكتشاف وجوده، لذا ففي اللحظة التي بدأ فيها الضابط التفتيش حول أجولة البطاطس، تحرك كونر، مندفعًا خارج الجوال الذي يختبئ بداخله، مُمسكًا الرجل من كعبيه، وساحبًا قدميه.

اختلَّ توازن الرجل، وسقط صارخًا بفعل المفاجأة، وطار سلاحه الذي لم يُمسِكه بإحكام. تحركتْ جرايس للحصول على السلاح، فيما سقط الرجل وسط كومة من زجاجات المياه، فارتدَّت وتدحرجت على الأرض.

ظلت ذراعا كونر ملتفتين حول كعبي الرجل، ووجد أن شيئًا واحدًا فقط يمكنه قوله في ظل هذه الظروف.

- يا له من جورب جميل!

وقفتْ جرايس بجوارهما، ووجهت البندقية نحو صدر الضابط، قائلة: "لا تتحرك، ولا تنادِ الآخرين، وإلا أقسم إنني سأطلق النار".

قال، محاولًا إخراج نفسه من هذه الورطة: "انتظري يا جرايسي، إنك لا تريدين فعل هذا".

- اصمت يا جوي! أعرف ما أريد أفعله وما لا أريد فعله، والآن أريد أن أراكَ بملابسك الداخلية.

- ماذا؟

ضحك كونر، وأدرك على الفور ما يدور في ذهن جرايس، فقال للرجل: "لقد سمعتَ السيدة. اخلعْ ملابسك!".

انثنى كونر للخروج من جُوال الخيش، وبدأ يخلع ملابسه أيضًا، مستبدلًا بها ملابسَ الضابط. اعتقد كونر أنه سيقود خطة هروبه، لكنه ترك جرايس تتولى القيادة. شعر بالذهول مما حققتْه حتى الآن، وكما أخبره الأدميرال ذات مرة، "القائد الحقيقي لا يجعل غروره أبدًا أهم من موارده المتاحة". وجرايس سكينر أحد الموارد المتاحة عالية المستوى.

سأل كونر وهو يرتدي سروال الضابط: "ما اللعبة يا جرايس؟".

قالت ببساطة: "إنها لعبة من النوع الذي نفوز به. (ثم وجهت حديثها إلى الضابط): "واصل خلع ملابسك؛ القميص أيضًا".

- جرايس...

- اخرس، وإلا ملأت جسدك بالرصاص.

ضحك كونر من عبارتها المحفوظة من أقوال العصابات في أفلام السينما.

- من الناحية الفنية، لم تعدِ الرصاصات تُصنَع من الرصاص، ناهيكِ بالرصاصات الخزفية التي تُطلق على المصفقين.

- حسنًا، حسنًا. اخرسْ أنت أيضًا.

لاحظ كونر أن جوي يرتدي سروالًا داخليًّا قديمًا رمادي اللون، يعلوه بطن شاحب، فقد عضلاته الست المشدودة ربما منذ أيام المدرسة الثانوية، وانتفخ متكورًا. لو أن جرايس مهتمة حقًّا برؤيته عاريًا، لأصابتها خيبة أمل.

- إلى أين تعتقدين أنكِ ستهربين يا جرايسي؟ لن تخرجي من هارتسديل أبدًا. هذا الرجل سوف يتخلص منك في أول محطة استراحة، ماذا ستفعلين بعد ذلك؟

- لِمَ تهتم؟

قال كونر: "أسند ظهرك إلى العمود من فضلك". ربطه بإحكام قدر الإمكان، لكن بعد ذلك أمسكت جرايس بقطعة خشنة من الزجاج المكسور الملقى على الأرض، ووضعتها في يد الضابط المقيدة، حتى يتمكن في النهاية من تحرير نفسه.

- سيلاحقونكِ جميعًا في اللحظة التي أتحرر فيها. أنتِ تعرفين هذا، أليس كذلك؟

هزَّت جرايس رأسها، قائلة: "لا. في اللحظة الثانية التي تتحرر فيها، ستصعد مغادرًا القبو، وتختبئ وسط الشجيرات".

- ماذا؟

- هذا صحيح، سوف تختبئ هناك حتى يرحل الجميع. ثم تذهب إلى موقف سيارات «بابليكس»، وتتسلم سيارتك، لأن هذا هو المكان الذي سنتركها فيه، مع المفاتيح. ثم ستقضي بقية يومك كأن شيئًا لم يحدث قطُّ، وعندما يسألك الناس أين كنت، ستقول إنكَ خرجتَ لتناول الغداء.

- إنكِ مجنونة! لِمَ قد أفعل ذلك؟

قالت جرايس: "لأنك إذا لم تُبقِ هذا الأمر سرًّا، فسيعرف الجميع في هارتسديل أن جرايس سكينر العجوز الغبية فاقتك ذكاءً، وستظل أضحوكة الجميع مدةً طويلةً!".

تبسَّم كونر، وهو يشاهد وجه الضابط يتحول إلى اللون الأحمر كالبنجر، وشفتيه تنقلبان في غضب، وهو يصيح هادرًا: "أيتها اللعينة ضعيفة العقل!".

قالت جرايس: "المفترض أن أطلق النار على ركبتك لقولك هذا، لكنني لن أفعل، لأنني لست هذا النوع من الفتيات".

ارتدى كونر قبعة الضابط، وقال: "آسف يا جوي. يبدو أنك قد مُنيت بهزيمة مزدوجة في هذه اللعبة".

***

9 - ليف

إنه مجرد حدس. ولو أخطأ، فإن أفعاله ستجعل الأمور أسوأ، لكنه تصرف بحماقة بناءً على حدسه، لأنه يريده أن يكون صحيحًا. لأنه إذا لم يكن صحيحًا، فهي نهاية كونر.

توجد سلسلة كاملة من الملاحظات التي غذَّت هذا الحدس:

- حقيقة أن الضابط أتى من خلف المنزل، بدلًا من الخروج من الباب الأمامي.
- حقيقة تجنبه الضباط الآخرين عمدًا.
- حقيقة أن قبعته مُسدلَة على جبهته، وتُظلِّل وجهه كالقبعة الخوص المكسيكية.
- الطريقة المتراخية التي يمسك بها ذراع المرأة التي يحتجزها، وهي المرأة نفسها التي جاءت لتسليم ليف الرسالة. رافقها الضابط إلى سيارة الشرطة المتوقفة عند الرصيف، ولاحظ ليف أن سلوكها خاطئ أيضًا. بدت متشوقة إلى الوصول إلى السيارة، بدلًا من مقاومة ركوبها.

ثم توجد الطريقة التي يمشي بها الضابط، بذراع متصلبة تضغط على جانبه، كمن يتألم. ربما من جرح في صدره.

ركب الاثنان سيارة الشرطة وانطلقا، ورغم أن ليف لم يستطع إلقاء نظرة واضحة بما فيه الكفاية على وجه الضابط، فإن الحدس حرَّك عقله في جميع الاتجاهات. وبعد أن ابتعدت سيارة الشرطة، أقنع ليف نفسه بأن هذا هو كونر متنكر، وهذا ما أدى إلى هروب ذكي تحت أنظار سلطات تنفيذ القانون.

عرف ليف أن السيارة عندما تصل إلى نهاية الشارع يجب أن تنعطف يمينًا إلى شارع «ماين»، فحمد الرب لقضائه معظم اليوم يبحث في أرجاء المدينة،

لأنه أصبح يعرف أشياءَ، ربما لم يكن ليعرفها بطريقة أخرى. مثل حقيقة أن مِنْطَقة «ماين» تقع وسط أعمال بناء كثيفة، لذا تحولت كل الحركات المرورية إلى شارع «سيبرس»، على بعد بنايتين. إذا تمكن ليف من اختصار الطريق من خلال سلسلة من الساحات الأمامية والخلفية، فسيمكنه الوصول إلى هناك أولًا. انطلق وهو يعلم أنه إذا وصل إلى هناك، فلن يسبق السيارة سوى بثوانٍ.

الساحات الأولى ليست لها أسوار. لا شيء يفصل ملكية عن أخرى باستثناء حالة العشب، حيث يُعتَنَى به جيدًا في إحدى الساحات، ويُهمَل في أخرى. وفي لحظة، قطع شارعًا مجاورًا للمجموعة الثانية من الساحات. يوجد سياج في الفناء الأمامي للمنزل المجاور، لكنه منخفض، فتجاوزه بسرعة، ليهبط على العشب الاصطناعي ذي الظل الأزرق الغريب.

صرخ رجل من الشرفة، له شعر مستعار اصطناعي مثل حديقته: "مهلًا، ماذا تظن نفسك فاعلًا؟ هذه ملكية خاصة!".

تجاهله ليف وركض من خلال الفناء الجانبي إلى الخلف، ليصل إلى العائق الرئيسي الوحيد أمامه: سياج خشبي يبلغ ارتفاعه ست أقدام يفصل فناءً خلفيًّا عن الآخر. على الجانب الآخر، بدأ كلب ينبح، فيما يتسلق ليف السياج. إنه ليس كلبًا صغيرًا أيضًا، لكنْ لا يمكنه التفكير في ذلك الآن. وصل إلى القمة ونزل قريبًا جدًّا من كلب الراعي الألماني الضخم الذي تفاجأ به في لحظة ذهول، ثم نبح، لكنَّ تردده القصير منح ليف الأفضلية. اندفع نحو الفناء الجانبي، من خلال بوابة غير مغلقة بإحكام، ثم إلى الفناء الأمامي، حيث اختار المالك لأرضيته الزلط غير مكلف الصيانة بدلًا من العشب. هذا هو شارع «سيبرس»، حيث تتدفق حركة المرور بشكل أكبر مما يحدث عادة عندما لا يكون الطريق الرئيسي مغلقًا للبناء. رأى ليف سيارة الشرطة تتسارع في الشارع تجاهه. الشيء الوحيد الذي يفصله عن الشارع هو سياج كثيف من الشجيرات، مرتفع بما يكفي ليسبب مشكلة، وفكَّر كم هو غبي، بعد كل شيء، أخفق بسبب بعض الشجيرات اللعينة. تسلق السياج، لكنَّ دماءه امتلأت بالأدرينالين الذي جعله يقفز بعيدًا جدًّا، في شارع بلا أرصفة. هبط وسط شارع «سيبرس» على الأسفلت، ليجد نفسه مباشرة أمام سيارة الشرطة المقتربة.

***

10 - كونر

قال كونر: "اختاروا اليوم من بين كل الأيام الأخرى، لتنفيذ أعمال على الطريق!". أيقن أن أمرهما سينكشف، وأن أحد السائقين الآخرين -العالقين في الازدحام المروري الناتج عن حركة البناء- سينظر إلى السيارة، ويرى أنه ليس الضابط جوي على الإطلاق.

قالت له جرايس: "ليس اليوم فقط. لقد بدأوا الحفر لوضع أنبوب الصرف الصحي هذا منذ أسابيع. الرائحة النتنة وصلت أيضًا إلى السماء".

حرص كونر على تجنب الأقماع المرورية وأي اتصال بصري مع عمال المرافق. بعد اتباع الأسهم المنعطفة، ضغط دواسة الوقود بقوة في شارع «سيبرس»، متجاهلًا الحد الأقصى للسرعة. من سيوقف سيارة شرطي بسبب السرعة؟

ثم فجأة قفز صبي ما إلى الطريق أمامه، فتذكر على الفور النعامة اللعينة، لكنْ إذا وقع حادث قتل على الطريق اليوم، فلن تكون الضحية مجرد طائر ميت، بل ما هو أسوأ بكثير. ضغط كونر المكابح، فاندفع هو وجرايس إلى الأمام. سمع صوت ارتطام عندما اصطدم الصبي المتهور بالمصد الأمامي. توقفت السيارة أخيرًا، ومن حسن الحظ لم تبدُ أي علامة على صعود السيارة فوق جسد الصبي. لقد أصيب، لكنْ لم يُدعَس. صدمته السيارة بقوة.

قالت جرايس: "أوه، هذا سيئ يا آرجي!". ربما لم تدرك حتى أنها دعت كونر للتو باسم أخيها آرجي.

فكَّر كونر في الانطلاق بسرعة فحسب ومغادرة المكان، لكنَّ هذا استمر جزءًا من الثانية فقط، قبل أن يتجاهل الفكرة. هذا التصرف لا يشبهه. ليس بعد الآن. لقد نمتْ بداخله بعض الأشياء أكبر من غريزة الحفاظ على الذات

البدائية. لذا، خرج من السيارة لتقييم مدى سوء الأمر وعقد اتفاقًا مع غريزة بقائه. إذا مات الصبي، فسينطلق كونر هاربًا، ويضيف الصدم والفرار إلى قائمة جرائمه. البقاء في مكان الحادث لن يساعد صبيًا ميتًا، لكن لو أنه حي، سيبقى كونر ويفعل ما يجب فعله إلى حين وصول المساعدة، حتى إذا أدى ذلك إلى اعتقاله.

سمع أنينًا من الجسد الملقى على الطريق. شعر كونر بالارتياح لأنه حي، لكنْ سيطر عليه الخوف مما سيحدث الآن. ثم أصابته الصدمة وعدم التصديق المطلق عندما تعرَّف الصبيَّ المصابَ.

تقلص وجه ليف من الألم، وقال: "إنه أنت. كنت أعرف ذلك".

العجز عن الكلام ليس كافيًا لوصف حالة كونر. غادرتْ جرايس السيارة، وسألت وهي تغطي عينيها بكفيها: "أهو ميت؟ لا أريد أن أنظر، هل مات؟".

- لا، لكنْ...

بدلًا من إكمال عبارته، رفع ليف إلى أعلى، فأطلق ذلك الأخير نحيبًا عاجزًا. الآن فقط لاحظ كونر أن كتف ليف تبرز إلى الأمام بطريقة غير طبيعية على الإطلاق، لكنه علم أن الوضع لا يسمح له بالتفكير في ذلك الآن.

كشفتْ جرايس عينيها، وقالت: "إنه هو، أليس كذلك؟ ماذا يفعل هنا؟ هل خططتَ لهذا؟ لو أنك فعلتَ، فهي ليست خطة جيدة للغاية".

في الشرفات المحيطة بهم، خرج الناس لمشاهدة الدراما الصغيرة. لا يمكن لكونر التفكير في ذلك الآن أيضًا. وضع ليف بحذر شديد في المقعد الخلفي وأجلس جرايس معه. ثم تمالك نفسه، متظاهرًا بالهدوء، وانطلق بالسيارة.

قالت جرايس: "المستشفى في «باكستر»".

قال لها كونر: "لا يمكن. ليس هنا"، رغم علمه أنه يقصد ليس في أي مكان. فالرعاية الطبية تجذب اهتمامًا آخر أيضًا. إذا ذهب ليف إلى المستشفى، فسيعرفونه في غضون دقائق. لم يكسر ليف الإقامة الجبرية فحسب، بل هرب أيضًا من الأشخاص الذين يحمونه من هيئة الأحداث. وهذا يعني أنه لا يوجد مكان آمن ليذهب إليه بين هنا ومنزل سونيا.

اقتربتْ جرايس من ليف ونظرتْ إلى كتفه، قائلة: "لقد خُلِعَتْ. حدث هذا لآرجان ذات مرة في أثناء لعب تنس الطاولة. صَدَم كتفه في الحائط. لقد

ألقى باللوم عليَّ -طبعًا- بعد أن أرسلتُه يطارد الكرة، وفزتُ بالنقطة أيضًا (وضعتْ كلتا يديها على كتف ليف، مضيفة): "هذا سيؤلمك بفظاعة"، ثم دفعت كتفه بكل قوتها.

أطلق ليف صرخة ألم بشعة، فانحرف كونر عن مساره. ثم التقط ليف أنفاسه وصرخ مرة أخرى. الصرخة الثالثة جاءت أكثر من مجرد أنين. عندما نظر كونر إلى الخلف، رأى كتف ليف قد عادت إلى مكانها. قالت جرايس: "الأمر يشبه الغوص في حمام سباحة بارد. عليك أن تفعل ذلك بسرعة، قبل أن تفكر وتتردد".

حتى في ألمه، تمتع ليف بحضور ذهني يكفي ليشكرها فعليًّا لتصحيح وضع كتفه، لكنْ لا بدَّ أن هناك المزيد يحدث في الداخل ولا يمكنهم رؤيته، لأن وجه ليف ينطق بالألم في كل مرة يغير وضعه.

وَفْقَ خطة جرايس، دخلوا إلى ساحة انتظار السيارات في السوبر ماركت، وتركوا سيارة الشرطة هناك، مع المفاتيح الضابط ومسدسه، لأن السلاح المفقود سيثير الكثير من الأسئلة. فليتركوا للرجل سيارته ومسدسه، وقد يلتزم الصمت لينقذ نفسه من الإذلال.

أشعل كونر محرك سيارة هوندا زرقاء متروكة في العراء، بتوصيل أسلاكها معًا، وليذهب الحذر إلى الجحيم، وفي خلال دقيقتين، استبدلوا سيارتهم وانطلقوا مرة أخرى، متجهين إلى الطريق السريع، في رحلة غير سارة. السيارة بأكملها تفوح منها رائحة العرق ورقائق البطاطس، واهتزاز عجلة القيادة، يعوق السير في خط ثابت. لكن ما دامت ستخرجهم من هارتسديل اللعينة، فهي مَرْكَبة سحرية في نظر كونر. لكنْ يبدو أن المدينة نفسها قد استاءت منهم. ارتطمتِ السيارة بكل حفرة على الطريق، وتجاوزت كل إشارات المرور الحمراء السخيفة في هارتسديل. أخذ ليف يئن، ويتجهم، ويهمهم عند كل هزة. قالت جرايس شارحة ما هو واضح: "سيزداد الأمر سوءًا، قبل أن يتحسن"، واضطُرَّ كونر إلى قمع رغبته في الصراخ عليها كما يفعل آرجان. فعلى عكس آرجان، يعرف كونر أن جرايس ليست سبب إحباطه، بل الوضع برمَّته.

عند إشارة التوقف الأخيرة قبل الطريق السريع، استدار كونر لينظر إلى ليف، وطلب منه رفع قميصه.

سألته جرايس: "لماذا تريده أن يفعل ذلك؟".

- لأنني أريد رؤية شيء ما.

رفع ليف قميصه، فتجهم وجه كونر، عندما تحققت أسوأ مخاوفه. لم يتسبب الحادث في خلع كتف ليف فحسب. لقد تحول جانبه كله إلى اللون الأرجواني. إنه مصاب بنزيف داخلي، ولا توجد طريقة لمعرفة مدى سوء الحالة.

قالت جرايس بصوت مرتجف: "يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي! ما كان لك أن تصدمه! ما كان لك أن تصدمه!".

قال كونر وهو يشعر بالدوار: "حسنًا، حسنًا، الآن عرفنا ذلك".

قالت جرايس في ذعر: "ماذا عرفنا؟ إننا لا نعرف شيئًا!".

قال ليف في تكاسل: "لقد عرفتما سرِّي المظلم العميق. إنني أتحول إلى باذنجان". حاول أن يضحك على مزحته، لكنَّ الضحكة أُجهِضَتْ، لأنها تسبب له الكثير من الألم.

فكَّر كونر: "لو أن ريسا هنا، لعرفت بالتأكيد ما يجب فعله". حاول استدعاء صوتها في رأسه، وصفاء ذهنها. لقد أدارت المستوصف في المقبرة بشكل أفضل من المحترفين. أخبريني ماذا أفعل يا ريسا. لكنها اليوم صامتة، وشعر بأنها بعيدة أكثر من أي وقت مضى. لم تسفر المحاولة إلا عن زيادة شوق كونر إليها ويأسه. عندما يصلون إلى منزل سونيا، سيجدون بحوزتها قائمة كاملة من الأطباء الذين يدعمون القضية، لكنهم ما زالوا في كانساس. لم يشعر سابقًا قطُّ بأن أوهايو بعيدة جدًّا لهذه الدرجة.

نظر إلى صندوق التخزين الصغير في لوحة قيادة السيارة. يحتفظ الناس أحيانًا بالـ«إيبوبروفين» أو «الأسبرين» هناك، رغم أنه لم يتوقع الكثير من الحظ، مع الأخذ في الاعتبار كيف يسير حظه مؤخرًا. ومع ذلك، فإن الحظ أغبى من أن يظل ثابتًا، وعندما مد يده وفتح الصندوق، سمع صوت ارتطام حبوب الدواء داخل العبوات البرتقالية.

تنفس كونر الصُّعداء، شاعرًا بارتياح عميق، ومرَّر عبوات الدواء إلى جرايس في الخلف، قائلًا: "اقرئي لي ما هذه الأدوية"، فانتفختْ أوداج جرايس بسبب هذا الطلب. مهما بلغت المشكلات التنموية التي تعانيها، فإن صعوبة قراءة الكلمات المعقدة ليست واحدة منها. إنها تقرأ بسهولة أسماء الأدوية التي ربما لن يتمكن كونر نفسه من نطقها. تعرف بعضها؛ لكنه لم يملك أي فكرة عن

الأدوية الأخرى. هناك شيء واحد مؤكد؛ صاحب هذه السيارة -أيًّا كان- إما مريض للغاية، وإما مصاب بالوسواس القهري، وإما مجرد مدمن مخدرات.

من بين الأدوية الموجودة في صيدلية لوحة القيادة «مورتنز» -وهو أقراص كبيرة يصعب ابتلاعها- وكبسولات «الهيدروكودون» بالحجم نفسه تقريبًا.

قال لجرايس: "عظيم. أعطي ليف هذين الدواءين. قرصًا واحدًا من كل منهما".

سألت جرايس: "كيف سيبتلعهما دون أي سائل للشرب؟".

ألقى كونر نظرة خاطفة على ليف في مرآة الرؤية الخلفية، وقال: "آسف يا ليف، إما أن تبتلع الأقراص جافة، أو تمضغها. لا يمكننا التوقف لتناول المشروبات الآن، ومن الأفضل أن تتناول تلك الأدوية الآن، بدلًا من الانتظار".

تذمرت جرايس: "لا تجعله يفعل ذلك! سيجد طعمها سيئًا".

قال ليف: "سأحتمل"، وشعر كونر بالقلق لضعف صوته الشديد.

أفرز ليف بعض اللعاب، وتناول القرصين معًا، وتمكن من ابتلاعهما بعد أن غُصَّ حلقه بهما قليلًا.

قال كونر: "حسنًا، أحسنت. سوف نتوقف في البلدة التالية، ونحصل على قطع من الثلج للمساعدة في تخفيف التورم".

أقنع كونر نفسه بأن وضع ليف ليس بهذا السوء. ليس الأمر كأن العظام تخترق الجلد أو شيئًا من هذا القبيل. قال لليف: "ستصبح على ما يرام. ستصبح على ما يرام".

لكنْ حتى بعد أن حصلوا على الثلج -بعد قطع عشرة أميال- فإن شعار كونر "ستصبح على ما يرام" لم يبدُ صحيحًا. جانب ليف ازداد دكنة، وانتفخ متحولًا إلى اللون البني الشاحب، كما تورمت أيضًا يده اليسرى وأصابعه، فبدت كرتونية كحافر الخنزير. تردَّد صدى كلمات جرايس في أفكار كونر: "سوف يزداد الأمر سوءًا، قبل أن يتحسن". ألقى نظرة على ليف في مرآة الرؤية الخلفية، فوجد الألم مرتسمًا على عينيه المبللتين بالدموع، اللتين يبقيهما مفتوحتين بالكاد.

قال كونر بصوت مرتفع قليلًا: "ابقَ مستيقظًا يا ليف!. أبقيه مستيقظًا يا جرايس".

قالت جرايس: "إنك تشفى عندما تنام".

- ليس إذا أُصِبتَ بصدمة. ابقَ مستيقظًا يا ليف!

بدأ صوته يتلعثم، وهو يجيبه: "إنني أحاول". أراد كونر أن يصدق أن السبب هو الدواء، لكنه يعرف أن هذا غير صحيح. أبقى عينيه مثبتتين على الطريق. خياراتهم ضئيلة والواقع قاسٍ. لكن بعد ذلك قال ليف: "أعرف مكانًا يمكننا الذَّهَاب إليه".

سأله كونر: "أهي مزحة أخرى؟".

- أتمنى ألا تكون كذلك.

ثم تنفس ببطء عدة مرات، قبل أن يتحلى بالقوة، أو ربما الشجاعة، لإخباره: "خذني إلى محمية «أراباتشي». غرب «بويبلو» في كولورادو".

عرف كونر أن ليف يهذي بالتأكيد، فسأله: "محمية المحظوظين؟ ما عَلاقة هذا المكان بنا؟".

همهم ليف: "إنه ملاذ آمن. لم يوقِّع المحظوظون اتفاقية التفكيك قطُّ. لا تملك قبيلة «أراباتشي» معاهدة لتسليم المجرمين. إنهم يمنحون حق اللجوء إلى الهاربين من التفكيك.. أحيانًا".

قالت جرايس: "حق اللجوء! مستحيل أن أذهب إلى المحظوظين!".

وبَّخها كونر: "إنك تتحدثين مثل آرجان"، فصمتت، لتفكر في قوله.

درس كونر خياراتهم. إن طلب اللجوء من قبيلة «أراباتشي» يعني تغيير اتجاههم، والتوجه غربًا، وحتى لو قاد السيارة بأقصى سرعتها، فسيستغرق الأمر أربع ساعات على الأقل للوصول إلى المحمية. هذا وقت طويل بالنظر إلى حالة ليف. لكن إما أن يحدث ذلك، وإما أن يسلموا أنفسهم إلى أقرب مستشفى. هذا ليس خيارًا.

سأله كونر: "كيف تعرف كل هذا عن «أراباتشي»؟".

تنهد ليف، وقال: "سبق لي الذَّهَاب إلى هناك".

قال كونر بصوت شابه بعض الاضطراب: "حسنًا، دعانا نأمل أن تحتمل أطول قليلًا". ثم أدار السيارة على الطريق الترابي، واتجه غربًا نحو كولورادو.

***

11 - محمية المحظوظين

على الرغم من كل الأدبيات والدعاية التي قدمها المجلس القبلي، لا يوجد شيء نبيل في عملك حارسًا عند بوابة محمية «أراباتشي». ذات يوم -عندما كانت الولايات المتحدة مجرد مجموعة من المستعمرات غير المتسقة، وقبل مدة طويلة من وجود الأسوار والجدران المحيطة بأراضي «أراباتشي»- بدت الأمور مختلفة. في ذلك الوقت، العمل موظفَ جوازات استلزم محاربًا. الآن كل ما يعنيه ذلك هو الوقوف في زي أزرق داخل كشك أنيق، والتحقق من جوازات السفر والأوراق وقول عبارة (híísi' honobe) التي تعني تقريبًا "أتمنى لك يومًا جميلًا"، وهذا ما يثبت أن سكان «أراباتشي» ليسوا محصنين ضد تفاهة المجتمع الحديث.

يُعتبَر حارس المحمية -البالغ من العمر ثمانية وثلاثين عامًا- الأكبر سنًّا بين الثلاثة الذين يعملون اليوم عند البوابة الشرقية، ومن ثَمَّ، بحكم أقدميته، فهو الوحيد المسموح له بحمل سلاح. ومع ذلك، فإن مسدسه لا يمتُّ بصلة إلى أناقة الأسلحة القديمة وعمقها، التي استُخدِمَت في تلك الأوقات التي عُرِفوا فيها باسم الهنود الحُمر وليس المحظوظين... أو "الساقطين"، تلك الافتراءات البشعة التي وجهها إليهم الأشخاص نفسهم الذين صنعوا ألعاب القمار بالطريقة الوحيدة التي يمكن للقبائل من خلالها استعادة اعتمادهم على أنفسهم، واحترامهم ذاتهم، والثروات التي استُنزِفت منهم على مر القرون. رغم اختفاء نوادي القمار منذ زمن طويل، فإن الأسماء لا تزال قائمة. لقب "المحظوظين" هو بمنزلة وسام شرف لهم، أما "الساقطون" فهو جرحهم الذي لا يندمل.

في وقت متأخر من العصر، بلغ عدد السيارات المنتظرة عند بوابة دخول غير المقيمين من خلال جسر «جراند جورج» ما لا يقل عن ثلاثين سيارة.

هذا يوم جيد. في الأيام السيئة يصل صف المنتظرين إلى الجانب الآخر من الجسر. سيُرفَض دخول قرابة نصف السيارات المنتظرة في الصف. لا يدخل المحمية من لا يعيش هناك، أو لديه عمل مشروع.

قد يقول الناس: "نريد فقط التقاط بعض الصور وشراء بعض المصنوعات اليدوية من المحظوظين. ألا تريدون بيع بضاعتكم؟" كأنَّ بقاءهم يعتمد على بيع الحُلي للسياح.

فيقول لهم الحارس بأدب: "يمكنكم الالتفاف يسارًا". يشعر بالأسف تجاه الأطفال المحبطين الجالسين في المقعد الخلفي، لكنْ في النهاية، هذا خطأ والديهم لجهلهما بـ«أراباتشي» وقواعدها.

لم تتخذ كل القبائل مثل هذا النهج الانعزالي طبعًا، لكن أيضًا، لم يكن العديد من القبائل ناجحًا مثل قبيلة «أراباتشي» في إنشاء مجتمع مزدهر ومكتفٍ ذاتيًّا ومزدهر. إن محميتهم ذات تصنيف رفيع، وتحظى بإعجاب واستياء بعض القبائل الأخرى التي تحمل محمياتهم تصنيفًا متدنيًا، لأن سكانها أهدروا أرباح القمار القديمة، بدلًا من الاستثمار لمستقبلهم.

أما البوابات، فلم توضع إلا بعد توقيع اتفاقية التفكيك. مثل القبائل الأخرى، رفضت أراباتشي قبول شرعية التفكيك، تمامًا كما رفضوا المشاركة في حرب الجوهر. لقد أطلق عليهم المنتقدون في ذلك الوقت لقب "سكان الجبن السويسري الأصليين"، لأن أراضي المحظوظين كانت ثقوبًا محايدة وسط أمة متحاربة.

لذلك، أعادت بقية البلاد -ومعظم أنحاء العالم- تدوير الأطفال الذين لا تريدهم أو تحتاج إليهم، وأعلنت أمة «أراباتشي» -مع بقية أعضاء الكونجرس القبلي الأمريكي- استقلالها، أو بالأحرى تمردها. المتمردون رفضوا اتباع قانون الأرض كما هو، وإذا مورست عليهم الضغوط، فإن الكونجرس القبلي بأكمله سينفصل عن الاتحاد، وهذا ما يجعلهم الجبن السويسري للولايات المتحدة الأمريكية حقًّا. ومع انتهاء حرب أهلية مكلفة، وجدت واشنطن أن من الحكمة السماح بذلك. بطبيعة الحال، ظلَّت المعارك القضائية مستمرة لسنوات حول أحقية أمة أراباتشي في المطالبة بجوازات سفر لدخول أراضيها، لكنَّ القبيلة أصبحت ماهرة جدًّا في المناورة القانونية، لذا يشك الحارس في أن هذه القضية ستنتهي يومًا. على الأقل ليس في حياته.

تعامل مع سيارة تلو الأخرى تحت سماء ملبدة بالغيوم تُهدِّد بالمطر، لكنها تحبس دموعها كطفل عنيد. بعض الناس يمرون، ويُبعَد الآخرون.

ثم تقدمت منه سيارة تحمل هاربين من التفكيك.

يمكنه رصد الهاربين من التفكيك في لحظة ظهورهم. يأسُهم يخترق أنفه كرائحة المسك. رغم عدم وجود أي قبيلة تؤيد التفكيك، فإن قبيلة «أراباتشي» هي واحدة من القلائل التي توفر ملاذًا للهاربين من التفكيك، وهذا ما يثير ذعرًا مستمرًّا لهيئة الأحداث. إنه ليس شيئًا يعلنونه أو يعترفون به علنًا، لكن للجدران آذان، لذا فإن التعامل مع الهاربين من التفكيك هو مجرد جزء آخر من يومه.

سأل السائق المراهق: "أيمكنني مساعدتك؟".

قال: "صديقي مصاب، ويحتاج إلى رعاية طبية".

نظر الحارس في المقعد الخلفي، حيث يسند صبي في حالة سيئة رأسه على ساقي فتاة في أوائل العشرينيات من عمرها تبدو غير متزنة عقليًّا بعض الشيء. لم يبدُ أن الصبي بالمقعد الخلفي يتظاهر كذبًا بالإصابة.

قال له الحارس: "من الأفضل أن تلتف عائدًا. يوجد مستشفى في مدينة «كانون»، وهو أقرب كثيرًا من المركز الطبي الموجود في المحمية. سأرشدك إلى الطريق إذا أردت".

قال السائق: "لا يمكننا الذَّهَاب إلى هناك. إننا نحتاج إلى ملاذ آمن. نطلب اللجوء.. هل تفهم؟".

أدرك الحارس أنه على حق. إنهم هاربون من التفكيك. ألقى نظرة فاحصة على صف السيارات المنتظرة لعبور عنق الزجاجة. نظر إليه أحد الحرس الآخرين، ليرى ماذا سيفعل. سياستهم واضحة جدًّا، وعليه أن يكون قدوة لزملائه في العمل. كونك حارس محمية ليس أمرًا نبيلًا.

- أخشى أنني لا أستطيع مساعدتك.

قالت الفتاة الجالسة في المقعد الخلفي: "أترى؟ عرفتُ أنها فكرة سيئة".

لكنَّ قائد السيارة لم يتراجع: "اعتقدتُ أنكم تُدخِلون الهاربين من التفكيك".

- الهاربون من التفكيك لا بدَّ أن يحظوا بضامن، قبل أن نسمح لهم بالدخول.

لم يستطع الصبي تحمل إحباطه، وقال: "ضامن؟ أتتحدث بجدية؟ كيف ذلك؟".

تنهد الحارس. هل عليه حقًّا أن يصرح بذلك؟ قال: "يجب أن تحصل على كفيل للدخول رسميًّا. لكنْ إذا تمكنت من الدخول متسللًا، فمن المحتمل أن تجد شخصًا يكفلك". الآن فقط لاحظ الحارس شيئًا مألوفًا في وجه الصبي قائد السيارة، لكنه لم يستطع تحديد المكان الذي رآه فيه سابقًا.

- لا نملك وقتًا لذلك! أتعتقد أنه سيتسلق السياج؟

قالها السائق، وأشار إلى الصبي شبه فاقد الوعي الراقد في الخلف، والذي -عندما فكر الحارس في الأمر- بدا مألوفًا أيضًا. وبالنظر إلى حالة هذا الصبي المؤسفة، فكر الحارس في كفالتهم شخصيًّا، لكنه علم أن ذلك سيكلفه وظيفته. إنه يتقاضى أجرًا لإبقاء الناس خارجًا، وليس لإيجاد طرق لإدخالهم. والرحمة ليست جزءًا من وظيفته.

- أعتذر، لكن...

هنا تحدث الصبي المصاب، وتمتم كمن استيقظ من حلم: "إنني صديق إلينا تاشين".

تفاجأ الحارس بقوله، فسأله: "الطبيبة؟" يوجد عدة آلاف من الأشخاص في المحمية، لكنَّ البعض سمعتهم معروفة. تحظى أسرة تاشين بتقدير كبير للغاية، والجميع يعرف المأساة الرهيبة التي تعرضوا إليها. بدأتِ السيارات المصطفَّة تطلق أبواقها، لكنه تجاهلها. لقد أصبح الأمر مثيرًا للاهتمام.

نظر الصبي قائد السيارة إلى صديقه المصاب، وكأن قوله فاجأه بدوره.

قال الصبي المصاب: "اتصلْ بها". ثم أُسبِلَتْ عيناه.

قال السائق: "لقد سمعتَه! اتصل بها!".

اتصل الحارس بالمركز الطبي، فحولوه بسرعة إلى الدكتورة إلينا. قال لها: "أعتذر عن إزعاجك، لكن يوجد بعض الصبية هنا عند البوابة الشرقية، وأحدهم يدَّعي معرفتك". التفت إلى الصبي في المقعد الخلفي، لكنه غاب عن الوعي، فسأل السائق: "ما اسمه؟".

تردد السائق، ثم قال أخيرًا: ”ليف جاريتي. لكنها ربما تعرفه باسم ليف كالدر“.

تعرف الحارس ليف والسائق أيضًا في الحال. إنه ذلك الصبي الذي يدعونه إوُول آكرون. إنه كونر -ولم يتذكر لقبه- الذي يُفترض موته. أما ليف، فقد اشتهر في المحمية قبل أن يصبح ”المصفق الذي لم يصفق“. لا يمكنك ذكر اسم المسكين ويل تاشين، دون أن تفكر أيضًا في ليف كالدر وتورطه في تلك المأساة. وربما لا يعرف صديقاه المرافقان له بالسيارة ذلك. اعتقد أن ليف لم يكن ليتحدث كثيرًا عما حدث في ذلك اليوم الفظيع.

حاول الحارس إخفاء صدمته، لكنه أخفق. استشعر كونر اشمئزازًا خفيفًا، فقال له: ”أخبرها فحسب، اتفقنا؟“.

قال الحارس لها خلال الهاتف: ”استعدي. إنه ليف كالدر. وهو مصاب“.

ساد صمت طويل. واصلت السيارات إطلاق أبواقها مكونة جوقة متنافرة. أخيرًا، قالت الدكتورة إلينا: ”أرسله إليَّ“.

أنهى المكالمة، واتجه نحو كونر، قائلًا وهو يشعر ببعض النبل: ”تهانينا! لقد حصلتم على كفيل“.

***

الجزء الثاني

أعضاء شابة نضرة

حصاد الأعضاء عالميًّا أصبح عملًا مزدهرًا في السوق السوداء؛ حصد كلية كل ساعة.

- *بقلم جي دي هيز*

أخبار الطبيعة / الأحد 3 يونيو 2012

في عصر الإعلام الفوري هذا، من الصعب إخفاء أي شيء تقريبًا، ومع ذلك هناك قصة واحدة لم تُسرَد بعد على نطاق واسع؛ كيف تضخم الاتّجار بالأعضاء ليصبح عملًا تِجاريًّا عالميًّا؟ وكيف أصبحت هذه الممارسة شائعة للغاية وانتشرت على نطاق واسع، فيُباع عضو كل ساعة؟

هذا وَفْق منظمة الصحة العالمية التي ذكرت أخيرًا في تقرير لها وجود مخاوف جديدة من احتمال انتشار تجارة الأعضاء غير المشروعة مرة أخرى...

الطلب يتزايد على الكُلى

وتقول منظمة الصحة العالمية إن المرضى الأثرياء في الدول المتقدمة يدفعون لعصابات مقرها الهند والصين وباكستان عشرات الآلاف من الدولارات مقابل الحصول على كلية، تُحصَد من أناس يائسين مقابل بضع مئات من الدولارات.

وتقول منظمة الصحة التابعة للأمم المتحدة إن أوروبا الشرقية أصبحت أرضًا خصبة لأعضاء السوق السوداء. قال جيش الإنقاذ مؤخرًا إنه أنقذ امرأة أُحضِرَت إلى المملكة المتحدة لاستئصال أعضائها.

تُشكِّل تجارة الكُلى غير المشروعة 75% من تجارة الأعضاء في السوق السوداء... ويقول الخبراء إن ذلك يرجع على الأرجح إلى أمراض الثراء مثل السكري وارتفاع ضغط الدم ومشكلات القلب.

ولما كان هناك مثل هذا التفاوت بين الدول الغنية والفقيرة، فلا توجد فرصة كبيرة لأن تنتهي التجارة غير المشروعة في أي وقت قريب.

يمكن قراءة المقال كاملًا على:

http://www.naturalnews.com/036052_organ_harvesting_kidneys_black_market.html

الزوجان راينشيلد

لقد بدأتِ الأمور تتطوَّر. أعلنت هيئة الأحداث المنشأة حديثًا -في أول عمل رسمي لها- افتتاحَ أولِ منشأة لتفكيك الأحداث. سيخضع مركز احتجاز الأحداث المؤقت في مقاطعة «كوك» بولاية شيكاغو -وهو أكبر مرفق لسجن الأحداث في البلاد- إلى عملية تحديث، تشمل إضافة ثلاث غرف عمليات وطاقم جراحي مكون من ثلاثة وثلاثين عضوًا.

قرأ جينسون راينشيلد المقال في مكتب أبحاثه، الواقع في مبنى يحمل اسمه واسم زوجته في حرم جامعة «جونز هوبكنز» في «مريلاند». المقال عن مركز التفكيك صغير ومدفون بعمق في ملف الأخبار، ولن يجده أي شخص لا يبحث عنه.

التفكيك يزحف على أقدام الملائكة الصامتة.

لم تصل إليه مكالمة شماتة من المواطنة الاستباقية. لقد رفضوه هو وسونيا باعتبارهما غير ذي صلة. نظر إلى الميدالية الذهبية الموجودة في الغرفة داخل علبة عرض زجاجية شفافة. ماذا تعني جائزة نوبل في العلوم عندما يتحول عملك المنقذ للحياة إلى ذريعة لإنهاء الحياة؟

كل أنصار التفكيك يُصِرُّون بابتسامة: "لكنَّ الحياة لا تنتهي. إنها تتخذ شكلًا آخر فحسب. نودُّ أن نطلق على ذلك «العيش في حالة منقسمة»".

وبينما يستعد لمغادرة مكتبه، فجأة لطم العلبة الزجاجية، فسقطت مُحطَّمة. ثم وقف هناك، شاعرًا بغباء فعلته. سقطت الميدالية وسط الشظايا التي تناثرت من قاعدتها. انتشلها ووضعها في جيب سترته.

***

وبينما يغادر بسيارته، لحظ أن الشاحنة الصغيرة قد اختفتْ. لقد فعلتها سونيا مرة أخرى. مبيعات المرأب وأسواق السلع المستعملة، وهذا يعني أن اليوم هو السبت. لقد فقد جينسون إدراكه مسارَ الأيام. أغرقتْ سونيا خيبة أملها في البحث عن الحُلي والأثاث القديم الذي لا يحتاجان إليه. لم تذهب إلى مكاتب أبحاثها منذ أسابيع. بدا الأمر كأنها تخلت عن العلوم الطبية تمامًا وتقاعدت في سن الحادية والأربعين.

وجد الباب الأمامي مفتوحًا؛ إهمال منها أن تتركه هكذا. لكن بعد لحظة، وبينما يعبر من الردهة إلى غرفة المعيشة، علِم بما لا يدع مجالًا للشك أنها ليست فعلتها. لقد أصيب في رأسه بإحدى أدوات زوجته الثقيلة وسقط على الأرض. أصابه الذهول، لكنه ظل واعيًا؛ نظر إلى أعلى ليرى وجه مهاجمه.

وجده مجرد صبي، ربما في السادسة عشرة من عمره. من "الجانحين" الذين تواصل نشرات الأخبار والجيران الشكوى منهم. المنتَج الثانوي الشرير الخارج عن القانون الذي أفرزته الحضارة الحديثة. الصبي يعاني سوء التغذية، والغضب في عينيه لم يقل إلا جزئيًّا بعد ضرب شخص لا يعرفه على رأسه.

سأله المهاجم: "أين المال؟ أين الخزانة؟".

ورغم الألم، كاد جينسون يضحك، وهو يجيبه: "لا توجد خزانة".

- لا تكذب عليَّ! منزل كهذا لا بدَّ أن توجد به خزانة!

تعجب كيف يمكن أن يكون الصبي شديد الخطورة، وشديد السذاجة في الوقت نفسه. لكن من المعروف أن الجهل والقسوة العمياء يسيران جنبًا إلى جنب. وفي ظل الكآبة التي خيمت عليه، وضع راينشيلد يده في جيب معطفه، وأخرج ميداليته وألقاها إلى الصبي، قائلًا: "خذها. إنها مصنوعة من الذهب. لم تعدْ لها أي فائدة بالنسبة إليَّ بعد الآن".

أمسك الصبي الميدالية بيد فقدت إصبعين، وقال: "إنك تكذب. هذا ليس ذهبًا".

قال راينشيلد: "حسنًا. اقتلني إذن".

قلب الطفل الميدالية في يديه عدة مرات، وقال: "جائزة نوبل؟ لا أعتقد ذلك. إنها مزورة".

قال راينشيلد مرة أخرى: "حسنًا. اقتلني إذن".

- اصمتْ! لم أقل أي شيء عن قتلك، أليس كذلك؟

رفعه المراهق وشعر بثقله. سحب راينشيلد نفسه إلى وضعية الجلوس، وهو لا يزال يشعر برأسه يدور من إثر الضربة. قد يُصاب بارتجاج في المخ، لكنه لم يهتم.

ثم نظر الصبي في أرجاء غرفة المعيشة المليئة بالجوائز وشهادات التقدير التي تلقاها جينسون وسونيا لعملهما الرائد، وسأله: "لو أن هذه الميدالية حقيقية، فلِمَ فزتَ بها؟".

قال راينشيلد: "لقد اخترعنا طريقة التفكيك. رغم أننا لم نكن نعرف هذا في ذلك الوقت".

قهقه الصبي في مرارة وعدم تصديق، وقال: "نعم، لقد فعلتما".

أُتيحَ للسارق الشاب أن يغادر بجائزته، لكنه لم يفعل ذلك، بل بقي، فسأله راينشيلد: "ماذا حدث لإصبعيك؟".

تبدلتْ نظرة الصبي المرتابة إلى الغضب مجددًا، وقال: "هذا ليس من شأنك".

- أكانت قرصة الصقيع؟

تراجع المهاجم عندما تفاجأ بتخمين راينشيلد، وقال: "نعم، هذا هو السبب. يعتقد معظم الناس أنها ألعاب نارية أو شيء غبي من هذا القبيل. لكنها كانت قرصة الصقيع الشتاء الماضي".

رفع راينشيلد جسده ليجلس على المقعد.

- من قال إن بإمكانك التحرك؟

لكنَّ كليهما علم أن وضعية الصبي التهديدية أصبحتِ الآن لمجرد استعراض القوة.

ألقى راينشيلد نظرة فاحصة عليه. بدا كمن لم يستحم طيلة عمره. لم يستطعْ راينشيلد حتى معرفة لون شعره، وسأله: "ما الذي تحتاج إليه؟".

نظر إليه باستخفاف وقال: "أموالك".

- لم أسألكَ ماذا تريد. لقد سألتكَ ما الذي تحتاج إليه.

كرر الصبي بقوة أكبر: "مالك!"، (ثم أضاف بلطف): "والطعام. والملابس. ووظيفة".

- ماذا لو أعطيتكَ مطلبًا واحدًا من الثلاثة؟

- ماذا لو وجهتُ إلى رأسك ضربة أقوى من السابقة؟

أخرج راينشيلد حافظته من جيبه، وكشف عمدًا عن وجود بعض الأوراق النقدية هناك، لكنْ بدلًا من النقد، ألقى إلى الصبي بطاقة عمله.

- تعالَ إلى هذا العنوان في الساعة العاشرة يوم الاثنين. سأُلحِقك بالعمل وأدفع لك أجرًا مناسبًا للعيش. إذا أردتَ شراء الطعام والملابس به، فلا بأس بالنسبة إليَّ. إذا أردت تبديده، فلا بأس بذلك أيضًا، ما دمتَ تحضر يوميًّا، خمسة أيام أسبوعيًّا. وتستحم قبل الحضور.

قال الصبي ساخرًا: "وسأجد رجال شرطة الأحداث في انتظاري هناك. أتراني غبيًّا؟".

- لا توجد أدلة تجريبية كافية لإصدار هذا الحكم.

نقل الصبي ثقل جسده من قدم إلى أخرى، وسأله: "ما نوع العمل إذن؟".

- بيولوجي. طبي. أنا أعمل على شيء يمكنه إنهاء التفكيك، لكني بحاجة إلى مساعد باحث. شخص ليس مدرجًا سرًّا في كشوف رواتب المواطنة الاستباقية.

- استباقية ماذا؟

- إجابة جيدة. ما دمتَ يمكنكَ قول ذلك، فستنال الأمن الوظيفي.

تأمله الصبي، ثم نظر إلى الميدالية في يده ذات الثلاثة أصابع. ألقاها مرة أخرى إلى راينشيلد، قائلًا: "يجب ألا تتجول حاملًا هذه. عليك وضعها في إطار أو شيء من هذا القبيل".

ثم غادر بلا شيء أكثر مما ملكه عندما اقتحم المنزل، باستثناء بطاقة العمل.

وثق راينشيلد أنه لن يراه مرة أخرى، لذا شعر بسرور مفاجئ عندما ظهر الصبي في مكتب أبحاثه صباح الاثنين، مرتديًا الملابس القذرة نفسها، لكنْ بعد أن استحم.

***

12 - ريسا

لا يمكنها أن تصدق الموقف الذي وضعتْ نفسها فيه.

لقد نجتْ كل هذا الوقت في مواجهة الصعاب الساحقة، والآن -بفضل غبائها- ستموت.

ألقتِ اللوم على غطرستها واعتبرتها سبب سقوطها. وثقت تمامًا من مهارتها وانتباهها الشديدين، بحيث لا يمكن أن يعثر عليها قرصان أعضاء، كأنها في مستوى أعلى بطريقة ما.

وسط عاصفة، رأت مبنى ريفيًّا متهالكًا في مزرعة شبه مهجورة، تقع في «شايان»، عاصمة ولاية «وايومنج». وجدته وذهبت للاحتماء به من المطر. في إحدى وحدات التخزين، وجدت رفًّا مليئًا بالطعام.

قالت لنفسها: "يا لكِ من غبية.. غبية.. غبية! ماذا يفعل الطعام في مبنى ريفي مهجور؟". لو فكرتْ في هذا وقتها، لركضتْ وخاطرتْ بأن يصعقها البرق، لكنها شعرتْ بالتعب والجوع، فتراختْ دفاعاتها وفقدتْ حذرها. مدَّت يدها إلى كيس من رقائق البطاطس، فاصطدمت بسلك تعثرت به، والتف كابل فولاذي حول معصمها. وقعت في المصيدة مثل الأرنب. حاولت تحرير نفسها، لكنَّ الكابل ذا العقدة المنزلقة صُمِّمَ بحيث يصبح أكثر إحكامًا كلما جذبته.

أهمل قرصان الأعضاء بما يكفي لترك أدوات زراعية مختلفة في متناول يدها، لكن لم يُجدِ أي منها في قطع كابل فولاذي. بعد ساعة من المقاومة، أدركتْ ريسا أنه لا يوجد ما يمكن فعله سوى الانتظار، وحسدتِ الحيوانات البرية التي تمتعت بالحس السليم فقضمت أطرافها، للهروب من الفخاخ.

حدث ذلك الليلة الماضية. الآن مع حلول الصباح، على ريسا -التي لم تنمْ على الإطلاق- أن تواجه جحيمًا جديدة. جاء قرصان الأعضاء بعد شروق

الشمس بساعة. إنه رجل في منتصف العمر بتصفيفة شعر سيئة. تصفيفة شعره الأشقر الصبيانية لم تجعله يبدو شابًّا، بل مخيفًا فحسب. رقص عمليًّا في سعادة، عندما رأى أن فخه قد أنجز المهمة.

قال لريسا: "لقد ظلَّ الفخ هنا لعدة أشهر، ولم يحدث شيء. أعددتُ نفسي للاستسلام، لكنَّ الأشياء الجيدة تأتي أولئك الذين ينتظرون".

شعرتْ ريسا بدمها يغلي في عروقها، وفكرتْ في كونر. تمنتْ أن تكون مثله الليلة الماضية، فكونر ليس غبيًّا لدرجة الوقوع في قبضة شخص معتوه.

من الواضح أن هذا الرجل هاوٍ، لكن ما دام حصل على بضائع، فإن الحاصدين في السوق السوداء لن يرفضوا التعامل معه. لم يتعرَّفها. هذا جيد. تدفع السوق السوداء المزيد مقابل الأشخاص سيئي السمعة، وهي لا تريد أن يحصل هذا الرجل على القيمة التي تستحقها. هذا طبعًا على فرض وصوله إلى هذا الحد، فقد قضت ريسا الليل كله للتوصُّل إلى خطة عمل.

قال لها بمرح: "بيعك قد يخلصني من مطاردة البنوك. أو على الأقل سيُمكِّنني من شراء سيارة لائقة".

- عليكَ أن تحررني من هذا الفخ أولًا، قبل أن تتمكن من بيعي.

- في الواقع، سأفعل!

نظر إليها طويلًا، واتسعت ابتسامته للغاية، فخطر لريسا أن بيعها لحاصدي السوق السوداء يقع في نهاية قائمة الأنشطة المخطط لها. لكنْ أيًّا كانت خططه، فهو من النوع الذي يحب أن يسير كل شيء بشكل صحيح. دار حول وَحْدَة التخزين، وبدأ ينظف الفوضى التي أحدثتْها ريسا في محاولاتها الفاشلة للفرار.

قال لها: "من المؤكد أنك شُغِلتِ كثيرًا الليلة الماضية. آمل أنك قد تخليتِ عن فكرة الهرب".

هنا، بدأت ريسا تسخر منه. إنها تعرف أنواع الأشياء التي يمكنها استفزاز هذا الرجل، لكنها بدأت ببعض الضربات السهلة والخاطفة. بدأت بإهانة ذكائه.

قالت: "أكره أن أقتل الحلم، لكنَّ السوق السوداء لن تتعامل مع الحمقى. أعني أن عليك أن تعرف كيف تقرأ، لو أنك ستُوقِّع على عقد".

- قولكِ مضحك للغاية.

- إنني أتحدث بجدية، ربما كان ينبغي أن تحمل بعض العقل، ليتماشى وهذا الشَّعر.

أضحكه قولها فحسب، وقال: "تحدثي بالسوء كما تريدين يا فتاتي. لن يغير ذلك شيئًا".

ظنَّت ريسا أن من غير الممكن أن تكره هذا الرجل أكثر من ذلك، لكنَّ وصفه إياها بـ«فتاتي» نقلها إلى مستوى جديد تمامًا من الكراهية. بدأت جولتها التالية من الهجمات، ضد أسرته هذه المرة، وتحديدًا أمه المسؤولة عن جيناته.

- هل ذبحوا البقرة التي ولدتك أم ماتت لأسباب طبيعية؟

واصل ترتيب المكان، لكنه فقد تركيزه. رأت ريسا أنه يشعر بالغضب.

- اخرسي. لست مُضطرًّا إلى تحمل مثل هذا الهراء من ساقطة قذرة ستُفكَّك!

هذا جيد. فليلعنها! لأنه كلما زاد غضبه، سيصبح ذلك في مصلحة ريسا. وها هي الآن تطلق رصاصتها الأخيرة. سلسلة من التأكيدات القاسية مسَّت رجولته، والقصور الشديد بها. لا بدَّ أن بعضها على الأقل صحيح، لأنه فقد أعصابه، وصاح متوعدًا بوجه محتقن: "عندما أنتهي منكِ، لن يظل ثمنك كما هو الآن، هذا مؤكد!".

أسرع نحوها، ومد يديه الكبيرتين أمامه، وبينما يندفع إلى الأمام، رفعت ريسا المذراة التي أخفتها في القش. لم تحتج إلى فعل ما هو أكثر من ذلك: رفع الأداة فحسب. وزنه واندفاعه عملا كل العمل.

أصيب قرصان الأعضاء الهاوي بشدة، بعد اختراق الأداة جسده، ثم تراجع إلى الخلف والمذراة ما زالت عالقة به.

- ماذا فعلتِ بي؟ ماذا فعلتِ؟

تأرجحتِ المذراة ذَهَابا وإيابًا وهي مغروسة في صدره، وأخذ يسُبُّ ويصرخ. أدركتْ ريسا أنها أصابت عضوًا حيويًّا بسبب الدم الغزير والسرعة التي يتدفق بها. وفي أقل من عشر ثوانٍ، انهار على الجدار البعيد ليموت وعيناه مفتوحتان، تحدقان ليس إليها تمامًا، بل إلى يسارها، كأنه ربما رأى في لحظاته الأخيرة ملاكًا فوق كتفها، أو شيطانًا، أو ما يراه رجلٌ مثله عند موته.

تعتبر ريسا نفسها إنسانًا رحيمًا، ورغم هذا لم تشعر بأي ندم تجاه هذا الرجل. لكنها بدأت تشعر بندم عميق، لأن يدها لا تزال عالقة في الكابل. والإنسان الوحيد الذي يعرف أنها هنا فارق الحياة الآن على الجانب الآخر من وَحْدَة التخزين. لم تستطع تصديق الموقف الذي وضعت نفسها فيه.

مرة أخرى.

***

إعلان

"هل تتساءل من أنا؟ نعم، أحيانًا أفعل ذلك أنا أيضًا. اسمي سايرس فينش. اسمي أيضًا تايلر ووكر. ما لا يقل عن ثُمن جسدي يحمل هذا الاسم. كما ترى، الأمر أشبه بالاصطدام بالعالم الخاص بشخص آخر، هل تنغمس فيه؟ لم أعدِ الآن أشعر أنني أنا أو هو، لكنِ القليل من كلٍّ منا. لم أعد كِيانًا كاملًا.

لو أنك حصلت على جزء من شخص مُفكَّك وندمت على ذلك، فلستَ وحدك. ولهذا أنشأتُ «مؤسسة تايلر ووكر». اتصل بنا على 800-555-1010. لا نريد أموالك. لا نريد تصويتك، بل نريد فحسب إصلاح العطل. هذا هو الرقم 800-555-1010. سنساعدك على الإحساس بالسلام مع الجزء الذي حصلت عليه".

- مؤَّلته «مؤسسة تايلر ووكر».

***

ترك قرصان الأعضاء -الذي لم ينوِ الموت قطُّ- باب المبنى الريفي مفتوحًا. أتى ذئب القيوط في تلك الليلة. عندما رأته ريسا أولَ مرة، صرختْ، وألقت عليه التبن، ورفعت أداة زراعية لتضربه على أنفه بقوة جعلته يصرخ ويغادر على عجل. لا تعرف ريسا شيئًا عن الحيوانات البرية أو طبيعتها أو عاداتها. إنها تعرف أن هذه الفصيلة من الذئاب آكلة لحوم، لكنها لا تعرف هل تصطاد بمفردها أم في مجموعات. إذا عاد مع رفاقه المتوحشين، فقد انتهى أمرها.

عاد بعد ساعة، وحده. لم يهتم كثيرًا بها، بخلاف مراقبة هل تلقي شيئًا آخر عليه أم لا. لم يجد ما يقلقه في هذا الشأن، لأنه لم يبقَ في متناول يدها شيء لتلقيه نحوه. صرختْ عليه، لكنه تجاهلها، وركَّز كل اهتمامه على جسد القرصان، الذي لم يبدِ أي مقاومة.

تغذَّى الذئب على الرجل الذي بدأ يتعفن فعلًا بفعل حرارة الصيف. عرفتْ ريسا أن الرائحة الكريهة ستزداد سوءًا، إلى أن تُضاف إليها رائحة جسدها الكريهة أيضًا خلال يوم أو اثنين. ربما يتمتع الذئب بذكاءٍ كافٍ ليعرف أنها ستموت أيضًا في النهاية، لذا حدد أولوياته. بالنسبة إلى الذئب، فإن استمرار حياتها أفضل من تناولها كجثة متجمدة. يمكنه الحصول على عدة وجبات من جسد القرصان، فيما يعلم أنه عندما يُجهِز عليه تمامًا، سيجد لحمها الطازج في انتظاره.

مشاهدة الذئب وهو يأكل، أدَّت في النهاية إلى إزالة إحساسها بالرعب منه. وجدتْ نفسها موضوعية، كما لو كانت تراقب من مسافة آمنة. تساءلت بلا جدوى أيهما أقسى، الإنسان أم الطبيعة. قررتْ في النهاية أن الإنسان أقسى. الطبيعة لا تندم، لكنها لا تُضمِر الحقد. تمتص النباتات ضوء الشمس وتطلق الأكسجين بالحاجة المؤكدة نفسها إلى الحياة التي تدفع نمرًا إلى تمزيق طفل صغير. أو الحيوانات الأخرى التي تلتهم الجيف أو الكائنات الدنيا.

غادر الذئب، وطلع الفجر. بدأ الجفاف يؤثر في ريسا، وأمِلَت أن يقتلها العطش، قبل أن يجدها الذئب حيَّة، لكن أضعف من أن تصد هجومه. فقدت وعيها واستعادته أكثر من مرة، وبدأت حياتها تمر كشريط سينمائي أمام عينيها.

وجدتْ ريسا أن لقطات حياة المرء الخاطفة لا تكتمل بأي حال؛ ثم إنها لا تأخذ في الاعتبار قيمة الذكريات. إنه أمر عشوائي مثل مادة الأحلام، ولكنه أكثر ارتباطًا بما حدث في الماضي.

معركة الكافتيريا

في السابعة من عمرها، تشاجرت ريسا وفتاة أخرى أصرت أنها سرقت ملابسها. يا له من تأكيد مثير للسخرية، لأن كل نزلاء ملجأ الولاية يرتدون الزي الأساسي نفسه. ريسا -الصغيرة جدًّا في ذلك الوقت- لم تدرك أن الأمر لا يتعلق بالملابس، بل بالهيمنة والوضع الاجتماعي. الفتاة أكبر وأشرس منها، لكنْ عندما ثبتتها على الأرض، وضعتْ ريسا أصابعها في عيني غريمتها، وقلبتها، وبصقت في وجهها، وهو ما حاولت الفتاة فعله معها عندما ثبتتها أرضًا. بكت الفتاة

عندما فرَّق المعلمون بينهما، زاعمين أن ريسا هي التي بدأت الشجار، وأنها تقاتل بطريقة قذرة. لكنْ لا أحد من البالغين اهتمَّ حقًّا بمن بدأ هذه المشكلة ما دامت قد انتهت، ففي نظرهم، كل المعارك بين أيتام ملاجئ الولاية قذرة. لكنَّ التفسير بين الأطفال يختلف كثيرًا. ما يهمهم هو أن ريسا فازت. القليلون اختاروا الشجار معها بعد ذلك. لكنَّ الفتاة الأخرى لم يتركها أقرانها تعيش في سلام.

غرفة التدريب

ريسا ذات الاثنى عشر عامًا جلست تعزف على البيانو في غرفة صغيرة بأرضية عازلة للصوت في ملجأ ولاية أوهايو رقم 23. البيانو غير متناغم، لكنها اعتادت ذلك. عزفتِ المقطوعة الباروكية باحترافية. بين الجمهور، راقبتها وجوه بلا أجساد، متحجرة ولا يبدو عليها التأثر، رغم الشغف الواضح في عزفها. في تلك المرة كانت بخير. لم يؤثر بها الأمر إلا بعد أربع سنوات، فشعرتْ بالاختناق.

حافلة مخيم الحصاد

قررتِ الإدارة أن أفضل طريقة للتعامل مع خفض الميزانية هي تفكيك عُشر سكان المنزل المراهقين. إنهم يطلقون على ذلك التقليص القسري. مَواطِن الخلل والأخطاء في عزف ريسا على البيانو وضعتها بقوة ضمن نسبة الـ10 بالمئة. في الحافلة، جلس بجوارها صبي صغير اسمه سامسون وورد. اسم غريب لطفل هزيل، لكن لأن جميع الأيتام في ملاجئ الولاية يُمنحون -بموجب القانون- الاسم الأخير «وورد»، فإن الأسماء الأولى تميل إلى أن تكون على الأقل غير شائعة إلى حد ما، إن لم تكن فريدة تمامًا، وكثيرًا ما تثير السخرية، لأنه لم يخترها الآباء المحبون، بل البيروقراطيون. إنها مفارقة ساخرة أن يفكر أحدهم في إطلاق اسم سامسون -الذي يعني «شمشون»- على طفل مريض مبتسر.

قال سامسون: "أفضل أن أكون عظيمًا جزئيًّا، بدلًا من أن أصبح معدوم الفائدة تمامًا". هذه الذكرى حملت منظور الإدراك المتأخر. كشفتْ بعد ذلك بكثير أن سامسون أُعجِبَ بها سرًّا، وهو الإحساس الذي عبَّر عن نفسه في شخص كامو كومبري الذي تلقَّى الجزء من دماغ سامسون المسؤول عن العمليات الحسابية والجبر، وربما أيضًا التخيلات عن فتيات بعيدات المنال. لم تكفِ عبقرية سامسون في الرياضيات لإبعاده عن فئة الـ10% غير المحظوظة.

النظر إلى النجوم

استلقتْ ريسا مع كام على العشب فوق منحدر في إحدى جزر هاواي التي كانت سابقًا مستعمرة للجذام. ذكر "كام" أسماء النجوم والأبراج، وفجأة تحدث بلهجة «نيو إنجلاند»، عندما استعان بجزء أحد المفككين في رأسه الذي يعرف كل شيء عن النجوم. كام يحبها. في البداية كرهته. ثم تحملته. ثم أصبحت تقدِّر الشخص الذي أصبح عليه، والروح التي عبَّرت عن تفردها بما يتجاوز مجموع أجزائه. إنها تعلم أنها لن تشعر أبدًا بما يشعر به تجاهها. كيف يمكنها ذلك، وهي لا تزال تحب كونر؟

كونر

قبل أشهر من تلك الليلة لمشاهدة النجوم في «مولوكاي»، دلَّك كونر ساقيها وهي تجلس على مقعد متحرك في ظل قاذفة قنابل خفية في صحراء أريزونا. عجزت وقتها عن الإحساس بساقيها، دون أن تعلم أن في غضون أشهر قليلة سيُستبدَل عمودها الفقري، وستتمكن من المشي مرة أخرى. كل ما عرفته في تلك اللحظة هو أن كونر لا يمكنه أن يكون معها حقًّا بالطريقة التي تريدها. عقله مليء بالمسؤوليات. مليء للغاية بجحافل الصبية الذين يختبئون ويحميهم في مقبرة الطائرات.

المقبرة

أصبح اسمها الآن على مسمى. أُفرِغَتِ المقبرة بعنف من شاغليها. كل هؤلاء الأطفال إما قُتلوا وإما أُرسلوا إلى مخيمات الحصاد، ليخضعوا في نهاية الأمر إلى التفكيك أو «التقسيم الموجز»، كما تسميه الأوراق رسميًّا. وأين كونر؟ إنها تعرف أنه لا بدَّ قد هرب، لأنه لو قُبِضَ عليه أو قُتِلَ، لأثارت هيئة الأحداث ضجة حول هذا الأمر يومًا كاملًا وغطَّته ميدانيًّا في وسائل الإعلام. سقوط كونر سيصبح بمنزلة ضربة قاضية للمقاومة المناهضة للانقسام التي أصبحت فعَّاليتها أقرب إلى قوة مضرب الذباب في مواجهة تنين.

حلَّ الغروب مرة أخرى في المكان، فعاد الذئب؛ هذه المرة مع رفيق ليشاركه الوليمة. صرخت ريسا حتى لا تبدو ضعيفة وتشير إلى أنها ما زالت تملك بعض القوة المتبقية، رغم أنها تتضاءل بسرعة. لم يعيراها اهتمامًا، بل مزَّقا جثة الرجل الميت بقسوة. وهنا، أدركتْ ريسا شيئًا. حتى عندما مدَّت

جسدها إلى أقصى حد ممكن، ظلَّ المكان الذي أُسِرَتْ فيه على بعد قدمين من الرجل الميت.

لكنَّ الذئاب سحبته بعيدًا عن الحائط. بكل ما تبقى لديها من طاقة، مدَّت جسدها على الأرض نحوه. وصلت إليه بيدها اليسرى، وتمكنت من قطع طرف ساق سرواله بسبابتها. بدأت في جذبه نحوها، وعندما بدأ يتحرك، أدرك الذئبان أن وجبة الغد أصبحتْ تشكل تهديدًا لوجبة اليوم. كشفا عن أنيابهما وزمجرا في وجهها، لكنها لم تتوقف. سحبت الجثة نحوها مرة أخرى. هذه المرة، عض أحد الحيوانين ذراعها، وحاول إيقافها. صرخت واستخدمت حيلتها القديمة في فقأ عينه. أصيب الحيوان بدرجة كافية لتخفيف ضغطه عليها، فتحررتْ ريسا لما يكفي من الوقت لتقريب الرجل الميت منها. استطاعت الوصول إلى طرف جيبه، لكنَّ الذئب الآخر قفز نحوها. لم تملك سوى ثانية واحدة. مدت يدها إلى جيب الرجل الميت آملة -مرةً واحدةً- أن يحالفها الحظ، وتجد ما تبحث عنه، في اللحظة نفسها التي أمسك فيها الذئب الثاني ذراعها الأخرى. لكنَّ الألم أصبح شيئًا ثانويًّا بالنسبة إليها الآن، لأنها حصلت على هاتفه المحمول.

ابتعدتْ ريسا منسحبة إلى الزاوية. عوى الذئبان وزمجرا بتحذيرات غاضبة. وقفت على ساقين مرتعشتين فتراجعا، خوفًا من طولها، لكنْ سرعان ما سيدركان أن هذا العدو لا يشكل خطرًا، وسيفعلان بها ما فعلاه بقرصان الأعضاء. إن وقتها محدود.

شغَّلت الهاتف، لتجد البطارية على وشك النفاد، وهذا يعني أن حياتها تعتمد الآن على النزوة المتقلبة لبطارية الليثيوم.

بمن قد يتصل الهارب؟ إنها لا تعرف أحدًا شخصيًّا قد يتلقى مثل هذه المكالمة، وأرقام الطوارئ العادية ستنقذها، لكنْ لتلقي بها مباشرة في عالم أسوأ من الموت. ومع ذلك، يوجد رقم واحد تعرفه. إنه رقم تعتقد أن بإمكانها الثقة به، رغم أنها لم تتصل به من قبل. اتصلتْ. صمدت البطارية لرنة واحدة.. رنتين، ثم أجاب الرجل على الطرف الآخر.

- «مؤسسة تايلر ووكر». أيمكنني مساعدتك؟

تنفست الصُّعداء في ارتياح، وقالت: "أنا ريسا وورد". ثم نطقتِ الكلمات الثلاث التي تحتقرها أكثر من أي شيء آخر: "أحتاج إلى مساعدة".

***

13 - كام

توجد «ميراندات» عدَّة.

توجد وفرة لا نهاية لها من الفتيات اللاتي يشعرن بالملل من الفتيان العاديين المألوفين، لذا يلقين بأنفسهن على كام كأنهنَّ يقفزن من حافة الهاوية. يتوقعن جميعًا أن تمسكهنَّ ذراعاه القويتان المجمعتان. وأحيانًا يفعل ذلك.

يُردن تمرير أصابعهنَّ على الخطوط المتناظرة لوجهه. يُردن الضياع في أعماق عينيه الزرقاوين المفعمتين بالحيوية، ومعرفة أنهما ليستا عينيه على الإطلاق، تزيد رغبتهنَّ في الغرق فيهما.

لا يحضر كام سوى عدد قليل جدًّا من الأحداث الفاخرة مثل حفل واشنطن، لذا نادرًا ما يُضطرُّ إلى ارتداء حلة سهرة رسمية. في الغالب يلتزم إلقاءَ كلمة. لمثل هذه المناسبات، يرتدي معطفًا رياضيًّا ورابطة عنق مُصممة خصوصًا له، مع سروال عادي للاستخدام اليومي، حتى لا يبدو مظهره رسميًّا للغاية. الأمر يشبه إلى حد كبير إنشاء المواطنة الاستباقية التي تمول بصمت كل ما يفعله.

ذهب كام وروبرتا في جولة في محيط محاضرات الجامعة، لحضور أحداث صغيرة إلى حد ما، لأن معظم الجامعات تتسم بالهدوء في فصل الصيف، لكنْ تظل لدى أعضاء هيئة التدريس العليا أبحاث يشرفون عليها، وعلى هؤلاء الأكاديميين المرموقين انصبَّ اهتمامهما.

قالت له روبرتا: "نحتاج إلى أن ينظر إليك المجتمع العلمي كهدف يستحق السعي لنيله. لقد فزتَ فعلًا بقلوب الجمهور وتعاطفهم. الآن يجب أن تحظى بالاحترام على المستوى المهني".

تبدأ مثل هذه الأحداث دائمًا بروبرتا وعرضها التقديمي اللامع متعدد الوسائط الذي يوضح بطريقة أكاديمية رائعة العناصر الأساسية لكيفية "إنشاء" كام، رغم أنها لا تستخدم هذا الاسم. قرر المخططون في المواطنة الاستباقية أن كام لم يُنشَأ؛ لقد "جُمِّعَ". وأجزاؤه وقطعه المجمعة كلها جزء من "مجتمعه الداخلي".

تقول روبرتا لجمهورها: "لقد استغرق تجميع كامو كومبري عدة أشهر. كان علينا أولًا أن نحدد الصفات رفيعة المستوى التي أردنا أن يتمتع بها مجتمعه الداخلي. ثم البحث عن تلك الصفات ضمن المفككين الذين ينتظرون التقسيم".

وكما يحدث في الفصل الافتتاحي في حفل موسيقي، تُجهِّز روبرتا الجمهور للحدث الرئيسي، وبعد ذلك: "سيداتي سادتي، أقدم لكم تتويجًا لكل جهودنا الطبية والعلمية: كامو كومبري!".

يظهر ضوء كاشف، ويدخل فيه على صوت التصفيق، أو مؤثر صوتي مرتفع في الأماكن التي حُظِرَ فيها التصفيق العام بسبب هجمات المُصفقين.

على المنصة يلقي كام خطابه المُعد الذي صاغه كاتب خطابات رئاسية سابق. إنه خطاب مدروس وذكي حفظه كلمة بكلمة. ثم تأتي الأسئلة والأجوبة. ورغم وجوده هو وروبرتا على المسرح لتلقي الأسئلة، فإن معظمها يُوجَّه إلى كام.

- أتواجه مشكلات في التنسيق الجسدي؟

يجيب: "على الإطلاق. لقد تعلَّمَتْ جميع مجموعات عضلاتي كيفية التوافُق".

- هل تتذكر أسماء أي من مكونات مجتمعك الداخلي؟

- لا، لكنْ في بعض الأحيان أتذكر الوجوه.

- أصحيح أنك تتحدث تسع لغات بطلاقة؟

يجيبه بالروسية: "نعم، لكنْ ما زالت توجد مساحة هنا لبضع لغات أخرى". وهذا يثير الضحكات الخافتة من أي متحدث للروسية في الغرفة.

لقد أتقن جميع إجاباته، حتى عن الأسئلة التي جاءت عدوانية وتحريضية عن عمد.

قال أحد المقاطعين في أثناء ظهوره في «معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا»: ”اعترفْ بأنك لست سوى سيارة صغيرة. أنت مجرد نموذج جُمِّعَ من أجزاء في صندوق. كيف يمكنك أن تسمي نفسك إنسانًا؟“.

دائمًا ما تأتي إجابة كام عن مثل هذه الأسئلة لبقة، وتُفحِم المُقاطِع.

قال كام للرجل، دون أي عداء مما طُرِحَ به السؤال: ”لا، أنا أشبه بسيارة اختبارية. مجموع خيال جميع الخبراء في هذا المجال“.

ثم ابتسم: ”وإذا كنت تقصد بـ«النموذج» شيئًا يستحق السعي لتحقيقه، فأنا أوافقك على ذلك“.

صرخ أحدهم من بين جمهور حدثه في جامعة كاليفورنيا: ”فماذا عن الذين ضحَّوْا بحياتهم لتحيا أنت؟ هل تشعر نحوهم بأي ندم؟“.

قال كام في الصمت المشحون الذي أعقب ذلك: ”شكرًا لك على سؤالك هذا.. الندم يعني أنني مسؤول بشكل ما عن تفكيكهم، وهذا لم يحدث. لستُ سوى المتلقي في نهاية الأمر. لكنْ نعم، أشعر بالحزن على خسارتنا إياهم، لذا اخترتُ تكريمهم من خلال إعطاء صوت لآمالهم وأحلامهم ومواهبهم. ففي نهاية المطاف، أليس هذا ما نفعله لتكريم أولئك الذين سبقونا؟“.

عندما ينتهي وقت الأسئلة، يُختَتم كل حدث بالموسيقى. موسيقى كام. يُخرِج جيتارًا ويعزف مقطوعة كلاسيكية. موسيقاه مؤثرة للغاية وبلا أخطاء، وكثيرًا ما تثير تصفيقًا حارًّا مع الوقوف تقديرًا. يوجد طبعًا من بين الجمهور مَن لن يقفوا أبدًا، لكنَّ أعدادهم تتضاءل.

قال لروبرتا بعد أمسية ناجحة للغاية: ”بحلول فصل الخريف، يجب أن نتحدث في مسارح أكبر“.

منحته روبرتا ابتسامة ساخرة، وقالت: ”هل تُفضِّل الاستاد؟ إنك لست نجم روك يا كام“.

لكنَّ رأيه يختلف.

***

رسالة إلى المحرر

في ما يتعلق بمقالك الافتتاحي الأخير «جدل كامو كومبري»، سامحني، لكنني لا أرى أي شيء ينبغي أن يثير الجدل على الإطلاق. في الواقع، أعتقدُ أن الإعلاميين -كعادتهم- أثاروا زوبعة في فنجان. لقد حضرتُ أحد عروض السيد كومبري، ووجدته بليغًا، وأنيقًا، ومحترمًا. إنه يبدو ذكيًّا ومتواضعًا بالقدر نفسه، وهو ذلك النوع من الشباب الذي أتمنى أن تُحضِره ابنتي إلى المنزل مرةً واحدةً، بدلًا من سلسلة الأوغاد الذين ما زالوا يدقون بابنا.

أشار مقالك الافتتاحي إلى تجميع أجزائه دون إذن، لكنني أسألك -بخلاف الأعشار- أيوجد مُفكِّك على الإطلاق يمنح الإذن بتفكيكه؟ إنها ليست مسألة إذْن. إنها مسألة ضرورة اجتماعية، كما هو التفكيك دائمًا منذ بدايته. فلِمَ لا نستفيد من أفضل سمات هذه التفكيك لبناء كائن أفضل؟ لو أنني -في شبابي- نُذِرْتُ للتفكيك، فأعتقد أنه كان سيشرفني أن أعرف أن جزءًا مني استحق اختياره كأحد أجزاء السيد كومبري. إن منظمة المواطنة الاستباقية -وخصوصًا الدكتورة روبرتا جريسوولد- تستحق الثناء على رؤيتها والتزامها المتفاني لتحسين الحالة الإنسانية. لأن حتى لو أمكن تفكيك شبابنا صعبي المراس ثم تجميعهم في مثل نموذج هذا الشاب الرائع، فهذا يمنحني الأمل في مستقبل البشرية.

***

كل حدث له غرفته الآمنة، وهي مساحة محمية مصممة لتوفير الراحة لمن هم على وشك الصعود على خشبة المسرح، أو منحهم الفرصة للاسترخاء بعد تسليط الأضواء ووابل من الأسئلة. تنشغل روبرتا دائمًا بالشخصيات البارزة في ردهة المسرح، حيث تصافحهم وتُنشئ تلك العلاقات الشخصية المهمة. وقد أتاح ذلك لـكام أن يصبح سيد تلك الغرفة، حيث ينتقي مَن يمكنه أن

يرافقه بعد انتهاء الحدث ويختاره. ضيوفه في الغالب من الفتيات. موكب لا نهاية له من «الميراندات».

يقولن بصوت متوسل لطيف، كأنَّ قلوبهنَّ معلقة بإجابته: "اعزف شيئًا لنا خصوصًا يا كام"، أو قد يدعينه إلى حفل يعلم أنه لا يستطيع حضوره. وهنا، يخبر أولئك الفتيات أن الحفل هنا، ودائمًا يروق لهنَّ ذلك.

رافق ثلاث فتيات في الغرفة الآمنة، بعد عرضه الناجح في «معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا». يجلس الآن بين اثنتين منهنَّ على أريكة مريحة، فيما تشغل الثالثة مقعدًا قريبًا، وهي تضحك وتنظر إليه مشدوهة، وهي تنتظر دورها، كطفل صغير ينتظر عناق بابا نويل. بناءً على طلب ضيفاته، خلع كام قميصه ليريهنَّ نقاط الالتحام الغريبة في جسده، فأخذتْ إحدى الفتيات تستكشف تلك الالتحامات وألوان البشرة المتنوعة في صدره. أما الفتاة الأخرى، فقد عانقته وأطعمته اللوز الأردني اللذيذ والمقرمش.

في النهاية، ظهرتْ روبرتا كما عَلِم أنها ستفعل. وهو في الواقع شيء انتظره. لقد أصبح هذا معتادًا بينهما.

قال كام في مرح: "انظرن، إنها مُفسِدة الحفل المفضلة لديَّ!".

حدقت روبرتا إلى الفتيات، قائلة ببرود: "انتهى وقت اللعب. أنا واثقة أنكنَّ أيتها الشابات لديكنَّ أماكن لتذهبنَ إليها".

قالت تلك التي تضع يدها على صدر كام: "ليس حقًّا"، وازدادت ضحكات تلك الفتاة الضاحكة على المقعد المجاور.

قال كام: "من فضلكِ أيتها المحققة الكبيرة. إنهنَّ لطيفات للغاية، ألا يمكنني اصطحابهنَّ إلى المنزل؟".

ضحكتِ الفتيات الثلاث كالمخمورات، لكنَّ كام عرف أنه هو الوحيد الذي يسكرهنَ.

تجاهلته روبرتا، وقالت: "لقد طلبتُ منكنَّ أيتها الفتيات المغادرة. أرجو ألا أُضطرَّ إلى استدعاء الأمن".

وكأنها استدعته فعلًا، دخل الحارس، وبدا كمن يشعر بالذنب، لكنه مستعد لطردهنَّ رغم المبلغ الذي دفعه له كام للسماح لهنَّ بالدخول.

نهضتِ الفتيات على مضض. غادرن جميعًا، كل بسلوكها الخاص، فإحداهنَّ تبخترت، والأخرى ترنحت، والثالثة تسللت، محاولة التوقف عن

الضحك الذي لا ينتهي. تبعهنَ الحارس للتأكد من عدم بقائهنَّ في المكان، وأغلق الباب خلفه. هنا، انصبَّ غضب روبرتا على كام الذي حاول إخفاء ابتسامته.

سألها: ”الضرب؟ أم العقاب؟ أم النوم بلا عشاء؟“.

لكنَّ روبرتا لم تكن بالتأكيد في مزاج مناسب للاستفزاز: ”لا يصح أن تغازل أولئك الفتيات“.

يقول كام: ”الأمر متبادل. لقد غازلنني أولًا. رددتُ معروفهنَّ فحسب“.

قالت روبرتا متذمرة في سخط: ”هل صدقتَ أي شيء قلتَه هناك عن كونك ”نموذجًا“ على الآخرين التطلع إليه؟“.

أشاح كام ببصره. إن ما يقوله للجمهور هو بالتأكيد ما تؤمن به روبرتا، لكنْ هل يصدق هو نفسه هذه الأشياء؟ نعم، إنه مصنوع من أفضل الأجزاء وأجملها، لكنها مجرد أجزاء، فماذا تقول حقًّا عن كِيانه ككل؟ ما يريده أكثر من أي شيء آخر هو التخلص من هذا السؤال.

- بالتأكيد، أصدق ذلك.
- أرني إذن بعض السلوك الدال على ذلك. (أمسكتْ قميصه وألقته إليه): أنت أفضل من هذا، لذا أظهِر ذلك في تصرفاتك.

قال في جرأة: ”وماذا لو لم أكن أفضل كما تظنين؟ ماذا لو أنني مجرد تسعة وتسعين شهوة مراهقة مركَّبة؟“.

قالت روبرتا وهي تبادله الجرأة: ”إذن، يمكنك تقطيع نفسك إلى تسعة وتسعين قطعة. هل أعطيك سكينًا؟“.

أجابها: ”المنجل دراماتيكي أكثر“.

تنهدت وهزت رأسها، قائلة: ”إذا أردت إبهار الجنرال بوديكر، فإن مثل هذا السلوك لن يفي بالغرض“.

- آه نعم، الجنرال بوديكر.

لم يعرف كام تحديدًا كيف يحكم على الرجل ونواياه، لكنه لا يستطيع أن ينكر أنه مفتون به. عرف كام أنه سيُوجَّه إلى الانخراط في التدريب مباشرة على منصب ضابط، مثل بعض الأمراء الأمريكيين. وبعد ذلك، حالما يرتدي ملابس الضابط المميزة والحادة، بكل أزرارها الكتانية والنُّحاسية المضغوطة،

ستخرس جميع الأصوات المريرة التي تشير إلى أنه لا يملك الحق في الوجود. لا أحد يستطيع أن يكره جنديًا بحريًا محترمًا. وسيجد أخيرًا مكانًا ينتمي إليه.

قال كام: "هذا لا عَلاقة له بالأمر. الجنرال لن يهتم بمغامراتي الشخصية في أوقات الراحة".

قالت له روبرتا: "لا تثق بذلك للغاية. عليك أن تدقق أكثر في اختيار رفاقك. والآن، ارتدِ قميصك. الليموزين تنتظر".

***

إعلان

"كم عدد المرات التي بدأتَ فيها برنامجًا للتمارين الرياضية ثم انقطعتَ بعد بضعة أيام فحسب؟ في وجود الكثير مما يجب فعله في حياتنا اليومية، في الغالب لا نجد وقتًا لرفع أجسامنا إلى ذروة الحالة البدنية بالطريقة القديمة. حسنًا، إذا أحبطكَ جهاز المشي الكهربائي، فلدينا الإجابة! لماذا تقضي ساعات لا نهاية لها على الأجهزة الرتيبة، فيما يمكنك الحصول على البنية المنحوتة بالكامل على الفور من خلال تجديد العضلات «سكالتورا»؟

باستخدام تِقْنِيَّة «سكالتورا» المتقدمة الخالية من الندبات، يمكنك تجديد أي مجموعة عضلية رئيسية بأنسجة عضلية صحية وقوية مضمونة، أو استعادة أموالك إذا لم تحصل على النتيجة المرجوَّة*. يمكنك ممارسة التمارين سنواتٍ دون أن ترى النتائج التي يمكن أن نقدمها لك في يوم واحد فقط!

لِمَ ترضى بالنحافة والضعف؟ احصلْ على عضلات مفتولة مع «سكالتورا»!"

* البنية المنحوتة مضمونة لمدة شهر واحد فقط بعد الانتهاء من عملية تجديد العضلات «سكالتورا». العضلات ستضمر في حالة عدم ممارسة التمارين الرياضية.

***

استيقظ كام على ارتفاع ستة وثلاثين ألف قدم. للحظة ظن أنه يجلس على كرسي طبيب الأسنان، لكن لا. لقد نام قبل أن يمدَّ الكرسي إلى وضع الاستلقاء الكامل.

لقد وفرتِ المواطنة الاستباقية هذه الطائرة الخاصة المجهزة بسخاء لجولة إلقاء الكلمات، رغم أنها ليست خاصة تمامًا. تنام روبرتا على كرسي النوم في الكوة خلفه، وتنفسها ثابت ومنتظم، تمامًا مثل أي شيء آخر في حياتها. يوجد مُقدِّم رعاية –وهو المعادل لمضيف الطيران في طائرة خاصة– لكنه أيضًا نائم في هذه اللحظة. الساعة 3:13 صباحًا، رغم أن كام لم يعرف طبقًا لتوقيت أي مِنْطَقَة.

حاول تذكر أحلامه لتحليلها، لكنه لم يستطع. أحلام كام ليست منطقية قطُّ. لا يملك أي فكرة عن مدى أهمية أحلام الأشخاص العاديين، لذا لا يمكنه المقارنة. تمتلئ أحلامه بأجزاء من الذكريات التي لا تؤدي إلى شيء، لأن بقية تلك الذكريات موجودة في رؤوس أخرى تعيش حياة مختلفة. الذكرى الوحيدة الواضحة والمتسقة هي ذكرى التفكيك. إنه يحلم بذلك في كثير من الأحيان. ليست عملية تفكيك واحدة، بل العديد منها. تمتزج أجزاء وشظايا عشرات الانقسامات معًا في وَحْدَة واحدة، لا تُنسى ولا تُغتفر.

اعتاد الاستيقاظ صارخًا من تلك الأحلام. ليس من الألم، لأن التفكيك -بموجب القانون- غير مؤلم. لكن توجد أشياء أسوأ من الألم الجسدي. يصرخ من الرعب، من العجز المطلق الذي شعر به كل صبي من هؤلاء الصبية عندما اقترب الجراحون، ووخزوا أطرافهم وخدَّروها، بعد نقل أجهزة منع تدفق الدماء بالتبريد بعيدًا عن مجال رؤيتهم. تنطفئ كل حاسة وتتبخر كل ذكرى، وتنتهي دائمًا بصرخة صامتة من التحدي اليائس، بعد ذَهَاب كل مفكك إلى غياهب النسيان.

يرى روبرتا في الحلم، لأنها كانت هناك في كل جلسة تكفيك، وهي الشخص الوحيد في الغرفة الذي لا يرتدي قناعًا جراحيًّا. "حتى تراني، وتسمعني، وتعرفني عندما تتحد الأجزاء" كما قالت له، لكنها لم تتوقع مدى بشاعة تلك المعرفة. روبرتا جزء من الرعب. هي كاتبة سطور اليأس.

تعلَّم كام أن يقاوم الصراخ في أحلامه، ويكتمه في داخله إلى أن يسحب نفسه من مزيج كابوسه الفاسد إلى عالم الحياة الذي يتنفس، حيث يكون هو نفسه وليس الأجزاء المقسمة من "مجتمعه الداخلي". إنه الليلة بمفرده.

يعلم بوجود أشخاص من حوله، لكنْ في طائرة خاصة تحلق خلال سماء سوداء ثلجية، لا يمكنه إلا أن يشعر بالوَحْدَة في الكون. في لحظات الوَحْدَة العميقة هذه، تطارده الأسئلة التي يطرحها الجمهور الأكثر إصدارًا للأحكام، لأن أسئلتهم هي أسئلته.

- أأنا حيٌّ حقًّا؟ هل أنا موجود أصلًا؟

من المؤكد أنه موجود كمادة عضوية، لكنْ ماذا عن وجوده ككائن واعٍ؟ كشخص وليس كشيء؟ توجد لحظات كثيرة في حياته لا يعرف فيها الإجابة عن هذه الأسئلة. وإذا واجه كل فرد -في النهاية- الحكم، فهل سيقف في مواجهته أيضًا، أم إن أجزاء مجتمعه الداخلي ستعود إلى أصحابها الحقيقيين، تاركة فراغًا حيث وُجِدَ هو يومًا؟

قبض يديه، وأراد أن يصرخ: "أنا هنا! أنا موجود". لكنه يعرف أنه لم يعدْ بإمكانه البوح بهذه المخاوف إلى روبرتا. من الأفضل أن تعتقد أن نقاط ضعفه تكمن في شهوة الشباب.

هذا هو الغضب الذي يملأه عندما لا يراقبه أحد. الغضب من احتمال كون المعترضين من الجمهور على حق وأنه ليس أكثر من نتاج مهارة طبية. خَدْعَة مشرط. مصادفة جوفاء مُفَرَّغة تحاكي الحياة.

في هذه اللحظات العدمية المظلمة عندما يبدو أن الكون نفسه يرفضه -تمامًا كما ترفض أجساد الناس الأعضاء المزروعة- يفكر في ريسا.

ريسا. يُدوِّي اسمها في ذهنه، وهو يحارب الرغبة في حبس عقله. ريسا لم تحتقره. نعم، لقد فعلتْ ذلك في البداية، لكنها عرفتْه حقًّا، ورأتْ أنه فرد أكثر من مجرد مجموع أجزائه. وفي النهاية، شعرتْ نحوه بالاهتمام بطريقتها الخاصة.

عندما كان كام مع ريسا، شعر بأنه حقيقي. معها، شعر بأنه أكثر من مجرد مزيج من العلم والغطرسة.

لا يمكنه أن ينكر مدى حبه إياها، وألم هذا الشوق يكفيه حتى يدرك أنه حي. إنه كذلك. فكيف يمكن أن يشعر بهذا الألم، لو أنه مُفَرَّغ بلا روح؟

ومع ذلك، فهو يشعر في كثير من الأحيان كأنها أخذت روحه معها عندما غادرت.

أراد أن يسألها: "أتعرفين كيف أشعر يا ريسا؟".

هل تعرف ما معنى أن تكون مُفَرَّغًا؟ هل هذا ما شعرَت به عندما مات كونر الثمين في مخيم حصاد «هابي جاك»؟ يعرف كام بما لا يدع مجالًا للشك أنه قادر على ملء هذا الفراغ بداخلها، فقط إذا أحبَّته بما يكفي للسماح له بذلك. هذا هو الشيء الوحيد الذي سيجعله يشعر بالكمال.

هزَّ الطائرةَ اضطرابٌ خفيفٌ، وبدا أكثر خطورة مما هو عليه في الواقع. سمع روبرتا تتحرك، ثم تعود مجددًا إلى نومها العميق. إنها لا تعرف شيئًا عن مدى خداعه إياها. إنها شديدة الذكاء والدهاء والوعي، ومع ذلك فهي عمياء تمامًا.

يعرف أنها ستكتشف أي ادعاء يقدمه، لذلك يجب أن يُغلِّف كل خَدْعَة بطبقة سميكة من الحقيقة، مثل طبقة حلوى من اللوز الأردني.

صحيح أن كام يستمتع باهتمام الفتيات الجميلات اللاتي ينجذبن إلى جاذبيته الفريدة. وصحيح أنه في لحظاته الأكثر مجدًا، يشعر أنه مفتون بذاته، ثمل بعد تناول قربان من منقوع الإنسانية.. الإنسانية التي صنعته. لقد تعلم كيف يستدعي هذا الشعور، أن يتخيله كاستحمام منعش، ويستمتع به عندما يحتاج إلى ذلك. إنه غِلاف مُسكِّر يحيط بنواة الحقيقة، التي يعرفها وحده، ولا يبوح بها لأحد.

أنا لا شيء دون ريسا.

لذلك سيؤدي دور النجم المدلل، حتى تعتقد روبرتا أنه يستمتع بوقته حقًّا. وسيفعل ذلك بما يكفي لخداعها وجعلها تعتقد أن الغطرسة والإسراف هما كل أسباب الجدال معه.

بدأت الطائرة هبوطها إلى المكان الذي سيتوجهان إليه بعد ذلك. المزيد من الجماهير. المزيد من «الميراندات». طريقة ممتعة لقضاء وقته. ابتسم كام وتذكر العهد السري الذي قطعه على نفسه. لو أن الشيء الوحيد الذي تريده ريسا أكثر من أي شيء آخر هو التدمير التام للمواطنة الاستباقية، فسيجد كام طريقة لمنحها ذلك. أكثر من مجرد تقويض سلطة روبرتا، فإنه سيتوغل في تروس آلة المواطنة الاستباقية بأكملها. سيجد طريقة لإيقافها عن العمل، وستعرف ريسا أنه هو من فعل ذلك. عندئذٍ ستحبه حقًّا، وستبادله كل جزء من عواطفه. فترد عليه روحه.

***

14 - مدير

ساحة تخييم «ريدوود بلاف» مشغولة بالكامل.

من المفترض أن يشعر مدير أرض مخيمات شمال كاليفورنيا بالسعادة، لكنه بدا في أسوأ أحواله. بالنسبة إليه، أسوأ الأحوال يشير إلى حافظة نقوده.

يشغل مخيم «ريد هيرون» جزءًا كبيرًا من ساحة المخيمات، وهو معسكر صيفي للأطفال المحرومين. احتلت قمصان المعسكر القرمزية الزاهية كل مكان.

عند العصر -قبل الموعد المقرر للمغادرة- جاء المدير إلى وسط معسكر المراهقين الذين بدوا جميعًا فقراء. وجد ما لا يقل عن مئة منهم. بدا عليهم بعض الاضطراب عندما رأوه، لكنهم عادوا بسرعة إلى ما يشغلهم، وهو ما يفعله الصبية كثيرًا في الإجازات، مثل إلقاء الكرات، وتسلق الأشجار، لكنَّ خوفًا في أعينهم وإحساسًا بعدم الثقة في تصرفاتهم، كشف شيئًا تحاول قمصان معسكرهم إخفاءه.

- من فضلكم، من المسؤول هنا؟

تقدمتْ فتاة تصلح لأن تعمل حارسًا خاصًّا في حياة سابقة، وقالت له: "إنه مشغول. يمكنك التحدث إليَّ".

قال المدير بإلحاح: "سأتحدث إلى المسؤول نفسه.. وعلى انفراد".

قالت الفتاة قوية البنية، ساخرة وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها في تحدٍّ لطلبه: "لن تجد الكثير من الخصوصية وسط أعضاء المعسكر هنا. سأخبره أنك أتيت".

قال: "سأنتظر".

ثم سمع صوتًا من خلف الفتاة يقول: "لا بأس يا بام. سأتحدث إليه".

من وسط مجموعة من الصبية، تقدم مراهق؛ لا يمكن أن يزيد عمره على ستة عشر عامًا، قصير، لكنْ متين البنيان. شعره أحمر بجذور بُنية طويلة

للغاية. ارتدى -مثل الفتاة- قميص بولو أحمر يحمل شعارًا يميز موظفي المعسكر، وارتدى قفازًا جلديًّا في يد واحدة فقط. في جميع الأحوال، بدا شابًّا جيدًا، لكنَّ المظاهر في الغالب خداعة.

أشار إلى المدير، قائلًا: "سرْ معي".

غادرا الساحة، وسلكا طريقًا في الغابة الحمراء. لا تتوقف الأشجار القديمة الضخمة عن إثارة دهشة المدير أبدًا، وهي أحد الأسباب التي دفعته إلى قبول الوظيفة رغم راتبها المنخفض للغاية. لكنه اليوم واثق أن حظه سيتغير.

إنه يعرف المسار عن ظهر قلب، يسلكه فقط إلى أقرب موقع تخييم لا يشغله أعضاء معسكر «ريد هيرون». اختار بقعة شغلتها أسرة كبيرة بها الكثير من الأطفال الصغار يركضون بالحفاضات، وحرص على إبقاء موقع المخيم، والأشخاص الموجودين هناك في مجال رؤيته، لأنه وجد أن التعمق في الغابة بمفرده مع هذا الشاب ليس فكرة جيدة.

قال الصبي: "لو أنك تخشى أن نغادر موقع التخييم دون تنظيفه، فأعدك أننا سننظفه".

قال المدير: "لم أعرف اسمك".

قال في زهو بابتسامة صارخة وواسعة جدًّا: "أنسون". من الواضح أن هذا ليس اسمه الحقيقي.

- أنت أصغر كثيرًا من أن تصبح مسؤولًا عن كل هؤلاء الصبية، أليس كذلك؟

قال الصبي: "المظاهر خدَّاعة. لقد حصلت على الوظيفة لأنني أبدو أقرب إلى أعمارهم".

نظر إلى يد الشاب اليسرى، وقال: "فهمتُ. ما قصة القفاز إذن؟".

رفع الصبي يده، وأجابه: "ماذا به؟ ألديك مشكلة مع «لوي فيتون»؟".

لاحظ المدير أن أصابع تلك اليد تكاد لا تتحرك، وقال: "مُطْلَقًا. يبدو فقط كحِلية غريبة في رحلة تخييم".

خفض الصبي يده، قائلًا: "أنا رجل مشغول يا سيد بروكتور. اسمك بروكتور، أليس كذلك؟ مارك بروكتور؟".

تفاجأ المدير بأن الصبي يعرف اسمه. معظم الذين يحجزون مواقع المعسكرات في «ريدوود بلاف» بالكاد يعرفون بوجوده، ناهيك بمعرفة اسمه.

قال الشاب: "لو أن الأمر يتعلق بالدفع، فقد سددنا الرسوم فعلًا بالكامل، ونقدًا. أثق أن هذا أفضل مما يفعله معظم الناس".

قرر المدير الدخول في صلب الموضوع، لأنه بدأ يشعر أنه كلما طال أمد هذا الأمر، زاد احتمال أن يجد هذا الصبي طريقة للتخلص من الفخ: "نعم، لقد سددتم. لكن هناك مشكلة واحدة: لقد دققتُ قليلًا، ولم أجد كِيانًا باسم معسكر «ريد هيرون». ليس في هذه الولاية ولا في أي ولاية أخرى".

قال الصبي بنبرة ساخرة متعالية: "حسنًا، من الواضح أنك لم تبحث في المكان الصحيح".

لن يسمح مارك بروكتور بأن يسخر منه أحدهم، فقال مؤكدًا: "كما ذكرتُ، لا يوجد معسكر «ريد هيرون»، لكنْ توجد تقارير عن عصابة من المفككين المنشقين. وأحدهم هارب من التفكيك وقاتل شرطي، ويُدعى مايسون مايكل ستاركي. الصورة تشبهك كثيرًا يا «أنسون». دون الشعر الأحمر طبعًا".

تبسَّم الصبي فحسب، وسأله: "كيف يمكنني مساعدتك يا سيد بروكتور؟".

أدرك بروكتور أنه قد ملك زمام المبادرة الآن. لقد سيطر على هذا الصبي ستاركي. تحدث إلى الصبي بنبرته الساخرة المتعالية نفسها، وقال: "سأعتبر نفسي متنصلًا من مسؤوليتي المدنية إذا لم أسلِّمك أنتَ وقطيعك الصغير إلى هيئة الأحداث".

- لكنكَ لم تفعل بعد.

تنفَّس بروكتور بعمق، وقال: "ربما يمكنكَ إقناعي بألا أفعل ذلك".

لم يعلم مقدار الأموال التي يمتلكها هؤلاء الصبية، أو مصدرها، لكنْ من الواضح أن لديهم ما يكفي من المال لمواصلة تمثيليتهم الصغيرة، ولا يمانع بروكتور في تخفيف بعض أحمالهم من هذه الأموال.

قال ستاركي: "حسنًا. دعني أحاول إقناعك إذن". ومد يده إلى جيبه، لكنْ بدلًا من إخراج حافظة النقود، أخرج صورة فوتوغرافية. قلبها ببراعة بين أصابع يده العارية، كساحر يعرض ورقة لعب.

اتضح أن الصورة لابنة بروكتور المراهقة. بدا أنها التُقِطَتْ مؤخرًا من خارج نافذة غرفة نومها مباشرةً، وهي تمارس تمارينها الرياضية المسائية.

قال ستاركي: "اسمها فيكتوريا، لكنها تُدعى فيكي، أليس كذلك؟ إنها تبدو فتاة لطيفة. أتمنى مخلصًا ألا يصيبها أي مكروه على الإطلاق".

- أتهددني؟

- لا، على الإطلاق.

بدا أن الصورة تختفي أمام عيني بروكتور، في أثناء حركة أصابع ستاركي الذي أضاف: "نحن نعرف أيضًا أين مكان كُلِّية ابنك، فهو هناك في منحة دراسية للسباحة، لأنك بالتأكيد لا تستطيع تحمل تكاليف جامعة «ستانفورد» من راتبك، أليس كذلك؟ إنه أمر محزن، لكنْ كما فهمتُ، من المعروف في بعض الأحيان أن أفضل السباحين يغرقون، عندما تزيد ثقتهم بأنفسهم عن المطلوب".

اكتفى ستاركي بقوله هذا، وصمت مبتسمًا في سعادة زائفة. صاح طائرٌ يحلق عاليًا في الغابة الحمراء، كمن يعلن استمتاعه بالعرض، وانفجر طفل صغير في موقع المخيم المجاور باكيًا، كمن ينعى فِقدان كرامة مارك بروكتور.

سأل بروكتور في برود: "ماذا تريد؟".

لم تفقد ابتسامة ستاركي قطُّ أيًّا من دفئها. لفَّ ذراعه حول كتف بروكتور، ووجَّهه إلى العودة من حيث أتيا، قائلًا: "كل ما أريده هو إقناعك بعدم تسليمنا، تمامًا كما اقترحتُ. ما دمتَ لا تقول شيئًا عنا -سواء الآن أو بعد مغادرتنا- يمكنني شخصيًّا أن أضمن أن أسرتك الجميلة ستبقى جميلة كما هي دائمًا".

ازدرد بروكتور لعابه، مدركًا أن الإحساس بالقوة الذي انتابه منذ لحظات قليلة لم يكن سوى وهم.

سأله ستاركي: "هل توصلنا إلى اتفاق إذن؟". مدَّ يده التي ترتدي القفاز ليصافحها بروكتور، فصافحها الأخير باقتناع. تجهَّم ستاركي عندما ضغط بروكتور يده، لكنْ حتى ذلك دلَّ على القوة وليس الضعف. قال بروكتور: "كما ذكرتَ، لقد سددتم الرسوم بالكامل. لا نحتاج إلى المزيد الآن. من دواعي سروري وجود معسكر «ريد هيرون» هنا، وآمل أن أراكم في الصيف المقبل"، رغم أن كليهما يعرف أن هذا هو آخر ما يريده.

عندما غادر بروكتور، بساقين مرتجفتين قليلًا، أدرك شيئًا. صورة ابنته التي اختفت في أثناء محادثتهما، ظهرتِ الآن في جيب قميصه. وبينما ينظر إليها، تدفقت الدموع من عينيه. وبدلًا من الشعور بالغضب، شعر بالامتنان، لأنه لم يكن أحمقَ لدرجة التسبب في الأذى لها أو لأخيها.

***

15 - ستاركي

قالت بام: "لا تتحرك. إذا دخلتْ هذه الأشياء في عينيك، فستلسعك بشكل لا يمكنك تصديقه".

لقد حلَّ الظلام في موقع المخيم الآن. جلس ستاركي على مقعد في الحديقة، ورأسه يميل إلى الخلف. حمل صبي دلوًا من الماء، واستعدَّ آخر بالمناشف. دهنتْ بام -التي ترتدي قفازًا مطاطيًّا- شعر ستاركي بمحلول ذي رائحة نفاذة، ودلَّكت به فروة رأسه، كل ذلك تحت الأضواء الجماعية الصادرة عن كشافات إنارة يحملها أربعة آخرين.

قال ستاركي لبام وهو يغمض عينيه: "أتصدقين ذلك؟ لقد حاول الرجل ابتزازنا فعلًا".

- تمنيتُ أن أرى وجهه عندما انقلب السحر على الساحر.

- كان مشهدًا كلاسيكيًّا، ويثبت أن خطتنا الاحتياطية ناجحة.

قال أحد حملة كشافات الإنارة: "جيفان يستحق ميدالية".

أضاف الصبي الذي يحمل دلو الماء: "لكنَّ ويتني التقطت الصورة".

- لكنَّ جيفان فكر في الأمر.

قال ستاركي: "كفاكما! لم أسأل أيًّا منكما".

في الواقع، ستاركي هو من قرر تعيين جيفان مسؤولًا عن الاستخبارات. إنه صبي ذكي ويجيد استخدام الكمبيوتر والتفكير في المستقبل. صحيح أن فكرة جيفان تمثلت في جمع معلومات عن الأشخاص الذين يتعاملون معهم، لكنْ ما يجب فعله بهذه المعلومات يعود بالكامل إلى ستاركي. في هذه الحالة، الابتزاز مقابل الابتزاز ثَبُت أنه الخطوة الصحيحة، واستسلم الرجل، تمامًا كما علم ستاركي أنه سيفعل. حتى التلميح بإيذاء طفليه العزيزين اتضح أنه أكثر

مما يحتمله الرجل. رائع. لا يتوقف ستاركي أبدًا عن الشعور بالدهشة، كلما رأى إلى أي مدى سيذهب المجتمع لحماية الأطفال الذين يحبهم، والتخلص من الأطفال الذين لا يحبهم.

سأل الصبي حامل المنشفة: "أين نذهب الآن إذن؟".

فتح ستاركي إحدى عينيه، لأن الأخرى بدأت تلسعه فعلًا: "هذا ليس من شأنك. ستعرف عندما نصل إلى هناك".

بصفته قائدًا لنادي المنقولين، تعلم ستاركي فن التحكم في المعلومات. على عكس كونر -الذي لم يحجب أي معلومة عندما أدار المقبرة- يصرِّح ستاركي بمعلومات قليلة للغاية، وعند الضرورة القصوى فحسب.

منذ تحطم طائرتهم في بحر سالتون قبل ثلاثة أسابيع تقريبًا، لم تسرِ الأمور بسلاسة بالنسبة إلى أعضاء نادي المنقولين. ليس في البداية على أي حال. في تلك الأيام الأولى، اختبأوا في الجبال الجرداء المطلة على بحر «سالتون»، ووجدوا كهوفًا وشقوقًا ضحلة تجمعوا فيها، حتى لا تتمكن طائرات الاستطلاع من رؤيتهم. علم ستاركي أن السلطات ستجري بحثًا ميدانيًّا، وهذا يعني ضرورة ابتعادهم عن المكان، لكن لم يتمكنوا من الرحيل إلا ليلًا وعلى الأقدام.

لم يضعْ خطة لكيفية توفير الطعام أو المأوى أو الإسعافات الأولية للصبية الذين أصيبوا في الحادث، فلجأوا إلى نهب المتاجر الصغيرة على جانب الطريق، والتي ظلت تبلغ السلطات عن موقعهم.

لقد كانت تجربة نارية بالنسبة إلى ستاركي، لكنه خرج من النيران، وبفضله ظلوا أحياء ولم يُقبَض عليهم. لقد أبقى هؤلاء الأطفال آمنين في قبضته، رغم تحطمها. أصبحت يده الآن بمنزلة إصابة حرب تنسج حوله الأساطير، وتجلب له احترامًا أكبر، لأنه إذا كان قويًّا بما يكفي لكسر يده في سبيل إنقاذهم، فهو قوي بما يكفي لفعل أي شيء.

في بالم سبرينجز، صادفوا فندقًا أُغلِق لكنْ لم يُهدَم بعد، وبدأ حظهم يتغير. وجدوا المكان معزولًا بدرجة كافية، فتمكنوا من الاختباء وقتًا كافيًا للتوصل إلى خطة للبقاء أكثر فعَّالية من تجريد فروع «إليفن - 7» من كل محتوياتها.

بدأ ستاركي بإرسال الصبية في فرق صغيرة، واختيار أصحاب المظهر البريء الذي لا يثير الشك. سرقوا الملابس من المغاسل غير المراقبة، والبقالة مباشرة من أرصفة تحميل متاجر السوبرماركت.

مكثوا هناك أسبوعًا تقريبًا، حتى كشفهم بعض الصبية المحليين. قال أحدهم: "أنا منقول أيضًا. لن نُبلِغ عنكم؛ نقسم على ذلك".

لكنَّ ستاركي لم يثق قطُّ بالصبية المنتمين إلى أُسَر مُحِبَّة. يحمل كراهية خاصة للمنقولين الذين يحبهم آباؤهم بالتبني كما لو كانوا من لحمهم ودمهم. يعرف ستاركي الإحصائيات الأساسية للتفكيك، ويعلم أن 99 بالمئة من جميع الأطفال المنقولين يعيشون في منازل دافئة ومُحِبَّة، حيث لن يشكل التفكيك مشكلة أبدًا. لكن بالنسبة إلى من هو ضمن نسبة الـ 1 % المتبقية، والمحاط بأطفال آخرين مهملين، فإن تلك المنازل المحبة تبدو بعيدة للغاية، وغير ذات أهمية.

ثم نفَّذ جيفان عملية عبقرية. لقد استغلَّ الحساب المصرفي لأهالي أعضاء نادي المنقولين، لأن عددًا لا بأس به من الصبية إما يعرفون كلمات مرور والديهم بالتبني، وإما يمكنهم اكتشافها. نُفِّذَتِ العملية دفعة واحدة، ببضع نقرات على الكمبيوتر، وبحلول الوقت الذي عرف فيه أي شخص ما يجري، كان نادي المنقولين قد جمع أكثر من سبعة عشر ألف دولار في حساب خارجي. وأصبح الوصول إليها في منتهى البساطة بعد ربطها ببطاقة صراف آلي مزيفة.

قال جيفان لستاركي: "شخص ما في مكان ما يحقق في هذا الأمر. في النهاية، لن يقودهم ذلك إلينا؛ سيقودهم إلى ريموند هاروود".

سأل ستاركي: "مَن ريموند هاروود؟".

- الصبي الذي اعتاد أن يضايقني في المدرسة الإعدادية.

ضحك ستاركي لقوله، وقال له: "هل أخبرتك من قبل أنك مجرم عبقري يا جيفان؟".

لم يبدُ متقبلًا هذه الفكرة، وأجابه: "حسنًا، لقد قيل لي إني عبقري".

كثيرًا ما يتساءل ستاركي عن سبب اختيار والديْ جيفان تفكيكَ طفلٍ شديد الذكاء، لكنها أسباب غير معلنة لا يمكنك أن تسأل عنها.

لقد أعطى المالُ المنقولينَ القليلَ من الحرية، لأن المال يشتري الشرعية. كل ما احتاجوا إليه هو حيلة بسيطة -وهمٌ لا يمكن لأحد أن يشكك فيه- ولو أن هناك شيئًا واحدًا يعرفه ستاركي كساحر هاوٍ، فهو فن الوهم. التضليل. يعلم كل ساحر أن الجمهور سيتبع دائمًا اليد التي تتحرك، وسيصدق دائمًا ما يُقدَّم للعين، إلى أن يجد سببًا يجعله لا يصدق ما يراه.

«معسكر ريد هيرون» أبدعتْه قريحة ستاركي. كل ما تطلبه الأمر لجعل الوهم حقيقيًّا هو طلب 130 قميصًا للمخيم وقمصانًا للموظفين وبعض القبعات المتطابقة كزينة على الكعكة. بصفتهم أعضاء «معسكر ريد هيرون»، استطاعوا السفر بالقطارات وحتى الحافلات المستأجرة، لأن الوهم اعتمد على قوة الافتراض. رأى الناس معسكرًا في رحلة ميدانية، وأصبح جزءًا من واقعهم دون تفكير ثانٍ. ومن المفارقات العجيبة أنه كلما كانت تلك المظاهر صاخبة وأكثر وضوحًا، يصبح الوهم أقوى. حتى لو شاهد الناس تقريرًا إخباريًّا عن مجموعة المفككين الهاربين، يمكن أن يمر أعضاء «معسكر ريد هيرون» إلى جوارهم مباشرةً، محدثين ضوضاء عالية وبغيضة، ولن يلتفت أحد، حتى سلطات إنفاذ القانون. من كان يعلم أن الاختباء على مرأى من الجميع يمكن أن يصبح ممتعًا إلى هذا الحد؟

أول ما وجب عليهم فعله هو الخروج من جنوب كاليفورنيا إلى مكان لا تبحث فيه السلطات عنهم. بعد أن عاش في الصحراء بما يكفيه طوال حياته، رأى ستاركي أن يتخذوا اتجاه «أمتراك» شمالًا إلى مراعٍ أكثر خضرة وخصوبة. وفي موقع تخييمهم الأول، بالقرب من «مونتيري»، لم يواجهوا أي مشكلة على الإطلاق. ثم واصلوا طريقهم شمالًا، وحجزوا مكانهم في «ريدوود بلاف». لقد سارت الأمور على ما يرام حتى اليوم، لكن رغم ما حدث، تيسَّر لهم إدارة أزمة اليوم.

انتهت بام من جَليِ محلول التبييض من شعر ستاركي، وسارع فتى المنشفة إلى تجفيفه.

سألت بام: "أخبرني، ماذا لو فضح مدير ساحة التخييم أمرنا، أستؤذي حقًّا أحد أطفاله؟".

انزعج ستاركي لأنها طرحت مثل هذا السؤال في وجود حاملي الكشافات والمنشفة ودلو الماء، فأجابها وهو يبعثر شعره في فوضى: "لن يُفضَح أمرنا".

- لكن ماذا لو فعل؟

التفت إلى الصبي حامل المنشفة. إنه أحد أعضاء مجموعته الأصغر سنًّا ممن يحاولون دائمًا كسب تأييد ستاركي، وسأله: "ماذا أقول دائمًا؟".

بدتْ في عين الصبي نظرة خوف، وقال: "أوه... دخان ومرايا؟".

- بالضبط! كل ما قاله دخان ومرايا، أي مجرد تهديدات جوفاء.

هذه هي الإجابة الوحيدة التي قدمها إلى بام، وهي ذاتها إجابة يكتنفها الضباب والغموض، ومحاولة لعدم إجابة السؤال وتجنبه. أسيؤذي أبناء المدير؟ ورغم أن ستاركي لا يفضل التفكير في الأمر، فإنه يعلم أنه سيفعل كل ما هو ضروري لحماية أتباعه المنقولين. حتى لو أن ذلك يعني أن يجعل شخصًا ما عبرة.

قالت بام: "بالحديث عن المرايا، ألقِ نظرة"، وسلَّمته مرآة جانبية انتزعتها من إحدى السيارات.

وجد أن من الصعب رؤية رأسه كاملًا، فاضطُرَّ إلى تحريك المرآة باستمرار، حتى يمكنه رؤية الصورة كاملة، وقال: "يروق لي ذلك".

قالت له: "تبدو جيد المظهر في الشعر الأشقر البلاتيني. أشبه براكب أمواج".

قال ستاركي موضحًا: "نعم، لكنَّ راكب الأمواج لا يوحي بالثقة لدى البالغين. قُصِّي شعري. اجعليه قصيرًا وأنيقًا. أريد أن أبدو كقائد كشافة".

قالت مبتسمة: "لن تصبح أبدًا من قادة الكشافة يا ستاركي"، فضحك بعض الصبية الآخرين. سبَّب له قولها الألم فعلًا، لكنه لم يُظهِر ذلك. لقد اهتمَّ بالسحر أولَ مرة في طفولته بسبب قيمته كشارة استحقاق للكشافة. من المضحك كيف تتغير الأمور.

قال: "افعلي ما طلبتُه فحسب يا بامبي"، فانقلبتْ ملامحها، كما أراد. يتجنب الصبية الآخرون السخرية من اسمها الحقيقي، خشية مواجهة غضبها الهائل.

عندما انتهت بام، أصبح ستاركي أشبه بفتى عادي من أبناء الجيران عندما يبتسم، أو أقرب إلى هتلر في مراهقته عندما يعبس. ظلتْ فروة رأسه تؤلمه بسبب محلول التبييض، لكنَّ هذا الإحساس لم يزعجه. قال لبام، بعد مغادرة الصبية الآخرين: "لستُ الوحيد الذي يحتاج إلى تغيير هُويَّته، كما تعلمين".

ضحكت، قائلة: "لا أحد سيلمس شعري".

شعرُ بام قصير بما يكفي لتسهيل العناية به. ملابسها ذكورية، لكنْ لأنها تكره التبذير فحسب. مرةً واحدةً فقط حاولت الارتباط عاطفيًّا بستاركي، لكنْ سرعان ما أخفق الأمر. لو أن فتاة أخرى مكانها، لانطوت على نفسها، وتصرفتْ بغرابة في وجوده، لكنَّ بام واجهت الأمر ببساطة، وواصلت حياتها بشكل عادي. حتى لو انجذب ستاركي إليها، فهو يعلم أن التصرف بناءً على ذلك يعتبر فكرة سيئة. إنه ليس أحمقَ بما يكفي للاعتقاد بأن عَلاقة عاطفية يمكن أن تستمر في مثل هذه الظروف والأجواء؛ إضافة إلى حقيقة أن بام التالية بعده في القيادة، وهذا النوع من العلاقات المعقدة سيُعَدُّ تهورًا.

أما الفتيات الأخريات، فحقيقة أن بإمكانه الحصول على أي فتاة يريدها هي مزية يوفرها له منصبه، ويعلم أن عليه استخدامها بحذر شديد. إنه يعطي التواصل البصري نفسه، والابتسامة الدائمة نفسها لكل فتاة مهتمة به. كل ذلك جزء من سيطرته الخفية؛ جعلهنَّ جميعًا يعتقدنَ أنهنَّ مُميَّزات، وأن كلًّا منهنَّ أكثر من مجرد وجه وسط الحشد. هذه اللمسات الصغيرة تحمل وزنًا كبيرًا. إن وهم الأمل، جنبًا إلى جنب مع الخوف الصحي منه، يجعلان كل المنقولين في صفه.

قال ستاركي: "لا أقصد تغيير هُويَّتك يا بام. أعني هُويَّتنا. هذا الرجل كشف من نحن. لكي نصبح آمنين، لا يمكننا أن نحمل اسم «معسكر ريد هيرون» بعد الآن".

- يمكننا أن نصبح مدرسة، وبهذا لن نتمكن من اجتياز بقية الصيف فحسب، بل ستواصل الفكرة فعَّاليتها بعد بدء العام الدراسي أيضًا.
- فكرة ممتازة. فلنجعلها مدرسة خاصة. ولنخترْ لها اسمًا يبدو حصريًّا. (فكر ستاركي مليًّا): سنطلق على أنفسنا اسم «أكاديمية إجريت».
- يعجبني الاسم!
- أخبري تلك الفتاة المسؤولة عن الأمور الفنية -لا أذكر اسمها- حتى تعمل على تصميم القميص مرة أخرى، لكنْ بحيث لا يحمل لونًا زاهيًا مثل قميص المعسكر. سيُركِّز قميص «أكاديمية إجريت» على اللونين البيج والأخضر الداكن.
- هل يمكنني تأليف تاريخ المدرسة؟

- كما تريدين.

يوجد خط رفيع بين الاختباء على مرأى من الجميع، والزهو بوضعهم كفرقة هاربة، وستاركي يعرف كيف يقف على حافة الوهم كلاعب سيرك ماهر يسير على الحبل.

- اجعلي الأمر يبدو قانونيًّا بما يكفي لخداع شرطيي الأحداث، إذا صادفنا أيًّا منهم.

- هيئة الأحداث ليست إلا مجموعة من البُلْه.

قال لها ستاركي: "لا، ليسوا كذلك، وهذا النوع من التفكير سوف يُوقعنا في الفخ. إنهم أذكياء، لذا علينا أن نصبح أكثر ذكاءً. وعندما نضرب، علينا أن نضرب بقوة".

منذ رحلتهم الجوية المشؤومة، لم يتحرر أي منقول. في أثناء إقامتهم في مقبرة الطائرات، أنقذ ستاركي العديد من الصبية المنقولين الذين كادوا يُفَكَّكون، لكنْ وقتها امتلك كونر قوائم الصبية الذين اقترب موعد تفكيكيهم. ومن دون القائمة، لا توجد طريقة لمعرفة من يحتاج إلى الإنقاذ. لكنْ لا بأس؛ إنقاذ الصبية وحرق منازلهم كتحذير أمر جيد ورائع، لكنَّ ستاركي يثق بقدرته على اتخاذ تدابير أكثر فعَّالية بكثير.

لديه منشور دعائي لمخيم الحصاد يحتفظ به في جيبه. يخرجه عندما يحتاج إلى تذكير. مثل جميع المنشورات الدعائية لمخيمات الحصاد، يحتوي على صور لمناظر ريفية جميلة ومراهقين، إن لم يكونوا سعداء، فهم على الأقل متصالحون مع مصيرهم.

يعلن المنشور أن الرحلة الحلوة والمرة يمكن أن تمس حياة الكثيرين.

سألته بام عندما ضبطته وهو يدرس ذلك المنشور في وقت لاحق من تلك الليلة: "أخيرًا استسلمت يا ستاركي؟ هل أنت مستعد للتفكيك؟".

تجاهل قولها، قائلًا: "يقع مخيم الحصاد هذا في ولاية «نيفادا»، شمال «رينو»". نيفادا تملك أضعف هيئة للأحداث في البلاد. ثم إنها تحتوي على أعلى نسبة من المنقولين الذين ينتظرون التفكيك. لكن إليكِ تلك الحقائق: يعاني مخيم الحصاد هذا نقصًا في الجراحين. إن عدد السكان آخذ في الانفجار، ولا يمكنهم التخلص منهم بالسرعة الكافية". ثم منحها ابتسامة ابن

الجيران. لقد احتفظ بهذا لنفسه مدةً كافيةً. حان الوقت للبدء في زرع بذور الهدف المجيد. وربما يبدأ أيضًا بباء.

قال لها ستاركي في فخر: ”لن نهدم منازل فردية ونحرر المنقولين واحدًا تلو الآخر. سنحرر مخيم الحصاد بأكمله“.

وأعان الله كل من يعترض طريقه.

***

16 - ريبسا

مقطع إخباري إنساني الاهتمام

تُركِّز منظمة «عين على الفن» اليوم على المنحوتات المستفزة لباولو ريبيرو، وهو فنان برازيلي يعمل في وسط راديكالي. وكما ترون من هذه الصور، فإن أعماله مذهلة ومثيرة للاهتمام ومزعجة في كثير من الأحيان. يُطلِق على نفسه اسم "فنان الحياة"، لأن كل منحوتاته مصنوعة من مفككين.

لقد التقينا ريبيرو في معرض أقيم مؤخرًا في نيويورك.

- ما أفعله ليس غريبًا. أوروبا مليئة بالكاتدرائيات المزيَّنة بالعظام البشرية، وفي أوائل القرن الحادي والعشرين، اشتهر فنانون مثل أندرو كراسنو وجونتر فون هاجنز بأعمالهم على الجسد البشري. ببساطة، لقد أخذتُ هذا التقليد في خطوة منطقية إلى الأمام. وآمل ألا أكون ملهمًا فحسب، بل مُحرِّضًا. أتمنى حمل رعاة الفن إلى حالة جمالية من الاضطراب. إن استخدامي للمفككين رسالة احتجاج على التفكيك.

في الصورة هنا ما يعتبره ريبيرو أفضل أعماله؛ قطعة مؤرقة ومثيرة للاهتمام على حد سواء، آلة موسيقية يسميها «أورجانو أورجانيكو»، وتوجد الآن في مجموعة مقتنيات خاصة.

- من العار أن يملك أعظم أعمالي مقتنون في مجموعاتهم الشخصية، لأن من المفترض أن يعلم عنها ويشاهدها العالم. لكنْ مثل كثير من المفككين، لن يحدث ذلك الآن أبدًا.

***

تحلم ريسا بالوجوه الحجرية. إنها شاحبة وهزيلة؛ تبدو مُنتقدة ومُفَرَّغة من الروح وهي تحدق إليها، ليس عن بعد هذه المرة، بل من مسافة قريبة جدًّا حتى إن بإمكانها لمس تلك الوجوه. ومع ذلك، لا يمكنها أن تفعل. تجلس أمام البيانو، لكنه لا يُصدِر أي موسيقى، لأن ريسا ليست لها ذراعان تعزف بهما. تنتظر الوجوه لحنًا لن يأتي أبدًا. والآن فقط أدركت أن الوجوه قريبة جدًّا من بعضها، بحيث يستحيل وجود أجساد متصلة بها. إنها حقًّا بلا أجساد. لقد اصطفَّت في صفوف، وهي كثيرة بحيث لا تستطيع عدها. شعرتْ بالرعب، لكنها لا تستطيع النظر بعيدًا.

تعجز ريسا عن التمييز بين الحلم واليقظة. تعتقد أنها ربما نامت بعينين مفتوحتين. يوجد تلفاز منخفض المستوى، في مرمى بصرها مباشرةً، يعرض الآن إعلانًا يُظهِر امرأة مبتسمة يبدو أنها مغرمة بمنظف مرحاضها.

ترقد ريسا على سرير مريح في مكان مريح. إنه مكان لم تزرْه من قبل، لكنَّ هذا جيد، لأنه أفضل من الأماكن التي وُجِدَتْ فيها مؤخرًا.

يوجد في الغرفة صبي نحيف من الآمبر، حوَّل نظره من التلفاز إليها. إنه صبي لم تقابله من قبل، لكنها تعرف وجهه من خلال إعلانات تلفزيونية أكثر جدية من ذلك المعروض الآن.

قال عندما رآها مستيقظة: "أنت إذن الصفقة الحقيقية. وأنا الذي اعتقدتُ أنكِ متصلة مجنونة ومزعجة". بدا أكبر سنًّا مما يبدو في الإعلانات. أو ربما أكثر إرهاقًا. ظنتْ أنه يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا تقريبًا، وليس أكبر منها.

قال الصبي: "ستعيشين. هذه هي الأخبار الجيدة. الأخبار السيئة هي أن معصمك الأيمن مصاب بعدوى من ذلك الفخ".

نظرت، فرأت معصمها الأيمن منتفخًا وأرجوانيًّا وخشيتْ أن تفقده. ربما يكون الألم هو سبب فِقدان ذراعيها في الحلم. فكرت على الفور في ذراع كونر، أو بالأحرى، ذراع رولاند المتصلة بجسد كونر.

قالت: "لو منحتني يد شخص آخر، سأوسعك ضربًا".

ضحك مشيرًا إلى صدغه الأيمن والندبات الجراحية الدقيقة به، قائلًا: "لقد ضُرِبتُ فعلًا، شكرًا جزيلًا لكِ".

نظرتْ ريسا إلى ذراعها الأخرى، فوجدتْ بها ضمادة أيضًا. لم تستطع تذكر السبب.

- علينا أيضًا أن نُخضعكِ للفحص، بحثًا عن داء الكلب بسبب تلك العضة. أكان كلبًا؟

صحيح. تذكرتِ الآن. قالت له: "بل ذئب القيوط".

- إنه ليس بالضبط أفضل صديق للإنسان.

زُيِّنَتْ غرفة النوم المحيطة بها في بهرجة. توجد مرآة في إطار مذهَّب، ومصابيح ذات سلاسل متلألئة، وأشياء لامعة. الكثير والكثير من الأشياء اللامعة.

سألته: "أين نحن؟ في لاس فيجاس؟".

قال مضيفها: "اقتربتِ من الإجابة الصحيحة. نبراسكا"، ثم ضحك مرة أخرى.

أغمضتْ ريسا عينيها لحظةً، محاولة أن تجمع في عقلها الأحداث التي قادتها إلى هنا. بعد أن أجرت المكالمة، جاء شخصان إلى المبنى الريفي للبحث عنها. وصلا بعد مغادرة الذئبين وقبل عودتهما. كانت شبه واعية، لذا فالتفاصيل ضبابية. تحدثا إليها، لكنها لا تستطيع أن تتذكر ما قالاه أو ردودها عليهما. أعطياها الماء، فتقيأت. ثم قدما لها حَساءً دافئًا من وعاء يحفظ الحرارة، فوضعته جانبًا. وضعاها في المقعد الخلفي لسيارة مريحة وانطلقا بها بعيدًا، تاركين ذئاب القيوط لتجد وجبتها التالية في مكان آخر. جلس أحدهما معها في المقعد الخلفي، وتركها تتكئ عليه. وتحدث بنبرة هادئة. لم تعرف من هما، لكنها صدقتهما عندما قالا إنها في أمان.

قال لها الصبي: "لدينا هنا رئتان داخل طبيب، لو أنكِ تفهمين ما أعنيه! هذا الطبيب فحصكِ، ويقول إن حالة يدكِ ليست سيئة كما تبدو، لكن قد

تفقدين إصبعًا أو اثنتين. ليست خسارة كبيرة، كل ما سيعنيه هذا هو تكلفة أقل للعناية بيديكِ وطلاء أظفارك فحسب".

ضحكتْ ريسا لقوله. لم تحصل على جلسات عناية باليدين قطُّ في حياتها، لكنها وجدت فكرة محاسبتها بالإصبع نوعًا من الكوميديا السوداء.

قال لها الصبي: "مما سمعتُه، لقد تسببتِ في إصابة فادحة لقرصان الأعضاء".

رفعتْ ريسا جسدها إلى أعلى بالاتكاء على مرفقيها: "لقد رافقتُه إلى الخارج فحسب؛ فافترسته الطبيعة".

مد يده ليصافحها، قائلًا: "نعم، الطبيعة شريرة.. أنا سايرس فينش، لكنني معروف باسم ساي-فاي".

قالت وهي تصافحه بيدها اليسرى في حرج: "أعرف من أنت".

فجأة بدا أن وجهه قد تغير قليلًا، وكذلك صوته أصبح أقسى وفقد كل سلاسته، وهو يقول: "إنكِ لا تعرفينني، لذا لا تتظاهري بالعكس".

ارتبكتْ ريسا وهلةً، وكادت تعتذر، لكنَّ ساي-فاي رفع يده لإيقافها قبل أن تفعل، وقال: "لا تلقي بالًا بما تقوله شفتاي أحيانًا؛ إنه تايلر الذي يتحدث. ثقة تايلر بالناس تتساوى مع قدرته على توجيه اللكمات إليهم، وهو عاجز عن لكم أي شخص، لأن ذراعه ليست هنا؛ أفهمتِ؟".

واجهتْ ريسا بعض الصعوبة في فهم الأمر، لكنْ عندما استعاد إيقاعُ حديثِه لهجةَ الآمبر القديمة المطمئنة لم يسعها إلا أن تبتسم، وسألته: "هل تتحدث دائمًا بهذه الطريقة؟".

قال ساي-فاي وهو يهز كتفيه: "عندما أكون أنا، ليس هو. اخترتُ التحدث بالطريقة التي أختارها. هذا يكشف عن احترامي لتراثي، في ذلك الماضي، عندما كنا «سودًا»، لا «آمبر»".

مصدر معرفتها الوحيد بسايرس فينش -بصرف النظر عن الإعلان المتلفز- جاء من خلال القليل الذي رأته من شهادته أمام الكونجرس، عندما تعلَّق الأمر بتحديد سن الفك بأقل من سبعة عشر عامًا، بدلًا من ثمانية عشر. ساعد سايرس في تمرير قانون «كاب - 17». شملت شهادته المروِّعة وصف تايلر ووكر لتفكيكه. وهذا يعني ذلك الجزء من تايلر الذي زُرِعَ في رأس سايرس.

قال لها ساي-فاي: "يجب أن أعترف بأن مكالمتك فاجأتني. الشخصيات المهمة في المقاومة ضد الانقسام لا تمنحنا وقتًا من يومها عادةً، لأننا نتعامل مع الناس بعد انتهاء عملية التفكيك، وليس قبلها".

قالت له ريسا: "المقاومة لم تعد تمنح أحدًا وقتًا من يومها. لم أتواصل معهم منذ أشهر. بصراحة، لا أعرف هل ما زالوا موجودين أم لا. لم يعودوا كسابق عهدهم".

- مم.. يؤسفني سماع ذلك.
- ما زلتُ آمل أن يُعيدوا تنظيم صفوفهم، لكنَّ كل ما أراه في الأخبار هو اعتقال المزيد والمزيد من رجال المقاومة بتهمة "عرقلة العدالة".

هز ساي-فاي رأسه في حزن، وقال: "في بعض الأحيان تحتاج العدالة إلى العرقلة عندما تفتقر إلى العدل".

- أين نحن في نبراسكا بالضبط يا سايرس؟

قال لها: "إننا في سكن خاص. أقرب إلى المجمع السكني في الواقع".

لم تعرف تمامًا ما يعنيه بذلك، لكنها تقبَّلته. شعرت بثقل جفنيها، وبأنها غير مستعدة للمزيد من الحديث في الوقت الحالي. شكرتْ ساي-فاي، وسألته هل يمكنها الحصول على طعام.

قال: "سأطلب من والديَّ أن يُحضِرا لكِ شيئًا. سيسعدان برؤيتك وقد استعدتِ شهيتكِ".

***

في ما يلي إعلان سياسي مدفوع الأجر

"مرحبًا، أنا فانيسا فالبون. ربما تعرفني من برامج التلفاز النهارية، لكن ما قد لا تعرفه هو أن أخي يقضي حكمًا بالسجن مدى الحياة لارتكابه جريمة عنيفة. لقد وضع نفسه على قائمة القصف الطوعي للجمجمة، وهو ما لن يحدث إلا إذا أُقرّت المبادرة رقم 11 في نوفمبر المقبل.

كَثُرَ الحديث عن القصف؛ تعريفه، وما لا يشمله، لذا اضطُرِرت إلى تثقيف نفسي، وهذا ما تعلمته. القصف غير

مؤلم، وسيصبح محل اختيار لأي مجرم عنيف. والقصف سيوفر تعويضًا لأسرة الضحية، وأسرة الجاني، بدفع القيمة السوقية الكاملة لهم مقابل كل جزء لم يُزَل في عملية القصف.

لا أريد أن أفقد أخي، لكني أتفهم اختياره. لذا فالسؤال هو، كيف نريد أن يدفع مرتكبو الجرائم العنيفة ديونهم للمجتمع؟ هل نهدر عليهم أموال دافعي الضرائب حتى يبلغوا سن الشيخوخة، أم نسمح لهم بالسداد بأجسادهم، من خلال توفير الأنسجة التي يحتاج إليها المجتمع بشدة والأموال التي تشتد الحاجة إليها لأولئك المتأثرين بجرائمهم؟

أحثكم على التصويت بنعم على المبادرة رقم 11 وتحويل الحكم بالسجن المؤبد إلى.. هبة للحياة.

- موّله الضحايا لتحسين الإنسانية.

***

نامت ريسا، ثم نامت وقتًا أطول. رغم أنها عادة تكره الخمول، قررت أنها أصبحت تميل إلى الكسل قليلًا. وجدتْ صعوبة في تصديق مرور ثلاثة أسابيع فقط منذ مداهمة المقبرة، والليلة التي كشفت فيها مساعي المواطنة الاستباقية المخادعة في برنامج إخباري بالتلفاز الوطني. بدا الأمر حقًّا كأنَّ عمرًا بأكمله قد مضى منذ ذلك الحين. تحولت حياتها من الوجود في دائرة الضوء الإعلامية، إلى حياة الاختباء من الأضواء الكاشفة.

المحركون الغامضون والمؤثرون في المواطنة الاستباقية هم من أسقطوا التهم الموجهة إليها، وسمحوا لها بالخروج من مخبأها في المقام الأول. لكنَّ المفاجأة الكبرى هي توجيه تهم جديدة إليها بعد الليلة التي جعلت فيها من نفسها عدوًّا لهم. توجد مزاعم بأنها سرقت مبالغ ضخمة من المال من المنظمة، وهي لم تفعل ذلك. توجد ادعاءات بأنها ساعدت على تسليح الهاربين من التفكيك في المقبرة، وهو ما لم تفعله. كل ما فعلتْه خلال مدة عملها في المقبرة هو تقديم الإسعافات الأولية وعلاج نزلات البرد. لكنَّ الحقيقة لا تهم أحدًا سواها.

والدا ساي-فاي -كلاهما سيينا شاحب أما ساي-فاي فأسمر- يحبانها بالقدر نفسه، ويحضران لها وجبات الطعام في السرير. إنهما من قطعا كل الطريق إلى «شايان» لإحضارها، لذا فقد اهتمَّا بصحتها. معاملة ريسا كزهرة رقيقة ساعدت على سرعة تعافيها. بدأت تتجول في الغرفة، وهي ما زالت تشعر بالدهشة في كل مرة ترفع فيها قدميها عن السرير وتمشي بمفردها. معصمها متصلب ومؤلم، لذا تعامله بحذر، حتى بعد أن توصَّل الطبيب المقيم إلى أن أصابعها بخير، وستُضطَرُّ إلى دفع ثمن العناية بيديها كاملًا مستقبلًا، ومن حسن الحظ، وجد أنها ليست مصابة بداء الكلب أيضًا.

تمنحها نافذتها إطلالة على حديقة، لا أكثر من ذلك بكثير، لذا فهي لا تعرف حقًّا حجم المكان وعدد الأشخاص الموجودين به. في بعض الأحيان يأتي أشخاص يعتنون بالحديقة. ودَّت الخروج لمقابلتهم، لكنَّ بابها مغلق.

سألت ريسا والد ساي-فاي الطويل اللطيف: "أأنا سجينة؟".

قال لها: "ليست كل الأقفال للحبس يا عزيزتي. بعضها يتعلق فقط بالتوقيت".

في عصر اليوم التالي، لا بدَّ أن الوقت كان مناسبًا، لأن ساي-فاي عرض اصطحابها في الجولة الكبرى.

حذَّرها ساي-فاي: "عليكِ أن تفهمي، ليس الجميع هنا متعاطفين معكِ. أعني، نعم، الناس يعرفون أن كل تلك الحملات الدعائية التي قدمتِها لمصلحة التفكيك زائفة. يعلم الجميع أنكِ تعرضتِ للابتزاز، لكن رغم ذلك، تلك المقابلة التي ذكرتِ فيها أن التفكيك أقل الشرور على الإطلاق".

ثم قطَّب حاجبيه عابسًا: "إنها وصمة عار على جبينكِ، لو تعرفين ما أقصده".

لم تستطع ريسا مواجهة نظراته، وأجابت: "أعرف".

- من الأفضل أن تُذكِّري الناس بأنك لم تطلبي الحصول على عمودكِ الفقري الجديد، وأنه شيء تندمين عليه. هذا إحساس يمكننا جميعًا أن نتأثر به.

كما قال ساي-فاي، المكان أكثر من مجرد منزل؛ إنه مجمع سكني كامل. تقع غرفة ريسا في المنزل الرئيسي، لكنَّ المنزل به أجنحة كبيرة أُضيفَت

مؤخرًا، ويوجد خلال الحديقة الكبيرة ستة منازل ريفية كبيرة لم تتمكن ريسا من رؤيتها من نافذتها.

قال لها ساي-فاي: "الأرض رخيصة في نبراسكا. لهذا جئنا إلى هنا. «أوماها» قريبة بما يكفي بالنسبة إلى من يرتبطون بأعمال هناك، وبعيدة بما يكفي بحيث يتركنا الغرباء وشأننا".

نظر إليها بعض الأشخاص الذين مرَّت بهم، ثم أشاحوا بوجوههم بعيدًا دون تحية. آخرون منحوها إيماءة رسمية. قليلون ابتسموا، رغم كونها ابتسامة مغتصبة. الجميع يعرفون من هي، لكنْ لا أحد يعرف كيف يتعامل معها، كما لا تعرف هي كيف تتعامل معهم.

في عصر هذا اليوم، توجَّه العديد من الأشخاص إلى الحديقة فيما تتجول ريسا مع ساي-فاي في أرجائها. عند الفحص الدقيق، فإن الحديقة ليست لمجرد الزينة، بل هناك خضراوات تنمو في صفوف. على اليسار، توجد حظائر بها دجاج وربما حيوانات أخرى لم تستطِع ريسا رؤيتها.

أجاب ساي-فاي عن سؤالها قبل أن تطرحه: "بيئتنا مستدامة بالكامل. لكننا لا نذبح لحومنا بأنفسنا، باستثناء الدجاج".

- هل لي أن أسأل، من تقصد بـ"نحن"؟

قال ساي-فاي ببساطة: "الشعب".

خمَّنت ريسا: "المحظوظون؟ لكنْ بالنظر حولك، لا يبدو أيًّا من الأشخاص هنا أمريكيًّا أصليًّا".

شرح لها ساي-فاي: "لا، بل شعب تايلر".

لم تفهم ريسا بالضبط ما يقصده. بدا أن العديد من الأشخاص الذين تراهم قد حصلوا على أجزاء من آخرين. وجنة هنا، وذراع هناك. لم تبدأ في استيعاب طبيعة هذا المكان، إلا بعد أن رأت عينًا زرقاء لامعة تتطابق تمامًا وعين شخص آخر.

شعرتْ ريسا ببعض الرعب وربما بعض الخوف أيضًا، وهي تسأله: "هل تعيش في مجتمع بعث؟". لقد سمعَتْ شائعات عن مثل هذه الأماكن، لكنها لم تعتقد قطُّ أنها حقيقية.

أجابها ساي-فاي مبتسمًا: "والداي هما أول من أطلق عليه اسم «مجتمع البعث» عندما بدأنا. يروق لي الاسم بشكل ما، ماذا عنكِ؟ يبدو نوعًا ما... روحانيًّا".

ثم أشار إلى المنازل الريفية والأرض من حوله، وأضاف موضحًا: "الأغلبية هنا حصلوا على جزء من تايلر ووكر. هذا هو مفهوم مؤسسة تايلر ووكر. تخصيص أماكن كهذه لمن يشعرون بالحاجة إلى لمِّ شمل أجزاء الشخص المفكَّك التي يتشاركونها".

- هذا تفكير ملتوٍ يا سايرس.

لم يبدُ ساي-فاي منزعجًا من حكمها، وقال: "أقل التواءً بكثير من بعض الأشياء الأخرى. إنها طريقة للتأقلم يا ريسا، التأقلم مع شيء لم يكنْ له أن يحدث في المقام الأول". ثم اضطرب فكه، وزاغت نظراته، فعرفت أن تايلر هو من سيتحدث الآن.

- إذا دخلتِ غرفة توجد بها ذراعان وساقان وأفكار تنتمي إلى عمودك الفقري، فستختلف نظرتك تمامًا إلى هذا المكان.

انتظرتْ ريسا لحظةً إلى أن يتوارى تايلر خلف ساي-فاي مرة أخرى، لأن التحدث إلى ساي-فاي ممتع أكثر.

قال ساي-فاي، دون أن يفوته شيء: "على أي حال، هذا المكان هو الأول، لكننا الآن أنشأنا أكثر من ثلاثين مجتمعَ بعث في جميع أنحاء البلاد، وهناك المزيد في الطريق"، ثم عقد ذراعيه أمام صدره، مبتسمًا في فخر، وأضاف: "منتهى الروعة، أليس كذلك؟".

أمام أحد المنازل، لمحت ريسا الطبيب الذي عالج معصمها. أصبح وصف ساي-فاي له بـ"رئتين" أكثر منطقية الآن. أخذ الرجل يتبادل رمي الكرة مع صبي صغير، من الواضح أنه ابنه.

سألت ريسا: "إذن، فقد ترك الناس كل شيء وجاءوا إلى هنا مع أُسَرهم؟".

- أحضر البعض أُسَرهم معهم، وآخرون تركوا أُسَرهم وجاءوا بمفردهم.

- كل ذلك للانضمام إلى حركة تقديس تايلر ووكر؟

صمت ساي-فاي لحظة قبل الإجابة. ربما احتاج هذه اللحظة إلى منع تايلر من الصراخ بشيء قد يندم عليه كلاهما: "ربما يكون تقديسًا، وربما لا، لكنْ لو أنه يلبي حاجة ولا يؤذي أحدًا، فمن أنتِ لتصدري حكمًا؟".

أمسكت ريسا لسانها، وأدركتْ أنه كلما تحدثت أكثر، سيزيد إحساس مضيفها بالإهانة.

سُرَّ ساي-فاي بتغيير الموضوع، فقال: "أخبريني إذن، كيف حال صوص؟".

- مَن؟

أدار عينيه، كأنَّ ما قاله ينبغي أن تفهمه بوضوح: "صديقنا المشترك. كيف حاله؟ أتتواصلين معه؟".

ظلَّت ريسا في حيرة، فنظر إليها ساي-فاي بعدم تصديقٍ، وقال: "الفريد من نوعه، ليفي جيداديا صوص الصغير كالدر. ألم يخبركِ قطُّ أنه يعرفني؟".

وجدتْ ريسا نفسها تتلعثم، وهي تسأله: "هل تعرف ليف؟".

- هل أعرف ليف؟ هل أعرف ليف؟ لقد سافرتُ معه أسابيعَ، وأخبرني بكل شيء عنكِ وعن اختطاف كونر له وما إلى ذلك. كما أخبرني كيف أنقذتِه من تنفيذ نذر العُشر. (اكتسب صوته بعض الحزن): لقد توليتُ رعايته إلى أن اضطُرَّ إلى رعايتي. لقد اعتنى بي جيدًا يا ريسا. لم أكن لأصبح هنا اليوم، لولاه. لربما صدمتني الحياة كالقطار، لو لم يتصدَّ هو لها ويوقفها.

توقف ساي-فاي عن السير، ونظر إلى أسفل، مضيفًا: "عندما رأيتُه يتحول إلى مُصفِّق، أصابتني صدمة مرعبة. ليس صوص، ليس ذلك الصبي الطيب".

- لم يفجِّر نفسه.

ثبَّت نظراته على عينيها. لم تعرف أهو ساي-فاي أم تايلر. ربما كلاهما. قال: "لم يفعل طبعًا! أتظنين أنني لا أعرف ذلك؟".

صمت ساي-فاي لحظة ليتمالك نفسه: "أتعرفين أين هو الآن؟".

هزَّت ريسا رأسها: "وقع هجوم على منزله. آخر ما سمعته هو أنه اختبأ".

زمَّ ساي-فاي شفتيه، قائلًا: "يا له من مسكين صوص الصغير! آمل أنه في موقف أفضل من بقيتنا".

تعرف ريسا أن تحوُّل ليف إلى مصفق أمر مرعب للغاية، لكنْ لولا تفجير أصدقائه المصفقين لمخيم حصاد هابي جاك، لفُكِّكت هي منذ زمن طويل. قالت لساي-فاي: "إنه عالم صغير، أليس كذلك؟ ما زال ليف حيًّا بسببنا، لكنَّ كلينا هنا بسببه أيضًا".

قال ساي-فاي: "كما ترين، إننا جميعًا مترابطون. ليس نحن فقط شعب تايلر".

في أثناء مرورهم بآخر المنازل، أطلَّت امرأة في منتصف العمر -لا تبدو عليها أي علامات جراحية خارجية- من شرفة منزلها، وابتسمتْ بحرارة لريسا التي بادلتها الابتسامة، وبدأت أخيرًا تشعر بالارتياح لفكرة هذا المكان. لمس ساي-فاي صدره، حتى تفهم ريسا أن المرأة تملك قلب تايلر.

عادا نحو المنزل الرئيسي، وبدأ معصم ريسا يؤلمها، مذكرًا إياها بأن عليها الترفُّق بنفسها مدةً من الوقت. عَدْوُها السريع للهرب من تلك القوى يجب أن يصبح أبطأ وتكتفي بالسير فحسب مدةً، حتى لا تُضطَرَّ إلى الاختباء في أماكن أسوأ من هذا.

***

في ما يلي إعلان سياسي مدفوع الأجر

"أنا الممثل كيفن بيسينجر؛ أطلب منكم التصويت بـ "لا" على المبادرة رقم 11. المبادرة رقم 11 -قانون "رطل من اللحم"- ليست كما تبدو. تقول إنها ستسمح بالقصف الطوعي للسجناء، أو بعبارة أخرى، إزالة أدمغتهم والتخلص منها، ثم تفكيك بقية أجسادهم. قد تبدو فكرة معقولة، إلى أن تقرأ ما تقوله المبادرة فعليًّا.

تنص المبادرة رقم 11 على أن القصف سيكون طوعيًّا، لكنها تسمح أيضًا لمديري السجون بتجاوز ذلك وتُفوِّضهم في قصف أي سجين يختارونه. إضافة إلى ذلك، فإنها ستجعل العامة يتقبلون ممارسات السوق السوداء غير الأخلاقية المتمثلة في بيع الأجزاء المفكَّكة في المزاد. أتريدون حقًّا أن نتخذ مشرعينا من السوق السوداء؟

صوِّتوا بـ "لا" على المبادرة رقم 11. قانون رطل من اللحم ليس حلًّا يمكننا التعايش معه.

- موَّله التحالف من أجل ممارسات تفكيك أخلاقية.

***

العشاء المقدَّم إلى ريسا في تلك الليلة لم يكن ما تُقدِّمه خدمة الغرف، بل وليمة في غرفة الطعام الكبيرة بالمنزل الرئيسي. اتسعتِ المنضدة الطويلة لأربع وعشرين شخصًا، وجلست ريسا في المنتصف، بعد أن رفضتِ الجلوس على رأس المائدة. لم يحضر والدا ساي-فاي اللذين علمتْ ريسا أنهما تخليا عن القانون المربح وممارسة طب الأسنان، لإدارة مؤسسة تايلر ووكر.

أوضح ساي-فاي: "نتناول عشاءً خاصًّا مرتين أسبوعيًّا. شعب تايلر فقط، بلا أزواج أو أسرة. إنه وقت مخصص لنا وحدنا، والليلة ستكونين واحدة منا".

لم تستطعْ ريسا تحديد شعورها حيال ذلك.

تولَّى الطبيب تقديم ريسا، سارقًا الأضواء من ساي-فاي. قدَّم ريسا بأفضل صياغة ممكنة. عضوة مخلصة في المقاومة ضد الانقسام، أجبرها العدو على الشهادة ضد ضميرها. أوضح الطبيب: "لقد اعتقدتْ أنها بتنفيذ أوامرهم، تنقذ مئات الصِّبية من التفكيك، لكنها في النهاية تعرضتْ للخيانة، وهؤلاء الصبية الآن في معسكرات الحصاد ينتظرون «التقسيم المؤقت». إن ريسا ضحية النظام -مثلنا جميعًا- وأنا شخصيًّا أرحب بها بذراعين مفتوحتين".

صفَّق المجتمعون، رغم بقاء بعض التردد. افترضتْ ريسا أن هذا هو أفضل ما ستحصل عليه.

الوجبة تكونت من لحم الصدر البقري المطهو ببطء، مع خضراوات لذيذة مزروعة منزليًّا. بدا كعشاء يوم الأحد وسط أسرة كبيرة. أكل الجميع مع تبادل الحد الأدنى من الحديث، إلى أن قال ساي-فاي: "حسنًا، ربما عليكم جميعًا تقديم أنفسكم".

سأل أحدهم: "الأسماء أم الأجزاء التي نحملها؟".

أجابه آخر: "الأجزاء. وقد نخبرها أيضًا عن تايلر".

بدأ ساي-فاي: "الفص الصدغي الأيمن"، ثم نظر إلى يساره.

رفع الرجل المجاور له يده ولوَّح بها، قائلًا على مضض: "الذراع اليسرى".

ثم قالت المرأة الجالسة بجواره: "الساق اليسرى تحت الركبة". ومضى الجالسون حول المائدة يقولون واحدًا تلو الآخر:

- العين اليمنى.

- العين اليسرى.

- الكبد والبنكرياس.

- جزء كبير من الفص القذالي.

أعلن جميع الجالسين حول المائدة الأجزاءَ التي يحملونها، حتى جاء دور ريسا، فقالت في حرج: "العمود الفقري. لكنني لا أعرف مَن صاحبه".

عرضتِ المرأة التي تلقت قلب تايلر: "يمكننا اكتشاف ذلك من أجلك".

قالت لها ريسا: "لا، لا بأس. أُفضِّل ألا أعرف. على الأقل ليس الآن، على أي حال".

أومأت برأسها متفهمة، وقالت: "إنه خيار شخصي، لن يضغط عليكِ أحد".

نظرتْ ريسا في أرجاء المائدة. ما زالوا جميعًا يأكلون، لكنَّ الاهتمام الآن يتركز عليها.

- أفهم من هذا.. أن كل قطعة من تايلر ووكر موجودة على هذه المائدة؟

تنهَّد ساي-فاي، وأجاب: "لا. ليس لدينا طِحال أو كُلية يسرى أو قناة معوية أو غدة درقية أو أي جزء من ذراعه اليمنى. وهناك أيضًا مجموعة من أجزاء الدماغ الصغيرة التي لم تحملْ ما يكفي منه لتدرك هُويَّتها، لكنَّ خمسة وسبعين بالمئة منه تقريبًا موجودة هنا حول المائدة".

قال الرجل حامل الجهاز السمعي الأيسر: "ولتغربْ عن وجوهنا الخمسة وعشرون بالمئة الأخرى"، فضحك الجميع.

علمتْ ريسا أيضًا أن الديكور المبهرج في كل غرفة يخص تايلر الذي حمل انجذابًا ساحقًا للأشياء اللامعة. وتسببت سرقته إياها جزئيًّا في تفكيكه.

سارع شعب تايلر إلى إخبارها: "لكنَّ كلَّ شيء هنا نشتريه وندفع ثمنه".

- هل تدفع لكم مؤسسة تايلر ووكر المال مقابل البقاء هنا؟

قال الطبيب: "ما يحدث أقرب إلى العكس. بالتأكيد، عندما سمعنا الفكرة أولَ مرة، تشككنا جميعًا. (بدا بعض النشوة في عينيه): "لكنْ عندما تجد نفسك هنا -في حضرة تايلر- تدرك أنك لا تريد الوجود في أي مكان آخر".

وقال شخص آخر: "لقد بعتُ منزلي، وأعطيتُ المؤسسةَ كلَّ شيءٍ. لم يطلبوا ذلك. أردتُ فقط أن أعطيهم إياه".

أخبرها ساي-فاي: "إنه هنا معنا يا ريسا. لستِ مُضطَرَّة إلى تصديق ذلك، لكننا جميعًا نصدق. إنها مسألة إيمان".

وجدتْ ريسا كل هذا شديد الغرابة، وغير مألوف للغاية بحيث لا يمكنها هضمه. فكرت في العديد من "مجتمعات البعث" الأخرى التي ظهرت بفضل مؤسسة تايلر ووكر. إن وجودهم هو نتيجة أخرى غير متوقعة للتفكيك، وهو حل معقد لمشكلة أكثر تعقيدًا. إنها لا ترى أن ساي-فاي أو أيًّا من هؤلاء الناس قد ارتكب خطأً، بل تُلقي اللوم على العالم الذي جعل وجود هذا المكان ضروريًّا. منحها هذا دافعًا -أكثر من أي وقت مضى- للقضاء على التفكيك إلى الأبد. إنها تعرف أنها فتاة واحدة فقط، لكنها تعرف أيضًا أنها أيقونة أكبر من الحياة الآن. الناس يحبونها، ويخافونها، ويحتقرونها، ويُقدِّسونها. كل هذه العناصر يمكن أن تجعل منها قوة لا يستهان بها، إذا لعبتْ أوراقها بشكل صحيح.

في تلك الليلة، قبل أن يخلد الجميع إلى النوم، أُقيمت طقوس سمح لها ساي-فاي بمشاهدتها.

"لقد لعبنا بمجموعة من الأفكار -السخيفة في الغالب- مثل الاستلقاء معًا على الأرض على شكل جسد، في أوضاعنا المتسقة. أو التجمع معًا في غرفة صغيرة، متكدسين جميعًا كالسمك المملح في علبة سردين ضيقة، لتقليل المسافة بيننا. لكنَّ كل هذا الهراء بدا غريبًا. وفي النهاية استقرَّ رأينا على هذه الدائرة. الأبسط هو الأفضل".

تُرسَم حدود الدائرة في وسط الحديقة بالحجارة، كل حجر منها محفور عليه اسم جزء، حتى الأجزاء غير الموجودة لها مكان. يجلس كل شخص أمام الحجر الخاص به، ويبدأ أحدهم -دون ترتيب- الحديث. يبدو أنه لا توجد قواعد أكثر من ذلك. حرية الحديث مكفولة للجميع، لكن يبدو أنهم لا يقاطعون حديث بعضهم أبدًا. لاحظت ريسا أن الذين حصلوا على عقل تايلر هم من يبدو أنهم يقودون معظم المحادثة، لكنَّ الجميع يشاركون.

قال أحدهم: "أنا غاضب".

أجابه آخر: "أنت غاضب دائمًا. تخلص من غضبك".

- ما كان لي أن أسرق كل هذه الأشياء.
- لكنك فعلت، لذا تجاوز الأمر.
- أفتقد أمي وأبي.
- لقد فكَّكاك.

- لا! يمكنني إيقافهما. لم يفتِ الأوان بعد.

اقرأ شفتيَّ: "لقد.. فكَّكاك!".

- أشعر بالغثيان.

- أنا لستُ مدهوشًا من سرعة التهامك هذا اللحم.

- مذاقه أشبه بما أعدَّته الجدة.

- هذا صحيح. لقد أقنعتُ أمي أن تعطينا الوصفة.

- هل تحدثتَ إليها؟

- في الواقع، تحدثتُ إلى محاميها.

- فهمتُ.

- أتذكر ابتسامة أمي.

- أتذكر صوتها.

- هل تذكر كم كانت باردة في النهاية؟

- أعتذر، هذا ليس جزءًا من ذاكرتي.

- يوجد الكثير من الأشياء التي أريد فعلها، لكني لا أستطيع أن أتذكر ما هي.

- أتذكر شيئًا واحدًا على الأقل. القفز بالمظلة.

- نعم، كأنَّ هذا يمكن أن يحدث!

قال ساي-فاي: "ربما يحدث ذلك. (ثم سأل): من منكم مستعد للقفز بالمظلة من أجل تايلر؟".

ارتفع نصف الأيدي تقريبًا على الفور، ثم رفعت مجموعة أخرى أيديها في تردد طفيف. لا يوجد سوى اعتراضين.

قال ساي-فاي: "رائع. اتفقنا إذن. سأطلب من والديَّ عمل الترتيبات. تايلر سيقفز بالمظلة!".

شعرتْ ريسا بغربة مطلقة بينهم، ولم يسعها إلا أن تشعر أن هؤلاء الأشخاص يخدعون أنفسهم... لكنها أيضًا لم تستطعْ أن تمنع نفسها من التساؤل هل تايلر موجود هنا فعلًا، لكنْ بطريقة لا يمكن قياسها. أهذا وهم أم لا؟ لن تعرف أبدًا. وكما قال ساي-فاي، إنها مسألة إيمان. هناك شيء واحد

مؤكد، رغم ذلك. لو أن تايلر "حاضر" حقًّا، فهذا يعني أن طريقه إلى النضج ما زال طويلًا. تساءلت ريسا هل يمكن للشخص المنقسم أن ينضج، أم يظل عالقًا في العمر الذي فُكِّكَ فيه.

عندما انتهت المحادثة الدائرية، أعاد ساي-فاي ريسا إلى غرفتها، ولم تستطعْ ريسا منع نفسها من إبداء رأي واحد على الأقل.

قالت: "لعبتكم جيدة وحسنة يا سايرس، لكن عندما وقفتَ أمام الكونجرس وناضلتَ من أجل قانون «كاب - 17»، فعلتَ شيئًا مهمًّا حقًّا".

- نعم، وانظري إلى ما فعلته جيدًا. لقد نجحنا في «كاب-17»، والآن توجد المزيد من حملات القمع تشنها شرطة الأحداث، والإعلانات التي تقنع الناس بمدى أهمية التفكيك. إنهم يستخدمون كل نوايانا الطيبة ضدنا، ولا بدَّ أنكِ تعلمين ذلك أكثر من أي شخص آخر. إنني حاد الذكاء، لكنْ مهما بلغ ذكائي، لا يمكنني بأي حال أن أتغلب على أفعالهم.

- هذا لا يعني أن تتخلى عن المحاولة. ماذا تفعل الآن؟ لا شيء سوى الانغماس في النزوات الطفولية لصبي مفكَّك مضطرب نفسيًّا.

حذَّرها ساي-فاي قائلًا: "انتبهي لما تقولين يا ريسا. لقد تخلى الناس عن الكثير لتدليل هذا الطفل المضطرب".

- حسنًا. إذن، ربما يحتاج تايلر إلى شخص يطلب منه أن يتصرف كرجل ناضج.

- وأفترضُ أن هذا الشخص هو أنتِ؟

- لا أرى شخصًا سواي. إنكم جميعًا تركزون اهتمامكم على شخصية تايلر وما أراده قبل تفكيكه. لماذا لا تبدأ بالتفكير في ما كان ليرغب في فعله بعد ثلاث سنوات؟

لمرة واحدة، لم يجد ساي-فاي إجابة حكيمة، لكنَّ تايلر فعل، وقال مستخدمًا فم ساي-فاي: "أنتِ كريهة، لكنْ نعم، سأفكر في الأمر".

***

في ما يلي إعلان سياسي مدفوع الأجر

"اسمي كابتن لانس ريتانو، وأنا رجل إطفاء حاصل على أوسمة. دعني أخبرك لماذا أُصوِّت بنعم على المبادرة رقم

11. من خلال القصف الطوعي وتفكيك مرتكبي الجرائم العنيفة، توفر المبادرة 11 أنسجة وأعضاء مهمة، وتحتوي المبادرة على بند يسمح لضحايا الحروق بالحصول عليها مجانًا. عندما تقضي كل هذه المدة التي قضيتُها في مجال إطفاء الحرائق، ستعرف مدى أهمية ذلك.

يدعي معارضو المبادرة رقم 11 بعض "الأخلاقيات العالية"، لكنْ هل تريدون معرفة الحقيقة؟ هم الذين يملكون أجندة غير أخلاقية. إنهم -وهيئة الأحداث- يريدون إخفاق المبادرة 11، لأنهم يريدون إلغاء قانون «كاب - 17» بدلًا من ذلك. ليس هذا فحسب، بل إن هؤلاء المليارديرات الذين يخدمون مصالحهم الشخصية يناضلون من أجل تعديل دستوري من شأنه رفع السن القانونية للتفكيك إلى 19 عامًا، وهذا ما يسمح بتفكيك المزيد من المراهقين؛ وهذا من شأنه أن يزيد أرباحهم ويحكم سيطرتهم على صناعة الأعضاء.

لا أعرف موقفك، لكني أفضل أن أرى قاتلًا مفككًا، بدلًا من تفكيك ابن الجيران. صوِّت بنعم على المبادرة رقم 11!".

- برعاية وطنيون من أجل القصف العقلاني.

***

رغم أن ريسا قررت البقاء لأسبوع ثانٍ، فإن نفورها ورغبتها في عمل شيء ما تغلبا عليها. في يومها الثامن، قررتِ المغادرة.

سأل ساي-فاي وهو يرافقها إلى الطريق الرئيسي: "إلى أين ستذهبين؟ ما دامت مقاومة الانقسام في فوضى شاملة كما تقولين، فهل لديكِ مكان تذهبين إليه؟".

اعترفتْ: "لا، لكني سأخاطر. لا بدَّ من وجود شخص ما متبقٍّ في مقاومة الانقسام. لو لم أجد أحدًا، سأؤسِّس مقاومة الانقسام الخاصة بي".

- يبدو حديثكِ مريبًا جدًّا بالنسبة إليَّ.

- حياتي كلها مريبة، لماذا يجب أن يختلف هذا؟

قال ساي-فاي: "حسنًا. اعتني بنفسك إذن يا ريسا، وإذا صادفتِ ليف، أخبريه أن يزورني. سأطهو له وأعد «المائدة المدهوسة»[1] بالطريقة القديمة (ابتسم) سيعرف ماذا يعني ذلك".

***

(1) راجع «مفكك»، الكتاب الأول من دستوبيا التفكيك.

17 - آرجان

تمزقتْ وجنة آرجان سكينر اليسرى. لا تستعصي على العلاج، لكنَّ علاجها يستعصي على أي ميزانية يمكنه تحملها. ثلاثة شقوق خشنة، خِيطت معًا ككرة البيسبول، وانتشرت من تحت عينه إلى أسفل أذنه. بوصة أخرى وكانت ستقطع شريانه السباتي. وربما يتمنى لو أن ذلك قد حدث. ربما يتمنى لو أن بطله قد قتله، لأن بذلك -وبطريقة ملتوية- سيظل آرجان وكونر لاسيتر مرتبطين إلى الأبد. عندها لم يكن ليُضطَرَّ إلى مواجهة تداعيات ما كان ينبغي أن يصبح أعظم حدث في وجوده الهزيل.

إن فكرة هروب جرايس مع كونر لا يمكن لعقله استيعابها. الاثنان ينطلقان هاربين مثل بوني وكلايد السخيفين؛ إما أن يثير هذا ضحك آرجان، وإما يغضبه غضبًا قاتلًا. لقد سيطر على إوُول آكرون في قبو منزله اللعين! للحظة واحدة فقط، ركع العالم عند قدميه، أو على الأقل على بعد مسافة قصيرة منه. ماذا لديه الآن؟

عندما حضر إلى مناوبته في صباح اليوم التالي بضمادة تغطي نصف وجهه، تظاهر جميع العملاء وزملاء العمل بالاهتمام.

سألوا جميعًا: "يا إلهي، ماذا حدث؟".

قال لهم: "وقع حادث في أثناء عنايتي بالحديقة"، لأنه لم يتوصَّل إلى أي شيء أفضل في ذلك الوقت.

- واو، لا بدَّ أنك اصطدمت بسياج شائك.

في البيت أخذ يطبخ، ويلعن، ثم يطبخ أكثر، فماذا يستطيع أن يفعل أيضًا؟ يعرف آرجان أنه لا يستطيع إبلاغ الشرطة بحقيقة ما حدث. لا يستطيع أن يخبر أحدًا، لأن أفواه أصدقائه الأغبياء أكبر من فيه. لقد أطلقتْ هيئة الأحداث

ومكتب التحقيقات الفيدرالي سراحه، باعتباره أحمقَ غبيًّا لفَّق كذبة، وكاد يثبتها. لقد هزأوا به.

حتى أخته نصف الذكية جعلته مثيرًا للسخرية، وكل ذلك بسبب كونر لاسيتر.

هل يمكنك أن تحتقر بطلك الشخصي؟

هل يمكنك أن تشتاق إلى مشاركته نوره، وفي الوقت نفسه تريد أن تذبحه كما كاد يفعل معك؟

عزاء آرجان الوحيد هو أن جرايس لم تعد مشكلته. ليس عليه أن يطعمها؛ ليس عليه أن يُوبِّخها ويفكر فيها. لا داعي إلى القلق بشأن تركها الماء مفتوحًا، أو الغاز مفتوحًا، أو الباب الخلفي مفتوحًا أمام حيوانات الراكون. يمكنه أن يحظى بحياته الخاصة. لكنْ ما تلك الحياة حقًّا؟

أدرك آرجان -وهو يمسح باركود الذرة المعلبة ويسجل كوبونات الخصم دون تفكير- أن هذه الأفكار سوف تملأ رأسه عدةَ أشهر قادمة. سيقول فمه للعميل: "هل وجدتَ كل شيء على ما يرام؟ استمتع بطعامكَ!" لكنَّ قلبه سوف يتمنى أن يجد العملاء الديدان في اللحوم، والمرض في المنتجات الزراعية، والانتفاخ والعفن في السلع المعلبة. أي شيء من شأنه أن يلحق بهم جزءًا صغيرًا من البؤس الموجود بداخله الآن.

***

بعد أسبوع من هروب كونر، ظهر زائر عند باب آرجان، قبل أن يذهب إلى مناوبته الصباحية.

قال الرجل بصوت خشن بعض الشيء وابتسامة واسعة مثيرة للريبة: "مرحبًا.. هل أنت آرجان سكينر؟".

- هذا يعتمد على من يسأل.

اعتقد آرجان أن هذا الرجل قد يكون أحد رجال المباحث الفيدرالية؛ جاء لإنهاء الأمور. تساءل أسيقبض عليه في النهاية. تساءل هل يهتم!

- أيمكنني الدخول؟

تقدم الرجل إلى الأمام قليلًا، وهنا استطاع آرجان رؤية شيء أخفاه ضوء الصباح المائل. رأى خطأً ما في النصف الأيمن من وجه الرجل. وجده متقشرًا ومصابًا بالعدوى.

سأله آرجان بكل وضوح: "ماذا أصاب وجهك؟".

أجابه: "يمكنني أن أسألك السؤال نفسه".

تطوَّع آرجان بالإجابة: "وقع حادث في أثناء عنايتي بالحديقة".

رد الرجل بدوره: "حروق الشمس"، رغم أن الأمر بدا في نظر آرجان أشبه بحروق إشعاعية. على الإنسان الاستلقاء تحت سماء لا ترحم ساعاتٍ حتى يصاب بحروق بهذا القدر من السوء.

قال آرجان دون أن يحاول حتى إخفاء اشمئزازه: "يجب أن تعالج ذلك".

تقدَّم الرجل مرة أخرى، قائلًا: "سأفعل عندما يسمح الوقت بذلك.. أيمكنني الدخول؟ يوجد أمر أريد مناقشته معك. شيء يحمل اهتمامًا مشتركًا ومنفعة متبادلة".

آرجان ليس غبيًّا لدرجة السماح لغريب بدخول منزله عند بزوغ الفجر، خاصةً من يبدو في مظهره خطأ ما مثل هذا الرجل. لذا سدَّ مدخل المنزل، ووقف في وضعية تسمح له بمقاومة أي محاولة قد يبادر بها الرجل لاقتحام المكان.

قال له آرجان: "حدِّد ما تريد الآن، ومن مكانك".

ابتسم الرجل مرة أخرى، لكنَّ ابتسامته بدتْ كسباب صامت؛ كالابتسامة التي يمنحها آرجان العملاءَ الواقفين في خط العشر سلع أو أقل، وهم يحملون أكثر من ذلك وينتهكون القاعدة. الابتسامة التي يمنحهم إياها فيما يمسح القليل من المخاط في تفاحاتهم. قال الرجل: "حسنًا.. لقد رأيتُ مصادفة تلك الصورة التي نشرتَها لك ولكونر لاسيتر".

تنهَّد آرجان، قائلًا: "حسنًا، إنها مزيفة. لقد أخبرتُ الشرطة فعلًا".

تراجع "آرجان" ليغلق الباب، لكنَّ الرجل تحرك إلى الأمام، واضعًا قدمه في المكان الصحيح تمامًا لمنع الباب من الحركة.

- ربما راقتْ قصتك للسلطات، لأنهم يعتقدون حقًّا أن لاسيتر قد مات، لكنني أعرف أن هذا غير صحيح.

لم يعرف آرجان ماذا يفعل. نصفه أراد الهرب، لكنَّ النصف الآخر أراد معرفة ماذا يقصد هذا الرجل.

قال: "ماذا؟".

- أنا مثلكَ تمامًا، أمسكتُ به، لكنه تمكن من الهرب. ومثلك تمامًا، أريده أن يدفع ثمن فعلته.

- أهذا صحيح؟

هنا، بدأ آرجان يحصل على بصيص من الأمل. ربما لن تتمحور حياته في هذه المدينة حول تسجيل مبيعات البقالة.

- والآن، هل يمكنني الدخول؟

تراجع آرجان وسمح له بالدخول. أغلق الرجل الباب بلطف ونظر حوله، وبدا واضحًا عدم تأثره بمظهر المنزل من الداخل.

سأل آرجان: "أهو أيضًا من أصاب وجهك؟".

حدق إليه الرجل، ثم خفَّت حدة نظراته، وقال: "ليس مباشرة. إنه خطأ شريكه. لقد تركني فاقدًا الوعي على جانب الطريق، وعندما جاء الصباح، أحرقتني شمس أريزونا. ليس لطيفًا أن تستيقظ لتجد شيئًا كهذا".

قال آرجان: "حروق الشمس. إذن، فقد قلتَ الحقيقة".

أجابه نيلسون: "أنا رجل صادق. لقد ظُلِمْتُ مثلكَ تمامًا. ومثلكَ تمامًا، أريد تصفية الحساب. لهذا، ستساعدني في العثور على كونر وصديقه الصغير".

أضاف آرجان: "وأختي. لقد فرَّت مع كونر".

لقد خطرتْ فكرة ملاحقة كونر وجرايس في ذهن آرجان، لكنْ ليس بجدية. إنه ليس شيئًا تفعله بمفردك. لكنه الآن ليس وحيدًا. وهنا، أدرك آرجان كُنه هذا الرجل.

- هل أنت من قراصنة الأعضاء؟

منحه تلك الابتسامة مرة أخرى، قائلًا وهو يرفع قبعة خيالية: "أنا أفضلهم. اسمي جاسبر ت. نيلسون، في خدمتك".

يعرف آرجان أن قراصنة الأعضاء يشبهون رعاةَ البقرِ القدامى. صائدي الجوائز الخارجين عن القانون الذين يلعبون وَفْقَ قواعدهم الخاصة، يجلبون الهاربين من التفكيك ويحصدون المكافآت الرسمية -أو الأفضل من ذلك-

يبيعون أولئك الهاربين من التفكيك مقابل المزيد من المال في السوق السوداء. تخيَّل آرجان نفسه يعيش حياة خطِرة بهذه الطريقة. ترك الفكرة تختمر في ذهنه، وتخيل وقع اللقب، كمنْ يقيس سروالًا جديدًا من الجينز: آرجان سكينر، قرصان أعضاء.

قال له نيلسون: "الحقيقة أنك في ورطة كبيرة يا بُني. أنت لا تعرف ذلك بعد. قد تعتقد أن السلطات قد انتهت من التحقيق معك، لكنْ غدًا، أو في اليوم التالي، أو الذي يليه، سيُجري باحث في أحد المختبرات تحليلًا جنائيًّا روتينيًّا لتلك الصورة التي التقطتها، ليكتشف في النهاية أنها ليست مزيفة".

حاول آرجان أن يزدرد لعابه، لكنه وجد حلقه جافًّا للغاية، وقال: "ماذا؟".

- ثم سيُلقَى القبض عليك، واستجوابك، ثم إخضاعك لمزيد من الاستجواب. ستُتهم بعرقلة سير العدالة، وإيواء مجرم معروف، وربما حتى التآمر لارتكاب أعمال إرهابية. سينتهي بك الأمر في السجن فترة طويلة. بل قد تُفكَّك إذا أُقِرَّ أحد هذه القوانين الجديدة التي تسمح بتفكيك المجرمين.

شعر آرجان بالدم يحتقن في وجهه المصاب. أحسَّ بضرورة الجلوس، لكنه لم يفعل، لأنه خشي ألا يجد القوة للنهوض. لذا اكتفى بتثبيت ركبتيْه وتمايل قليلًا على قدميه اللتين بدتا فجأة بعيدتين للغاية عن الأرض.

وكل هذا بسبب كونر لاسيتر.

- أثق أنهم إذا استجوبوك، فستعترف لهم بكل ما قاله لك لاسيتر. لكني أفضِّل أن تخبرني أنا بدلًا منهم. ولديك ما تقوله، أليس كذلك؟

اعتصر "آرجان" ذهنه بحثًا عن أي شيء مفيد ربما قاله كونر، لكنه لم يتذكر شيئًا. لكنَّ هذا ليس ما يريد القرصان سماعه بالتأكيد، فقال: "لقد أخبرني ببعض الأشياء. نعم. قال لي أشياء. ربما تكفي لمعرفة إلى أين يتجه".

ضحك نيلسون بلطف، قائلًا: "إنك تكذب". (ربَّت الجانب السليم من وجه آرجان): "لا بأس. أثق أنك تعرف بعض الأشياء ولا تعرف حتى أنك تعرفها. إضافة إلى أنني بحاجة إلى شريك. شخص يعتبر الإمساك بكونر لاسيتر أمرًا شخصيًّا، لأن هذا هو النوع الوحيد من الأشخاص الذي يمكنني الوثوق به. أفضِّل شخصًا أعلى قليلًا في السلم التطوري بالتأكيد، لكنْ على المرء أن يرضى بالمتاح".

قال له آرجان: "أنا لست غبيًّا، أنا سيئ الحظ فحسب".

- حسنا، لقد تغيَّر حظك اليوم.

فكر آرجان أن هذا قد يكون صحيحًا. ربما هذه الشراكة مصيرية. تدمَّر الجانب الأيمن من وجه نيلسون، وكذلك الجانب الأيسر من وجه آرجان. كلاهما يحمل علامات صراعهما مع إوُول آكرون. هذا يجعلهما فريقًا مناسبًا تمامًا للمهمة.

نظر نيلسون نحو النافذة، كمن يتحقق ليرى هل الساحل لا يزال خاليًا.

- إليك ما ستفعله يا آرجان. ستملأ حقيبة الظهر بالأشياء التي تحتاج إليها فقط، وستفعل ذلك في أقل من خمس دقائق. ثم ستأتي معي للقضاء على إوُول آكرون إلى الأبد. ما رأيك؟

منحه آرجان ابتسامة ضعيفة على جانب وجهه السليم، وقال: "مرحى، مرحى! حياة القراصنة تناسبني".

***

الجزء الثالث

الهابطون من السماء

الحالات الموثّقة لنقل الذاكرة الخلوية إلى متلقّي زراعة القلب:

الحالة الأولى: *تلقى نباتي يتحدث الإسبانية قلب متحدث بالإنجليزية، وبدأ يستخدم كلمات إنجليزية لم تكن جزءًا من مفرداته، لكنها كلمات استخدمها المتبرع عادةً. بدأ المتلقي أيضًا يشتهي اللحوم والأطعمة الدهنية التي كانت من الدعائم الأساسية للنظام الغذائي للمتبرع، وفي النهاية تناولها.*

الحالة الثانية: *فتاة في الثامنة من عمرها تلقّت قلب فتاة قُتِلَتْ في العاشرة. بدأت المتلقية ترى كوابيس عن جريمة القتل، وتتذكر التفاصيل التي لا يمكن إلا للضحية أن تعرفها، مثل متى حدث ذلك وكيف وهُويّة القاتل. وتبين أن شهادتها بأكملها صحيحة، وقُبِضَ على القاتل.*

الحالة الثالثة: *طفل عربي في الثالثة من عمره تلقى قلب طفل يهودي، وعند استيقاظه طلب حلوى يهودية لم يسمع بها المتلقي من قبل.*

الحالة الرابعة: *تلقى رجل في الأربعينيات من عمره قلبًا من صبي مراهق، وفجأة ظهر عليه حب شديد للموسيقى الكلاسيكية. قُتِلَ المتبرع في إطلاق نار من سيارة مارة، وظل قابضًا على حقيبة كمانه وهو يموت.*

الحالة الخامسة: *طفل في الخامسة من عمره تلقى قلب طفل في الثالثة. تحدث إليه كصديق وهمي، مطلقًا عليه اسم تيمي. وبعد إجراء بعض التحقيقات، كشف الوالدان أن اسم المتبرع توماس، لكنّ أُسرته أطلقتْ عليه اسم تيمي.*

وقد وَثّق عالم النفس العصبي الدكتور بول بيرسال ما مجموعه 150 حالة سردية.

http://www.paulpearsall.com/info/press/index.html

***

الزوجان راينشيلد

شعرتْ بالقلق عليه. لطالما سيطر عليه الهوس بعملهما، لكنها لم ترَه هكذا من قبل. الساعات التي يقضيها في معمل أبحاثه، والهالات السوداء تحت عينيه، وكل الغمغمة في أثناء نومه. كذلك فِقدانه الوزن، ولا عجب؛ يبدو أنه لم يعد يأكل قطُّ.

قال أوستن، مساعده البحثي الذي عيَّنه جينسون منذ ستة أشهر وهو نحيل كحبة فاصوليا هزيلة، وأصبح وزنه الآن صحيًّا أكثر بكثير من ذي قبل: «إنه كدماغ فائق الأداء بلا جسد».

سألته سونيا: "أستخبرني بما يعمل عليه؟".

- قال إنكِ لا تريدين الاشتراك في هذا العمل.

- هذا صحيح. لكنْ يحق لي أن أعرف ما يفعله، أليس كذلك؟

إنها عادة جينسون أن يأخذ كل ما تقوله حرفيًّا. يستبعدها من كل ما يفعله ليثير حَنَقها، كما يفعل الأطفال.

- قال إنه سيخبرك عندما يستعد.

ليس من المنطقي محاولة الحصول على أي معلومة من الصبي، فهو يتمتع بولاء كلب من نوع الراعي الألماني.

افترضتْ أن هوس جينسون أفضل من اليأس الذي شعر به من قبل. على الأقل الآن يوجد شيء يركز انتباهه عليه، ويبعد أفكاره عن سلسلة الأحداث التي نتجت عن اتفاق التفكيك. يشمل واقعهم الجديد العيادات التي ظهرت في جميع أنحاء البلاد كالفطر في حديقة مغمورة بالمياه؛ كل منها تعلن أجزاءً شابةً وصحيَّةً. تقول الإعلانات: "عشْ حتى 120 عامًا وأكثر!".. "تخلَّص من أجزائك القديمة، ورحِّب بالجديدة!". لا أحد يسأل من أين تأتي الأجزاء،

لكنَّ الجميع يعلم. والآن لا يقتصر الأمر على الجانحين الذين يُفكّكون، بل توصلتْ هيئة الأحداث فعلًا إلى استمارة يمكن للوالدين استخدامها لإرسال ابنهما المراهق "غير القابل للإصلاح" إلى التفكيك. في البداية ظنَّت أن هذه الاستمارة لن يستخدمها أحد. اعتقدتْ عن يقين أن وجود تلك الاستمارة في حد ذاته سيؤدي في النهاية إلى إشعال الشرارة التي انتظرتها. لم يحدث ذلك. في الواقع، في غضون شهر، أخذوا صبيًّا من حيهم، لتفكيكه.

قال أحد جيرانها: "حسنًا، أعتقد أنهم فعلوا الشيء الصحيح. هذا الطفل كان ينذر بحدوث مأساة".

لم تعدْ سونيا تتحدث مع أي من هؤلاء الجيران.

يومًا بعد يوم، شاهدت سونيا زوجها يضيع، ولم يستجبْ لأي من توسلاتها إليه بأن يهتم بنفسه. حتى إنها هددت بتركه، لكنَّ كليهما يعرف أنه تهديد فارغ. أخبرها ذات مساء وهو يحرك شوكته في طبق المكرونة، وبالكاد يضع أي شيء في فمه: "إنه شبه جاهز. هذا سيفي بالغرض يا سونيا؛ سيغير كل شيء".

لكنه ما زال لا يخبرها بالضبط حقيقة ما يفعله. معلوماتها الوحيدة مصدرها مساعد أبحاثه. لم تستمدها من أي شيء يقوله الصبي، وإنما من حقيقة أن يده اليسرى حملت ثلاث أصابع فقط عندما بدأ عمله، والآن أصبحت خَمسًا!

***

18 - ليف

شقَّ طريقه قفزًا على مظلة غابة كثيفة، في الأعلى حيث تلامس أوراق الشجر السماء. إنه الليل، لكنَّ القمر مشرق كالشمس. لا توجد أرض، فقط أشجار. أو ربما لأن الأرض لا تحمل أهمية كبيرة، فهي غير موجودة. تحركت مظلة الغابة بفعل النسيم الدافئ، متدحرجة مثل أمواج المحيط تحت السماء الصافية.

يوجد مخلوق يقفز خلال أوراق الشجر أمامه، ويعود إلى الخلف بين الحين والآخر لينظر إلى ليف. له عينان كرتونيتان ضخمتان في وجهه الصغير المكسو بالفراء. لم يكن مجرد إحساس، بل أدرك ليف أنه يقوده. هذا ما بدا أن هذا المخلوق يقوله بتلك العينين الحنونتين اللتين تعكسان صورتين متطابقتين للقمر.

أراد ليف أن يسأل: "إلى أين تقودني؟"، لكنه لم يستطعِ التحدث. وحتى لو استطاع، علِم أنه لن يحصل على إجابة.

قفز ليف من فرع إلى آخر بمهارة فطرية لم يمتلكها في الحياة. وهكذا عرف أنه مات. التجربة واضحة للغاية وشديدة الحيوية، لذا لا يمكن أن تكون أي شيء آخر. في حياته، لم يهتم ليف كثيرًا بتسلق الأشجار. في طفولته، لم يشجعه والداه على ذلك. وقيل له إن الأعشار عليهم حماية أجسادهم الثمينة، ثم إن تسلق الأشجار قد يؤدي إلى كسور العظام.

وها قد تكسرت عظامه.

لقد أصيب بكسور وأضرار داخلية بالغة بعد تعرضه لحادث سيارة. لا بدَّ أن هذا الضرر أسوأ مما يعتقده الجميع. آخر ما يملكه ذكريات مشوَّشة عن توقفه عند البوابة الشرقية لمحمية «أراباتشي». تذكر أنه سمع صوته يخبر

الحارس بشيء ما، لكنه لم يتذكر ما هو. ارتفعتْ حرارته في ذلك الوقت، وكل ما أراده هو النوم. لقد غاب عن الوعي، قبل أن يعلم هل يسمح لهم الحارس بالدخول أم لا.

لكنْ لا شيءَ من ذلك يهم الآن. الموت له طريقته في جعل مخاوف الأحياء تبدو غير ذات أهمية. مثل الأرض أدناه، لو وُجِدَتْ أرض فعلًا.

قفز مرة أخرى، وأخذتْ سرعته تزداد، وتكتسب إيقاعًا، مثل نبض القلب. بدا له أن الفروع تظهر في المكان الذي يحتاج إليها فيه. وأخيرًا وصل إلى حافة الغابة عند حافة العالم. وجد ظلامًا مليئًا بالنجوم بالأعلى والأسفل. بحث عن المخلوق الذي قاد طريقه، لكنه لم يره في أي مكان. ثم أدرك بنوع من العجب المظلم أن ذلك المخلوق ليس له وجود على الإطلاق. إنه هو المخلوق؛ ما رآه أمامه هو روحه التي انطلقت أمامه وهو يقفز خلال رؤوس الأشجار.

في الأعلى، بدا البدر واضحًا وكبيرًا للغاية، حتى شعر ليف أنه يستطيع مدَّ يده والإمساك به. ثم أدرك أن هذا هو بالضبط ما يفترض أن يفعله. إنزال القمر.

يا له من أمر مدمر إذا اقتُلِعَ القمر من السماء! سوف يتغير المد والجزر، وتضطرب المحيطات في حالة من الذعر. ستغرق الأراضي وتتحول الخلجان إلى صحارٍ. وسوف تعيد الزلازل تشكيل الجبال، وسيُضطَر الناس في كل مكان إلى التكيُّف مع الواقع الجديد. إذا هُدِمَ القمر، سيتغير كل شيء.

بفرح لا نهائي واستسلام مطلق، قفز ليف إلى هدفه، وحلَّق من حافة العالم نحو القمر بذراعين مفتوحتين على مصراعيهما.

فتح ليف عينيه. لا يوجد قمر. لا توجد نجوم. لا توجد مظلة الغابات. فقط جدران وسقف أبيض لغرفة لم يرَها منذ مدة طويلة. شعر بالضعف والبلل. جسده يؤلمه، لكنه لا يستطيع بعد تحديد مكان الألم. بدا أنه يأتي من كل مكان. إنه لم يمت رغم كل شيء، وللحظة شعر بالإحباط. لأنه إذا كان الموت رحلة ممتعة خلال مظلة الغابة إلى الأبد، فيمكنه أن يتعايش مع ذلك. أو لا يعيش، وَفْقَ الظروف.

هذه الغرفة هي المكان الذي تمنى أن يجد نفسه فيه عندما يستيقظ. توجد امرأة تجلس على المكتب خلال الغرفة، وتُدوِّن ملاحظات في ملف.

إنه يعرفها، ويحبها أيضًا. الأشخاص الذين يسعد لرؤيتهم يمكنه عدهم على أصابع اليد الواحدة، وهذه المرأة واحدة منهم.

حاول أن يقول: "المعالِجة إلينا"، لكنَّ صوته خرج كصرير الفأر.

التفتت إليه، وأغلقتِ الملف، ونظرت إليه بابتسامة مؤلمة، قائلة: "مرحبًا بعودتك يا صغيري ماهبي".

حاول أن يبتسم، لكنه شعر بألم في شفتيه عندما فعل. ماهبي تعني «الهابط من السماء». لقد نسي أنهم أطلقوا عليه ذلك الاسم. لقد تغير الكثير منذ أن كان هنا. لم يعدِ الصبي ذاته الذي أدخلوه وقتها باعتباره هاربًا في بداية أيامه المظلمة؛ بين الوقت الذي ترك ساي-فاي فيه، والوقت الذي ذهب فيه إلى مقبرة الطائرات.

اقتربتْ منه إلينا، وعلى الفور لاحظ أن الشيب قد تسلل إلى جديلتها. أكان هناك منذ عام ونصف ولم يلحظه أم إنه جديد؟ لا بدَّ من وجود سبب لظهور شعر رمادي جديد في رأسها.

صاح فجأة: "أعتذر".

بدت عليها دهشة حقيقية، وهي تسأله: "عن ماذا؟".

- عن وجودي.

- يجب ألا تعتذر أبدًا عن وجودك يا ليف. ولا حتى لكل من يتمنون لو أنك لم توجد.

تساءل كم من هؤلاء موجودون هنا في المحمية، وقال موضحًا: "لا.. أعني أنني أعتذر عن عودتي إلى المحمية".

استغرقتْ لحظة لتنظر إليه. لم تعد تبتسم، بل تتطلع إليه فحسب، وقالت: "تُسعِدني عودتك".

لكنَّ ليف لاحظ أنها لم تقل "تُسعِدنا".

- لقد قررتُ أن بمجرد استقرار حالتك، من الأفضل لك الإقامة في منزلي، بدلًا من المركز الطبي.

فحصتِ الوريد المؤدي إلى ساعده الأيمن الذي لم يلحظ هو وجوده من قبل، مضيفة: "تبدو متورمًا بعض الشيء، لكن ربما السبب هو فرط رطوبة

الجسم. سأغلق هذا قليلًا". (أغلقت جهاز تقطير المحاليل): "ربما هذا سبب تعرقك الشديد عند إصابتك بالحمى".

نظرتْ إليه لحظةً، وربما قيَّمت ما يحتاج إلى معرفته، ثم قالت: "لديك ضلعان مكسوران وتعاني نزيفًا داخليًّا شديدًا. اضطُرِرنا إلى إجراء بضع جزئي لصدرك لوقف النزيف، لكنه سيُشفى، ولدي أعشاب ستمنع إصابته بندبة".

سألها ليف: "كيف حال تشال؟ وبيفان؟".

تشال -زوج إلينا- محامٍ بارز من أراباتشي. شقيقه بيفان ليس من شيمته مغادرة المحمية.

- تشال لديه قضية كبيرة في دنفر، لكنك ستقابل بيفان قريبًا جدًّا.

- هل طلب رؤيتي؟

- أنت تعرف بيفان، سوف ينتظر حتى يُدعى إلى الحضور.

سأل ليف: "وماذا عن أصدقائي؟ هل هم هنا؟".

قالت إلينا: "نعم. يبدو أن منزلي قد اجتاحه الهابطون من السماء هذا الأسبوع". ثم ذهبت إلى وَحْدَة التحكم الترفيهية، وعبثتْ بها قليلًا، فبدأت الموسيقى تنساب. عزف على القيثارة.

تعرَّف المقطوعة التي سمعها عند حضوره إلى المحمية لأول مرة، فلامستْ قلبه. في المرة الأولى، تسلَّق الجدار الجنوبي للدخول وأصيب في أثناء سقوطه من أعلى الجدار. استيقظ ليجد نفسه في الغرفة ذاتها، ووجد صبيًّا في الثامنة عشرة يعزف على القيثارة بمهارة مذهلة، فبُهِرَ ليف. لكنِ الآن كل ما تبقى منه هو العزف المسجَّل.

قالت إلينا: "إحدى أغاني ويل العلاجية. موسيقى ويل باقية، حتى لو لم يبقَ هو. إنها تواسينا.. أحيانًا".

أجبر ليف شفتيه على الابتسام، لكنهما لم تؤلماه بشدة هذه المرة، وقال: "تسعدني العودة إلى.. هنا". كاد يقول "الوطن" بدلًا من "هنا". ثم أغمض عينيه، لأنه خشي رؤية ما ستقوله عيناها.

***

19 - كونر

قالت إلينا: "لقد استيقظ". هذا كل شيء، "لقد استيقظ"، فحسب. إنها امرأة قليلة الكلام. على الأقل في نظر كونر.

- إذن هل أستطيع رؤيته؟

عقدتْ ذراعيها أمام صدرها، ونظرتْ إليه ببرود. عدم الرد هو إجابتها عن سؤاله.

قالت أخيرًا: "أخبرني شيئًا واحدًا. هل أصبح مصفقًا بسببك؟".

قال كونر، وهو يشعر بالاشمئزاز من هذا الافتراض: "لا! طبعًا لا!"، (ثم أضاف): "لم يصفقْ بسببي".

أومأتْ برأسها وتقبلتْ إجابته، قائلة: "يمكنكَ رؤيته غدًا، حالَما يصبح أقوى قليلًا".

جلس كونر على الأريكة. لم يوافقْ منزل الطبيبة -في الواقع، المحمية بأكملها- توقعاته. لقد انغمس سكان محمية أراباتشي في ثقافتهم ووسائل الراحة الحديثة. يتحدث الأثاث الجلدي الفخم عن الثروة، لكنْ من الواضح أنه مصنوع يدويًّا. نُحِتَ الحي -إذا جاز التعبير- في المنحدرات الحجرية الحمراء على جانبي مضيق عميق، لكنَّ الغرف فسيحة، والأرضيات مكسوة بالرخام المزخرف، وتركيبات السباكة من النُّحاس المصقول أو ربما حتى الذهب، لم يعرف كونر بدقة. ثم إن الإمدادات الطبية الخاصة بالدكتورة إلينا أيضًا على أحدث طراز، رغم اختلافها في بعض النواحي الأساسية عن الإمدادات الطبية الموجودة في الخارج، فهي أقل فعَّالية، بطريقة ما.

قالت له: "فلسفتنا مختلفة قليلًا. نعتقد أن الأفضل هو التعافي من الداخل إلى الخارج، وليس من الخارج إلى الداخل".

في الطرف الآخر من الغرفة، تذمَّر الصبي الذي يلعب لعبة لوحية مع جرايس، وتساءل محبطًا: "كيف يمكنكِ مواصلة ضربي بالحيات والأحجار؟ إنكِ حتى لم تلعبيها من قبل!".

هزَّت جرايس كتفيها، قائلة: "إنني أتعلم بسرعة".

الصبي-اسمه كيلي- لا يصبر كثيرًا على الخسارة. يبدو أن لعبة «الثعبان والأحجار» تشبه لعبة «الداما» إلى حد كبير، لكنْ باستراتيجيات أكثر، وعندما يتعلق الأمر بالاستراتيجيات، لا يمكن التغلب على جرايس.

بمجرد ابتعاد الصبي، التفتت جرايس إلى كونر، وسألته: "أخبرني، هل صديقك المصفق بخير؟".

- من فضلك، لا تنعتيه بذلك.

- آسفة، لكنه بخير، أليس كذلك؟

- يبدو ذلك.

إنهم هنا منذ ما يقرب من أسبوع، ولم يشعر كونر بالترحيب بعد. ما يحدث أقرب إلى التسامح؛ ليس لأنهما غريبان، فإلينا وصهرها بيفان، كانا أكثر من لطيفين مع جرايس، خاصة بعد أن أدركا أنها تعاني ضعف القشرة الدماغية. وحتى عندما خاطت جرح النعامة الذي أصيب به كونر، فعلت إلينا ذلك بهدوء وبلا حماس، قائلة فحسب: "احرص على نظافته. سوف تُشفَى". وعندما شكرها كونر، لم تقل: "على الرحب والسعة"، ولم يعرف هل هذا يتعلق بثقافتهم، أم إن صمتها متعمد. بعد أن علمت إلينا الآن أنه ليس مسؤولًا عن تحول ليف إلى مصفق، ربما تعامله بقدر أقل من البرود.

عاد كيلي بلعبة لوحية أخرى، تمتلئ بالقطع السوداء والبيضاء ذات الأحجام المختلفة.

سأله كونر: "ماذا تُسمَّى هذه اللعبة إذن؟".

نظر إلى كونر كأنه معتوه، وأجاب مستنكرًا جهله: "الشطرنج".

ابتسم كونر وهو يتعرَّف القطع في أثناء صفها. مثل كل شيء آخر في المحمية، اللعبة منحوتة يدويًّا والقطع فريدة من نوعها، كتماثيل صغيرة، ولهذا لم يتعرَّفها على الفور. فركت جرايس يديها معًا في استعداد وتشوق، وفكَّر كونر في تحذير الصبي من رفع آماله، لكنه قرر ألا يفعل، لأن رؤيته خاسرًا متألمًا ممتعة للغاية.

حسب تقدير كونر، كيلي في الثانية عشرة من عمره. إنه ليس من الأسرة، لكنَّ إلينا وزوجها تشال كفلاه عندما توفيت والدته منذ عام. في حين أن إلينا لم تقدم لكونر أي معلومات عن أي شيء، فإن كيلي -الذي يعمل فمه كمحرك احتراق قديم- ملأ أذني كونر بجزء من حياة ليف لم يتحدث عنه ذلك الأخير قطُّ.

قال كيلي لكونر: "لقد ظهر ليف هنا منذ عام ونصف تقريبًا. أقام معنا بضعةَ أسابيع، قبل أن يصبح مخيفًا ومشهورًا وما إلى ذلك. لقد ذهب معنا في رحلة استكشافية روحية، لكنْ لم تسرِ الأمور على ما يرام".

وضع كونر الأسابيع التي قضاها ليف في المحمية في مكان ما بين الوقت الذي فقد فيه هو وريسا ليف في المدرسة الثانوية في أوهايو، والوقت الذي ظهر فيه في المقبرة، وقد تغير بشكل ملحوظ.

قال كيلي لكونر، وهو ينظر إلى صورة صبي مراهق يشبه إلينا إلى حد كبير: "لقد أصبح هو وويل صديقين حميمين".

سأله كونر: "أين ويل الآن؟".

هذه هي المرة الوحيدة التي أغلق فيها كيلي فمه، ثم قال أخيرًا: "لقد ذهب".

- هل غادر المحمية؟

- شيء من هذا القبيل.

ثم غيَّر كيلي الموضوع، وطرح أسئلة عن العالم خارج المحمية: "أصحيح أن الناس يحصلون على زراعة دماغ، بدلًا من الذَّهَاب إلى المدرسة؟".

- تقصد الأنسجة العصبية، وهي ليست بديلًا عن المدرسة. إنه شيء يفعله الأغنياء الأغبياء من أجل أطفالهم الأغنياء الأغبياء.

قال كيلي: "لا أريد أبدًا قطعة من دماغ شخص آخر. أعني أنك لا تعرف أين كانت".

اتفق كونر وكيلي تمامًا في ذلك.

وهنا، بينما يركز كيلي باهتمام على لعب الشطرنج مع جرايس، حاول كونر أن يفاجئه للحصول على بعض الإجابات، فسأله بغتة: "أتظن أن ويل قد يعود إلى المحمية لزيارة ليف؟".

حرَّك كيلي حصانه الذي التهمه على الفور وزير جرايس، فقال متهمًا كونر: "لقد فعلتَ ذلك عمدًا لإلهائي!".

هز كونر كتفيه: "لقد طرحتُ سؤالًا فحسب. لو أن ويل وليف صديقان حميمان، فسوف يعود لرؤيته، أليس كذلك؟".

تنهَّد كيلي، وقال دون أن يرفع نظره عن اللوحة: "لقد تفكَّك ويل".

لم يجد كونر ذلك منطقيًّا، فقال: "لكنني اعتقدتُ أن المحظوظين لا يُفكِّكون أبناءهم".

أخيرًا نظر كيلي إليه نظرة أقرب إلى الاتهام، وقال: "نحن لا نفعل ذلك"، ثم عاد إلى اللعب.

- إذن كيف...

- إذا أردتَ أن تعرف، فتحدث إلى ليف؛ لقد كان هناك أيضًا.

ثم أسقطتْ جرايس إحدى طابيتي كيلي الذي قلب اللوحة في إحباط، وهذا ما أدى إلى تطاير القطع، وصرخ في جرايس التي تضحك: "يا لكِ من شرهة مزعجة!".

قالت في شماتة: "من ضعيف القشرة الدماغية الآن؟".

اندفع كيلي مغادرًا مرة أخرى، لكنْ ليس قبل أن يحدج كونر بنظرة خاطفة لا عَلاقة لها باللعبة.

***

20 - ليف

جلس ليف في الظل بالشرفة، ناظرًا إلى الوادي. إنه ليس قريبًا من الوادي الكبير الذي يفصل أراضي أراباتشي عن بقية ولاية «كولورادو»، لكنَّ الوادي مثير للإعجاب بطريقته الخاصة. على الضفة الأخرى للنهر الجاف، تمتلئ المنازل المنحوتة في وجه الجرف المقابل بالظلال والنشاط المثير في وقت متأخر من العصر. يلعب الأطفال على شرفات لا توجد بها حواجز واقية، ويضحكون وهم يتسلقون سلالم من الحبال صعودًا ونزولًا مطاردين بعضهم. عندما وصل إلى هنا في المرة الأولى، شعر بالرعب، لكنه سرعان ما علم أن أحدًا لم يسقط من الشرفات قطُّ. يكتسب أطفال «أراباتشي» احترامًا كبيرًا للجاذبية في سن مبكرة.

قال له ويل بفخر: "لقد بنينا الجسور وناطحات السحاب العظيمة في أمريكا. التوازن لدينا مسألة فخر".

عرف أنه عنى ذلك بطرق عدَّة، ولم يشعر ليف في أي مكان طوال حياته بقدر من التوازن أكبر مما شعر به هنا في المنتجع. لكنْ لم يلقَ المعاملة المناسبة هنا أيضًا، حتى إنه اختار أن يصبح مصفقًا. أمِل أن يتمكن من العثور على بعض السلام الذي تمتع به من قبل، ولو لمدة قصيرة فحسب. ومع ذلك، علم أنه غير مرحب به تمامًا. حتى في هذه اللحظة، رأى البالغين خلال الوادي يرمقونه بنظراتهم وهو يجلس هناك.

من هذه المسافة، لم يستطع أن يعرف هل نظراتهم هذه بسبب الشك، أم مجرد فضول.

شعر بحِكَّة في كتفه، وخفقان خافت مع كل نبضة من قلبه. شعر بحرارة وثقل في جانبه الأيسر، لكنَّ الوجع الشديد الذي شعر به في السيارة خَفَتَ متحولًا إلى ألم خفيف لا يزداد حدة إلا عندما يتحرك بسرعة كبيرة. لم يرَ كونر

أو جرايس منذ استيقاظه. وما دام يعلم أنهما بخير، فلا بأس بذلك. بطريقة ما، تقسَّمت حياته إلى صناديق صغيرة منفصلة. حياته عُشرًا، وحياته مُصفِّقًا، وحياته هاربًا، وحياته في المحمية. لقد أقام هنا بضعة أسابيع فقط في المرة الأولى، لكنَّ التجربة تلوح في الأفق بالنسبة إليه. إن فكرة دمج هذه الواحة الرقيقة من حياته وبقية وجوده المضطرب، شيء يجب أن يعتاده.

- عندما طردك المجلس، تحطم قلبي.

استدار ليف ليرى إلينا تخرج إلى الشرفة، حاملة صينية عليها إبريق شاي وكوب، وتضعها على منضدة صغيرة. قالت له: "علمتُ أنكَ لستَ مسؤولًا عما حدث لويل، لكنْ سيطر الكثير من الغضب في ذلك الوقت".

- لكنْ ليس الآن؟

جلست على المقعد المجاور له، وأعطتْه كوبًا من الشاي يتصاعد منه البخار بدلًا من الإجابة عن سؤاله، وقالت: "اشرب. الجو أصبح باردًا".

ارتشف ليف شاي الأعشاب المرة المحلاة بالعسل. لا شك أن هذا الشراب القوي المساعد في الشفاء أعدَّته امرأة الطب الحديث.

- هل يعلم المجلس بوجودي هنا؟

ترددت، قائلة: "ليس رسميًّا".

- إذا علموا رسميًّا، فهل يطردونني مرة أخرى؟

وعلى عكس الشاي الذي قدمته، جاءت إجابتها صادقة وغير محلاة.

- ربما. لا أعرف يقينًا. الشعور تجاهك مختلط. عندما أصبحتَ مصفقًا، اعتقد البعض أن الأمر بطولي.

- أهذا كان رأيك؟

قالت في برود: "لا". (ثم أضافتْ بدفء أكبر): "عرفتُ أنك ضللتَ طريقك".

أضحكه تصريحها، وقال: "نعم، يمكنكِ أن تقولي ذلك".

استدارت لتنظر خلال الوادي إلى الظلال الممتدة والجيران الذين يحاولون التظاهر بعدم اختلاس النظر، وقالت: "لقد وجد بيفان صعوبة بالغة في التعامل مع الأمر. رفض حتى التحدث عنكَ".

لم يفاجئ قولها ليف. صهرها من المدرسة القديمة جدًّا عندما يتعلق الأمر بالتعامل مع العالم خارج نطاق المحمية. بينما يبدو أن زوجها -تشال-

يقضي وقتًا أطول خارج المحمية، أكثر من الوقت الذي يقضيه داخلها، فإن بيفان صياد ويصمم حياته بشكل أكبر وَفْقَ تقاليد الأجداد.

قال ليف: "لم يحدث قطُّ أن أحبني كثيرًا".

مدت إلينا يدها لتلمس يده، قائلة: "أنت مخطئ. لم يتحدث عنك لأن هذا كان يؤلمه كثيرًا".

ثم تردَّدتْ، وهي تنظر إلى يده المتشابكة بيدها وليس إلى عينيه: "ولأنه -مثلي- شعر بمسؤولية جزئية عن تحولك إلى مصفِّق".

نظر إليها ليف متأثرًا بالافتراض، وقال: "هذا غباء".

- حقًّا؟ لو خالفنا المجلس. لو أصررنا على بقائك...

- إذن لأصبح الأمر فظيعًا. لنا جميعًا. كنتم ستنظرون إليَّ وتتذكرون كيف ضحَّى ويل بنفسه لإنقاذي.

- وإنقاذ كيلي وكل الأطفال الآخرين في الرحلة الاستكشافية الروحية تلك.

اتكأتِ الطبيبة على مقعدها. ما زالت غير قادرة على النظر إليه؛ نظرت خلال النهر، ولوَّحت إلى جارتها التي تحدق إليها، فبادلتها المرأة التحية، ثم ضبطتْ وضع أصص النباتات الموجودة في شرفتها.

قال ليف: "انظري إليَّ يا إلينا"، (وانتظر حتى فعلَت): "عندما غادرتُ المحمية، توجهت إلى مكان رهيب. كل ما أردت فعله هناك هو مشاركة غضبي مع العالم. لم تثيري أنتِ هذا الغضب، بل والداي، وشرطيو الأحداث، وقراصنة الأعضاء الأشرار الذين أخذوا ويل. ليس أنتِ!". أغمض ليف عينيه، محاولًا إبعاد ذكرى ذلك اليوم الفظيع. مثل بيفان، يجد ليف هذا الألم أكبر من قدرته على التحمل. تنفس بعمق، محتفظًا بالذكرى وكل الأحاسيس التي تحمَّلها، ثم فتح عينيه مرة أخرى، مضيفًا: "لذا ذهبتُ إلى ذلك المكان الرهيب. ذهبتُ إلى الجحيم، لكن في النهاية عدتُ".

ابتسمتْ له إلينا، وقالت: "والآن، أنت هنا".

أومأ ليف إيجابًا، وكرر: "والآن أنا هنا". رغم أنه لا يعلم شيئًا عن مكان وجوده غدًا.

***

خرج ليف إلى الغرفة الكبيرة بعد غروب الشمس. سيطر الاضطراب على كونر، لكنَّ اضطرابه بدا أقل قليلًا عندما رآه، وقال: "إنك حي".

- أفاجأك ذلك؟

- نعم، في كل مرة أراك فيها.

ارتدى كونر قميصًا مُصمَّمًا خصوصًا لـ«أراباتشي»، بنسيج خشن ومقاس يناسبه، ليحلَّ محل الزي الرسمي الذي أخذه من الضابط. بدا أنيقًا في هذا القميص، لكنْ غريبًا. وجد ليف صعوبة في السماح لكونر والمحمية باحتلال المساحة نفسها في ذهنه.

قال كونر وهو يشير إلى شعره: "تروق لي تصفيفة ذيل الفرس".

هزَّ ليف كتفيه، قائلًا: "هذا فقط لأن شعري مُقصَّف للغاية. لكنْ ربما أبقي عليها".

قال له كونر: "لا تفعل.. لقد كذبتُ. لا تروق لي قطُّ".

ضحك ليف لقوله، وهذا ما جعل جانبه يؤلمه، فتجهَّم.

بدأ تلقي المزيد من التحية. جاء كيلي إلى ليف وبدا محرجًا. كان أقصر من ليف بقليل عندما رَأَيَا بعضهما آخر مرة. أصبحا الآن في الطول نفسه.

- مرحبًا يا ليف. تُسعِدني عودتك.. حيًّا.

سيواصل كيلي نموه، لكنَّ ليف لن يفعل. توقَّف نموه. هذا ما جناه من ربط دمه بالمواد الكيميائية المتفجرة.

تولَّى بيفان طهو العشاء. يخنة من اللحم الطازج لحيوان ربما صاده ببندقيته في البرية اليوم. تحية بيفان -المتحفِّظة في البداية- انتهت بعناق مؤلم، لكنَّ ليف لم يصرِّح بألمه. جرايس فقط هي التي حافظت على مسافة بينها وبين ليف، وتجاهلته. حتى بعد رحلتهم اليائسة إلى هنا، ظلت غير واثقة من طبيعة علاقتهما. لم تتحدثْ إليه حتى منتصف العشاء، فقالت أخيرًا: "أخبرني إذن، كيف تعرف أنك لن تنفجر مستقبلًا؟".

كسر كيلي الصمت الغريب الذي أعقب ذلك، قائلًا: "أتساءل عن ذلك أيضًا".

اتسعت عينا ليف، وقال بنبرة تنذر بالسوء: "ربما أنفجر".

ثم انتظر بضع ثوانٍ وصرخ: "بوم!".

قفز الجميع من أماكنهم، لكنَّ جرايس تفوقت عليهم جميعًا، لأنها سكبت حَساءها وأطلقت سيلًا من السباب، جعل الكل ينفجرون ضاحكين.

بعد العشاء، ذهب كل منهم ليتولى شؤونه، وانفرد به كونر.

سأله بهدوء: "أخبرني إذن، ماذا يحدث هنا؟ كيف تعرف كل هؤلاء الناس؟".

تنفَّس ليف بعمق. إنه مدين إلى كونر بتفسير، رغم أنه يُفضِّل عدم تقديمه. قال: "قبل ذَهَابي إلى المقبرة، أتيتُ إلى هنا، وأصبح هذا المكان ملاذي بعضَ الوقت. لقد كادوا يتبنونني ويضمونني إلى القبيلة، لكنَّ قراصنة الأعضاء دمروا كل شيء. لقد حاصروا مجموعة منا في الغابة، وابن إلينا...".

- ويل؟

- نعم، ويل. لقد عرض التضحية بنفسه مقابل حياتنا.

فكَّر كونر في قوله، وسأل: "منذ متى يقبل القراصنة التفاوض؟".

- لقد كانوا يبحثون عن شيء مميز، ووجدوا ويل مميزًا. لم أسمع قطُّ أحدًا يعزف على القيثارة مثله. حالمَا حصلوا عليه، لم يهتموا ببقيتنا. على أي حال، لما كنتُ الغريب الذي حضر تلك الواقعة، فقد أصبحتُ نوعًا ما كبش فداء. ولم أستطع البقاء هنا بعد ذلك.

أومأ كونر برأسه، ولم يضغطْ عليه للحصول على مزيد من التفاصيل، بل نظر نحو النافذة. في الخارج، لا ترى الكثير في الظلام، لكنْ يمكن رؤية أضواء المنازل الأخرى خلال الوادي. حذره كونر: "لا تستكِن إلى الإقامة هنا".

قال له ليف: "أشعر بالراحة والسكينة فعلًا"، ثم غادر قبل أن يقول كونر أي شيء آخر.

***

المنزل بجانب الجرف فسيح. غرف النوم الفردية صغيرة، لكنها كثيرة، وجميعها مفتوحة على الغرفة الكبيرة التي تُستخدَم كغرفة معيشة وغرفة طعام ومطبخ. ربما بدافع الفضول المرضي، تفقد ليف غرفة ويل. ظن أنهم ربما أبقوا المكان كما هو، لكنهم لم يفعلوا. ثم إنهم لم يعيدوا تصميم الغرفة لأي شخص آخر أيضًا. غرفة ويل الآن فارغة من الأثاث والديكورات. لا شيء سوى الجدران الحجرية العارية.

قالت إلينا لليف: "لن يستخدم أحد هذه الغرفة مرة أخرى. على الأقل ليس في حياتي".

عندما بدأ الجميع يستقرون في غرفهم ليلًا، ذهب ليف للبحث عن بيفان. ساد بينهما قدر أكبر من الحرج مما وجده ليف مع أي شخص آخر، وأمِل أن يتمكن من سد الفجوة. توقع أن يجد الرجل في الطابق الأول، في الورشة السفلية يعمل على شيء ما. ربما تحضير الجلود للدباغة. لكنه وجد شخصًا لم يتوقعه.

جلستْ هناك حول منضدة العمل، وشعرها مشدود إلى الخلف بربطة ملونة، وبدتْ تمامًا كما يتذكر ليف. أونا، خطيبة ويل. لا بدَّ أنها تحطمت أكثر من أي شخص آخر عندما أخذ قراصنة الأعضاء ويل وفكَّكوه. بعد ذلك، رُفِضَ طلب انضمامه إلى القبيلة بسرعة، وقاده بيفان إلى البوابة، وغادر ليف دون أن يودِّع أونا. سعد ليف بذلك عندئذٍ. لم يدرِ قطُّ ماذا يمكن أن يقول لها في ذلك الوقت، وليست لديه أي فكرة عما سيقوله الآن، لذا بقي في الظل، رافضًا أن يخطو إلى النور.

انهمكتْ أونا في تنظيف البندقية التي يعرف ليف أنها تخصُّ بيفان. هل تعلم أنه هنا في المحمية؟ أوضحتْ له إلينا بما يكفي أن حضوره يجب أن يظل غير معلن. حصل على إجابة سؤاله عندما قالت أونا، دون أن ترفع عينيها: "إنك لا تجيد التربُّص، أليس كذلك يا ليف؟".

تقدم منها، لكنَّ انتباه أونا ظل منصبًّا على البندقية، دون أن تنظر إليه.

قالت: "أخبرتْني إلينا أنك عدتَ. لكنكَ لم تأتِ لرؤيتي".

- من قال إنني أردتُ ذلك؟

أخيرًا ألقَت عليه نظرة، لكنها احتفظتْ بوجهها الخالي من التعبيرات: "هل علَّمك أحد من قبل كيفية تنظيف بندقية يدوية؟".

- لا.

- تعالَ. سأُريك.

شرحتْ له خطوات إزالة المزلاج والنطاق، ثم قالت: "لقد علَّمني بيفان كيفية إطلاق النار، ووجدتُ نفسي أرغب في ذلك. عندما يحصل على بندقية جديدة، سوف يعطيني هذه".

قال ليف: "الأمر يختلف قليلًا عن صنع القيثارات"، وهو ما تفعله أونا.

قالت أونا: "كلاهما سيكون له مكانه في حياتي"، ثم أرته كيفية تنظيف ماسورة البندقية من الداخل باستخدام مذيب وفرشاة نُحاسية. لم تقل شيئًا عما حدث عندما كان في المحمية المرة السابقة، لكنَّ الأمر بدا ثقيلًا ومظلمًا كحاجز معدني يفصل بينهما.

قال أخيرًا: "يؤسفني ما حدث لويل".

صمتت أونا لحظة، ثم قالت: "لقد أعادوا قيثارته، أيًّا كانت هُويَّتهم. لم يُرفِقوا أي تفسير، ولا عنوان المرسِل. لقد أُحرِقت القيثارة في محرقة جنائزية، لعدم وجود جثة لنحرقها".

صمت ليف. أرعبتْه فكرة تحول قيثارة ويل إلى رماد، تقريبًا مثل فكرة تفكيكه.

قالت أونا: "أعلم أن ذلك ليس خطأك، لكنَّ ويل لم يكن ليساعد في قيادة تلك الرحلة الاستكشافية الروحية لولا وجودك، ولم يكن ليأخذه قراصنة الأعضاء. لا، ليس خطأك يا أخي الصغير، لكني أتمنى لو أنك لم تأتِ إلى هنا قطُّ".

خفض ليف ماسورة البندقية، وقال: "أعتذر. سأذهب الآن".

لكنَّ أونا أمسكت ذراعه، قائلة: "دعني أنهي حديثي". تركتْه، وهنا رأى ليف الدموع في عينيها: "أتمنى لو أنك لم تأتِ قطُّ، لكنكَ أتيت، ومنذ أن غادرتَ، تمنيتُ أن تعود، لأنك تنتمي إلى هنا يا ليف، بصرف النظر عما يقوله المجلس".

- أنتِ مخطئة. لا يوجد مكان أنتمي إليه.

- حسنًا، أنت بالتأكيد لا تنتمي إلى هناك. وحقيقة أنك أوشكت أن تفجِّر نفسك تثبت ذلك.

لم يرغب ليف في الحديث عن أيامه مُصَفِّقًا. ليس مع أونا. لكنه قرر مصارحتها بشيء آخر: "لم أخبر أحدًا بهذا، لكني حلمتُ قبل أن تذهب الحمى. كنت أقفز بين أغصان الغابة".

فكرت أونا في قوله، وسألت: "أي نوع من الغابات؟ غابة صنوبر أم بلوط؟".

- لا. غابة مطيرة، على ما أعتقد. رأيت حيوانًا يكسوه الفراء، وقاد طريقي.

ابتسمتْ أونا، مدركة ما يريد ليف قوله: "يبدو أنك وجدتَ أخيرًا روحكَ الحيوانية. أهو قرد؟".

- لا. ذيله كذيل القرد، لكنَّ عينيه كبيرتان للغاية. ألديك أي فكرة عن كنهه؟

هزَّت أونا رأسها، قائلة: "آسفة. لا أعرف الكثير عن حيوانات الغابات المطيرة".

لكنْ عندئذٍ سمع ليف صوتًا خلفه يقول: "أعتقد أنني أعرف".

التفتَ ليرى كيلي واقفًا في المدخل، وأضاف: "عينان كبيرتان، وفم صغير، وهو حيوان لطيف حقًّا؟".

- نعم.

- إنه الكنكاج.

- لم أسمعْ به من قبل.

ابتسمتْ أونا وقالت لليف: "حسنًا، لقد سمع هو بك".

قال كيلي: "لقد أعددتُ تقريرًا عن حيوانات الكنكاج. إنها ألطف الحيوانات على الإطلاق، لكنها تمزق وجهك إذا أسأت إليها".

لم تفارق الابتسامة وجه أونا، وقالت: "صغير، ولطيف، وينبغي عدم الإساءة إليه. مم.. بمن يذكرني هذا؟".

ضحك كيلي من قولها، وتجهم ليف، متذمرًا: "أنا لست لطيفًا".

- إنها مسألة رأي يا أخي الصغير. أخبرني إذن، هل كلَّفك مرشدك بأي نوع من المهام؟

تردَّد ليف، لكنه قرَّر بعد ذلك أن يخبرها، مهما بدا الأمر سخيفًا: "أعتقد أنه أرادني أن أسحب القمر من السماء".

ضحكتْ أونا، قائلة: "أتمنى لك حظًّا سعيدًا في مهمتك". ثم أغلقتِ البندقية التي أصدرت رنينًا مُرضِيًا.

***

21 - كام

أصبح منزل كام وروبرتا في واشنطن هو المكان الذي يتمنى الناس أن يُدعَوْا إليه. كَثُرَتْ سهرات العشاء مع كبار الشخصيات العالمية، والمؤثرين السياسيين، وأيقونات الثقافة الشعبية الذين يريدون جميعًا اقترابًا مثاليًّا من كامو كومبري. أحيانًا يصبح اهتمامهم عدوانيًّا للغاية، حتى تساءل كام هل يريدون حقًّا الحصول على قطعة منه كتذكار. تناول العشاء مع ولي العهد إمارة صغيرة لم يعلم بوجودها حتى ظهرت الحاشية عند الباب. شارك في حفل ما بعد العشاء مع نجم الموسيقى بريك مكدانيل، وهو الفنان الذي يتبادر إلى ذهنك عندما تفكر في عبارة "نجم الروك". في الواقع بُهِرَ كام للغاية، وتدفق إعجابه، لكنْ عندما عزفا على القيثارة جنبًا إلى جنب، أصبحا متساويين.

أسلوب الحياة غير المتزن الذي اتبعه أشبه بالإدمان والدمار الشامل. واصل كام تذكير نفسه بأن هذه الحياة ليست الجائزة، ولا هي الطريق إلى الجائزة. كل هذا التألق واللمعان ما هو إلا إلهاء عن هدفه.

لكنْ كيف يمكنك إسقاط الأشخاص الذين منحوك هذه الحياة الاستثنائية؟ هكذا يسأل نفسه أحيانًا في لحظات الضعف. مثل اللحظة التي طلب فيها بريك ماكدانيل توقيعه. إنه يعلم ضرورة الحذر في أثناء ركوب الأمواج في أثناء الإعصار، وألا يدعه يغرقه.

***

إعلان

"يومًا ما ستحضر حفل تخرج حفيدة حفيدتك من المدرسة الثانوية. يومًا ما ستعيش في مَعلم تاريخي عمره خمسمائة عام.. بُنِيَ بعد ثلاث سنوات من ولادتك. يومًا ما، سوف تغار الأشجار المعمِّرة في حدائق «ريدوود» من عمرك. الليلة، فكِّر لحظة في كل الأشياء الرائعة التي تجعل حياتك ليست طويلة فحسب، بل تستحق العيش. في المواطنة الاستباقية نُفكِّر في هذه الأشياء كل يوم. هكذا نساعد في مجيء ذلك اليوم البعيد اليوم!

إننا في المواطنة الاستباقية نعلم أن أول شخص يعيش إلى الأبد موجود بيننا اليوم، وهو أنت!".

***

أخبرتْه روبرتا ذات مساء: "يحتاجون إلى وجودي في مولوكاي". نزلتْ إلى الطابق السفلي حيث جهزوا صالة ألعاب رياضية كاملة له. قال معالجه الطبيعي القديم -عندما اكتمل شفاؤه أولَ مرة- إن مجموعات عضلاته لا تعمل أو تتناسق جيدًا مع بعضها. لو أمكنه فقط رؤية كام الآن!

- سأعود في غضون يومين، لألحق بموعد الغداء مع الجنرال بوديكر والسيناتور كوب.

لم يدعْ كام إعلانها يقاطع ممارسته تمارين رفع الأثقال خلال الاستلقاء، وقال: "أريد أن أذهب معكِ". لم يقلْ ذلك لمجرد اتخاذ موقف، بل أراد حقًّا العودة إلى المجمع الموجود في مولوكاي، وهو أقرب شيء يعرفه إلى المنزل.

- لا. آخر ما تحتاج إليه بعد كل هذا العمل الشاق هو اضطراب الرحلات الجوية الطويلة في هاواي. ابقَ هنا. ركِّز على دراساتك اللغوية حتى تتمكن من إثارة إعجاب الجنرال بوديكر بلغتك الهولندية.

الهولندية من اللغات المختلفة التي لم تُدرَج في اللغات التسع المُدرَجة في عقله. يجب أن يتعلمها كام بالطريقة القديمة. معرفته بالألمانية تساعده، لكنْ يظل التعلم عملًا روتينيًّا. إنه يفضل الطريقة الأسهل.

قال كام: "مجرد امتلاك بوديكر أصولًا هولندية، لا يعني أنه يتحدث اللغة".

- وهذا سبب إضافي سيثير إعجابه بما تفعل.

- هل أصبحتْ حياتي كلها الآن تدور حول إقناع الجنرال والسيناتور؟

- إنك تحظى باهتمام الأشخاص ذوي النفوذ. لو أردتهم أن يحققوا لك ما تريد، فالإجابة هي نعم، إثارة إعجابهم يجب أن تصبح محور تركيزك الأساسي.

ترك كام الأوزان الثقيلة تسقط، بضربة قوية مدوية، وسألها: "لماذا يحتاجون إليكِ في مولوكاي؟".

- لا يمكنني أن أقول.

جلس، وحدجها بنظرة بين الابتسامة والسخرية، قائلًا: "«لا يمكنني أن أقول». يجب أن يكتبوا ذلك على قبركِ. «هنا ترقد روبرتا جريسوولد. لا يمكننا أن نقول هل ترقد بسلام أم لا»".

لم تبتسم روبرتا لتعليقه، وقالت: "احتفظْ بروح دعابتك للفتيات اللاتي يتودَّدن إليكَ".

مسح كام وجهه بمنشفة، وأخذ رشفة من الماء، ثم سأل بأكبر قدر ممكن من البراءة: "هل تصنعين شخصًا أفضل مني؟".

- يوجد كامو كومبري واحد فقط يا عزيزي. أنت الوحيد من نوعك في الكون.

تَبرَع روبرتا في إخباره بالأمور التي تعتقد أنه يريد سماعها، لكنَّ كام بارع أيضًا في تجاوز ذلك. قال لها: "حقيقة أنكِ ذاهبة إلى مولوكاي تقول عكس ذلك".

أجابته روبرتا في حرص، كمن تخوض في حقل ألغام: "أنت فريد من نوعك، لكنَّ عملي في تطويرك لا ينتهي. وآمل أن تكون نسخة جديدة مختلفة من الإنسانية".

- لماذا؟

سؤاله البسيط بدا أنه أغضب روبرتا التي قالت: "لماذا نبني محفزات للعثور على الجسيمات تحت الذرية؟ لماذا فككنا شفرة الجينات البشرية؟

استكشاف الإمكان يمثل دائمًا مجالًا للعلم. فالعالِم الحقيقي يترك التطبيق العملي للآخرين".

أكمل كام موضحًا: "إلا إذا عَمِلَ هذا العالِم لحساب المواطنة الاستباقية. أريد أن أعرف كيف يخدمهم تجميعي".

لوَّحت روبرتا بيدها رافضة الإجابة: "ما داموا يسمحون لي بأداء عملي، فستظل أموالهم أهم بكثير بالنسبة إليَّ من دوافعهم".

تلك هي أول مرة أشارت فيها روبرتا إلى مسؤولي المواطنة الاستباقية بضمير «هم»، بدلًا من «نحن». بدأ كام يتساءل هل الكارثة التي سبَّبتها ريسا خلقتْ مشكلات بين روبرتا والمنظمة. تساءل إلى أي مدى ستذهب حتى تستعيد رضاهم عنها.

صعدتْ روبرتا إلى الطابق العلوي، تاركة كام لينهي تمرينه، لكنه لم يعدْ يؤديه بحماس. ومع ذلك، توقَّف لحظة ليتفحَّص جسده في المرآة المثبَّتة على الحائط.

لم توجد مرايا في المكان بعد تجميع كام مباشرة، عندما اتخذتِ الندوب هيئة خطوط سميكة في جميع أنحاء جسده وكان من المروِّع النظر إليها. لقد اختفتْ تلك الندوب الآن، مُخلِّفة آثار التحام ناعمة، لذا لم يعد يكتفي من المرايا. إن أكبر خطيئة يرتكبها بسعادة هي مدى استمتاعه بتأمل نفسه وهذا الجسد الذي منحوه إياه. إنه يحب جسده، ومع ذلك فهو لا يصل إلى درجة حب نفسه.

لو أحبتني ريسا -حقًا ودون إكراه- سأتمكن من عبور هذه الفجوة، وسأشعر بذلك عندئذٍ.

إنه يعرف ما عليه فعله لتحقيق ذلك، وبعد أن تصبح روبرتا على بعد خمسة آلاف ميل، يمكنه أن يبدأ العمل اللازم لتحقيق هدفه دون خوف من تدقيقها المستمر في كل ما يفعله. لقد ماطل طويلًا.

***

إعلان

من نحن؟ نحن خطوتان إلى الأمام، مقابل كل خطوة إلى الخلف. الصمت بين دقات قلب أبيك الجديد، والنسيم الذي يجفف دموع طفل مضطرب. نحن المطرقة التي تحطم السقف الزجاجي للعمر، والمسمار في نعش المرض الفتاك. في بحر من عدم اليقين، نحن صوت العقل، وبينما محكوم على الآخرين أن يعيشوا على ذكريات الماضي، فإننا نتحدى أنفسنا لنعيش المستقبل. نحن ضوء الفجر المبكر. نحن اللون الأزرق السماوي خلف النجوم. نحن المواطنة الاستباقية. وإذا لم تسمع بنا من قبل، فلا بأس بذلك. هذا يعني فقط أننا نؤدي عملنا.

***

حالما انطلقت سيارة روبرتا الليموزين في صباح اليوم التالي، بدأ كام العمل على الكمبيوتر في غرفته، وتحركت يداه خلال الشاشة الكبيرة كمن يُلقي تعويذة. أنشأ هُويَّة لا يمكن تعقبها على المساحة العامة المسماة بالسحابة والمستخدمة لتخزين بيانات المستخدمين؛ السحابة العالمية شديدة الكثافة والغيام لدرجة إغراق العالم في الظلام الأبدي لو أنها حقيقية وليست مجرد سحابة افتراضية. إنه يعلم أن كل أنشطته تخضع للمراقبة، لذا استخدم بيانات محترف ألعاب إلكترونية شغوف في مكان ما في النرويج. سيعتقد أي شخص يراقبه أنه مهتم بغارات الفايكنج على أعدائهم في لعبة (Trolls vs Vikings).

بعد ذلك، وهو محجوب عن السحابة العامة، تلاعب بجدار حماية خادم المواطنة الاستباقية وهاجمه إلى أن سمح له بالمرور، وهذا ما أتاح له الوصول إلى جميع أنواع المعلومات المشفرة. لكنْ بالنسبة إلى كام، فإن تحويل العشوائية والتفكك إلى شيء مفهوم هو أسلوب حياة. لقد استطاع فرض النظام داخل الفوضى المشرذمة لعقله المُجمَّع، لذا فإن بث الفوضى في النظام الوقائي لمنظمة المواطنة الاستباقية هو بمنزلة نزهة في الحديقة.

***

22 - ريسا

يمكن القول إن أوماها هي المركز الجغرافي لمدينة «هارتلاند» الأمريكية. لكنَّ ريسا لا تشعر بأنها كذلك. إنها بحاجة إلى الوجود في مكان آخر، لكنْ لا تملك وجهة أو خطة. لقد شعرت أكثر من مرة أنها أخطأت عندما تخلت عن حماية مجتمع ساي-فاي الصغير، لكنها شعرت بالغربة وسط شعب تايلر. ريسا الآن مضطرة إلى العيش في الظل، ولا ترى سبيلًا للخروج منه، ولا أي مستقبل لا يتضمن الاختباء.

ما زالت تأمل رؤية علامات تدل على وجود مقاومة الانقسام، لكنَّ هذه المنظمة قد انهارت. أخذت تفكر: "اليوم سأجد طريقًا أسلكه. اليوم سيتكشَّف أمامي أمر ما، وسأعرف بالضبط ما يجب أن أفعله". لكنَّ الوحي أصبح سلعة نادرة في وجود ريسا المنعزل. وبالقرب منها سمعت هذا الحوار:

- إنها هدية عيد ميلادك يا راتشيل، هدية سندفع أنا ووالدك الكثير من المال ثمنًا لها. عبِّري عن امتنانك على الأقل.

- لكنَّ هذا ليس ما طلبته!

أدركتْ ريسا أن محطات القطار -مثل هذه- تحتوي على طبقتين لا تختلطان؛ لا تتلامسان حتى. الطبقة العليا تشمل المسافرين الأثرياء -مثل الأم وابنتها الجالستين على المقعد المقابل لها- الذين يركبون القطارات عالية السرعة مع كل وسائل الراحة لنقلهم من مكان خاص إلى آخر. الطبقة السفلى تضم الحثالة الذين ليس لديهم مكان آخر سوى المحطة للتسكع به.

- قلت إنني أريد أن أتعلم عزف الكمان يا أمي. كان بإمكانك الاشتراك لي في عشرة دروس.

تعرف ريسا أنها لا تستطيع ركوب أيٍّ من هذه القطارات. يوجد الكثير من رجال الأمن، والكثير من الناس يعرفون وجهها. ستقابلها في المحطة التالية كتيبة من الضباط الفيدراليين الذين سيسعدون باحتجازها. القطار -مثل أي وسيلة نقل مشروعة أخرى- ليس سوى حلم بالنسبة إلى ريسا.

- لا أحد يريد أن يتعلم العزف على آلة موسيقية يا راتشيل. إنه أمر مرهق. إضافة إلى ذلك؛ أنت أكبر من سن البدء الآن. يبدأ عازفو الكمان -الذين يتعلمون الطريقة التقليدية- وهم في السادسة أو السابعة من عمرهم.

استمعتْ ريسا مُكرهة لمحادثة المزعجة بين المرأة الأنيقة وابنتها المراهقة شعثاء الشعر اتباعًا للموضة.

تذمرت الفتاة: "أليس سيئًا بما يكفي أنهم سيعبثون بعقلي ويزرعون لي نسيجًا عصبيًّا؟ أيجب أيضًا أن أحصل على يدين؟ يداي تروقان لي!".

ضحكت الأم، قائلة: "لقد ورثتِ أصابع والدك الصغيرة الممتلئة والقصيرة يا عزيزتي. الارتقاء بجسدك سيفيدك في حياتك، ومن المعروف أن الأنسجة العصبية الموسيقية تتطلب ذاكرة عضلية لإكمال التواصل بين الدماغ والجسم".

أعلنت الفتاة منتصرة: "لا توجد عضلات في أصابعنا! لقد تعلمت ذلك في المدرسة".

أجابتها الأم بتنهيدة طويلة تُعبِّر عن معاناتها.

الأمر الأكثر إثارة للقلق في هذه المحادثة هو أنها ليست واقعة فردية. لقد أصبح من الشائع أكثر فأكثر أن يجري الناس عمليات زرع من باب الغطرسة. هل تريد مهارة جديدة؟ اشترِها بدلًا من أن تتعلمها. لا يروق لك شعرك؟ احصل على فروة رأس جديدة. الجراحون يقفون على أهبة الاستعداد.

- فكري فيهما كقفاز يا راتشيل. قفاز حريري فاخر، كالذي ترتديه الأميرة.

لم تعد ريسا قادرة على التحمل أكثر من ذلك. تأكدتْ أن غطاء رأسها منسدل بدرجة كافية بحيث لا يمكن رؤية وجهها، ونهضت، وبينما تمر بجوارهما، قالت: "ستحصلين على بصمات أصابع شخص آخر".

بدا الرعب على الأميرة راتشيل، وصاحت في اشمئزاز: "انتهى الأمر! لن أفعل ذلك".

عند مغادرة محطة القطار، خرجتْ ريسا في مساء أغسطس المشبع بالرطوبة. أدركت أن عليها أن تبدو مشغولة، كمن بصدد الذَّهَاب إلى مكان ما لغرض ما. مظهرها الخامل سيجعلها هدفًا لشرطيي الأحداث وقراصنة الأعضاء، وبعد مواجهتها الأخيرة مع قرصان أعضاء، لم ترغب في تَكْرار التجربة.

حملت على كتفها حقيبة ظهر وردية سرقتها من ملعب إحدى المدارس؛ مرسومًا عليها قلوب وباندا. رأت ضابط شرطة يسير في الشارع تجاهها، لذا أخرجت هاتفًا لا يعمل فعليًّا وتظاهرت بإجراء محادثة وهمية في أثناء سيرها.

- أعرف. أليس لطيفًا بحق! أوه، إنني أتحرَّق شوقًا إلى الجلوس بجواره في درس الرياضيات.

يجب أن يبدو أن لديها مكانًا تذهب إليه وأشخاصًا تافهين تتحدث معهم عن حياتها التافهة. إنها تعرف مظهر الهاربين من التفكيك، وعليها أن تعطي انطباعًا بأي شيء غير ذلك.

- يا لها من مقززة! أعرف! إنني أكرهها؛ يا لها من فاشلة!

مرَّ الضابط ولم ينظر حتى إلى ريسا. تجاربها المؤلمة السابقة سببت لها هذا الوهم. ومع ذلك، الأمر مرهق، ومع انتصاف الليل، لن توجد أي فتاة محترمة في أحد شوارع وسط مدينة أوماها. بصرف النظر عن الصورة التي تحاول تصديرها، ستثير الشكوك.

بقيت في محطة القطار دون منغصاتٍ لمدة ساعة تقريبًا، لكنَّ المحطة معروفة كمكان استراحة كلاسيكي للصبية الهاربين، لذا علمت أنها لا تستطيع البقاء طويلًا. أخذتْ تراجع خياراتها. توجد بعض مباني المكاتب التاريخية القديمة التي تحتوي على مخارج طوارئ قديمة الطراز. يمكنها التسلق والعثور على نافذة غير مغلقة جيدًا. لقد فعلتْ ذلك سابقًا، وتمكنت دائمًا من تجنب عمال نظافة المناوبة المسائية. يكمن الخطر في رصدها في أثناء الاقتحام.

يوجد الكثير من المتنزهات، لكنْ بينما يمكن للمتشردين المسنين النوم على مقاعد الحديقة، فإن الهارب الشاب لا يمكنه ذلك. وما لم تتمكن من اقتحام كشك الصيانة، فلن تخاطر بالبقاء في الحديقة. في العادة، تحرص

على فحص مثل هذه الأماكن في وقت مبكر من اليوم. عندما يكون الكشك مفتوحًا، تستبدل بالقفل آخرَ تملك مفتاحه. ثم عندما يُغلقه حارس الحديقة، لا يفطن لحقيقة أنه مَن سيعجز عن الدخول. لكنها شعرت بالكسل والإرهاق اليوم. لم تعتنِ بالأمر كما يجب، وها هي الآن تدفع الثمن.

يوجد مسرح في الشارع التالي يقدم إعادة عرض للمسرحية الموسيقية الكلاسيكية «كاتس» التي من المحتمل أن تعانيها البشرية إلى الأبد. إذا تمكنت من سرقة تذكرة واحدة، سيمكنها الدخول، ثم العثور على مكان للاختباء؛ مساحة مخفية بأعلى فوق خشبة المسرح، أو أركان القبو المليئة بالعوارض الخشبية أو المعدنية.

أخطأت عندما قطعتْ زقاقًا خلفيًّا للوصول إلى المسرح. ففي منتصف الزقاق، قابلتْ ثلاثة صبية. بدوا في الثامنة عشرة أو نحو ذلك. قدَّرَت على الفور أنهم إما هاربون من التفكيك عاشوا بما يكفي لتجاوز سن التفكيك، وإما ربما كانوا من بين آلاف الصبية البالغين 17 عامًا، الذين أُطلِق سراحهم من مخيمات الحصاد عندما أُقرَّ قانون «كاب-17». ومن المؤسف أن معظم هؤلاء الأطفال تُرِكوا في الشوارع بلا أي مكان يذهبون إليه، فغضبوا، وفسدت أخلاقهم، مثل الفاكهة التي تُرِكَتْ طويلًا على الشجر.

قال الأطول بين الثلاثة: "حسنًا، حسنًا.. ماذا لدينا هنا؟".

قالت ريسا في اشمئزاز: "حقًّا؟ «ماذا لدينا هنا؟» أهذا أفضل ما يمكنك قوله؟ إذا نويت مهاجمة فتاة لا حول لها ولا قوة في زقاق، حاول على الأقل ألا تكون نمطيًّا".

حقَّق موقفها التأثير المطلوب. فاجأهم وجعل زعيم الحمقى يتراجع خطوة إلى الخلف. تحركت ريسا لمواصلة السير، لكنَّ صبيًّا بدينًا -بما يكفي لعرقلة طريقها- حجب رؤيتها لنهاية الزقاق. اللعنة، لقد أملتْ حقًّا ألا يصبح هذا الأمر فوضويًّا.

ابتسم زعيم الحمقى، مُظهرًا سنتيه الأماميتين المكسورتين، وقال: "بورترهاوس لا يحب الفتيات المغرورات". عبس وجه الصبي البدين -الذي لا بدَّ أنه بورترهاوس- وشد جسده الضخم كحارس ملهى ليلي، قائلًا: "هذا صحيح".

فكرت ريسا أن صبية مثل هؤلاء هم الذين جعلوا الناس يعتقدون أن التفكيك فكرة جيدة.

أما الصبي الثالث، فظل متباطئًا، دون أن يقول شيئًا، وبدا عليه بعض القلق. حددتْ ريسا أنه طريق الهروب المحتمل. لم يتعرَّفها أحد منهم. لو فعلوا، لتضاعفت دوافعهم لمهاجمتها على الفور. بدلًا من محاولة التحرش بها، ثم تركها هناك في الزقاق، سيفعلون ما يريدون، ثم يسلمونها للسلطات للحصول على المكافأة.

قال زعيم الحمقى: "دعينا لا نبدأ بالإساءة الآن. يمكننا مساعدتك".

قال بورترهاوس: "نعم، لو ساعدتِنا". ضحك الصبي الثالث لقوله، وتقدم لينضم إلى الاثنين الآخرين. اتخذ زعيم الحمقى خطوة جريئة تجاهها، قائلًا: "نحن النوع من الأصدقاء الذي تحتاج إليه فتاة مثلك، لحمايتكِ وما إلى ذلك".

حدقت ريسا إليه في تحدٍّ، قائلة: "مسَّ أي جزء مني، وسأكسر إحدى عظامك".

أدركت أن رجلًا كهذا -يغلب اندفاعه عقله- سيعتبر قولها بمنزلة تجرؤ عليه، وهو ما حدث. أمسك معصمها، مستعدًّا لأي شيء قد تحاول فعله.

ابتسمتْ له، ورفعت قدمها، وضربت ركبة بورترهاوس بكعب حذائها بدلًا من قائده، فانكسرتْ بصوت مسموع، ليسقط صارخًا وهو يتلوَّى من الألم. صدمة زعيم الحمقى جعلتْه يخفف قبضته، فدارتْ ريسا وضربته بمرفقها في أنفه. لم تتأكد هل كسرته أم لا، لكنَّ الدم بدأ يتدفق منه.

صرخ: "أيتها اللعينة!!".

عانى بورترهاوس عذابًا شديدًا، وأخذ ينتحب في صمت. أما الصبي الثالث، فاعتبر ما حدث إشارة له لمغادرة المكان، فركض في الزقاق، وهو يعلم أنه سيصبح التالي لو لم يفر.

وهنا زاد زعيم الحمقى الطين بلة، عندما أخرج سكينًا وبدأ يلوح بها أمام ريسا، محاولًا إصابة أي جزء ممكن منها، بضربات عشوائية، لكنها قد تكون مميتة.

استخدمت حقيبة ظهرها كدرع، لكنه مزقها بسكينه، فانفتحت. لوَّح بالسلاح مرة أخرى، واقترب خطوة من وجهها.

ثم فجأة سمعت ريسا صوتًا يصيح: "ادخلي هنا! أسرعي!"

وجدت امرأة تُخرِج رأسها من الباب الخلفي لأحد المتاجر. لم تتردَّد ريسا. اندفعت نحو الباب المفتوح، وحاولت المرأة إغلاقه خلفها. كادت تفعل، لكنَّ زعيم الحمقى أدخل يده وأوقف الباب، فصفقت المرأة الباب بشدة على يده. صرخ على الجانب الآخر من الباب. ضربت ريسا الباب بكتفها لتصيب أصابعه مرة أخرى. صرخ بصوت أعلى. خفَّفت من ضغطها على الباب بما يكفي حتى يتمكن من سحب أصابعه المتورمة إلى الخلف، ثم دفعت الباب لإغلاقه بالكامل فيما وضعت المرأة قفلًا عليه.

استمعتا لوابل غاضب ولاذع من السباب واللعنات التي نمَّت عن العجز بشكل متزايد، إلى أن انصرف زعيم الحمقى وبورترهاوس بخطوات متعثرة، متعهدين بالانتقام.

هنا فقط نظرت ريسا إلى المرأة، لتجدها في منتصف العمر، تحاول إخفاء تجاعيدها بالمكياج؛ لها شعر كبير، وعينان طيبتان.

- هل أنت بخير يا عزيزتي؟

- نعم. لكنَّ حقيبتي ليست كذلك.

ألقت المرأة نظرة سريعة على حقيبة الظهر.

- باندا وقلوب؟ هذا الشيء استلزم من ينهي معاناته يا عزيزتي!

ابتسمت ريسا، وأطالت المرأة النظر إليها. هنا أدركت ريسا أن تعرُّفها قد حدث. المرأة تعرف هُويَّتها، رغم أنها لم تكشف ذلك على الفور.

- يمكنكِ البقاء هنا حتى نتأكد من رحيلهم إلى الأبد.

- شكرًا.

بعد لحظة صمت، واجهتها المرأة بلا مواربة: "أعتقد أنني يجب أن أطلب توقيعك".

تنهدت ريسا: "لا تفعلي، أرجوكِ".

ابتسمت المرأة في خبث وقالت: "حسنًا، لأنني لن أسلِّمك للحصول على أموال المكافأة، فقد اعتقدتُ أنني قد أبيع التوقيع يومًا ما. ربما يساوي شيئًا".

بادلتها ريسا الابتسام، وقالت: "تقصدين بعد أن أموت؟ حسنًا، لقد نجح ذلك فعلًا مع فان جوخ".

ضحكتْ ريسا، وبدأ الضحك يخلصها من القلق الذي شعرت به منذ لحظات قليلة، لكنها ظلت تشعر بتدفق الأدرينالين في جسدها، وهذا ما جعل أصابعها ترتعش. سيستغرق الأمر وقتًا أطول حتى يدرك جسدها أنها سالمة.

- أواثقة أنتِ أن جميع الأبواب مغلقة؟

- لقد رحل هؤلاء الأولاد منذ مدة طويلة يا عزيزتي، وهم يلعقون جروحهم ويضعون ثلجًا على غرورهم المصاب. لكن، نعم الأبواب مغلقة جيدًا، حتى لو عادوا، فلن يتمكنوا من الدخول.

- مثل هؤلاء هم من يلصقون بنا نحن المراهقين سمعة سيئة.

لوَّحت المرأة بيدها، قائلة: "القاع يتسع لجميع الأعمار. أعرف ذلك جيدًا. لقد واعدتُ حصتي منهم. لا يمكنكِ تفكيك الصغار فحسب، لأن بمجرد رحيلهم، سيغرق آخرون في القاع ليأخذوا مكانهم".

حاولتْ ريسا تقييم المرأة بعناية، لكنْ لم تَسهُل قراءتها: "هل أنتِ إذن ضد التفكيك؟".

- أنا ضد الحلول الأسوأ من المشكلة. مثل النساء المسنات اللاتي يرغبن في صبغ شعرهنَّ بلون طلاء الأحذية لإخفاء الشيب.

أخيرًا، استغرقتْ ريسا لحظة لتنظر حولها، فأدركت سريعًا سبب إجراء المرأة هذه المقارنة التي تحدثت عنها. إنهما في الغرفة الخلفية لصالون تصفيف شعر، وهو مكان قديم به مجففات شعر كبيرة وأحواض سوداء محزَّزة. قدَّمت المرأة نفسها باسم أودري، مالكة «لوكس آند بيجلز»، وهو مكان متخصص في خدمات التصفيف والعناية بالشعر لمن يصرون على اصطحاب كلبهم معهم في كل مكان.

- ستصيبك الدهشة لو علمتِ المبلغ الذي يمكن أن تدفعه بعض تلك السيدات مقابل غسل شعرهنَّ وقصه، ما دام يمكن لكل منهن الاحتفاظ بكلبها «الشيواوا» على ساقيها في أثناء ذلك. (نظرت أودري إلى ريسا كعميل محتمل): المتجر مغلق الآن طبعًا، لكني لن أمانع في تغيير مظهر إحداهنَّ بعد انتهاء ساعات العمل.

قالت ريسا: "شكرًا لك، لكني على ما يرام".

قطبتْ أودري حاجبيها، وقالت: "دعكِ من التفكير العتيق. ظننتُ أن غريزة البقاء لديكِ أفضل من ذلك!".

تحفزت ريسا، وسألتها: "أستمحيكِ عذرًا".

- ماذا؟ أتظنين أن الاختباء تحت غطاء محرك سيارة سيفيدك؟

- لقد تدبرتُ أمري جيدًا حتى الآن، شكرًا جزيلًا لكِ.

قالت أودري: "لا تسيئي فهمي. الذكاء والغريزة يقطعان شوطًا طويلًا، لكن عندما تشعرين بالزهو الشديد بمدى ذكائك وقدرتك على التفوق على القوى الموجودة، فلا بدَّ أن تحدث أمور سيئة".

بدأت ريسا تفرك معصمها تلقائيًّا. لقد اعتقدتْ أنها أفضل من أن تقع في الفخ، ولهذا السبب انتهى بها الأمر إلى الوقوع فيه. تغيير مظهرها سيكون لمصلحتها، فلماذا تقاوم ذلك؟

أدركت الإجابة بتفكير شبه لاهث: "لأنكِ تريدين الاحتفاظ بشكلك نفسه الذي يعرفه كونر".

إنه يطرأ على ذهنها أكثر فأكثر، وهذا ما يؤدي إلى تشويش حكمها بطرق لم تفكر فيها قطُّ. لا يمكنها أن تدع شعورها تجاهه يقف في طريق الحفاظ على نفسها.

سألتها ريسا: "أي نوع من تغيير المظهر تقصدين؟".

ابتسمت أودري، قائلة: "ثقي بي يا عزيزتي. عندما أنتهي من عملي، ستصبحين امرأة جديدة تمامًا!".

***

استغرق العمل ما يقرب من ساعتين. اعتقدت ريسا أن أودري ستصبغ شعرها باللون الأشقر، لكنها منحته لونًا كستنائيًّا مع تنصيع بعض الأجزاء وتصفيفه بتموجات خفيفة.

قالت أودري لريسا: "يعتقد معظم الناس أن لون الشعر هو الذي يغير شكل الشخص، لكنَّ هذا غير صحيح. الأمر كله يتعلق بتناسق المظهر، والشعر ليس الأهم، بل العينان. معظم الناس لا يدركون أن تميز شخصياتهم يكمن في أعينهم بنسبة كبيرة"، ولهذا اقترحتْ حقن الصبغيات.

- لا تقلقي. أنا متخصصة صبغيات بصرية مرخَّصة. أفعل ذلك كل يوم ولم أتلقَّ أي شكوى، إلا من أولئك الذين سيتذمرون مهما فعلت.

واصلتْ أودري الحديث عن جميع عملائها من المجتمع الراقي وطلباتهم الغريبة، بدءًا من ألوان الأعين الفسفورية التي تتناسب مع أظفارهم، وحتى حقن الصبغيات السوداء الحالكة التي تجعل حدقة العين تبدو كأنها ابتلعتِ القزحية تمامًا. بدا صوتها مهدئًا كالمخدر الموجود في القطرات التي وضعتها في عيني ريسا. أرخت ريسا دفاعاتها، ولم تنتبهْ إلا بعد فوات الأوان إلى أن أودري قد ثبتتْ ذراعيها على مسندي الكرسي، وثبتتْ رأسها في مكانه على مسند الرأس. بدأتْ ريسا تسأل في ذعر: "ماذا تفعلين؟ دعيني أذهب".

ابتسمتْ أودري فحسب، قائلة: "أخشى أنني لا أستطيع فعل ذلك يا عزيزتي". واستدارت للوصول إلى شيء لم تستطع ريسا رؤيته.

أدركتْ ريسا الآن أن خطة أودري لا عَلاقة لها بمساعدتها. إنها تريد المكافأة في النهاية! مكالمة واحدة وستكون الشرطة هنا. يا لغباء ريسا عندما وثقت بها! كيف كانت عمياء إلى هذا الحد!

عادتْ أودري وفي يدها جهاز قبيح المظهر. محقن يحتوي على عشرات الإبر الصغيرة في طرفه؛ تشكل دائرة صغيرة.

- لو لم أقِّيد حركتك، فقد تتحركين في أثناء العملية، أو حتى تمسكين بالجهاز كرد فعل منعكس، وقد يؤدي ذلك إلى تلف قرنيتك. تثبيتكِ في المقعد الغرض منه حمايتك.

تنفست ريسا الصُّعداء في ارتياح. ظنتْ أودري أنها اضطربت عند رؤية إبر المحقن، فقالت مطمئنة: "لا تقلقي يا عزيزتي. قطرات العين التي أعطيتكِ إياها كالسحر. أعدكِ أنك لن تشعري بأي شيء".

وجدتْ ريسا عينيها تفيضان بالدموع. هذه المرأة تبغي حقًّا مساعدتها. شعرت بالذنب بسبب الارتياب المرضي الذي انتابها، رغم أن أودري لم تعرف قطُّ بما حدث، وسألتها ريسا: "لماذا تفعلين هذا من أجلي؟".

لم تجبْ أودري في البداية. ركزت انتباهها على المهمة التي تؤديها، إذ حقنت قزحية ريسا بلون أبقته كمفاجأة، ووعدت بأن ريسا ستحبه. صدقتها ريسا بسبب ثقة المرأة الشديدة بما تفعل. للحظة، شعرت ريسا كأنها قد تفكَّكت، لكنها أرادت التخلص من هذا الإحساس. يوجد تعاطف هنا، وليس انفصالًا مهنيًّا.

قالت أودري في أثناء عملها على عين ريسا الأخرى: "أنا أساعدك لأنني أستطيع ذلك.. وبسبب ابني".

ظننتْ ريسا أنها قد فهمت الأمر، فقالت: "ابنك... هل فككتِه؟".

- لا، لا شيء من هذا القبيل. منذ اللحظة التي وصل فيها إلى بابي، أحببته. لم أكن لأتخلى عنه قطُّ.

- أهو طفل منقول؟

- نعم. تركوه عند باب منزلي في أوج الشتاء، وهو ناقص النمو أيضًا. من حسن الحظ أنه ظل حيًّا.

صمتت مؤقتًا حتى تتحقق من تأثير الأصباغ التي حقنتها، ثم أضافت طبقة ثانية من الحقن: "بعد ذلك، عندما أصبح في الرابعة عشرة من عمره، شُخِّصَ بالسرطان. سرطان المعدة الذي انتشر إلى الكبد والبنكرياس".

- يؤسفني ذلك للغاية.

مالت أودري إلى الخلف، ونظرت إلى عيني ريسا، لكنْ ليس لتقييم عملها، وقالت: "إنني لم أقبلْ قطُّ جزءًا مفككًا لنفسي يا عزيزتي، لكن عندما أخبروني أن الطريقة الوحيدة لإنقاذ حياة ابني هي إخراج أمعائه واستبدال أعضاء شخص آخر بجميع أعضائه الداخلية، لم أتردد حتى. قلت: نفذوا! افعلوا ذلك حال إدخاله إلى غرفة العمليات".

لم تُعلِّق ريسا، مدركة أن هذه المرأة تحتاج إلى الاعتراف.

- أتريدين معرفة السبب الحقيقي خلف استمرار التفكيك وازدياده قوةً يا آنسة ريسا وورد؟ ليس بسبب الأعضاء التي نريدها لأنفسنا، بل بسبب استعدادنا لعمل أي شيء لإنقاذ أطفالنا.

فكرت في الأمر، وضحكتْ في أسف: "تخيلي أننا على استعداد للتضحية بالأطفال الذين لا نحبهم من أجل من نحبهم! وندعو أنفسنا متحضرين!".

قالت لها ريسا: "ليس خطأكِ أن التفكيك موجود".

- أليس كذلك؟

- لم تجدي طريقة أخرى لإنقاذ ابنك. لم يكن لديكِ خيار.

قالت أودري: "يوجد دائمًا خيار. لكنْ لا خيار آخر كان سيُبقِي ابني حيًّا. لو وجدتُ خيارًا آخر لاتخذته، لكني لم أجد.

حلَّت قيود ريسا، ثم استدارتْ لتنظف علبة الحقن، قائلة: "على أي حال، ابني حي وفي الكلية، ويتصل بي مرة واحدة على الأقل أسبوعيًّا -عادة لطلب المال- لكنَّ حقيقة أنني أستطيع تلقي هذه المكالمة تُعد معجزة بالنسبة إليَّ. لذا فإن ضميري سوف يتألم لبقية حياتي، لكنَّ هذا ثمن بسيط يجب أن أدفعه مقابل بقاء ابني على هذه الأرض".

أومأت ريسا برأسها، دون أن تنطق بكلمة. أيمكنها إلقاء اللوم عليها لاستخدام كل الوسائل المتاحة لإنقاذ حياة ابنها؟

قالت أودري وهي تدير مقعد ريسا لتواجه المرآة: "تفضلي يا عزيزتي، ما رأيك؟".

لم تستطعْ ريسا أن تصدق أنها هي الفتاة التي في المرآة. وجدت التمويج لطيفًا للغاية، حتى إن شعرها، الذي كان عريضًا ومنتفخًا، استرسل في سلسلة لطيفة من الخصلات البنية المحمرَّة، يتخللها القليل من لون أنصع. وعيناها! لم تمنحها أودري هذا النوع البغيض من الصبغيات الذي تعانيه الكثير من الفتيات هذه الأيام، بل غيرتْ لون عيني ريسا من البني إلى الأخضر الطبيعي والواقعي للغاية. إنها جميلة.

قالت أودري في فخر واضح بعملها: "ماذا أخبرتكِ؟ التنسيق بين الشعر ولون العينين. إنه مزيج ناجح!".

- المظهر رائع! كيف يمكنني أن أشكرك؟

قالت لها أودري: "لقد شكرتِني فعلًا، عندما سمحتِ لي بتغيير مظهرك".

تأملت ريسا نفسها طويلًا، كما لم تفعل من قبل. التغيير. إنه شيء طال انتظارُ هذا العالمِ المضللِ إياه أيضًا. آه لو عرفتْ ريسا فقط كيف تحقق ذلك! عاد عقلها إلى قصة أودري المؤثرة عن ابنها. في الماضي، استهدف الطب علاج أمراض العالم، وذهبتْ أموال البحث إلى إيجاد حلول. أما الآن، فيبدو أن الأبحاث الطبية لا تفعل شيئًا سوى إيجاد طرق غريبة بشكل متزايد لاستخدام أجزاء المفككين المختلفة والمتنوعة. أنسجة عصبية بدلًا من التعليم. تجديد العضلات بدلًا من ممارسة الرياضة. ثم يوجد كام. أيحتمل أن ما قالته روبرتا صحيح؛ أن كام هو موجة المستقبل؟ كم بقي من الوقت حتى يبدأ الناس يشتهون أجزاءً متعددة من عدة أشخاص، لأن هذه هي أحدث صيحة؟ نعم،

ربما يستمر التفكيك بسبب الآباء المستقتلين لإنقاذ أطفالهم، لكنَّ رغبة البعض في التفاخر والكمال هي التي تسمح له بالازدهار بمثل هذه القوة.

آه لو وُجِدَ أي خيار آخر! إنها أول مرة تساءلت فيها ريسا حقًّا عن سبب عدم وجود ذلك الخيار الآخر.

***

23 - نيلسون

ج. ت. نيلسون -الذي عمِل سابقًا في هيئة الأحداث في ولاية أوهايو، وأصبح الآن عميلًا حرًّا- يعتبر نفسه رجلًا أمينًا يسدد مستحقاته في عالم غير أمين. حصل نيلسون على شاحنته الحالية بطريقة قانونية. لقد اشتراها نقدًا من تاجر سيارات مستعملة في توكسون، في اليوم التالي لتعرضه للتهدئة على يد صبي في الرابعة عشرة من عمره. لم يفكر العُشر الذي تحول إلى مصفق -والذي تركه غائبًا عن الوعي على جانب الطريق لتنهشه الحيوانات الضارية، ولتحرقه شمس أريزونا في الصباح- في سرقة حافظة نقود نيلسون الذي شكر السماء على المعجزات الصغيرة. لقد أتاح ذلك لنيلسون ترف البقاء رجلًا أمينًا.

كان تاجر السيارات المستعملة محتالًا، وسَعِد ببيع نيلسون الشاحنة الزرقاء المُنتَجة منذ عشر سنوات، بمبلغ أكثر مما تستحقه، لكنَّ نيلسون لم يملك وقتًا ليضيعه. كل الأموال التي حصل عليها أخيرًا من بيع المفككين ذهبت في عملية الشراء، لكنَّ سرقة السيارة لم تردْ بذهنه، لأن عندما يتورط المرء في عمل غير مشروع مثل قرصنة الأعضاء، فمن الأفضل أن يحافظ على القانون في الأمور الأخرى، حتى لا تتفاقم الجرائم. على الأقل الآن ليس عليه أن يتلفت خوفًا من مطاردة دورية الطريق السريع.

عندما رأى نيلسون الصورة في الأخبار -تلك التي نشرها آرجان سكينر بوضوح سافر- تعامل معها الجميع باعتبارها مزحة. شيء يدعو إلى الضحك، لأنها لم تُقبَل فعلًا كدليل من قبل هيئة الأحداث ومكتب التحقيقات الفيدرالي باعتبارها خَدْعَة. لكنَّ نيلسون عرف أنها ليست كذلك. ليس فقط لأنه يعلم أن كونر ما زال حيًّا، بل لأنه في الصورة كان يرتدي السروال المموه الأزرق السخيف ذاته، الذي ارتداه في المقبرة. لقد أجرى بحثه عن آرجان

قبل أن يتوجه إليه بتلك الزيارة المصيرية. شاب فاشل يشغل وظيفة متدنية، وله سجل إجرامي صغير مثير للشفقة بسبب القيادة تحت تأثير الكحول والشجار في إحدى الحانات. ومع ذلك، يمكن أن يفيد نيلسون، وفي الحالة التي هو عليها حاليًّا، يحتاج قرصان الأعضاء إلى شخص ما بجواره. رغم محاولته عدم إظهار ذلك، فإن تلك الساعات التي قضاها غائبًا عن الوعي في صحراء أريزونا أثرت فيه بشكل أعمق من مجرد التسبب في الحروق المؤلمة على وجهه. لدغته بعض الحيوانات، وبعضها مصاب بعدوى. من يدري كُنه الأمراض التي تحملها تلك الحيوانات! لكنه لن يدع شيئًا يشتته عن هذا الأمر الآن. ليس قبل أن يحصل على جائزته.

***

24 - آرجان

عليه أن يصبح ذكيًّا؛ أذكى من أي شخص يعترف بذكائه؛ أذكى حتى مما يظن نفسه. ويجب أن يرتقي إلى مستوى الحدث، لأنه إن لم يفعل، فقد يموت في النهاية.

قال نيلسون: "تحدث إليَّ يا آرجان. أخبرني بكل ما قاله لاسيتر عندما احتجزتَه في قبو منزلك".

إنه يومهما الأول: غادرا هارتسديل منذ ما لا يقل عن نصف ساعة، متجهين شمالًا. هذا الرجل الجالس خلف عجلة القيادة –قرصان الأعضاء– ذكي ويجيد عمله. لكنَّ شيئًا ما في عينيه يشير إلى اقترابه إلى حافة الجنون، ويحاول التوازن للبقاء على حافة التعقل. ربما قاده كونر لاسيتر إلى تلك النقطة. لو أن نيلسون قد فقد تفوقه حقًّا، فربما أصبح هو وآرجان متساويين.

- أخبرني بأي شيء تتذكره. حتى لو اعتقدتَ أنه غير مهم، أريد أن أعرف.

وهكذا، بدأ آرجان يتحدث بلا توقف إلا قليلًا. وأخذ يسرد كل ما قاله كونر، مع الكثير من الأشياء التي لم يقلها.

قال آرجان مزهوًّا: "نعم، يجب أن نضيِّق عليه الخناق. لقد أخبرني بكل هذا الهراء عن حياته الماضية. مثل كيف غيَّر والداه أقفال المنزل بعد احتجازه الأخير من قبل شرطة الأحداث، قبل أن يُوَقِّعا أمر تفكيكه. وكيف استاء من أخيه الصغير لطيبته الدائمة. هذه هي الأشياء التي قرأها آرجان عن إوُول آكرون قبل مدة طويلة من مجيء كونر لشراء الشطائر من المتجر الذي يعمل فيه. لكنْ ليس هذا ما يحتاج نيسلون إلى معرفته.

قال نيلسون: "لقد ضيقتَ عليه الخناق، لدرجة دفعتْه إلى تمزيق وجهك، أليس كذلك؟".

لمس آرجان الغرز الموجودة على الجانب الأيسر من وجهه، والتي أصبحتْ مرئية الآن بعد إزالة الشاش. إنها تسبب له إحساسًا فظيعًا بالحِكَّة، لكنها تؤلمه فقط عندما يلمسها بقوة. قال آرجان: "يا له من لعين لئيم! إنه لا يعامل أصدقاءه كما يجب. على أي حال، أراد الذَّهَاب إلى أماكن معينة، ولم أسمح له بذلك إلا إذا وعد باصطحابي معه. لذا أصابني في وجهي وأخذ أختي رهينة ورحل".

- إلى أين؟

هنا أتى الجزء الذي حرص آرجان على إبرازه: "لم يتحدثْ كثيرًا عن هذا الأمر، إلا طبعًا ونحن تحت تأثير المهدئات".

نظر نيلسون إليه، وسأله: "هل دخنتما المهدئات؟".

- أوه.. نعم، طوال الوقت. لقد كان الأمر المفضَّل الذي نفعله معًا. دخنَّا المهدئات عالية الجودة من الدرجة الأولى.

نظر إليه نيلسون في شك، لذا قرر آرجان التراجع عن قصته قليلًا: "حسنًا، أعني أفضل ما يمكن الحصول عليه في هارتسديل".

- أخبرني إذن، ماذا قال وهو منتشٍ؟

- تذكَّر أنني كنت منتشيًا أيضًا، لذا فالأمر يحجبه الدخان نوعًا ما. أعني أنه ما زال في ذهني، أنا واثق من ذلك، لكنْ عليَّ ترتيب عقلي للعثور عليه.

قال نيلسون: "استخراجه من وسط الأوحال التي تملأ رأسك هو التعبير الأنسب".

ابتلع آرجان الإهانة وقال: "لقد تحدثَ عن فتاة ما.. يجب أن أتذكر ذلك.. يجب أن أتذكر ذلك. قال إنها ستمنحه شيئًا، لكني غير واثق ما هو، رغم ذلك".

قال نيلسون: "ريسا وورد. لقد تحدث عن ريسا وورد".

زوى آرجان ما بين حاجبيه. آلمه ذلك، لكنه فعله على أي حال: "لا، ليست هي، لو تحدث عنها، لعرفتُ. لقد تحدث عن فتاة أخرى. اسمها ماري. نعم هذا

هو الاسم. ماري، واسم أسرتها فرنسي. ليبيك أو لابيرج، ربما لافو! نعم، هذا هو: ماري لافو. كان سيلتقيها، ويشربان ويسكي البوربون".

صمت نيلسون بعد ذلك، ولم يقل له آرجان شيئًا آخر. تركه يفكر في ما قاله مدةً.

***

اليوم الثاني: بزغ الفجر في غرفة بفندق رخيص في «نورث بلات»، بولاية نبراسكا. في الحقيقة، توقع آرجان ما هو أفضل من ذلك. أيقظ نيلسون آرجان والسماء لا تزال رمادية قبل الفجر.

- حان وقت الذَّهَاب. انهض من السرير أيها الكسلان. سنعود أدراجنا.

تثاءب آرجان، متسائلًا: "لِمَ العجلة؟".

قال له نيلسون الذي شُغِلَ بالبحث: "متجر ومتحف «بيت الفودو لماري لافو» في شارع بوربون، بولاية نيو أورليانز؛ هذا ما تحدث عنه لاسيتر. هذا هو المكان الذي يتجه إليه على أي حال، وهو يسبقنا بأسبوع كامل. ربما وصل فعلًا".

هزَّ آرجان كتفيه في استسلام: "كما تريد"، ثم تدحرج على الفراش وهو يدفن وجهه في الوسادة، ليخفي ابتسامته. إن نيلسون لا يملك أي فكرة عن مدى عمق التلاعب به.

***

اليوم الثالث: تعطلتِ الشاحنة الزرقاء عصرًا في «فورت سميث»، بأركنساس، واستشاط نيلسون غضبًا.

قال فني الميكانيكا: "لا يمكن الحصول على قطع الغيار اللازمة في عطلة نهاية الأسبوع. يجب أن أطلبها بشكل خاص، وستصل إلى هنا يوم الاثنين، وربما الثلاثاء".

كلما زاد غضب نيلسون، ازداد هدوء فني الميكانيكا، كمن يستخلص نوعًا من السعادة الروحية من بؤس نيلسون. آرجان يعرف طريقة التعامل مع هذا النوع من البشر. إلقاؤه في الجحيم هو الطريقة.

نصح آرجان نيلسون: ”طريقة التعامل مع هذا الرجل هي أن توسعه ضربًا، وتخبره أنك ستفعل الشيء نفسه مع أمه، إذا لم يصلح السيارة“.

لكنَّ نيلسون لم يستمع لنصيحته، وقال: ”سنذهب جوًّا“. دفع مالًا لفني الميكانيكا حتى يقودهما إلى «مطار فورت سميث الإقليمي»، ليكتشف أن الرحلة الأخيرة -طائرة ذات عشرين مقعدًا إلى دالاس- تغادر في السادسة، ورغم وجود أربعة مقاعد شاغرة، أُغلِقَتْ بوابة المطار الأمنية في الخامسة. ظلَّ ضباط إدارة أمن المطار في مكاتبهم يأكلون النقانق المقلية بحبوب الذرة، لكن أسيفتحون بوابة الأمن لراكبيْن؟ مستحيل.

شك آرجان في أن نيلسون قد يقتلهم، لو لم تكن بحوزتهم أسلحة.

في النهاية، استخدم نيلسون إحدى هُويَّاته المزورة لاستئجار سيارة، دون أي نية لإعادتها في أي وقت قريب.

***

اليوم الرابع: شارع بوربون بعد حلول الظلام. لم يزرْ آرجان نيو أورليانز من قبل، لكنه رغب دائمًا في الذَّهَاب. ليس مكانًا يمكن أن يصطحب جرايس إليه، لكنَّ أخته لم تعد مشكلته بعد الآن، أليس كذلك؟ تجوَّل في شارع بوربون، وفي يده مشروب كحولي ممزوج بالفواكه يسمى الإعصار، وأحاطت بعنقه قلادة من الخرز. ملأتِ الشارعَ صيحاتٌ صاخبةٌ وضحكاتٌ. يمكن لآرجان أن يفعل هذا كل ليلة. تروق له هذه الحياة. نصف مشروب الإعصار يسبح فعلًا في رأسه. أتتخيلون! تناول الخمر في الشارع ليس قانونيًّا فحسب، بل يحثونك عليه أيضًا. يحدث هذا فقط في نيو أورليانز!

سبق أن تحدث مع رفاقه عن المجيء إلى هنا لحضور كرنفال «ماردي جرا»، لكنهم اكتفوا دومًا بمجرد الحديث، لأنهم جميعًا لم يملكوا الشجاعة للخروج من هارتسديل. لكنِ الآن يمتلك آرجان رفيقًا جديدًا. شخص سعد للغاية بالسفر في رحلة برية إلى نيو أورليانز، معتقدًا أنها فكرته الخاصة. ومع ذلك، فإن تدريب آرجان المهني لن يستمر طويلًا، لو لم يحصل على تذكرة بقائه، بأن يثبت فائدته، وأن لا غنى عنه.

لم يعرف آرجان بالتحديد مكان نيلسون الآن. ربما يُضيِّق الخناق على مدير «بيت الفودو لماري لافو». ولن يجد إجابات هناك. لا توجد أدلة على مكان وجود كونر لاسيتر، بصرف النظر عن طرق استخراج المعلومات

التي يمكن أن يستخدمها قرصان الأعضاء. إنها مطاردة شرسة إن وُجِدَتْ. سيغضب نيلسون ويلقى اللوم على آرجان.

سيجيبه آرجان: "تذكر، أنت من قال فلنذهب إلى نيو أورليانز، وليس أنا"، لكنَّ نيلسون سيظل يُحمِّله المسؤولية. لذلك يحتاج آرجان إلى عرض للصلح. عرض من شأنه أن يلفت انتباه نيلسون إلى قيمة آرجان الحقيقية.

بدلًا من العودة إلى فندق «رامادا»، الذي تنبعث منه رائحة المطهر والشعر المحروق، بحث "آرجان" عن المتاعب، ووجدها، وصادقها، وخانها.

***

اليوم الخامس: نام نيلسون بسبب الإفراط في تناول الكحول والمسكنات التي أغرق نفسه فيها عندما أخفق بحثه عن كونر لاسيتر. أما آرجان الذي قضى طوال الليل بالخارج، فقد عاد إلى فندق «رامادا» عند الفجر لإيقاظه.

- لقد أحضرتُ لك شيئًا. شيئًا سيروق لك. عليك أن تأتي الآن.

لم يتعاونْ نيلسون، وصاح: "اخرج من هنا بحق الجحيم".

لم يتوقع آرجان أن يجده هكذا، فقال: "لن يستغرق الأمر طويلًا يا جاسبر. ثق بي هذه المرة".

حدجه نيلسون بنظرة حارقة قاتلة، وقال: "نادني جاسبر مرة أخرى، وسأذبحك"، ثم حارب الجاذبية إلى أن نجح في الجلوس.

- آسف. بِمَ أدعوك إذن؟

- لا تطلق عليَّ أي أسماء.

بعد أن تناول نيلسون وعاءً من القهوة في غرفة الفندق، اصطحبه آرجان إلى حانة قديمة محترقة في حي متهالك، بدا كأنه قد شهد نهاية العالم. ربما لم يسكنه أحد بشكل قانوني منذ أن نُزِعَتْ ملكية المساكن لسداد الضرائب. يوجد في الداخل هاربان من التفكيك؛ مقيدان ومكممان. صبي وفتاة.

قال آرجان لنيلسون بفخر: "صادقتهما في أثناء غيابك عن الوعي. أقنعتهما أنني هارب من التفكيك مثلهما، ثم ضربتهما. الطريقة نفسها التي استخدمتُها مع «صديقنا الذي تعرفه»".

استعاد الهاربان من التفكيك وعيهما منذ ذلك الحين. عجزا عن الكلام، بسبب تكميم الفم، لكنَّ أعينهما عكست صورة مجسمة للرعب. قال آرجان

لنيلسون: ”إنهما من الدرجة الممتازة. لا بدَّ أنهما يساويان مبلغًا جيدًا من المال، أليس كذلك؟“.

نظر نيلسون إليهما باهتمام فاتر، وسأله: ”هل أسرْتَهما بنفسك؟“.

- نعم. لو وجدتُ المزيد، لأسرتُهم أيضًا. كل ما ستحصل عليه مقابل بيعهما، احتفظ به. إنهما هديتي لك.

قال نيلسون: ”دعهما يذهبان“.

- ماذا؟

- إننا على مسافة بعيدة جدًّا عن تجار السوق السوداء الذين أتعامل معهم، ولن أحملهما معي حول العالم.

لم يصدق آرجان أذنيه، وقال مستنكرًا: ”لقد وضعتهما رهن إشارتك مباشرةً، لكنك تريد إهدار الكثير من المال بهذه البساطة؟“.

نظر نيلسون إلى آرجان وتنهد، قائلًا: ”تستحق تقديرَ ممتازٍ على جهدك. أحسنتَ، لكننا نسعى خلف صيد أكبر“، ثم غادر المكان على الفور.

اجتاح الغضب آرجان، فصبَّه بقسوة على الاثنين المكممين العاجزين عن الرد: ”يجب أن أترككما هنا لتتعفنا فحسب، هذا ما يجب أن أفعله“، لكنه لم يفعل، ولم يطلق سراحهما أيضًا، بل أجرى اتصالًا من مجهول بشرطيي الأحداث ليأتوا ويقبضوا عليهما، متخليًا عن أجر يومه الأول كقرصان أعضاء. عزاؤه الوحيد هو أن نيلسون ربما بُهِرَ قليلًا بالغنيمة.

اتجه عائدًا إلى فندق «رامادا»، فيما يُخطِّط طوال الوقت للمرحلة التالية من مطاردة الفريسة، بطرق تجعل نيلسون يعتقد أنه هو القائد. توجد الكثير من الأماكن إلى جانب نيو أورليانز يرغب آرجان في زيارتها. سيأخذه نيلسون إلى الكثير من الأماكن، ما دام ماهرًا في إسقاط فتات الخبز.

***

25 - كونر

لم يرغب كونر في البقاء بالمحمية. إنه لا يحمل أي ضغينة تجاه أسرة تاشين، فهم متعاونون بما يكفي -رغم برودهم تجاهه إلى حد ما- ويهتمون حقًّا بليف، لكنْ ينبغي ألا تمثل المحمية أكثر من مجرد محطة توقف سريعة في الطريق إلى وجهتهم. الأيام هنا، بقدر ما تبدو بطيئة، تمرُّ أيضًا بسرعة مثيرة للقلق بطريقة أو بأخرى. امتدَّ توقفهم إلى أسبوعين. نعم، احتاج ليف إلى الكثير من الوقت للشفاء، لكنه في حالة جيدة بما يكفي للمغادرة الآن. لمجرد أن الأمور في المحمية لا تتغير، فهذا لا يعني أن بقية العالم يتوقف عن الدوران. تُواصل مخيمات الحصاد تفكيك الصبية، وتُواصل منظمة المواطنة الاستباقية ضغوطها لإقرار قوانين أكثر صرامة ضد المفككين. كل يوم يقيمه هنا، تتفاقم فيه الأمور هناك.

الحل -أو على الأقل جزء منه- يقع على عاتق جينسون راينشيلد. هكذا اعتقد ترايس، اليد اليمنى لكونر في المقبرة، وكان على حق بشأن أشياء كثيرة. منذ اللحظة التي علم فيها كونر أن راينشيلد زوج سونيا، أصبح الرجل بمنزلة لحم فاسد أصاب أمعاء كونر بوعكة. كلما سارعوا بالوصول إلى سونيا، سيتمكن من تطهير أمعائه في أقرب وقت.

سألته جرايس وهي تتناول وجبة خفيفة من خبز «أراباتشي» المقلي: ”ما المهم جدًّا في الوصول إلى أوهايو على أي حال؟ يقول آرجان إنها ليست سوى مكان بارد ومليء بالبدناء“.

قال لها كونر: ”لن تفهمي“.

- لماذا؟ لأني غبية؟

تجهم كونر. لم يقصد ذلك، لكنه يعلم أن هذا ما حدث. قال لها: "لا، لأنكِ لستِ هاربةً من التفكيك. لم تُضطَرِّي قطُّ إلى مواجهة خطر التفكيك، وإلى أن تفعلي، لن تفهمي أبدًا لِمَ يستحق الأمر المخاطرة بكل شيء لإيقافه".

- قد لا أكون مفككة، لكني هاربة، هذا مؤكد. هاربة من أخي الذي سيقتلني حال رؤيتي لو تمكن من العثور عليَّ.

حاول كونر النفي، لكنه أخفق في ذلك تمامًا. من الواضح أن آرجان ضربها كثيرًا في الماضي؛ ربما ضربها، لكنْ هل آرجان قاتل؟ قد لا يفعلها عمدًا، لكنَّ كونر تخيله وهو يضرب جرايس حتى الموت بغضب أعمى. حتى لو لم يقدر على ذلك حقًّا، فهو يمثل تهديدًا حقيقيًّا للغاية في ذهن جرايس. مثله ومثل ليف، هي أيضًا هاربة، لكنْ لسبب مختلف.

قال لها كونر: "لن نسمح له بإيذائك مرة أخرى".

- أبدًا؟

أومأ كونر: "أبدًا"، رغم علمه أنه وعد كسيح، لأنه هو وليف لن يظلا في حياتها إلى الأبد.

- إذن مَن هذا الرجل الذي تطارده؟

فكر كونر في منحها إجابة غامضة، مثل "مجرد شخص ما"، لكنه قرر أن يختصها بالاحترام الذي لم تحصل عليه قطُّ من قبل، وأن يقول لها ما يعرفه، أو بالأحرى ما لا يعرفه: "طوَّر جينسون راينتشيلد تِقْنِيَّة التطعيم العصبي التي جعلت التفكيك ممكنًا، وأسَّس منظمة تسمى المواطنة الاستباقية".

قالت جرايس: "لقد سمعتُ بها. إن العاملين فيها ينقذون الأطفال الفقراء في الهند وأشياءَ من هذا القبيل".

- نعم، ربما حتى يتمكنوا من حصد أعضائهم. الأمر هو أن راينشيلد لم ينوِ استخدام عمله في التفكيك. في الواقع، لقد أسَّس المواطنة الاستباقية كمنظمة رقابية لمنع أي إساءة استخدام لتقنيته. لكنْ في النهاية، سيطر عليها آخرون، وتحول الأمر إلى عكس ذلك تمامًا. وهي الآن تشجع على التفكيك، وتتلاعب بوسائل الإعلام، وتوجد شائعات تدعي أنها تسيطر حتى على هيئة الأحداث.

قالت جرايس بفم مملوء بالطعام: "منظمة قذرة".

- صحيح، والأسوأ أنهم أخفوا راينشيلد عن وجه الأرض.

- هل قتلوه؟

- من يدري؟ كل ما نعرفه هو أنه حُذِفَ من التاريخ. ولم نتمكن من العثور عليه إلا في إحدى المقالات التي كَتَبَتْ اسمه بشكل خاطئ. على أي حال، أنا وليف نعتقد أن منظمة كهذه لن تُخفي الرجل لمجرد تحدثه ضدها. نعتقد أنه عرف شيئًا شديد الخطورة، ولا بدَّ من اختفائه. وأي شيء خطِر على المواطنة الاستباقية يعد سلاحًا لنا. ولهذا علينا الوصول إلى زوجته -سونيا- التي عاشت في الخفاء طوال هذه السنوات.

لعقتْ جرايس الشحوم من أصابعها، وقالت: "ذات مرة عرفتُ فتاةً اسمها سونيا في هارتسديل. كانت شريرة وعلى وجهها ورم في حجم فضلات الكلب. ذهبتْ لإزالته، لكنها أصيبت بنوبة قلبية على منضدة العمليات، وتوفيتْ قبل أن يتمكنوا من الحصول على قلب بديل لها. قال آرجان إنه تفاجأ بامتلاكها قلبًا من الأساس. أحزنني ما حدث، رغم كل شيء. من الغباء أن تموت بسبب فضلات تنمو على وجهك".

اضطُرَّ كونر إلى الابتسام، وقال: "الكلمات الأصدق لم تُقَل قطُّ". وبالنسبة إليه، فإن المواطنة الاستباقية بمنزلة ورم كريه على وجه الإنسانية. لكنْ هل يمكن استئصاله دون قتل المريض أم لا؟ الوقت وحده هو الذي سيحدد ذلك.

سألته جرايس: "إذن من المسؤول عن المواطنة الاستباقية الآن؟".

هز كونر كتفيه، قائلًا: "لا أملك أدنى فكرة".

- حسنًا، أخبرني عندما تعرف. لأن هذا هو الشخص الذي أحب أن ألعب ضده في لعبة «ستراتيجو».

***

تغيرتِ الأمور بين كونر وليف. في السابق، شكَّلا فريقًا اتحد تفكيره لتحقيق هدف واحد، لكنَّ علاقتهما الآن مضطربة. أي حديث عن المضي قُدُمًا يقابله نفاد صبر مستتر من جانب ليف، أو خروج سريع من الغرفة.

أخبرتْه أونا ذات مرة بعد مغادرة مفاجئة لليف: "إنه يستحق القليل من السلام بعد كل ما مر به".

يشعر كونر بالإعجاب تجاه أونا. إنها تُذكِّره بريسا، إن لم يكن في المظهر، ففي رفضها حماقات الآخرين. ومع ذلك، لو أن ريسا هنا، لحثَّت ليف على مواصلة الطريق، بدلًا من التخطيط لإجازته.

قال لها كونر: "إننا لا نستحق السلام إلى أن نحققه".

قالت مبتسمة: "هل قرأتَ ذلك على نصب تذكاري للحرب في مكان ما؟".

حدَّق إليها دون أن يقول شيئًا، لأنه فعل ذلك في الواقع. النصب التذكاري لحرب الجوهر. زاره في رحلة ميدانية في الصف السادس. أدرك أنه سيحتاج إلى ما هو أفضل من العبارات النمطية المنحوتة على الجرانيت، لمجادلة أونا بندية. مكتبة سُر مَن قرأ

قالت أونا: "وَفْقَ ما فهمته، لقد أنقذ حياتك، وكدتَ تقتله عندما صدمتَه بسيارة الشرطة تلك. أقل ما يمكنك فعله الآن هو منحه ما يكفي من الوقت للتعافي من إصاباته".

بدأ كونر يفقد أعصابه، وقال: "لقد ألقى بنفسه أمام السيارة! أتعتقدين حقًّا أنني تعمدتُ صدمه؟".

- عندما تقود بسرعة بالغة وتهور أعمى، لا بدَّ أن تصدم شيئًا. أخبرني، أكان صدْم صديقك الوحيد حتى أوشك أن يموت هو العائق الأول في رحلتك، أم يوجد المزيد؟

ضرب كونر الحائط بيد رولاند. قبض يده، لكنه لم يترك لها العنان، بل أجبرها أن تنخفض وتبقى ساكنة في جانب جسده، وقال: "كل رحلة لها عقبات".

- إذا قال لك الكون أبطئ، فربما عليك أن تستمع له، بدلًا من دفن رأسك في الرمال كالنعامة.

نظر إليها متسائلًا هل أخبرها ليف بالنعامة، لكنْ لا شيء في تعبيرات وجهها أوضح هل تعمدت قول ذلك أو إنها مجرد مصادفة. ومع ذلك، لم يستطع أن يذكر أي شيء عن تلك الواقعة، لأنه إن فعل، فمن المحتمل أن تصرَّ هي على عدم وجود مصادفات.

قالت أونا في إصرار: "إنه يشعر بالأمان والحماية هنا. إنه يحتاج إلى ذلك".

سألها كونر: ”لو أنكِ من توفرين له الحماية، فأين كنتِ عندما حوَّل نفسه إلى قنبلة؟“.

نظرت أونا بعيدًا، فأدرك كونر أنه تمادى كثيرًا، وقال: ”أعتذر. لكنْ ما نفعله.. مهم“.

قالت أونا، التي ما زالت عبارته تؤلمها: ”لا تغترَّ بنفسك. قد تكون أسطورتك أكبر من الحياة، لكنك لستَ أكبر من بقيتنا“، ثم انطلقتْ مبتعدة بسرعة كبيرة، حتى شعر كونر بهواء يلفحه مع اندفاعها.

***

في تلك الليلة، استلقى على فراشه، وتداخلت أفكاره وعلاقاته بالناس مع بعضها، نتيجة لإرهاقه. بدت الغرفة الحجرية الصغيرة أشبه بالزنزانة، مع أن الفراش مريح للغاية.

ربما بسبب غربته في المكان، لكنْ بدا لكونر أن قبيلة «أراباتشي» تعيش حياة متناقضة. منازلهم بسيطة لكنْ يملأها بذخ واضح. فراش فخم في غرفة من دون ديكورات. مدفأة بسيطة يُحرَق بها الخشب في الغرفة الكبيرة، لكنها ليست بهذه البساطة، لأنها تُغذَّى بجذوع الأشجار وتُحفَظ درجة حرارتها عند مستوى محدد بنظام تلقائي حتى لا تنطفئ أبدًا. إنهم يرفضون وسائل الراحة بيد، لكنهم يحتضنونها بالأخرى، كمن يخوض معركة لا تنتهي بين الروحانية والمادية. لا بدَّ أن الأمر استمرَّ طويلًا، ويبدو أنهم قد عموا عن ازدواجيتهم، كأنها أصبحت جزءًا من ثقافتهم.

دفع هذا كونر إلى التفكير في عالمه الخاص وطبيعته المتناقضة. مجتمع مهذَّب ورقيق يدَّعي أن الرحمة والرفق هما مبدأه الحاكم، لكنه في الوقت نفسه يتبنى التفكيك. يمكنه أن يطلق على ذلك نفاقًا، لكنه أكثر تعقيدًا من هذا. يبدو كأنَّ الجميع قد أبرموا اتفاقًا غير معلن للتغاضي عن الأمر. القضية ليست أن الإمبراطور عارٍ، بل إن الجميع وضعه في نقطة انعدام الرؤية.

إذن ما المطلوب لجعل الجميع يستديرون وينظرون؟

يعرف كونر أن من الغباء الاعتقاد أنه قادر على فعل أي شيء لتغيير الجمود الهائل لعالم يندفع مبتعدًا عن محوره. أونا على حق؛ إنه ليس أكبر من أي شخص آخر. إنه في الحقيقة أصغر؛ أصغر كثيرًا حتى إن العالم لم يعدْ يعرف بوجوده، فكيف يمكنه أن يأمل إحداثَ فرق؟ لقد حاول، وإلى أين

أوصله ذلك؟ مئات الأطفال الذين حاول إنقاذهم في المقبرة موجودون الآن في مخيمات الحصاد لتفكيكهم، وريسا -الشيء الجيد الوحيد في حياته- اختفتْ ولا يعرف أحد مكانها كما حدث معه.

مع ثقل العالم الذي من المستحيل أن تتحمله أكتافهم، كم هو مغرٍ بالنسبة إلى ليف التفكير في الاختفاء هنا. لكنَّ هذا ليس محتملًا بالنسبة إلى كونر. ليس من طبيعته الاندماج مع الطبيعة. قعقعة النار لا تُهدِّئ أعصابه، بل تُشعِره بالملل فحسب. إن تدفق النهر الهادئ في نظره هو التعذيب المائي بعينه.

في طفولته، اعتاد والده أن يقول: "إنك فتى سريع الانفعال"، كتعبير مخفَّف من أب يصف طفله الخارج عن السيطرة. طفل يعادي حتى نفسه. في نهاية المطاف، لم يشعر والداه بالارتياح لإبقائه مع نفسه أيضًا ووقَّعا أمر التفكيك المخيف.

تساءل متى اتخذا قرار التفكيك حقًّا. متى توقَّفا عن حبه؟ أم إن قلة الحب ليست المشكلة؟ هل سقطا ضحية خداع العديد من الإعلانات التي تقول أشياءَ مثل: "التفكيك؛ عندما تحبهم بما يكفي لتركهم يرحلون" أو "الانقسام الجسدي؛ ألطف ما يمكنك فعله لطفل يعاني اضطرابَ التشتت".

هكذا يدعونه: "اضطراب التشتت"، وهو مصطلح ربما صاغته منظمة المواطنة الاستباقية لوصف المراهق الذي يشعر كأنه يريد الوجود في أي مكان آخر غير مكانه، وعيش حياة أي شخص آخر. لكنْ مَن لا يشعر بذلك بين الحين والآخر؟ من المؤكد أن بعض الأطفال يشعرون بذلك أكثر من غيرهم. كونر يعرف أنه مرَّ بهذا الإحساس. لكنه إحساس تتعلم كيف تتعايش معه، وفي النهاية تُسَخِّره لتحقيق الطموح، والدافع، وأخيرًا لتحقيق الإنجاز لو حالفك الحظ. من هما والداه ليحرماه من هذه الفرصة؟

غيَّر كونر أوضاع نومه على فراشه، ضاربًا وسادته بقبضته اليسرى، لكنه استبدل بها اليمنى، مدركًا أن الأمر أكثر إرضاءً بكثير عندما يستخدم يد رولاند للكم. عمل كونر على تنمية عضلات ذراعه اليسرى حتى تتطابق تقريبًا وذراعه اليمنى، لكنْ في لحظات التعبير الجسدي المطلق، فإن ذراع رولاند هي التي تجعل دماغه يفرز الإندورفين عند استخدامها بعنف.

لا يمكنه أن يتخيل ما يمكن أن يحدث عندما يجتمع الجسد بأكمله على رغبة إلحاق الضرر بالجميع وكل شيء من حوله. من المؤكد أن كونر اختبر

القليل من ذلك طوال الوقت، لكنْ على أوقات متقطعة فحسب. أما رولاند، فقد أدمن العنف.

في بعض الأحيان -عندما يعلم أن لا أحد يراقبه أو يستمع له، يتحدث كونر إلى طرفه المزروع- وهو يدعوه "التحدث إلى اليد".

عندما لا تتوقف اليد عن التحول إلى قبضة مضمومة في تحفز، يقول لها: "إنكِ معدومة الفائدة، أتعلمين ذلك؟". في بعض الأحيان تجيب يده بإشارة بذيئة، فيضحك، لأنه يعرف أنه المحرك خلف هذه الإشارة، لكنَّ تخيله أن رولاند هو السبب يرضيه ويزعجه في الوقت نفسه، مثل الحِكَّة التي تزداد سوءًا مع كل خدش.

ذات مرة -في المقبرة- قدَّم هايدن بعض الشيكولاتة العلاجية إلى كونر حتى يهدأ قليلًا. تعلم كونر أن تناول الحشيش المُركَّب دوائيًّا والمعدل وراثيًّا يسبب هلوسة أشد خطورة من تدخين المهدئات. تحدث معه القرش الموشوم على ذراعه في تلك الليلة، وبصوت رولاند. معظم حديثه احتوى على سلسلة من الألفاظ النابية المُختارة بمهارة، لكنه قال أيضًا بعض الأشياء الجديرة بالملاحظة.

قال: "اجعلني كاملًا مرة أخرى، حتى يمكنني إيساعك ضربًا، وكسر بعض الأنوف؛ سيشعرك هذا بتحسن".

لكنَّ العبارة التي تكررت باستمرار هي: "اجعل للأمر معنى يا آكرون".

ماذا قصد القرش بالضبط بكلمة "الأمر"؟ تفكيك رولاند؟ حياة رولاند؟ حياة كونر؟ تحدث القرش بغموض يصل إلى حد الجنون، كما هي الحال في كثير من أوقات الهلوسة. لم يخبرْ كونر أحدًا بذلك قطُّ. لم يعترفْ لهايدن قطُّ بأن الشيكولاتة أحدثت أي تأثير فيه. بعد ذلك، لم يتحدثِ القرش -الذي ثُبِّتَ فكه في هيئة زمجرة مفترسة- إلى كونر مرة أخرى، لكنَّ طلبه الغامض للمعنى لا يزال يتردد صداه خلال نقاط الاشتباك العصبي بين الخلايا العصبية الحركية لرولاند وخلايا كونر العصبية.

كان غضب رولاند على والديه موجهًا أكثر بكثير من غضب كونر. مثلث بغيض من الألم يقبع هناك. ضرب زوج أم رولاند والدة ذلك الأخير، لذا ضرب رولاند الرجل بجنون، ثم فضَّلت والدته الرجل الذي ضربها على الابن الذي حاول مساعدتها، وهذا ما أدى إلى إرسال رولاند ليُفكَّك.

اجعل للأمر معنى...

الغضب الذي شعر به كونر تجاه والديه اشتعل كالمدفأة الموقدة دائمًا في الغرفة الكبيرة، لكنْ على عكس رولاند، اتسم غضبُ كونر بالعشوائية كما تفعل ألسنة اللهب عند بحثها عما تمسك به. لم تتغذَّ نيرانه باختيارهما تفكيكه، بل بالأسئلة التي لم يجيبا عنها، والتي أحاطت بهذا الاختيار.

لماذا فعلا ذلك؟

كيف اتخذا القرار؟

والأهم: ماذا سيقولان له الآن لو علما أنه حي؟ وبِمَ سيجيبهما؟

ها هو يُهرَع إلى أوهايو للعثور على سونيا، لكنْ في خلفية عقله، يعرف كونر أن ذلك يجعله أيضًا قريبًا بشكل مؤلم من منزل والديه. وتساءل هل هذا هو السبب الحقيقي -رغم كل شيء- خلف ذَهَابه في هذه الرحلة.

لذلك أخذ يتقلب بغضب على فراش فاخر، في غرفة بسيطة، ويفكك نفسه بتناقضاته الخاصة.

***

26 - ليف

يعرف ليف أن البقاء في المحمية يثير أعصاب كونر، لكنْ أليس له الحق في بعض الأنانية هذه المرة فقط؟

قالت له إلينا: "يمكنك البقاء بقدر ما تريد". من ناحية أخرى، قال له بيفان بعملية أكبر: "يمكنك البقاء بقدر احتياجكَ إلى ذلك"، لذا فالسؤال هو: إلى أي مدى تعتمد رغبة ليف في البقاء على الاحتياج، وكم من الوقت يحتاج إلى البقاء؟

ما زال جانبه مصابًا بكدمات شديدة، ومن دون عوامل تسريع الشفاء -التي لا يستخدمها إلا أبناء قبيلة «أراباتشي»- ستستغرق أضلاعه وأعضاؤه المصابة بالكدمات وقتًا أطول للشفاء. يمكنه تقديم حجة مفادها أنه يحتاج إلى البقاء طوال الوقت، لكنه يعلم أن كونر لن يستجيب لذلك، وسيكون رفضه مُسوَّغًا. لديهما مهمة ولا يمكن أن يسمحا لإغراءات الراحة بتشتيتهما. لكنَّ ما يحتاج إليه ليف يعتبر مهمة مماثلة.

ثم، في نهاية أسبوعهم الثاني في المحمية، أخذ الوضع برمَّته منعطفًا حادًّا سبَّب للجميع بعض الصدمة.

شهد وقت العشاء تجمعًا صغيرًا في تلك الليلة؛ الضيوف الثلاثة فحسب، وانضم إليهم على المنضدة كيلي وإلينا وزوجها تشال الذي عاد أخيرًا بعد إنهاء قضيته في المحكمة. منذ لحظة وصوله، أخذ يعامل ليف بحذر وتهذيب متحفظ، كمن يخشى التزام أيٍّ فعل أو عاطفة معينة تجاه ليف. قال تشال في أثناء تحية ليف: "أخبرتني إلينا بكل شيء. أنا سعيد لأنك هنا"، لكنْ لم يستطع ليف أن يحكم من صوته هل قصد ذلك فعلًا أم قاله مُضطرًّا. وحتى ردود الرجل على كونر وجرايس جاءت متحفظة ومدروسة أيضًا.

وصل بيفان متأخرًا لتناول عشاء ذلك اليوم، وعلى وجهه نظرة قلق خفَّفت من غضب إلينا. قال موجهًا حديثه إلى إلينا وشال أولًا: "عليكما أن تريا هذا".

ثم قال لليف وكونر: "جميعكم يجب أن تروا هذا".

غادر الجميع مائدة العشاء، وأشعل بيفان التلفاز الموجود في الغرفة الكبيرة. أدار القنوات حتى وجد محطة إخبارية. لو وُجِدَ أي سؤال عن طبيعة ذلك المساء، فقد تبددت الشكوك كلها بما رأوا:

ظهر وجه كونر على الشاشة خلف مذيع الأخبار، الذي قال: "...وأكدت هيئة الأحداث -التي وضعت حدًّا للشائعات والتكهنات الجامحة- أن كونر لاسيتر الذي يُفترض أنه مات منذ أكثر من عام، ما زال حيًّا فعلًا. لاسيتر -المعروف أيضًا باسم إوُول آكرون- يعد شخصية رئيسية في انتفاضة مخيم حصاد «هابي جاك»، التي سَفَرَت عن مقتل تسعة عشر شخصًا وهروب مئات من المفككين.

حدَّق كونر وليف لا إراديًّا إلى الشاشة في حالة من عدم التصديق، وواصل المذيع: "يُعتقَد أنه ربما سافر مع ليف كالدر وريسا وورد اللذين أديا دورًا بارزًا في الثورة".

ظهرتْ صور ريسا وليف على الشاشة أيضًا. ليس ليف كما هو الآن، بل بهيئته السابقة؛ نظيف وبريء وساذج.

سألت جرايس: "أهذا سيئ؟".

ثم أجابت بنفسها: "نعم، هذا سيئ".

انتقل البرنامج الإخباري إلى مقابلة مع ممثل هيئة الأحداث المزهو بنفسه الذي حمل صورة كونر مع رجل غاضب المظهر، افترض ليف أنه شقيق جرايس. بدا مندوب هيئة الأحداث منزعجًا، لاضطراره إلى الكشف عن هذه المعلومات، لكنه يحتاج إلى مساعدة الجمهور: "لقد قرَّر محللونا أن هذه الصورة حقيقية، والتُقِطت قبل ما يزيد قليلًا على أسبوعين. الشاب الموجود في هذه الصورة، آرجان سكينر، وشقيقته جرايس سكينر، مفقودان الآن، ونعتقد أن لاسيتر إما اختطفهما وإما قتلهما".

صاح كونر كالملسوع: "ماذا!".

- على من يملك أي معلومات عن هذا الهارب، الاتصال بالسلطات على الفور. لا تحاولوا الاقتراب منه فهو مسلح وخطِر.

حوَّل ليف انتباهه من التلفاز إلى كونر الذي انساق سريعًا إلى حالة من الغضب. في نظر من لا يعرفه، كان سيبدو خطِرًا جدًّا في تلك اللحظة.

قال ليف: "خذِ الأمور ببساطة يا كونر. إنهم يريدون إثارة غضبك. كلما ازداد غضبك، ارتكبتَ المزيد من الأخطاء وأصبح من الأسهل عليهم الإمساك بك. وحقيقة أنهم شعروا بالحاجة إلى إعلان ذلك، تعني أنهم يجهلون تمامًا المكان الذي ذهبتَ إليه، أي إنك ما زلت في أمان".

لكنْ في ذلك الوقت، بدا أن كونر لا يسمع أي شيء سوى الاضطراب الدائر في رأسه: "عليهم اللعنة! لو أمكنهم إلقاء مسؤولية حرب الجوهر اللعينة برمَّتها عليَّ، لفعلوا. وقعتِ الحرب قبل مولدي بالتأكيد، لكنهم سيجدون طريقة لإلقاء اللوم عليَّ! لكم كونر الحائط بذراعه المزروعة، ثم تجهَّم من الألم الناتج عن ذلك.

قالت إلينا بهدوء: "الكذب سلاح قوي تعرف هيئة الأحداث بالتأكيد كيف تستخدمه".

نظرت جرايس إلى الجميع، وقالت في خوف: "لماذا اختفى آرجان؟ ماذا حدث له؟".

ثم من خلفهم، سأل أحدهم: "من هو آرجان؟ أمات حقًّا؟ هل قتله كونر؟".

استداروا ليجدوا أن المتحدث هو كيلي الذي نَسُوه في تلك اللحظات العصيبة. لم يتمكن منطق ليف وإلينا من تهدئة كونر، لكنْ يبدو أن النظرة الخائفة على وجه كيلي أوفت بالغرض.

أخبره كونر، وقد بدا من صوته أنه قد تمالك نفسه قليلًا: "لا، لم يمتْ، ولم أقتلْه. أينما وُجِدَ، أنا واثق أنه بخير". بدا كيلي نصف مقتنع، وهذا أقلق ليف. إنه يعرف أن هذا الصبي لا يكتم سرًّا. وجود ليف هنا معروف "بشكل غير رسمي"، لكنْ لا أحد يعلم أن إوُول آكرون سيئ السمعة موجود هنا أيضًا. لقد وعد كيلي بالحفاظ على وجوده هنا سرًّا، لكنْ هل بإمكانه ذلك، بعد أن أصبح السر كبيرًا للغاية؟

سأل ليف إلينا، وهو يعلم ما ستقوله، أو على الأقل ما يتمنى أن تقوله: "ماذا نفعل إذن؟".

قالت إلينا: "ستبقون في رعايتنا طبعًا".

تنفس ليف الصُّعداء في ارتياح، وكشف أنه كان يكتم أنفاسه دون أن يدرك.

صاح كونر: "مستحيل أن نبقى".

أمسك ليف بكتفه ليمنعه من الاندفاع خارجًا: "من الذكاء أن نبقى. لا أحد هناك يعرف أننا هنا. يمكننا البقاء مختبئين إلى أن تكفَّ الأخبار عن الحديث عنا".

- لن تختفي سيرتنا من الأخبار يا ليف! أنت تعلم ذلك.

- لكنَّ الأضواء لن تُسلَّط عليها بالقدر نفسه كما هي اليوم. انتظر أسابيع قليلة، وفي أثناء ذلك، علينا البقاء بعيدًا عن الأعين. الرحيل الآن هو أغبى ما يمكننا فعله.

- بينما نجلس نحن هنا، يفككون صبية المقبرة!

أوضح ليف: "ولو قُبِضَ عليك، إلى أي مدى ستتدهور حالتهم المعنوية؟ ما دمتَ حرًّا، فلديهم أمل".

قال كونر: "الجبناء يختبئون!".

قالت إلينا: "لكنَّ المحاربين يتربصون منتظرين اللحظة المناسبة. الفرق الوحيد هو هل دافعك الخوف أم تحقيق الهدف".

أسكت قولها كونر، على الأقل في الوقت الراهن. إلينا تجيد دائمًا تعريض الآخرين إلى الصدمات، لتدفعهم إلى التفكير. اشتعل الغضب في عينيه لحظة أخرى. ثم انهار كونر على أحد مقاعد غرفة الطعام واستسلم. نظر إلى مفاصل أصابعه –مفاصل رولاند– التي تنزف وتتألم. لا بدَّ أن الأمر مؤلم، لكنْ بدا أنه يستمد بعض الرضا من الألم.

قال كونر: "إنهم يظنون أننا مع ريسا. أتمنى أن يحالفنا الحظ إلى هذا الحد".

وقال ليف: "لو اطلعتَ على التقرير، ستعرف أنك ما زلت حيًّا، وهذا جيد".

حدجه كونر بنظرة سريعة بها بعض الاشمئزاز، وقال: "إن قدرتك على رؤية الجانب المشرق من كل شيء تشعرني بالغثيان".

انتقلت الأخبار إلى هجوم المصفقين هذا الأسبوع، فأطفأ بيفان التلفاز، وسأل: "إلى متى يمكننا واقعيًّا إبقاء وجود كونر هنا سرًّا؟".

لاحظ ليف النظرة المذنبة الصامتة في عيني كيلي، فسأله بصراحة: "من أخبرتَ يا كيلي؟".

قال كيلي: "لا أحد"، وعندما ظلتْ نظرات ليف مسلطة عليه، اعترف بالحقيقة: "نوفا فحسب. لكنها وعدتْ بعدم الإفصاح عن السر، وأنا أثق بها".

ثم أضاف: "اعتقدتُ أنه بأمان، لأن هيئة الأحداث هي التي تلاحقه، وكونر لم يعد حدثًا بعد الآن، أليس كذلك؟".

شرح تشال: "لا يعنيهم ذلك. لقد حدثتْ جرائمه المزعومة في أثناء خضوعه لولايتهم القضائية، وهذا ما يعني أن بإمكانهم مطاردته حتى يهرم".

بدأ بيفان يذرع الغرفة جيئة وذَهَابًا، وفركتْ إلينا جبهتها، كمن تعاني صداعًا، وبدا كيلي بائسًا ويائسًا كمن مات كلبه للتو. ورأى ليف أن هذه بداية السقوط كالانهيار الصخري.

قال تشال: "إذا انتشر الخبر، وطلبتْ منا هيئة الأحداث تسليمه هو وليف، فيمكننا أن نرفض. يمكنني تقديم طلب للحصول على اللجوء السياسي، ودون معاهدة تسليم المجرمين، لا يوجد ما يمكن لهيئة الأحداث أن تفعله".

هزت إلينا رأسها، وجادلته قائلة: "سيضغطون على المجلس القبلي وسيُذعِن، كما يفعل دائمًا".

- لكنْ بذلك سنكسب وقتًا، ويمكنني الاستمرار في وضع حواجز على الطريق لتعطيل الأمور.

ثم تدخلت جرايس قائلة: "هل تعرف ما هو أفضل من الحواجز؟ التحويلات!".

استخفَّ ليف والآخرون بقول جرايس، واعتبروها تهذي، لكنَّ كونر -الذي يعرفها أكثر منهم- أخذ الأمر على محمل الجد، وقال لها: "اشرحي ماذا تقصدين يا جرايس".

الآن بعد أن أصبحت مركز الاهتمام، فاضت بالحيوية والإثارة، وأشارت بيديها كثيرًا، في ما يشبه لغة الإشارة في العالم القديم، وقالت: "اسمعوا، إذا أوقفناهم بحواجز على الطريق، فسيتجاوزونها قريبًا. الاستراتيجية الأفضل هي إرسالهم إلى طريق متعرج يمتد طويلًا، بحيث يعتقدون أنهم يحرزون تقدمًا، لكنهم في الحقيقة لا يفعلون سوى إدارة عجلات قيادة سياراتهم".

ساد صمت مشوب بالذهول لحظةً، ثم ابتسم بيفان، قائلًا: ”هذا حديث منطقي في الواقع“.

نظر ليف إلى كونر ورفع حاجبيه. من الواضح أن جرايس تمتلك أكثر مما تراه العين.

نظر تشال بعيدًا، لكنْ بتركيز، كمن يفكر في حل معادلة ما، وقال: ”إن قبيلة «هوبي» في حاجة ماسَّة إلى من يمثلهم في نزاع كبير على الأرض. يمكنني الموافقة على أداء هذا الدور، وفي المقابل، قد يوافق مجلس ”هوبي“ على منح كونر وليف حق اللجوء“.

قال كونر، مُلخصًا كل شيء: ”وهكذا، حتى لو بدأ الناس هنا يتحدثون، فلن يسمع شرطيو الأحداث ذلك، لأنهم سينتشرون في جميع أرجاء أرض «هوبي»، وعندما يكشفون أخيرًا أننا لسنا هناك، سيعودون إلى المربع صفر!“.

الأجواء التي سادها اليأس قبل لحظة واحدة فقط، بدأت تتجه بسرعة نحو الأمل. لكنَّ ليف شعر بغصة كبيرة في حلقه، وسأل مضيفيه: ”هل أنتم على استعداد لبذل كل هذا الجهد من أجلنا؟“.

لم يجيبوا لحظةً. تجنب بيفان النظر إلى عيني ليف مباشرة، ونظرت إلينا إلى تشال الذي تحدث أخيرًا نيابة عنهم جميعًا، وقال: ”لقد أخطأنا في حقك من قبل يا ليف. هذه فرصة لتصحيح الأمور“.

أمسك بيفان بكتف ليف بقوة شديدة آلمته، لكنَّ ليف لم يبدِ ذلك، وقال الأول: ”يجب أن أعترف أنني أشعر ببعض الفخر لإيواء الأبطال الشعبيين الجدد“.

قال له ليف: ”نحن لسنا أبطالًا“.

ابتسمتْ إلينا لقوله، وعلقت: ”لا يوجد بطل حقيقي يعتقد أنه كذلك. لذا، هيا يا ليف، واصل إنكار ذلك بكل ذرة من كِيانك“.

***

27 - ستاركي

يؤمن مايسون ستاركي بأنه بطل، وهو يثق بذلك بلا أدنى شك. إن الأرواح الكثيرة التي أنقذها تثبت ذلك. الدليل موجود في كل مكان حوله؛ أتباعه المنقولون الذين أنقذهم جميعًا من الموت في مقبرة الطائرات، وحافظ على حياتهم وأبقاهم آمنين بفضل مهارته وخفة يده. لكنها مجرد بداية. لقد وضع الأساس لعمل رائع، ولعظمته الشخصية التي سيكتسب المزيد منها. يعرف ستاركي أن مصيرًا كبيرًا ينتظره، وأن رحلته الأولى إلى التاريخ المضيء على وشك البدء.

قالت المرأة اللطيفة وهي تقرأ الشعار الموجود على قميصه باللون الأخضر، فيما يُوقِّع ستاركي في سجل النزلاء: "«أكاديمية إجريت».. أهي مدرسة دينية تابعة لطائفة معينة؟".

قال لها ستاركي: "غير طائفية. أنا راعي الشباب".

ابتسمتْ له وأخذت حديثه على محمل الجد. كيف لا يمكنها ذلك؟ مظهره المحترم والمهندم تفوح منه رائحة الصدق والنزاهة.

- هل المدرسة هنا في بحيرة تاهو؟

قال بلا تردد: "في رينو".

- هذا مؤسف للغاية. أبحث عن مدرسة جيدة لأطفالي. مدرسة تمتاز بالقيم الأخلاقية الصحيحة.

منحها ستاركي أفضل ابتساماته. إنه يعرف أسماء أطفالها وعنوان منزلها. لا يعني ذلك أنه سيحتاج إلى المعلومات هذه المرة، لكنْ تبين أنها تمثل سياسة حماية قوية للمنقولين.

هذه المرة ليس مخيمًا بل ملاذًا راقيًا. استأجرتْ «أكاديمية إجريت» جميع الكبائن العشرة للأيام الأربعة القادمة. دفعوا نفقات باهظة، لكنَّ جيفان تمكن من الحصول على المزيد من الأموال من حسابات آباء المنقولين، وهي أكثر من كافية لدفع ثمن أربعة أيام من الراحة... وبالنظر إلى ما سيأتي لاحقًا، فإن المنقولين يستحقون ذلك.

بينما استكشف المنقولون بيئتهم الجديدة بأنفسهم، وكل منهم يرتدي قميص «أكاديمية إجريت» الجديدة، منحتِ المرأة ستاركي جولة شاملة في المكان.

- تقعُ قاعة الطعام يسارًا، ويمكنكم توفير طعامكم بأنفسكم طبعًا، لكنَّ المطبخ مجهز بالكامل بأدوات الطهو وأواني الطعام وكل ما ستحتاجون إليه. يقع ملعب التنس والمسبح أعلى التل. تعال. سأريك النادي. إنه بالأسفل ويطل على البحيرة. لدينا تلفاز بجودة شاشة السينما، وصالة ألعاب كلاسيكية، وكذلك صالة بولينج.

سأل ستاركي: "ماذا عن الاتصال السحابي؟ لا بدَّ من حصولنا على اتصال فائق السرعة على السحابة العامة".

- نعم، بالتأكيد.

***

منشور دعائي

أكثرَ من عشرين عامًا، جمعتْ «أكاديمية إجريت» بين المعرفة والشخصية المميزة في سبيل إلهام طلابنا ليصبحوا قادة المستقبل. صممنا برنامجنا الأكاديمي القوي لسحب المعلومات من مجموعة واسعة من المصادر، والتعليم من خلال الخبرة العملية التجريبية. في «أكاديمية إجريت»، نسعى جاهدين لمنح كل طالب تعليمًا شخصيًّا فريدًا.

من خلال الخلوات الروحية والرحلات الميدانية الاستطلاعية، نُعرِّض طلابنا للماضي والحاضر والمستقبل؛ كل ذلك في بيئة رعاية تشجع الاعتماد على الذات، وكذلك

الثقة والصداقة الحميمية بين زملائهم من طلاب الأكاديمية.

يتجسد تركيزنا على المساءلة الشخصية والمسؤولية الاجتماعية في برنامجنا لقيادة الأقران، حيث ينظم ويدير رعاة الشباب لدينا خلوات لما يصل إلى مئة طالب في الوقت نفسه. من خلال الجمع بين التعليم التقليدي والبرامج والمشاريع والأنشطة الخاصة، يلتزم أعضاء هيئة التدريس لدينا إخراجَ طلاب على قدر جيد من العلم والخبرة والالتزام الأخلاقي، ويتمتعون بالقدرة والثقة اللازمة لمواجهة العالم!

***

تطلعتْ بام من فوق كتف ستاركي إلى شاشة الكمبيوتر الموضَّح عليها الخطة التي وضعها هو وجيفان، وقالت: "لقد تفوقتَ على نفسك حقًّا هذه المرة يا مايسون. هذا المكان رائع. يكفي وجود صالة بولينج! لا أستطيع حتى أن أتذكر آخر مرة رميت فيها الكرة".

لم يستطعْ ستاركي منع نفسه من الانزعاج من تطفل بام، لكنه حاول عدم إظهار ذلك. قال لها: "استمتعي بها ما دمتِ تستطيعين".

هنا أصبح حديثها أكثر جدية، وسألته: "متى سنخبر الآخرين بالخطة بأكملها؟".

قال لها: "غدًا. سيمنحهم هذا وقتًا للاستعداد".

ارتفع صوت تصادم قوارير البولينج من الجانب الآخر من النادي، فأثار أعصاب ستاركي. النادي مساحة مفتوحة كبيرة. إنه يفضل الخصوصية والهدوء في الوقت الحالي.

قال لبام: "العبي البولينج بدلًا مني. أتمنى أن ألعب، لكنْ (رفع يده المصابة) لا يمكنني رمي الكرة بيدي اليسرى". هذا ليس صحيحًا، لكنه جعلها تتركهما بمفردهما.

ظهر على الشاشة رسم تخطيطي لمخيم حصاد «كولد سبرينجز» شمال رينو. قال جيفان: "أعتقد أنني كشفتُ طريقةً للتشويش على الاتصالات. سأحتاج إلى قِلة من الصبية لمساعدتي، لكنْ أذكياء".

قال له ستاركي: "اخترْ من تريده في فريقك. وأي شيء تحتاج إليه، أخبرني به فحسب".

أومأ جيفان برأسه، لكنه -كحاله دائمًا- بدا مضطربًا وقلقًا. إنه صبي لا يمكنه أبدًا الاسترخاء والسير مع التيار. قال: "لقد أخذتُ أفكر في ما بعد التنفيذ، وكيف -بعد أن ندمر «كولد سبرينجز»- لن نتمكن من الظهور في الأماكن العامة.. مطلقًا".

- أعطني خيارات إذن.

نقر جيفان جهاز الكمبيوتر، مغلقًا نوافذ مختلفة، ثم فتح خريطة مغطاة بالنقاط الحمراء الوامضة، وقال: "لقد عزلتُ بعض الاحتمالات".

ربَّت ستاركي كتفه بيده السليمة، قائلًا: "ممتاز! ابحث لنا عن منزل جديد يا جيفان. إنني أضع بك ثقتي الكاملة"، لكنَّ قوله أربك جيفان فحسب.

بينما تجول ستاركي في النادي، تحول الضجيج الصادر عن أتباعه المنقولين في أثناء استمتاعهم بوقتهم من مصدر إزعاج وتشتيت لأفكاره، إلى شهادة على كل ما أنجزه من أجلهم. لكنها مجرد لمحة مما خطَّطه لمستقبلهم. نعم، إن مايسون ستاركي بطل. وفي غضون أيام قليلة، سيعرف العالم كله.

***

28 - ريسا

قالت ريسا: "أغمضي عينيكِ. لا أريد أن يدخل الصابون فيهما".

أسندتِ المرأة رأسها إلى الخلف، وكلبها الصغير طويل الشعر بين ذراعيها، وقالت: "تحققي من الماء أولًا. أنا لا أحب الماء شديد الحرارة".

هذا هو اليوم الرابع الذي تقيم فيه ريسا في صالون أودري. كل يوم تقول لنفسها إنها ستغادر، لكنها لا تفعل.

أمرتها المرأة: "وتأكدي من استخدام شامبو للشعر الجاف. ليس نوعًا للشعر شديد الجفاف، بل من الخفيف إلى متوسط الجفاف".

نتج ذلك كله من تلك الليلة الأولى. أمضتْ أودري الليلة هناك في المتجر مع ريسا، لأن "لا ينبغي لفتاة أن تبقى بمفردها بعد شيء كهذا". وهو ما تفترض أنه ينطبق على الفتيات اللاتي يتمتعن برفاهية عدم البقاء بمفردهنَّ. نادرًا ما تتمتع ريسا بهذه الرفاهية، لذا سعدتْ بصحبتها. على ما يبدو، أثَّر الهجوم الذي وقع في الزقاق في ريسا بشكل أعمق كثيرًا مما اعتقدت، لأنها عانت سلسلة من الكوابيس طوال الليل. الشيء الوحيد الذي يمكنها تذكره هو حلمها المتكرر بعدد لا يحصى من الوجوه الشاحبة التي تلوح في الأفق فوقها والإحساس بعجزها عن الهروب منها. في تلك الليلة، بدا الفجر بعيدًا للغاية.

- لستِ الفتاة المعتادة التي تغسل شعري، أليس كذلك؟ أثق بذلك لأن الأخرى رائحة أنفاسها بشعة.

- إنني جديدة هنا. من فضلكِ أبقي عينيْك مغلقتيْن وأنا أغسل شعرك.

حتى اليوم، سددتْ ريسا دينها لأودري اللطيفة من خلال تنظيم المخزن، لكنْ عندما أبلغتها إحدى مصففات الشعر بمرضها اليوم، توسلت إلى ريسا لتشغيل حوض غسل الشعر في الغرفة الخلفية.

- ماذا لو تعرَّفتني إحداهن؟

قالت أودري: "أرجوكِ! مظهركِ جديد تمامًا. إضافة إلى أن أولئك النسوة لا يرين أي شيء يتجاوز صورتهنَّ في المرآة".

حتى الآن وجدتْ ريسا أن هذا صحيح. لكنَّ غسل شعر النساء الثريات ليس بالضبط وظيفتها المفضلة، حتى إنها تجد من العميلات امتنانًا أقل مما اعتادت الحصول عليه عند تقديم الإسعافات الأولية في المقبرة.

- دعيني أشم رائحة مستحضر ترطيب الشعر هذا. إنه لا يروق لي. أحضري لي آخر.

قالت ريسا لنفسها: "الليلة سأغادر"، لكنْ أتى الليل، ومرة أخرى، لم ترحل. إنها لا تعرف على وجه الدقة هل إحجامها مشكلة أو نعمة. رغم عدم وجود وجهة محددة في ذهنها قبل وصولها إلى هنا، فإنها امتلكتْ دائمًا دافعًا للتحرك. صحيح أن الأمر تغير من يومٍ إلى آخر اعتمادًا على ما بدا أنه الاتجاه الأكثر ترجيحًا للنجاة، لكنْ على الأقلِّ أحسَّت بزخم. الآن ذهب زخمها. إذا رحلت من هنا، فإلى أين ستذهب؟ إلى مكان آمن؟ إنها تشك في وجود مكان كهذا.

في ذلك المساء، عندما أغلقت أودري متجرها، أهدتْ ريسا شيئًا مميزًا.

- لقد لاحظتُ أن أظفارك في حالة سيئة للغاية. أريد منحكِ خدمة العناية باليدين.

ضحكتْ ريسا من قولها، وقالت: "هل أصبحتُ دميتك باربي الآن؟".

قالت أودري: "أدير صالون تجميل، لذا فهذا طبيعي". ثم فعلتْ ما هو أغرب. اقتربتْ من ريسا وبيدها مقص، وقصت خصلة شعر ضئيلة ودفعتها إلى ثَقْب غائر داخل آلة صغيرة تشبه مبراة أقلام الرصاص الكهربائية: "هل رأيتِ مثل هذا الجهاز من قبل؟".

- ما هذا؟

- منشئ الأظفار الإلكتروني. يتكون الشعر والأظفار أساسًا من المادة نفسها. يكسِّر هذا الجهاز الشعر، ثم يضعه في طبقات دقيقة فوق أظفارك. أدخلي إصبعك.

وهنا أدركت ريسا أن الثَّقْب الغائر ليس بحجم قلم رصاص، ولكنه يتسع بما يكفي لإصبع امرأة. ترددت، لأن وضع إصبعها في ثَقْب مظلم أمر غير

معتاد تمامًا، لكنها في النهاية أذعنتْ، وأشعلت أودري الجهاز الذي أصدر طنينًا واهتزازًا ودغدغة لمدة دقيقة أو دقيقتين، وعندما سحبت إصبعها خارجًا، أصبح ظفرها -الذي كان غير متساوٍ وممزقًا- الآن ناعمًا باستدارة مثالية.

قالت لها أودري: "لقد برمجتُه لإعداد أقصر أظفار. بطريقة ما لا أستطيع تخيُّلك بأظفار طويلة".

- وأنا أيضًا.

تحملتْ ريسا العملية لأظفارها العشرة كلها. استغرق العمل ما يقرب من ساعة.

- ليست فعالة للغاية، أليس كذلك؟

- نعم، قد تظنين أنهم سيصنعون جهازًا يمكنه عمل أظفار يد كاملة في وقت واحد، لكنهم لن يفعلوا، لأسباب تتعلق بالقيود المفروضة على براءات الاختراع. على أي حال، أنا أستخدمه فقط مع عميلة تتمع بالصبر، ويمكنها تقدير مثل هذه الخدمة حقًّا.

- إذن، فهو لا يُستخدَم كثيرًا على الإطلاق، أليس كذلك؟

- بلى.

أدركتْ ريسا أن أودري ربما تتساوى في العمر مع والدتها التي لا تعرفها. تساءلتْ هل العَلاقة بين الأم وابنتها تشبه ما يجمعهما. لا يمكنها الحكم. كل الأطفال الذين عرفتهم في أثناء نشأتهم بلا والدين، وبعد أن غادرت ملجأ الولاية، لم تعرف سوى الصبية الذين هجرهم آباؤهم.

غادرتْ أودري المتجر ليلًا، واستقرت ريسا في المكان المريح الذي أعدَّته بنفسها في غرفة التخزين، مع ملاءة سرير وبطانية قدمتهما أودري. عرضت عليها أودري البقاء في شقتها، حتى العاملين بالمكان -جميعهم طيبون مثل أودري- عرضوا استقبالها، لكنَّ ريسا لا يمكنها قبول سوى قدر معين من كرم الضيافة.

في تلك الليلة حلمتْ بالجموع الباردة والقاسية مرة أخرى. أخذتْ تعزف مقطوعة موسيقية لباخ بسرعة كبيرة جدًّا على بيانو غير متناغم وميؤوس منه، وأمامها مباشرة عدد لا يحصى من الوجوه التي تلوح في الأفق مصفوفة ومكدسة مثل أرفف تملأها الجوائز. وجوه بشحوب الموت؛ بلا جسد؛ حية لكن

ميتة. تفتح أفواهها، لكنها لا تتكلم. الوجوه تريد الوصول إليها، لكنْ ليس لها أيدٍ. لا يمكنها أن تعرف هل تريد الوجوه إيذاءها، لكنها بالتأكيد لا تريد لها الخير. تفوح منها رائحة الحاجة، وأعمق رعب في الحلم هو عدم معرفة ما تريده تلك الوجوه بشدة منها.

عندما استيقظت لتُخرِج نفسها من الحلم، أخذت تدق بأصابعها وأظفارها الجديدة على بطانيتها، وظلت تكافح محاولة عزف المقطوعة الموسيقية. اضطُرَّت إلى إشعال الضوء وتركه مضاءً بقيةَ الليل. عندما تغمض عينيها، تظل قادرة على رؤية تلك الوجوه كالصور اللاحقة على شبكية عينها. هل يمكن أن يرى المرء صورة لاحقة للحلم؟ انتابها إحساس مُلِحٌّ بأنها رأت هذه الوجوه من قبل، وليس في المنام فقط. إنه شيء حقيقي، شيء ملموس لا يمكنها تحديده. على أي حال، تمنتْ ألا تراه مرة أخرى أبدًا.

***

في الصباح الباكر، وبعد خمس دقائق فقط من فتح المتجر، دخل شرطيَا أحداث المكانَ، وكاد قلب ريسا يتوقف. حضرتْ أودري، لكنْ لا أحد من مصففي الشعر العاملين معها حضر بعد. أدركتْ ريسا أن الهرب لن يجدي، أسدلتْ شعرها على وجهها وأدارت ظهرها إليهما، متظاهرة باستبدال أدوات جديدة بأدوات التجميل الفارغة على إحدى مناضد عمل المصففين.

سأل أحد الشرطيين: "هل المكان مفتوح؟".

قالت أودري: "هذا يعتمد على المطلوب. كيف يمكنني مساعدتك أيها الضابط؟".

- اليوم عيد ميلاد زميلتي. أريد إهداءها جلسة تجميل.

هنا جرؤت ريسا على النظر، لتجد أحد شرطيي الأحداث امرأة، لكنْ لم ينتبه لها أي منهما كثيرًا.

- ربما يمكنكما العودة عندما يصل العاملون لديَّ.

هز رأسه، قائلًا: "الدوام يبدأ في غضون ساعة. يجب عمل ذلك الآن".

- حسنًا، أعتقد أن علينا العمل الآن، إذن.

اتجهتْ أودري إلى ريسا وقالت لها في خفوت: "خذي هذا المال؛ اذهبي واشتري لنا كعكًا مُحلًى. اخرجي من الباب الخلفي ولا تعودي حتى يرحلا".

قالت ريسا: "لا".. لم تدرك أنها ستقول ذلك حتى خرجت الكلمة فعلًا من فمها: "أريد أن أغسل لها شعرها".

لم تضعْ شرطية الأحداث كلبًا على ساقيها، لكنها بدت غاضبة ومتذمرة طوال الوقت. قالت: "أنا لا أحب المبالغات. حافظي على البساطة فحسب".

- هذا ما أنوي فعله.

ألبستها ريسا مِئزرًا وأمالت ظهرها نحو الحوض. فتحت الماء للتأكد من أنه لطيف وساخن.

قالت ريسا: "أودُّ أن أشكرك شخصيًّا لحفظكِ الشوارع آمنة من كل هؤلاء الأولاد والفتيات السيئين".

قالت شرطية الأحداث: "آمنة ونظيفة".

نظرتْ ريسا إلى مِنْطَقة الانتظار، حيث يقرأ زميلها الشرطي إحدى المجلات في لا مبالاة. نظرت أودري إلى ريسا في اضطراب، وتساءلت عما تنوي فعله بهذه المرأة التي تُميل رأسها إلى الخلف، تحت رحمتها تمامًا. شعرت ريسا كأنها الحلاق الشيطاني في أوماها؛ على استعداد لذبح الشرطية وخبزها على شكل فطائر. لكنها اكتفت بتقطير الشامبو في زوايا عينيها المغلقتين.

- آه! هذا يلسع!

- آسفة. فقط أبقي عينيكِ مغمضتين. ستصبحان بخير.

ثم بدأت تغسل شعر الشرطية بالماء ساخن لدرجة تحملتها هي نفسها بالكاد، لكنَّ المرأة لم تعترض.

- هل أمسكتم بأي هارب من التفكيك أمس؟

- في الحقيقة، نعم. عادةً ما نجري دوريات في منشأة الاحتجاز فقط، لكنَّ الصبي الذي تقرر تفكيكه هرب في وقت مراقبتنا. لقد قنصناه رغم ذلك. هدَّأته من مسافة خمسين قدمًا.

- يا إلهي، لا بدَّ أن هذا كان... مثيرًا.

سيطرتْ ريسا على نفسها حتى لا تخنقها، واكتفتْ بفرك محلول تبييض مُركَّز عشوائيًّا على شعرها الداكن بعد جلي الشامبو. وهنا تدخلتْ أودري، لكنْ بعد فوات الأوان لإيقافها.

- دارلين! ماذا تفعلين؟

دارلين هو الاسم المستعار لريسا في الصالون. لم تختره بنفسها، لكنْ لا بأس به.

قالت ببراءة: "لا شيء. لقد وضعت القليل من مستحضر الترطيب فحسب".

- هذا ليس مرطبًا.. يا إلهي!

حاولت شرطية الأحداث فتح عينيها، لكنهما ظلتا تؤلمانها كثيرًا، وقالت: "سمعتها تقول يا إلهي! ما نوع الخطأ الذي حدث؟".

قالت أودري: "لا شيء. لماذا لا أتولى المسؤولية الآن؟".

خلعتْ ريسا قفازها وأسقطته في سلة المهملات، قائلة: "أعتقد أنني سأذهب للحصول على ذلك الكعك الآن"، ورحلتْ عندما بدأت المرأة في الشكوى من احتراق فروة رأسها.

***

- لِمَ فعلتِ ذلك؟

لم تحاولْ ريسا أن تشرح أسبابها لأودري، وعلمتْ أن المرأة لا تتوقع منها أن تفعل ذلك حقًّا، لكنَّ سؤالها أمومي رغم ذلك، وريسا تُقدِّره فعلًا.

- أعتقد أن الوقت قد حان لذَهَابي.

قالت لها أودري: "لستِ مضطرة إلى الرحيل. انسي ما حدث هذا الصباح. سنتظاهر بأنه لم يحدث قطُّ".

من السهل جدًّا على ريسا أن تفعل ذلك، ولكنَّ اقترابها إلى هذا الحد من شرطية الأحداث، وسماع ما قالته، ولا مبالاتها الصارخة بمصير الهارب من التفكيك الذي أسقطوه؛ كل ذلك أخرج ريسا من دُوَّامتها الداخلية، وأعطاها دافعًا مرة أخرى، فقالت: "لا! أحتاج إلى العثور على ما تبقى من منظمة مقاومة الانقسام، وفعل ما بوسعي لإنقاذ الصبية من شرطيي الأحداث أمثال هذين اللذين رأيناهما هذا الصباح".

تنهدتْ أودري وأومأت برأسها على مضض، لأنها تعرف ريسا جيدًا بما يكفي لتدرك أن من المستحيل إثناءها عن قرارها.

الآن فهمتْ ريسا حلمها الفظيع المتكرر بالوجوه غير المجسدة. وجوه المفككين هي التي تطاردها؛ وجوه من انتُزِعوا إلى الأبد من كل ما يمثلهم، تحوم فوقها في رجاء يائس، متوسلة إليها، إن لم يكن للانتقام للمفككين، فللتأكد من عدم زيادة أعدادهم. لقد تقاعست طويلًا جدًّا، ولا يمكنها تجاهل مناشداتهم بعد الآن. مجرد حقيقة أنها ما زالت حية -وأنها نجتْ من كلِّ ما مرَّت به- تربطها بخدمتهم. وإخراج حقدها على شعر شرطية الأحداث، رغم أنه أشعرها بالرضا، لا يفيد شيئًا في إنقاذ أي شخص من التفكيك. مكانها ليس في صالون تجميل أودري. في عصر ذلك اليوم، ودَّعت ريسا أودري التي أصرَّت على تزويدها بالإمدادات والمال وحقيبة ظهر جديدة متينة لا تحتوي على قلوب أو حيوانات باندا.

قالت لها أودري قبل أن تغادر مباشرة: ”أعتقد أن الآن هو الوقت المناسب لإخبارك“.

- إخباري ماذا؟

- أعلنوا في الأخبار للتوِّ أن صديقك كونر ما زال حيًّا.

يعد هذا أفضل الأخبار التي سمعتها ريسا منذ وقت طويل، لكنها سرعان ما أدركتْ أن الإعلان ليس جيدًا على الإطلاق. الآن بعد أن علمتْ هيئة الأحداث أنه حي، ستقطع كل شجيرة بحثًا عنه.

سألتها ريسا: ”هل لديهم أي فكرة عن مكان وجوده؟“.

هزَّت أودري رأسها: ”لا يعرفون شيئًا. إنهم في الواقع يعتقدون أنه معكِ“.

ليته معها! لكنْ حتى عندما يظهر كونر في أحلامها، لا يكون معها. إنه يركض.. يركض دائمًا.

***

29 - كام

تناولا الغداء مع الجنرال والسيناتور في المساحة الخلفية المنعزلة خافتة الإضاءة في «نادي رانجلر»، الذي ربما يُعَدُّ المطعم الأغلى والأكثر تميزًا في العاصمة واشنطن. يوجد مصدر ضوء مستقل للأجنحة المنعزلة، مع الغياب التام للنوافذ، الذي يوهمك بأن الوقت قد توقف بسبب أهمية محادثة أحدهم. العالم الخارجي غير موجود عندما يتناول المرء العشاء في «نادي رانجلر».

بينما أدخلت النادلة كام وروبرتا، رأى وجوهًا اعتقد أنه يعرفها. ربما أعضاء مجلس الشيوخ أو أعضاء الكونجرس. الأشخاص الذين رآهم في مختلف الحفلات رفيعة المستوى التي حضرها. أو ربما توهَّم ذلك فحسب. هؤلاء الناس ذوو الحيثية -الذين يديرون دفة الأمور وينفذون المعاملات المختلفة- بدوا متشابهين بعد مدة. إنه يشك في أن الأشخاص الذين لا يتعرَّفهم هم أصحاب السلطة الحقيقيون. هذا ما يحدث دائمًا. إنهم أعضاء جماعات الضغط ذات المصالح الخاصة الخفية التي لم يتمكن من تخمينها. المواطنة الاستباقية لا تحتكر التأثير السري.

قالت روبرتا لكام خلال إرشادهما إلى جناحهما: "احرص على ترك أفضل انطباع ممكن. تذكر فحسب أن ما سيحدث اليوم يمكن أن يحدد مستقبلك".

أضاف كام: "ومستقبلكِ".

تنهدت روبرتا، وقالت: "نعم. ومستقبلي".

وجدا الجنرال بوديكر والسيناتور كوب جالسين فعلًا حول المنضدة. نهض الجنرال لاستقبالهما، وحاول السيناتور أيضًا الخروج من الجناح للقائهما، لكن بطنه الضخم منعه.

قالت روبرتا: "لا تنهض، أرجوك".

كفَّ عن محاولة النهوض، وقال مازحًا: "البرجر يفوز في كل مرة".

استقروا جميعًا في مقاعدهم، وتبادلوا المصافحات الإجبارية والمجاملات الخانقة. ناقشوا الجوَّ الذي لا يمكن التنبؤ به، إذ تمطر السماء في دقيقة، ثم تشرق الشمس في الدقيقة التالية. قال السيناتور شِعرًا في مديح شرائح اللحم المقلية، وهو الطبق الخاص لهذا اليوم.

صاح كام: "إنني أعاني الحساسية تجاه شرائح اللحم المقلية. على الأقل كتفي وأعلى ذراعي. أُصاب بأسوأ طفح جلدي عند تناولها".

قال الجنرال مذهولًا: "حقًّا. لكنْ أيصيبك الطفح في هذه المواضع فقط؟". وألقى السيناتور كوب دعابةً سمجة عن الحساسية، وهو يقهقه بشدة جعلت كؤوس الماء تهتز.

طلبوا الطعام، وحال وصول المقبلات، بدأ الرجلان أخيرًا الحديث عن العمل.

قال الجنرال: "إننا نراك كرجل عسكري يا كام، ومنظمة المواطنة الاستباقية توافق على ذلك".

حرَّك كام شوكته في سلطة الهندباء، وقال: "أتريد أن تصنع مني بوفًا؟".

قال الجنرال بوديكر مستنكرًا: "هذا توصيف غير عادل للشباب ذوي العقلية العسكرية".

لوَّح السيناتور كوب بيده رافضًا، وقال: "نعم، نعم، نحن جميعًا نعرف الرأي العسكري الرسمي للكلمة، لكنْ ليس هذا ما نقوله يا كام. ستتجاوز التدريب التقليدي وتنتقل مباشرة إلى برنامج الضباط، ومنه إلى المسار السريع للنجاح!".

قال بوديكر: "يمكنني أن أعرض عليك أي فرع تريده من فروع الجيش".

قالت روبرتا: "فلتكن البحرية"، وعندما نظر إليها كام، قالت له: "حسنًا، أعلم أن هذا ما في ذهنك، وأنهم يرتدون الزي الرسمي الألطف".

مدَّ السيناتور يده كمن يقطع الحطب، وقال: "المهم في الأمر هو أن نجمك سيبزغ خلال التحاقك بالبرنامج، وستتعلم ما تحتاج إلى تعلمه بشكل مبسط، وتظهر كمتحدث رسمي باسم الجيش، مع كل الامتيازات التي يكفلها لك ذلك".

أضاف بوديكر: "ستصبح نموذجًا يُحتذى للشباب في كل مكان".

أضاف كوب بدوره: "ولمن هم من نوعك".

رفع كام عينيه عند سماع ذلك، وقال لهما: "ليس لي «نوع»"، فنظر الرجلان إلى روبرتا.

وضعتْ شوكتها جانبًا، وصاغت ردها بعناية: "لقد وصفتَ نفسك ذات مرة بأنك "سيارة اختبارية" يا كام. حسنًا، ما يقوله السيناتور والجنرال الطيبان هو أنهما معجبان بهذا المفهوم".

- فهمتُ.

وصل الطبق الرئيسي. طلب كام أضلاع اللحم، وهو الصِّنف المفضل لدى شخص أو آخر في رأسه. المذاق الأول أعاده إلى حفل زفاف أخته. ليست لديه أي فكرة عن مكان الأخت أو من هي. إنها شقراء الشعر، لكنَّ وجهها لم يظهر في ذهنه. تساءل هل كان من المحتمل في أي وقت أن يُعرَض على هذا الصبي -أو أي صبي بداخله- زيًّا رسميًّا أنيقًا. إنه يعرف أن الإجابة هي لا، وشعر بالإهانة نيابة عنهم.

كما يجب الضغط ببطء على مكابح السيارة عند سقوط المطر، عليه أن يفعل المثل تمامًا الآن، حتى لا يخرج هذا الاجتماع عن السيطرة. قال كام: "إنه عرض سخي للغاية. يشرفني اختياركما إياي"، (ازدرد لعابه): "وأنا أعلم أنكم جميعًا تهتمون بمصلحتي".

ثم تواصل بالأعين مع الجنرال ثم السيناتور: "لكني لا أريد أن أفعل هذا في...". بحث عن كلمة مناسبة مستخدمة في واشنطن: "هذه المرحلة".

حدق إليه السيناتور فحسب، مكررًا وقد اختفت كل البهجة من صوته: "لا تريد أن تفعله في هذه المرحلة...".

وكما هو متوقع، تدخلت روبرتا قائلة: "ما يعنيه كام هو أنه يحتاج إلى وقت للنظر في الأمر".

- أعتقد أنكِ قلتِ إن هذا العرض لا يمكن رفضه يا روبرتا.

- حسنًا، ربما لو كنتَ أكثر لباقة في عرض وجهة نظرك.

وهنا رفع الجنرال بوديكر يده لإسكاتهما، وقال لكام بهدوء: "ربما لا تفهم الأمر جيدًا. دعني أشرح لكَ". انتظر حتى وضع كام شوكته جانبًا، ثم

تابع: ”حتى الأسبوع الماضي، كنتَ ملكًا للمواطنة الاستباقية، لكنَّ مسؤوليها باعوك مقابل مبلغ كبير. أنت الآن ملكية تابعة للجيش الأمريكي“.

قال كام: ”ملكية؟ ماذا تقصد بـ«ملكية»؟“.

قالت روبرتا، باذلة قُصارى جهدها لتقليل الخسائر: ”إنها مجرد كلمة يا كام“.

أصر كام: ”إنها أكثر من مجرد كلمة! إنها فكرة، فكرة أُلغِيت عام 1865، وَفْقَ خبير التاريخ في مكان ما من فص دماغي الأيسر“.

بدأ السيناتور يتحفز، لكنَّ الجنرال حافظ على هدوئه، قائلًا: ”هذا ينطبق على البشر، وأنت لست كذلك. أنت مجموعة من الأجزاء المحدَّدة للغاية، ولكل منها قيمة مالية مميزة. لقد دفعنا أكثر من مئة ضعف هذه القيمة مقابل الطريقة الفريدة التي نُظِّمَتْ بها تلك الأجزاء، لكنْ في النهاية الأجزاء مجرد أجزاء يا سيد كومبري“.

قال السيناتور بمرارة: ”ها قد فهمتَ الأمر. هل تريد المغادرة؟ تفضل؛ اخرج من هنا، لكنِ اترك كل أجزائك أولًا“.

فقد كام القدرة على تنظيم تنفسه. تجمعتْ عشرات الأحاسيس المنفصلة بداخله واشتعلتْ في وقت واحد. أراد الإطاحة بالمائدة، وإلقاء الأطباق على رؤوسهم.

ملكية! إنه في نظرهم ملكية!

لقد تحققتْ أسوأ مخاوفه. حتى الناس الذين يبجلونه يعتبرونه سلعة.. شيئًا.

عندما رأت روبرتا تلك النظرة في عينيه، أمسكت بيده، وأمرته: ”انظر إليَّ يا كام!“.

نفَّذ أمرها، وهو يعلم في أعماقه أن عمل فضيحة سيعتبر أسوأ ما يمكن أن يرتكبه في حق نفسه. إنه بحاجة إليها لتعمل على تهدئة غضبه.

صرخ: "ثلاثون قطعة من الفضة[1]! بروتوس[2]! روزنبرج[3]!".

- لستُ خائنة! إنني أصدقكَ القول يا كام. هذه الصفقة تمت دون علمي. أنا غاضبة مثلك، لكنْ علينا معًا تحقيق أقصى استفادة منها.

شعر برأسه يدور، وقال: "ربوة خضراء[4]!".

- إنها ليست مؤامرة أيضًا! نعم، كنت أعرف الأمر عندما أحضرتكَ إلى هنا، لكني أدركتُ أيضًا أن إبلاغك ليس التصرف الصحيح، (ألقتْ نظرة غاضبة على الرجلين): لأنك لو اخترتَ الموافقة بنفسك، لما ظهرتِ المشكلة الفنية المتعلقة بالملكية على الإطلاق.

أجبر كام تنفسه على التباطؤ، وأطفأ نيران أعصابه المشتعلة: "الخروج من الحقيبة. أغلقي باب الحظيرة. لقد رحلتِ الخيول".

همهم السيناتور: "ما الذي يتحدث عنه بحق الجحيم؟".

أمرتْ روبرتا الرجلين: "فليهدأ كلاكما!".

حقيقة قدرة روبرتا على إسكات عضو مجلس الشيوخ والجنرال بكلمة واحدة، بدتْ كنوع من النصر. بصرف النظر عن هُويَّتهما وما يملكان،

---

(1) ثلاثون قطعة من الفضة هو الثمن الذي تقاضاه يَهوذا لخيانة المسيح وفقَ الكتاب المقدس. "المترجم".

(2) بروتوس: من أشهر رجال السياسة في التاريخ الروماني القديم، وأصبح رمزًا عالميًا للخيانة لاشتراكه عام 44 ق.م في مؤامرة اغتيال يوليوس قيصر، الذي وثق به ثقة تامة، وحتى يومنا هذا يُضرَب به المثل عند خيانة أقرب المقربين، فيقال: "حتى أنت يا بروتوس". "المترجم".

(3) جوليس وإيثيل روزنبرج: مواطنان أمريكيان، ويُعدَّان من أشهر الجواسيس في العصر الحديث وأكثرهما تأثيرًا في موازين القوى الدولية، فقد تورطا في تسريب معلومات حيوية عن برنامج التسليح النووي الأمريكي إلى المخابرات السوفيتية، وذلك خلال فترة الحرب الباردة (1947 - 1953) التي شهدت الاضطراب الأكبر بين أمريكا والسوفييت. "المترجم".

(4) يشيع استخدام مصطلح "ربوة خضراء" في الولايات المتحدة الأمريكية للدلالة على وجود مؤامرة، ويرجع ذلك إلى إحدى نظريات حل غموض اغتيال الرئيس الأمريكي الأسبق جون كنيدي في نوفمبر عام 1963 التي افترضت أن قاتلًا مأجورًا اختبأ على ربوة خضراء في طريق موكب الرئيس. "المترجم".

فالكلمة العليا ليست لهما هنا. على الأقل ليس في هذه المرحلة. عرف كام أن أي شيء يخرج من فمه سيكون مجرد صحوة أخرى للغة المجازية؛ الطريقة التي تحدث بها بعد تجميعه مباشرة، لكنه لم يهتم، وقال: "ليمون[1]".

تلفَّت الرجلان في أرجاء المائدة بحثًا عن ليمون.

تناول كام قطعة من الأضلاع، مُجبِرًا نفسه على الهدوء بما يكفي لترجمة أفكاره بشكل أفضل، وقال: "لا. ما أعنيه هو أن بصرف النظر عن الثمن الذي دفعتماه مقابلي، فإن أموالكما ستُهدَر لو لم أؤدِّ دوري".

ظل السيناتور في حيرة من أمره، لكنَّ الجنرال بوديكر أومأ برأسه، قائلًا: "تقصد أننا سنكون قد اشترينا بضاعة فاسدة لا تساوي ثمنها".

تناول كام قطعة أخرى من أضلاع اللحم، وقال: "تستحق نجمة ذهبية".

تبادل الرجلان النظرات، وبدا عليهما عدم الارتياح.

جيد. هذا بالضبط ما يريده.

- لكنْ إذا أديت دوري، فسيحصل الجميع على ما يريدون.

قال بوديكر بنفاد صبر: "وهكذا نعود من حيث بدأنا".

- لكنْ على الأقل الآن أصبحنا نفهم بعضنا.

درس كام الوضع، منتبهًا إلى روبرتا التي تفرك يديها من القلق الآن. ثم التفتَ إلى الرجلين، مضيفًا: "مزِّقا عقدكما مع المواطنة الاستباقية. أبطلاه، وبعد ذلك سأوقِّع بنفسي العقد الذي يُلزِمني بما تريدان مني فعله. وبهذا يصبح هذا الاتفاق قراري أنا، وليس عملية شراء".

أصاب قوله الثلاثة بالحيرة، وسأل السيناتور: "أهذا ممكن؟".

قالت روبرتا: "إنه ما زال قاصرًا من الناحية التِّقْنِيَّة".

ذكرها كام: "من الناحية التِّقْنِيَّة، أنا غير موجود، أليس كذلك؟".

لم يجب أحد.

قال كام: "لذا، اصنعا لي وجودًا على الورق، وعلى الورقة نفسها، سأوقِّع لكما على حياتي، لأني اخترتُ ذلك".

---

(1) في اللغة الإنجليزية يستخدم مصطلح (Buy a lemon) للدلالة على شراء بضاعة فاسدة أو معيبة لا تساوي الثمن المدفوع مقابلها.

نظر الجنرال إلى السيناتور، لكنَّ السيناتور هز كتفيه. لذلك التفتَ الجنرال بوديكر إلى كام وقال: "سنفكر في الأمر ثم نتواصل معك".

***

وقف كام في غرفته بمقر إقامته في العاصمة واشنطن، وحدَّق إلى بابها المغلَق.

هذا المنزل هو المكان الذي يعود إليه بعد الرحلات المختلفة لإلقاء المحاضرات. تُطلِق روبرتا على ذلك "العودة إلى المنزل". بالنسبة إلى كام، هذا لا يبدو كمنزله. القصر في مولوكاي هو منزله، ومع ذلك لم يعد إلى هناك منذ أشهر. وهو يشك أنهم قد لا يدعوه يعود إليه مرة أخرى. في النهاية، يعتبر بمنزلة دار رعاية أكثر من كونه مسكنًا بالنسبة إليه. إنه المكان الذي شهد تجميعه. هناك عرف من هو -أو ما هو- وتعلم كيفية التنسيق بين أعضاء "مجتمعه الداخلي" المتنوع.

من الواضح أن الجنرال بوديكر -رغم غضبه الشديد من استخدامه كلمة "بوف" للدلالة على الجنود الشباب- لم يجدْ أي غضاضة في استخدام عبارات قاسية ووصف مجتمع كام الداخلي بـ"الأجزاء".

لا يعرف كام من يجب أن يحتقر أكثر؛ بوديكر لأنه اشترى جسده، أو المواطنة الاستباقية لبيعه، أو روبرتا لإجباره على الوجود. واصل كام التحديق إلى باب غرفته من الداخل، حيث يوجد معلقًا الزي الرسمي الكامل لجندي لضباط البحرية الأمريكية، والأزرار اللامعة وكل شيء. لطيف وأنيق، تمامًا كما قالت روبرتا، وقد وضعه مجهول بهدف استراتيجي في أثناء وجوده بالخارج. تساءل كام أهو تهديد، أم إغراء.

لم يقلْ شيئًا عن ذلك لروبرتا عندما نزل لتناول العشاء. منذ لقائهما السيناتورَ والجنرالَ الأسبوع الماضي، تناولا جميع وجباتهما بمفردهما في المنزل، كأنَّ تجاهل أصحاب النفوذ لهما يُعَدُّ عقابًا بطريقة أو بأخرى.

في نهاية الوجبة، أحضرتْ مدبرةُ المنزل لهما الشاي على صينية فضية، ووضعتها بينهما، لأن روبرتا -البريطانية الأصل- ما زالت تحرص على تناول شاي «إيرل جراي».

بعد تقديم الشاي، أبلغته روبرتا بالأخبار، فقالت بعد تناول رشفتها الأولى: "أريد أن أخبرك بشيء، لكني أريدك أن تَعِدَ بالتحكم في أعصابك".

قال لها: "هذه ليست طريقة جيدة لبدء محادثة. حاولي مرة أخرى. هذه المرة أريد أن أشعر في صوتك بقدوم فصل الربيع وأشم زهور الأقحوان عند سماع كلماتك".

تنفَّست روبرتا بعمق، ووضعت فنجانها على المنضدة، ثم قالت مباشرة: "لقد رفضتِ المحكمة طلبكَ بالتوقيع بنفسك على وثيقتكَ".

شعر كام بالرغبة في تقيؤ الطعام، لكنه قاومها، وقال: "إذن، المحاكم تقول إنني غير موجود. أهذا ما تقولينه لي؟ أنني شيء (التقط ملعقةً) مثل الأداة؟ أم إنني أشبه إبريق الشاي هذا؟ (أسقط الملعقة والتقط الإبريق من المنضدة) نعم، هذا كل شيء، إبريق شاي فصيح يصرخ مستخدمًا صوت الهواء الساخن الذي لا يريد أحد سماعه!".

دفعتْ روبرتا مقعدها إلى الخلف، فأحدث صريرًا على الأرضية الصلبة، وقالت: "لقد وعدتَ بالحفاظ على أعصابك!".

- لا، لقد طلبتِ وأنا أرفض!

ضرب إبريق الشاي بقوة، فتدفَّق شاي «إيرل جراي» كالفيضان من الفوهة، مبلِّلًا مفرش المنضدة الأبيض. وهنا اختفتْ مدبرة المنزل من غرفة الطعام.

أصرَّت روبرتا: "إنه تعريف قانوني، لا أكثر! أنا أعلم أنك أكبر من هذا التعريف الغبي".

همهم كام بعبارة ما لم تستطع حتى روبرتا فك شفرتها، ثم قال: "رأيكِ لا يعني شيئًا، لأنكِ لست أكثر من مجرد خيَّاطة في ورشة خاطت أجزائي معًا".

تصاعد سخطها كأمواج المحيط، وقالت: "في الواقع، أنا أكثر من ذلك بقليل!".

- أستقولين إنك من صنعتِني؟ هل أتعبَّد في محرابك؟ أم الأفضل من ذلك، لِمَ لا أنتزع قلبي المسروق وأضعه على المذبح من أجلك؟

- كفى!

غاص كام في مقعده، وقد انتابه غضب شديد غير موجَّه.

وضعتْ روبرتا منديلها لتساعد على تجفيف الشاي، وهي مهمة تجاوزتْ قدرات مفرش المنضدة. تساءل كام أسيستاء مفرش المائدة من قدرة المنديل على الامتصاص لو مُنِحَ ما يفيد قانونًا أنه شخص.

قال روبرتا: "يوجد ما يجب أن تراه. يوجد ما يجب أن تفهمه، وقد يمنحك القدرة على رؤية الأمر من منظور مختلف".

نهضتْ وذهبتْ إلى المطبخ، ثم عادتْ ومعها قلم وورقة فارغة. جلست بجواره، وطوتْ مفرش المنضدة، واضعةً الورقة على جزء جاف من خشب المنضدة.

- أريدك أن توقع هنا.

- لماذا؟

- سترى.

شعر بالاشمئزاز الشديد من الجدال، فأخذ القلم ونظر إلى الورقة وكتب بدقة قدر استطاعته «كامو كومبري».

- جيد. الآن اقلب الورقة ووقع مرة أخرى.

- ما هدفكِ؟

- سايرْني.

قَلَبَ الورقة، لكنْ قبل أن يُوقِّع، أوقفته روبرتا، قائلة: "لا تنظر. هذه المرة انظر إليَّ في أثناء التوقيع. وتحدث معي أيضًا".

- عن ماذا؟

- قل ما في قلبك.

نظر إلى روبرتا، ووقَّع فيما يقول اقتباسًا يناسب اسمه: "«الحاجة إلى أن تكون على حق علامة على تدني العقل[1]»".

ثم سلَّم الورقة لروبرتا: "تفضَّلي. هل أنت سعيدة الآن؟".

- لِمَ لا تنظر إلى التوقيع يا كام؟

---

(1) العبارة للكاتب والفيلسوف الفرنسي ألبير كامو الذي استخدمت روبرتا لقبه اسمًا للفتى المُجَمَّع، واختصاره كام. "المترجم".

نظر إلى الورقة. في البداية اعتقد أنه يرى توقيعه الصحيح. لكنْ يبدو أن زرًّا ما في رأسه لا يعمل جيدًا، فالتوقيع الذي رآه ليس توقيعه على الإطلاق. قال في دهشة: "ما هذا؟ هذا ليس ما كتبتُه".

- إنه هو يا كام. اقرأه.

قرأ الحروف الملتوية قليلًا: "ويل تاش.. تاشي...".

قالت روبرتا: "ويل تاشين. حصلتَ على يديه ومراكزه الحركية العصبية في المخيخ، إضافة إلى مواد القشرة الدماغية المهمة أيضًا. كما ترى، فإن اتصالاته العصبية وذاكرته العضلية هم ما يؤهلونك لعزف القيثارة وإنجاز مجموعة كاملة من المهارات الحركية الدقيقة".

لم يستطعْ كام إبِعاد عينيه عن التوقيع. واصلَ الزر الموجود في رأسه العمل عشوائيًّا بين التشغيل والإغلاق. توقيعي. ليس توقيعي. توقيعي. ليس توقيعي.

نظرتْ إليه روبرتا في تعاطف لا حدود له، وقالت: "كيف يمكنك التوقيع على وثيقة يا كام، عندما يكون حتى توقيعك لا يخصك؟".

***

تكره روبرتا خروج كام بمفرده، خاصة ليلًا، لكنْ في هذه الليلة، لم يفلحْ أي شيء قالته أو فعلته في إيقافه.

سار مسرعًا في شارع ما زال مبتلًّا بمطر النهار، لكنه شعر أنه لن يصل إلى أي مكان. إنه لا يعرف حتى إلى أين يريد الذَّهاب؛ بعيدًا فحسب عن أي مكان يوجد به في هذه اللحظة. شعر بالغربة في جسده. ماذا تُطلِق الإعلانات على ذلك؟ هذا صحيح، اضطراب تفكُّك النظام الحيوي. حالة غامضة لا يمكن علاجها بفعَّالية إلا من خلال التفكيك.

كل خططه، وكل أحلام يقظته المنصبَّة على إسقاط المواطنة الاستباقية -والتحوُّل إلى البطل الذي تريده ريسا- كل ذلك لا يساوي شيئًا لو أصبح جزءًا من الملكية العسكرية. وروبرتا مخطئة. إنه أكثر من مجرد تعريف قانوني. كيف لا ترى أنه عندما تُعَرَّف، فإنك تفقد القدرة على تعريف نفسك؟ وفي النهاية سينطبق عليه هذا التعريف؛ سيصبح شيئًا.

ما يحتاج إليه هو نوع من إعلان الوجود الذي يتفوَّق على أي ادعاء قانوني. شيء يمكنه أن يؤمن به داخليًّا في مواجهة كل المكتوب على الورق. ريسا يمكنها منحه ما يريد. إنه يعلم أنها تستطيع ذلك، لكنها ليست هنا. ومع هذا، قد يجدها في أماكن أخرى.

بدأ يفتش ذاكرته، بحثًا عن اللحظات التي لها ارتباط روحاني. وجد مناولته الأولى، وحفلَ بلوغٍ يهوديًّا، ومراسم آسيوية لتعلُّم قراءة القرآن بالعربية. رأى أخًا يُعمَّد في كنيسةٍ أرثوذكسية يونانية، وجِدة تُحرَق جثتها في جنازة بوذية تقليدية. وجد ما يمثل كل المعتقدات الدينية تقريبًا في ذاكرته، وتساءل أكان هذا مقصودًا. لم يغفل عن مقصد روبرتا في جعله ممثلًا للإنسانية، وأن تمثيل جميع الأديان الرئيسية وُضِعَ كجزء من المعايير التي حددتها لأجزائه. لذا لا يستبعد أنها قصدت ذلك، لأنها دقيقة إلى هذه الدرجة.

لكنْ من سيمنحه ما يحتاج إليه؟ إنه يعرف أنه إذا تحدث إلى حاخام أو راهب بوذي، فسيحصل على إجابات حكيمة للغاية تشير إلى المزيد من الأسئلة بدلًا من إجابة تساؤلاته. "هل نحن موجودون لأن الآخرين يدركون وجودنا، أم إن تأكيدنا يكفي فعلًا؟".

لا، ما يحتاج إليه كام هو عقيدة بسيطة ومحددة يمكنها أن تمنحه إجابة بنعم أو لا بشكل ملموس.

توجد كنيسة كاثوليكية على بعد بنايات قليلة. إنها قديمة ولها نوافذ زجاجية ملوَّنة مثيرة للإعجاب. يوجد وسط مجتمعه الداخلي مجموعة كبيرة من المؤمنين، وهذا يكفي لمنحه إحساسًا بالتقديس والرهبة وهو يخطو داخل المكان الجليل.

وجد هناك القليل من الحضور. لقد انتهى القداس، وبدأت الاعترافات تقل. أدرك كام ما عليه فعله.

- اغفرْ لي يا أبتِ، فقد أخطأت.
- حدِّثني عن خطاياك يا بني.
- لقد حطمتُ وسرقتُ أشياءَ؛ إلكترونيات، سيارة.. ربما اثنتين. ربما تعاملتُ بعنف مع فتاة ذات مرة. لست متأكدًا.
- لست متأكدًا؟ كيف لا يمكنك التأكد؟
- لا أملك أي ذكرى كاملة.

- لا يمكنك الاعتراف إلا بالأشياء التي تتذكرها يا بني.

- هذا ما أحاول أن أخبركَ به يا أبتِ. لا أحمل أي ذكرى مكتملة. مجرد حطام وأجزاء.

- حسنًا، سأقبل اعترافكَ، لكنْ يبدو أنك تحتاج إلى شيء أكثر من قداسة الاعتراف.

- هذا لأن الذكريات تنتمي إلى أشخاص آخرين.

لم يحرِ القس جوابًا.

- هل سمعتني؟

- إذن، فقد تلقيتَ أجزاءً من مفككين؟

- نعم، لكن...

- يا بنيَّ، لستَ مسؤولًا عن أفعال عقل لا ينتمي إليك، مثلما لا يمكن أن تُعَدَّ مسؤولًا عن أفعال يد مزروعة.

- لديَّ اثنتان أيضًا!

- ماذا؟

- اسمي كامو كومبري. هل يعني هذا الاسم أي شيء بالنسبة إليك؟

صمت القس مجددًا.

- قلت إن اسمي...

- نعم، نعم، لقد سمعتكَ. أصابتني الدهشة فحسب لأنكَ هنا.

- ألأنني مُفرَّغ؟ بلا روح؟

- بل لأني نادرًا ما أسمع اعترافات من شخصيات عامة.

- أهذا الوصف ينطبق عليَّ؟ شخصية عامة؟

- لماذا أنت هنا يا بني؟

- لأني خائف. أخشى أنني ربما... ليس لي وجود.

- حضورك إلى هنا يثبت وجودك.

- لكنْ بأي صفة؟ أريدك أن تخبرني أنني لست ملعقة! لست إبريق شاي!

- حديثك لا معنى له. من فضلك، يوجد أناس ينتظرون.

- لا! هذا مهم! أحتاج إلى أن تخبرني. أحتاج إلى أن أعرف هل أُصنِّف إنسانًا؟
- يجب أن تعلم أن الكنيسة لم تتخذ موقفًا رسميًّا بشأن التفكيك.
- هذه ليست الإجابة عن سؤالي.
- نعم، نعم، أعلم أنها ليست كذلك. أعرف.. أعرف.
- أريد رأيك كونكَ رجلَ دين.
- أنت تطلب مني الكثير. أنا هنا لمنح العفو، لا أكثر.
- لكنْ لك رأي، أليس كذلك؟

لم يُجبِ القس.

- متى سمعت بي أولَ مرة؟
- ....
- ما رأيك يا أبتِ؟
- ليس لي أن أقول، ولا لك أن تسأل!
- لكني أسأل!
- ليس في مصلحتكَ أن تسمع!
- إنكَ في اختبار يا أبتِ. هذا هو اختباركَ: أستقول الحقيقة أم ستكذب عليَّ في اعترافك؟
- رأيي...
- نعم.
- رأيي... كان أن وصولك إلى هذا العالم يمثل نهاية كل الأشياء التي نعتز بها. لكنَّ هذا الرأي نبع من الخوف والجهل. أعترف بذلك! واليوم أرى الانعكاس المروِّع لأحكامي التافهة. هل تفهم؟

لم يجب كام.

- أعترف أنكَ قد أخجلتَ تواضعي بسؤالكَ. كيف يمكنني أن أقول هل تحمل شرارة إلهية أم لا؟
- نعم أو لا ببساطة ستؤدي الغرض.

- لا أحد على وجه الأرض يمكنه إجابة هذا السؤال يا سيد كومبري، وعليك الابتعاد عن أي شخص يدعي أنه يستطيع ذلك.

***

تجوَّل كام في الشوارع بلا هدف، دون أن يعرف أو يهتم بمعرفة مكان وجوده. وثق أن روبرتا قد كلَّفت فريقًا بالبحث عنه فعلًا.

وماذا سيحدث عندما يجدونه؟ سيأخذونه إلى المنزل، وهناك ستوبخه روبرتا بشدة. ثم تسامحه. وبعد ذلك غدًا، أو في اليوم التالي، أو الذي يليه، سيرتدي الزي الأنيق المعلَّق خلف باب غرفته لتجربته، وسيحب شكلَه، وسيُذعن وينتقل إلى ملَّاكه الجدد. يعلم أن هذا أمر لا مفر منه. وهو يعلم أيضًا أن اليوم الذي سيحدث فيه ذلك هو اليوم الذي ستموت فيه أي شرارة بداخله إلى الأبد.

اقتربتْ حافلة في الشارع، وتأرجحت أضواؤها الأمامية عندما اصطدمت بحفرة. يمكن لكام ركوب تلك الحافلة إلى المنزل، أو للهرب بعيدًا. لكنَّ أيًّا من هذين الاختيارين ليس الفكرة التي شغلت ذهنه في تلك اللحظة.

وهكذا صلى بتسع لغات، متبعًا طريقة كل الديانات التي يعرفها في الصلاة.

دعا متوسلًا: "أرجوك. أرجوك أعطني سببًا واحدًا يمنعني من إلقاء نفسي تحت عجلات تلك الحافلة".

وعندما أتى الجواب، جاء بالإنجليزية، وليس من السماء، بل من الحانة الموجودة خلفه.

"...أكدوا أن كونر لاسيتر، المعروف أيضًا باسم إوُول آكرون، ما زال حيًّا. ويُعتقَد أنه ربما سافر مع ليف كالدر وريسا وورد".

مرت الحافلة، ناثرة الوحل على سرواله الجينز.

وبعد خمسة وأربعين دقيقة، عاد كام إلى المنزل بإحساس جديد من السكينة؛ كأن شيئًا لم يحدث. وبَّخته روبرتا، ثم سامحته. كما يحدث دائمًا.

وبَّخته قائلة: "يجب أن تتوقف عن هذا الاستسلام المتهور لحالتك المزاجية اللحظية".

- نعم، أعلم أنكِ على حق.

ثم أخبرها بقبوله "عرض" الجنرال بوديكر. وبطبيعة الحال، شعرت روبرتا بالارتياح والسعادة الغامرة، قائلة: "هذه خطوة رائعة بالنسبة إليك يا كام. خطوة عليك اتخاذها. أنا فخور بك للغاية".

وتساءلتْ عن رد فعل الجنرال لو لم يقبل كام. من المؤكد أن رجاله كانوا سيأتون لإحضاره على أي حال، وإرغامه على الخضوع. ففي النهاية، لو أنه ملكٌ لهم، فمن حقهم أن يفعلوا به ما يريدون.

ذهب كام إلى غرفته واتَّجه مباشرة نحو قيثارته. لم يعزفْ عليها لتمضية الوقت الليلة. بل عزف لهدف لا يعرفه إلا هو. الموسيقى تجلب معها الانطباعات المرتبطة بالذكريات، كصورة لاحقة لمنظر طبيعي مُشرِق. تكنيك العزف، ولمس أصابعه الأوتارَ في تتابع متناغم معين له تأثير أكبر، لذا أخذ يعزف عليها، ويُغيِّر نغماتها. بدأ يُخرِج أعمق ما فيها.

بدتِ الأصوات الصادرة من القيثارة غير متجانسة وعشوائية، لكنها ليست كذلك. بالنسبة إلى كام، الأمر أشبه بتدوير قرص الأرقام السرية لخزانة. يمكنك الوصول إلى أي كود سري بشكل صحيح، لو أنك شديد المهارة، وتعرف ما تستمع له.

ثم أخيرًا، بعد أكثر من ساعة من العزف، أثمر عمله. طفتْ على السطح أربعة أوتار بمزيج غير معتاد في ما بينها، لكنها مثيرة للذكريات بقوة. عزف على الأوتار مرارًا وتَكْرارًا، محاولًا استخدام أصابع مختلفة، وإتقان النوتات والتناغمات، حتى يتردَّد صدى الموسيقى في داخله.

قالت روبرتا وهي تُطِلُّ برأسها من باب غرفته: "لم أسمعْ ذلك اللحن من قبل. أهو جديد؟".

كذب كام: "نعم، إنه جديد".

لكنْ في الواقع اللحن قديم للغاية. أكبر من عمره بكثير. اضطُرَّ إلى الحفر في أعماق نفسه إلى أن وجده، وأخرجه إلى السطح، لكنْ حالما وجده، بدا كأنه وُجِدَ دائمًا على أطراف أصابعه، وعلى حافة عقله في انتظار أن يعزفه. ملأتْه

الأغنية بفرحة وحزن هائليْن. إنها تتغنى بالآمال المرتفعة والأحلام المحطمة. وكلما واصل عزفها، طفتْ على سطح عقله المزيد من أجزاء الذاكرة.

عندما سمع ذلك التقرير الإخباري القادم من الحانة؛ عندما دخل ورأى وجوه إوُول آكرون، وحبيبته ريسا، والمُصفِّق على شاشة التلفاز، أصيب بالذهول. في البداية، بسبب الكشف عن أن كونر لاسيتر ما زال حيًّا، لكنْ إضافة إلى ذلك، انتابه إحساس بالارتباط العقلي جعل القُشَعْرِيرة تسري في مواضع التحامه.

حدث ذلك عندما وقعتْ عيناه على صورة العُشْر. ذلك الوجه البريء. كام يعرف هذا الوجه، ليس فقط من خلال المقالات والتقارير الإخبارية الكثيرة، بل معرفة أكبر من ذلك. لقد أصيب، واحتاج إلى الشفاء. لقد عزف له على القيثارة. أغنية شفاء. لماهبي.

لم يدرِ كام ما يعنيه ذلك، عرف فقط أنها شرارة اتصال، قدحتها خلية ما داخل فسيفسائه المعقدة من الخلايا العصبية. إنه يعرف ليف كالدر -أو على الأقل يعرفه أحد أعضاء مجتمعه الداخلي- وهذه المعرفة مرتبطة بالموسيقى بطريقة ما.

لذا عزف كام الآن. واصل العزف حتى الثانية صباحًا عندما التقط أخيرًا ما يكفي من ذاكرته الموسيقية لفهم الأمر. لقد منحتْ أمة «أراباتشي» ليف كالدر ملاذًا من قبل. لن يعرف ذلك من يبحثون عنه، وهذا ما يعني أن لديه المكان المثالي للاختباء. لكنَّ كام يعرف. إن القوة الهائلة لهذه المعرفة أشعرته بالدوار، فلو أن ليف مسافر بحق مع ريسا وكونر، فإن محمية «أراباتشي» هي المكان الموجودون فيه؛ مكان لا تتمتع فيه هيئة الأحداث بأي سلطة.

هل عرفت ريسا طوال الوقت أن كونر لاسيتر حي؟ الإجابة بنعم تفسر أمورًا كثيرة. لماذا لم تستطع أن تمنح كامَ قلبَها؟ لماذا تحدثتْ في كثير من الأحيان عن لاسيتر بصيغة المضارع، كمن ينتظر على مقربة منهما، ليأخذها بعيدًا عن كام.

من الطبيعي أن يغضب كام، لكنه بدلًا من ذلك ابتهج لأنه محقٌّ. لم يملكْ في السابق أي أمل في محاربة شبح للفوز بحبها، لكنَّ كونر لاسيتر ما زال حيًّا بشحمه ولحمه، وهذا ما يعني إمكانية التغلب عليه! يمكن هزيمته وإلحاق

العار به، وفعل كل ما يتطلبه الأمر لقتل حب ريسا له، وفي النهاية، عندما تفقد ريسا اهتمامها به، سيتدخل كام لحمايتها.

بعد ذلك، يمكن لكام تسليم إوُول آكرون شخصيًّا إلى العدالة، فيصبح بطلًا عظيمًا، ويمكنه شراء حريته.

في الثالثة صباحًا، خرج من منزل المدينة، تاركًا خلفه شبه حياة، عازمًا على عدم العودة إلى أن يضع ريسا وورد تحت رعايته، ويسحق كونر لاسيتر بعقب حذائه.

***

الجزء الرابع

رائحة الذكرى

«صناديق اللقطاء» لكل مستشفى إيطالي؟

بقلم كارولين إي. برايس

- 28 فبراير 2007

إيطاليا تختبر "صندوق اللقيط"، وهو مفهوم ظهر لأول مرة في روما عام 1198 على يد البابا إنوسنت الثالث.

مساء السبت، تُرِكَ طفل حسن المظهر، يبلغ من العمر ثلاثة أشهر أو أربعة -ربما إيطاليٌّ، أو لا- يتمتع بصحة ممتازة، في "صندوق اللقيط"، وهو مهد دافئ موضوع في مستشفى «بوليكلينيكو كازيلينو» (Policlinico Casilino) العام في روما. أُنشِئت صناديق اللقطاء حتى تضع النساء أطفالهنَّ الرضع فيها، عندما يكون الطفل غير مرغوب فيه أو عندما يُولَد في فقر مدقع.

وهذا الذكر هو أول طفل يُنقَذ في إيطاليا بفضل نظام تجريبي صُمِّمَ لمنع التخلي عن الأطفال في الشارع. أُطلِقَ اسم ستيفانو على الطفل "اللقيط"، تكريمًا للطبيب الذي تولى مسؤوليته منذ قدومه.

ووَفْقَ وزيرة الصحة ليفيا توركو، فإن المشروع "مثال يحتذى". وتريد زميلة السيدة توركو، وزيرة الأسرة روزي بيندي، نسخة حديثة من صندوق اللقيط "في كل جناح ولادة في جميع مستشفيات إيطاليا".

وقال بيرميكيلى باوليلو رئيس قسم طب الأطفال حديثي الولادة في مستشفى «بوليكلينيكو كازيلينو»: "ليس مفاجئًا أن نعثر على طفل حديث الولادة في المهد، لكننا لم نتوقعْ رؤية طفل عمره ثلاثة أشهر أو أربعة. من يدري ماذا يكمن خلف هذه الواقعة؟".

نُشِرَ هذا المقال بإذن من موقع DigitalJournal.com

المقال كاملًا يوجد على:

http://www.digitaljournal.com/article/127934

***

الزوجان راينشيلد

وأخيرًا وقت للاحتفال! الليلة يتناول الزوجان راينشيلد العشاء في أغلى مطاعم بالتيمور وأكثرها تميزًا. لقد طال انتظار هذا الفخر.

أمسكتْ سونيا يد جينسون خلال المنضدة. لقد طلبا من النادل الانصراف مرتين فعلًا، حتى لا يتعجلهما في طلب الطعام. ارتفعتِ الفقاعات في كأسيهما المليئتين بالشمبانيا، وبجوارهما وُضِعَتْ زجاجة الشمبانيا من ماركة «دوم برينيون» في الثلج لتبقى باردة. ينبغي ألا تمرَّ هذه الليلة بسرعة. يجب أن تستمر وتدوم، لأن كليهما يستحق ذلك.

قالت سونيا: "أخبرني مرة أخرى. كل التفاصيل!".

سَعِدَ جينسون بتلبية طلبها، لأنَّ مثل هذا الاجتماع يستحق أن يُعاش من جديد. تمنى لو وجد طريقة لتسجيله. أخبرها مرة أخرى كيف ذهب إلى مكتب رئيس شركة «بيودراينكس للأجهزة الطبية»، وقدَّم له ما يعتبره "إنجاز حياته"، تمامًا كما قدَّمه إلى سونيا قبل ذلك بأيام قليلة.

- وهل امتلك الرجل رؤية كافية لإدراك التفاصيل المعقدة على الفور؟

- لقد تصبَّب الرجل عرقًا من الجشع يا سونيا. قرأتُ على وجهه علامات تمسكه الشديد بالاختراع. أخبرني أن عليه التحدث إلى مجلس الإدارة وسيعود إليَّ، لكنْ حتى قبل أن أغادر المبنى، اتصل بي مرة أخرى لعقد صفقة.

صفَّقت سونيا بيديها في جذل، لأنها لم تسمع هذا الجزء من قبل، وقالت: "عظيم! لم يشأ أن تعرضه على منافسيه".

- بالضبط. لقد قدَّم لي عرضًا استباقيًّا على الفور، ولم يكتفِ بشراء النموذج الأوَّلي فحسب؛ لقد اشترى المخططات وبراءة الاختراع وكل شيء. ستملك «بيودراينكس» الحقوق الحصرية!

- أخبرني أنك ذهبتَ مباشرة إلى البنك بالشيك.

هز جينسون رأسه نفيًا، وقال: "لقد حوَّل المبلغ إلكترونيًّا، وتأكدتُ أنه موجود فعلًا في حسابنا"، أخذ رشفة من الشمبانيا، ثم مال إلى الأمام، هامسًا: "سونيا، يمكننا شراء جزيرة صغيرة بما دفعوه لعقد الصفقة!".

ابتسمتْ سونيا ورفعتْ كأس الشمبانيا إلى شفتيها، قائلة: "سيرضيني أن تقبل فحسب الحصول على إجازة".

يعرف كلاهما أن الأمر لا يتعلق بالمال، بل -كما كان في الماضي- بتغيير العالم.

أخيرًا طلبا الطعام، وأعاد النادل ملء كأسيهما بالشمبانيا، فرفع جينسون كأسه، قائلًا: "نخب نهاية التفكيك. بعد عام من الآن لن يصبح سوى ذكرى قبيحة!".

صدمتْ سونيا كأسها بكأسه، قائلة: "أرى جائزةَ نوبل ثانيةً في مستقبلك. واحدة لن تتشاركها معي".

ابتسم جينسون، قائلًا: "سأفعل على أي حال".

أتت الوجبة؛ أفضل ما تناولاه على الإطلاق، في أفضل أمسية تشاركاها على الإطلاق.

ولم يدركا وجود خطأ ما حتى صباح اليوم التالي... لأن المبنى الذي يعملان فيه، والذي حمل اسمهما، لم يعد جناح راينتشيلد. بين عشية وضحاها، استُبدِلتِ الحروف النُّحاسية الكبيرة الموجودة فوق المدخل وأُعيدت تسمية المبنى باسم رئيس منظمة المواطنة الاستباقية.

***

30 - هايدن

لا يمكنْ تفكيك هايدن أبتشرتش. على الأقل ليس اليوم. ربما غدًا، من يدري؟

سأل سجانيه بعد إيداعه في مخيم الحصاد مع بقية المقبوض عليهم من طائرة الاتصالات في المقبرة: "لقد تجاوزتُ سن التفكيك، لماذا أنا في مخيم الحصاد؟".

الجواب الوحيد الذي قدَّمه مدير المخيم: "هل تُفضِّل وضعك في السجن؟".

لكنْ في نهاية المطاف، لم يتمكنِ المدير مينارد من الاحتفاظ بالحقيقة لنفسه، فالحقيقة ممتعة للغاية، وقال لهايدن بابتسامة صفراء غير سارة: "نحو نصف الولايات في هذا البلد سيُجرَى بها هذا العام اقتراع من شأنه السماح بتفكيك المجرمين مرتكبي العنف. لقد أُرسِلتَ إلى مخيم حصاد في ولاية من المؤكد تمرير القانون بها، وسيدخل حيز التنفيذ في أسرع وقت، أي في اليوم التالي للانتخابات"، ثم تمادى مُبلِغًا هايدن أنه سيفكك في الثانية عشرة ودقيقة واحدة من صباح السادس من نوفمبر: "لذا اضبط المنبه".

قال له هايدن مبتهجًا: "سأفعل. ولي طلب خاص، وهو أن تحصل على أسناني. الآن أيها الطيبون بعد أن أزلتم تقويم أسناني، أصبحت مُجهَّزة لك. طبعًا، سيقترح عليك متخصص تقويم الأسنان تركيب جهاز تثبيت لمدة عامين".

اكتفى مينارد بإصدار صوت استخفاف من حلقه، وغادر.

شعر هايدن بالحيرة إزاء تصنيفه مجرمًا عنيفًا، في حين أن كل ما حاول فعله هو إنقاذ حياته وحياة الصِّبية الآخرين. لكنْ عندما تحمل هيئة الأحداث ضغينة ضدك، يمكنها أن تدير الأمور بأي طريقة تريدها.

منذ عام ونصف، عندما وصل كونر إلى مخيم حصاد «هابي جاك»، عُرِضَ أمام جميع المفككين، وهو سجين ذليل منكسر. لقد ظنوا أن ذلك سيحطم معنويات الصبية الآخرين، لكنه على العكس، حوَّل كونر إلى أسطورة. المفكك الميت، بُعِثَ حيًّا.

من الواضح أن هيئة الأحداث تعلمتْ من خطأها، لذا تعاملتْ مع الأمور بشكل مختلف في ما يخص هايدن. مع استمرار حصول عريضة الاحتجاج على تفكيك هايدن على زيارات ضخمة خلال الإنترنت، فقد احتاجوا إلى الإضرار بمصداقيته في الشارع.

كما فعلوا مع كونر، فصلوا هايدن على الفور عن الصبية الآخرين، لكنْ بدلًا من التنكيل به، قرَّر المدير مينارد تقديم وجبات شرائح اللحم إلى هايدن على منضدة الموظفين، ومنحه جناحًا من ثلاث غرف في فيلا الضيوف. شعر هايدن بالقلق، ووضع بعض الاحتمالات لما يُدبِّره الرجل، لكنه لم يدرِ أن له أجندة مختلفة تمامًا عن هواجسه. أخذ مينارد ينشر شائعات بأن هايدن تعاون مع هيئة الأحداث وساعدهم في القبض على الصبية الهاربين من المقبرة. رغم أن "الدليل" الوحيد هو حقيقة المعاملة الفاخرة التي يتلقاها هايدن، فإن الصبية في مخيم الحصاد صدَّقوا ذلك. الوحيدون الذين لم يقعوا في ذلك الفخ هم أمثال نسيم وليزبيث الذين تجمعهم به معرفة سابقة.

الآن، بينما يسير في غرفة الطعام، أطلق الصبية صيحات الاستهجان والاستنكار، وتحوَّل مرافقوه من الحرس -الذين أحاطوه في البداية للتأكد من عدم هروبه، أو إخبار أي شخص بالحقيقة- إلى حُماته من حشد من المفككين الغاضبين. إنه جزء بارع من التلاعب القادر على إثارة تقدير هايدن، لولا أنه هو محور الخَدْعَة. في النهاية، ما الوصف الأدنى من خائن للخونة، الذي يمكن أن يوصف به؟ الآن، بفضل مينارد، سيترك هايدن هذا العالم في خزي على جميع الجبهات الممكنة.

قال له مينارد: "لن أُزعِج نفسي بخلع أسنانك، لكني قد أعلق إحدى أصابعك في ميدالية مفاتيحي، لأتذكَّر وقاحتك معي طوال الوقت".

سأله هايدن في استخفاف: "إصبع من يدي اليسرى أم اليمنى؟ هذه الأشياء مهمة".

لكنْ مع اتجاه الصيف إلى نهايته، واقتراب الخريف وانتهاء مرحلة ما بعد الانتخابات، وجد هايدن صعوبة متزايدة في العثور على بصيص ضوء في نهاية نفق هلاكه الوشيك. لقد بدأ أخيرًا يؤمن بقيمة حياته، عندما أيقن أنها ستنتهي في مرأب التفكيك في مخيم حصاد «كولد سبرينجنز».

***

31 - ستاركي

سارت شاحنة نقل مفككين على طريق متعرج في يوم مشرق من شهر أغسطس، ورغم أنها مطلية باللون الأزرق الباستيل والوردي والأخضر، فلا شيء يمكن أن يخفي قبح غرضها.

تضاريس شمال نيفادا جبلية قاحلة ووعرة. اكتسى كل ما في المشهد باللون البيج المحايد للأثاث المؤسسي. فكَّر ستاركي: "الآن عرفتُ لماذا تنفصل الأعشاب عن جذورها وتتكور مبتعدة بفعل الرياح. لأنها تريد الذَّهَاب أي مكان آخر غير هنا".

وضع ستاركي مسدسه في جانب سائق شاحنة النقل. رغم أنه يجب أن يطلق عليه اليوم "مسدس الركوب"، لأنه السلاح الذي صوَّبه تجاه ضلوع السائق.

قال السائق منفعلًا: "لست بحاجة حقًّا إلى فعل ذلك".

- هذا الأمر أكبر منك يا بوبا. لا تعترض لو أردت أن تعيش.

ستاركي لا يعرف اسم الرجل. في نظره جميع سائقي الشاحنات اسمهم بوبا.

في أثناء نزولهم إلى الوادي تجاه مخيم حصاد «كولد سبرينجز»، حصل ستاركي على رؤية جيدة للمنشأة. مثل جميع مخيمات الحصاد، يُعَدُّ اهتمامها المحسوب بالتصميم جزءًا من الجريمة، وهذا ما يخلق وهمًا بالهدوء والراحة. في مخيم الحصاد، حتى المبنى الذي يدخله الصبية ولا يخرجون منه أبدًا قد يبدو جذابًا مثل منزل الجدة. ارتجف ستاركي من الفكرة.

حاول بناة مخيم حصاد «كولد سبرينجز» استعارة لمحات معمارية من المناطق المحيطة به، محاولين الحصول على مظهر غربي طبيعي، لكنَّ

الواحة الضخمة من العشب الاصطناعي الأخضر وسط المباني الجصية جاءت كتذكير صارخ بأنه لا يوجد شيء طبيعي في هذا المكان على الإطلاق.

تصبب بوبا عرقًا بغزارة عندما اقتربت السيارة من بوابة الحراسة. قال له: "لا تعرق! هذا يثير الشبهات".

- لا يمكنني التحكم في العرق!

تعامل حارس البوابة كالمعتاد. تحقَّق من أوراق اعتماد السائق وراجع البيان الذي يحمله. بدا غير مهتم، أو أنه لم ينتبهْ إلى عرق السائق. ثم إنه لم ينتبه إلى ستاركي، الذي ارتدي المئزر الرمادي الأشهب المميز لعمال نقل المفككين. عاد الحارس إلى مقصورته، وضغط الزر، فانفتحت البوابات ببطء.

هنا حان دور ستاركي للتعرق. حتى هذه اللحظة كان كل شيء افتراضيًّا. حتى النزول من الوادي نحو المخيم بدا سرياليًّا وعلى بعد خطوة واحدة من الواقع، لكنِ الآن بعد أن أصبح في الداخل، لا مجال للتراجع. لا بدَّ أن يمضي قُدُمًا.

توقفتِ السيارة عند رصيف التحميل، حيث انتظرا فريقًا من مستشاري مخيم الحصاد لتحية الوافدين الجدد بابتسامات ساحرة، ثم يفرزوهم ويرسلوهم إلى ثكناتهم في انتظار تفكيكهم. لكنَّ هذا لن يحدث اليوم.

حالما فُتِحت الأبواب الخلفية لشاحنة النقل، لم يجد الموظفون صفوفًا من المراهقين المقيدين، بل واجههم جيش ستاركي. قفز الصبية نحوهم وهم يصرخون ويطلقون الأسلحة.

حالما بدأت الضجة، قفز السائق من مقصورة القيادة، وهرب لإنقاذ حياته. لم يهتم ستاركي، لأن الرجل أدى دوره. الصيحات فَسَحَتِ المجال لإطلاق النار. ركض العمال مبتعدين عن مكان الحادث، وتسابق الحرس نحوه.

عندما خرج ستاركي من السيارة، رأى بعض أتباعه المنقولين الغالين يسقطون. يتمتع البرج الشرقي بإطلالة واضحة على رصيف التحميل، وبأعلى البرج كَمِنَ قناصٌ وأخذ يصيب الصبية. أول طلقتين تهدئة، لكنَّ القناص بدَّل سلاحه، وهكذا سقط الصبي التالي إلى الأبد.

- يا للهول، هذا رصاص حقيقي، إنه حقيقي، إنه...

ثم صوَّب القناص سلاحه إلى ستاركي، الذي راوغ، فتجاوزته الرصاصة محدثة ثَقْبًا في باب الشاحنة بصوت مميز. قفز ستاركي مذعورًا خلف

صخرة، فتحطمتْ يده المصابة خلال سقوطه، وتدفق من فمه شلال من السباب تعبيرًا عن الألم.

انتشر المنقولون. تراجع البعض، لكنَّ المزيد منهم كسبوا أرضًا. واستخدم البعض أعضاء الفريق الاستشاري كدروع بشرية.

قال ستاركي لنفسه: "لا يمكنني الموت. ومن سيقودهم إذا مِتُّ؟".

لكنه أدرك أيضًا استحالة البقاء جاثيًا خلف صخرة. عليهم أن يشاهدوه وهو يقاتل. عليهم رؤيته في موقع المسؤول. ليس أتباعه المنقولون فحسب، بل أيضًا الصبية الذين يوشك أن يطلق سراحهم. رفع رأسه وصوَّب مسدسه نحو القناص الغامض في البرج، الذي يطلق النار على الصبية، فيركضون على العشب الاصطناعي. تسديدة ستاركي الرابعة حالفها الحظ، وسقط القناص.

لكنْ يوجد حرس آخرون وأبراج أخرى.

وفي النهاية، أتى الخلاص لهم جميعًا من أطفال المخيم نفسه. امتلأتِ الساحات بالمفككين الذين خرجوا لممارسة أنشطتهم اليومية، إذ صُمِّمَتْ التمارين الرياضية كلها لتعظيم قيمتهم المنقسمة وإعدادهم جسديًّا للتفكيك. عندما رأوا ما يحدث، تخلوا عن أنشطتهم، وتغلبوا على مستشاريهم، وحولوا الهجوم إلى تمرد.

خطا ستاركي وسط المعركة، ودُهِشَ مما يشهده. ركض الموظفون مذعورين، وهُزِمَ الحرس، وسُحِبَتْ أسلحتهم منهم وأضيفتْ إلى ترسانة المنقولين المتزايدة. رأى امرأة ترتدي معطفًا أبيض تركض على العشب خلف أحد المباني، وتحاول استخدام الهاتف الخلوي، لكنِ انقلب السحر على الساحر. فقبل حتى أن ينصب المنقولون كمين شاحنة النقل، عمل جيفان وفريق من التقنيين على التشويش على برجي الاتصال اللاسلكي اللذين يغذيان الوادي، وعطَّلوا الخط الأرضي. لا يمكن لأي اتصال من أي نوع الورود أو الصدور من هذا المكان إلا إذا سار على قدمين.

وهكذا، غذى التمرد نفسه، بوقود من الاستقتال والأمل غير المتوقع. وزادت حدة الأمر حتى ركض الحرسُ هاربين، ليتعامل معهم عشرات الأطفال ويقيدوهم بأصفادهم. فكر ستاركي: "تمامًا كما حدث في «هابي جاك»! لكنْ هذه المرة ستجري الأمور بشكل صحيح، لأني أنا المسؤول".

بعد أن غلبتِ الكثرة الشجاعة، وانتصرتِ الأعداد الهائلة من الصبية، خضع لهم الموظفون، وتحرر نزلاء المخيم في خمس عشرة دقيقة.

شعر الصبية بفرحة غامرة، وبكى البعض تأثرًا بالتجربة. اهتمَّ البعض الآخر بفحص الأصدقاء الموتى والمحتضرين. ما زال الأدرينالين مرتفعًا، وقرر ستاركي استخدامه. الموتى انتهى أمرهم. يجب أن يوجههم الآن إلى التركيز على الحياة. توجه إلى منتصف ساحة المخيم، بجانب سارية العلم التي تبرز من العشب الصناعي، ولفت انتباههم بعيدًا عن الثمن البشري الذي دُفِعَ لتحريرهم.

أخذ مدفعًا رشاشًا من أحد المنقولين، وأطلقه في الهواء حتى ينظر الجميع نحوه، معلنًا بأعلى وأقوى صوت ممكن: "أنا مايسون مايكل ستاركي! لقد أنقذتكم للتو من التفكيك!".

رجَّت الهتافات أرجاء المكان، كما ينبغي أن يحدث، فأمرهم بالانقسام إلى مجموعتين. المنقولين إلى يساره والباقين إلى يمينه. ترددوا في البداية، لكنَّ المنقولين لوَّحوا بأسلحتهم ونفَّذوا الأمر. قسَّم الصبية أنفسهم إلى قرابة مئة من المنقولين وثلاثمئة صبي آخر. لا يوجد أعشار، وهذا أفضل. إنه مخيم بلا أعشار. خاطب ستاركي غير المنقولين أولًا، مشيرًا إلى المدخل الرئيسي: "البوابة مفتوحة على مصراعيها. طريقكم إلى الحرية موجود. أقترح عليكم أن تشقوه".

للحظة تباطأوا وقد ساورهم الشك، ثم استدار قليلون منهم، متجهين نحو البوابة، ثم قلة أخرى، وفي لحظة تحول الأمر إلى نزوح جماعي. راقبهم ستاركي وهم يذهبون، ثم التفت إلى المنقولين الباقين، قائلًا: "أعطيكم الخيار. يمكنكم إما الهروب مع الآخرين، وإما أن تصبحوا جزءًا من شيء أكبر منكم. لقد عوملتم طوال حياتكم كمواطنين من الدرجة الثانية، ثم تعرضتم للإهانة القصوى، عندما أُرسِلتُم إلى هنا"، (لوَّح بإيماءات واسعة): "نحن المنقولين الموجودين هنا جميعًا، محكوم علينا بالتفكيك، لكننا استعدنا حياتنا، وقررنا أن ننتقم. لذلك أسألكم: هل تريدون الانتقام؟"، انتظر وتلقى بعض الردود الحذرة، فرفع صوته: "قلت هل تريدون الانتقام؟".

هنا، أتى الجواب الجماعي في صوت هادر واحد: "نعم!".

فقال ستاركي: "مرحبًا بكم إذن في جيش المنقولين!".

***

32 - هايدن

قبل التحرير بقليل، استحمَّ هايدن، وهو ما يفعله الآن بقلق شديد ثلاث مرات يوميًّا، محاولًا التخلص من قذارة وضعه. إنه يعلم أن أيَّ قدر من الفرك لا يمكنه ذلك، لكنه يُشعِره بالارتياح على أي حال. المفككون الآخرون في المخيم يكرهونه بقدر ما يكرهون سجَّانيهم، لأنهم يعتقدون أنه واحد منهم. برع مينارد مدير المخيم في خلق هذه الخَدْعَة بسلاسة شديدة للغاية، جاعلًا الجميع هناك يعتقدون أن هايدن غيَّر ولاءه، وأنه يعمل الآن لحساب هيئة الأحداث. إنه يُفضِّل الموت طبعًا، على فعل أي شيء لمساعدة هيئة الأحداث، لكنَّ الأمر كله يتعلق بالظن. يُصدِّق الناس ما يظنون أنهم يرونه. لا، لن يتخلص أبدًا من أكاذيب مينارد، لكنهم لا يستطيعون منعه من المحاولة.

وعندما خرج من الحمام اليوم، وجد أن عالمه قد تغيَّر تمامًا.

سمع على الفور إطلاق النار؛ جولة تلو الأخرى من الانفجارات المتقطِّعة غير المنتظمة التي بدأت تأتي من اتجاهات متعددة. رغم أن جناحه الفاخر يحتوي على شرفة، فإن دخولها ممنوع عليه، لذا فهي مغلقة. ومع ذلك، استطاع رؤية ما يحدث. تعرَّض مخيم الحصاد لهجوم فريق من الصبية المسلحين، وفي كل مرة يسقط فيها أحد الحرس، يُضاف سلاح جديد إلى ترسانتهم. لقد انضمَّ إليهم مفككو المخيم، وهذا ما أدى إلى تحويل هذا إلى تمرد واسع النطاق، ومنح هايدن بصيصًا من الأمل في أن التاريخ المحدد لتفكيكه قد يُخطئ في نهاية الأمر.

أصابت رصاصة زاوية باب الشرفة الزجاجي المنزلق، لكنها لم تترك سوى صوت اصطدام. إنه زجاج مضاد للرصاص. من الواضح أن منشئي المكان قرروا أن أي شخص يُدعَى إلى جناح الزوار في مخيم الحصاد يُحتَمل تعرضه لإطلاق نار. مخرجه الوحيد هو باب الجناح، لكنه مغلق من الخارج.

خفتَ صوت إطلاق النيران، حتى اختفى تمامًا، ومشهد الصبية الذين ما زالوا يركضون في الخارج أخبر هايدن أن القوة الغازية انتصرت.

ضربَ بابه مرارًا وتَكْرارًا، وصرخ بأعلى صوت، حتى أتى شخص ما؛ صبي وقف عند الباب، وبدا مألوفًا. تعرَّفه هايدن بسرعة إذ تولى نقل الرسائل بين الإدارات المختلفة في المقبرة.

قال الصبي: "هايدن؟ مستحيل!".

***

قاده ثلاثة هاربين -عرفهم في مقبرة الطائرات- إلى ساحة المخيم، حيث توهَّج العشب الصناعي تحت شمس منتصف النهار. وَجَدَ أجسادًا متناثرة في كل مكان؛ بعضَها مُهدَّأً، والباقين واضحًا أنهم قد فارقوا الحياة. معظمهم صبية وبعضهم حرس. إلى اليسار، وجد عمالَ مخيم الحصاد مقيدين ومكممين. وإلى اليمين أعدادًا كبيرة من الصبية يتسابقون للخروج من بوابة المخيم ونيل حريتهم. لكنْ لم يغادر الجميع. الباقون يخاطبهم شخص يرتدي الزي الرسمي لعمال نقل المفككين.

توقف هايدن عن السير عندما أدرك هُويَّته.

في مكان ما في الجزء الخلفي من عقله، تمسَّك بالأمل في أن يأتي كونر لإنقاذهم. وهو الآن يتساءل هل فات أوان عودته إلى جناح الضيوف.

صاح الصبي الذي فتح بابه: "انتبهوا جميعًا! انظروا من وجدنا!".

عندما وقعت عينا ستاركي على هايدن، بدتْ فيهما لمحة من الخوف؛ سرعان ما أخفاها بنظرة فولاذية، وارتسمتِ ابتسامة واسعة على شفتيه، وقال: "ماذا اعتدتَ أن تقول دائمًا في المقبرة يا هايدن؟ «مرحبًا. أنا منقذكَ اليوم»".

صاح أحد الصبية، قبل أن يتمكن هايدن من التوصل إلى رد ذكي: "إنه واحد منهم! لقد عمِل لحساب شرطة الأحداث! حتى إنهم سمحوا له باختيار من سيُفكِّك!".

نظرتْ بام الواقفة هناك إلى هايدن، وقالت في مرح: "أوه، أهذه آخر الأخبار؟ أنت تعلم أن لا يمكنك الوثوق بأي شيء تقوله الصحف الصفراء. الخبر التالي سيقول إنني سألد ثلاثة توائم من الفضائيين".

ثم قالت لهايدن: "إذن فقد جعلتكَ هيئة الأحداث عميلًا لها".

- سعدتُ برؤيتكِ أيضًا يا بام.

انتشرتْ صيحات "اتركه" و"هدِّئه" وحتى "اقتله" بين حشد مفككي «كولد سبرينجز»، لكنَّ الصبية الذين عرفوه هبُّوا للدفاع عنه بما يكفي لنشر بعض بذور الشك على الأقل. تطلع الحشد إلى قرار ستاركي، لكنه لم يبدُ مستعدًّا لاتخاذ قرار. لقد نجا هايدن رغم ذلك، لأن ثلاثة منقولين أقوياء اقتادوا مدير المعسكر الذي قاومهم، واقتربوا من الحشد.

تشتت الجماهير، وخطرت ببال أحدهم فكرة ذكية وهي أن يبصق على مينارد في أثناء مروره، وسرعان ما قلده الجميع. ربما كان هايدن ليفعل ذلك لو أنه فكر في الأمر أولًا، لكنْ لو فعلها الآن فسيصبح مجرد اتِّباع لفعلهم.

قال ستاركي: "لا بدَّ أن هذا هو المسؤول إذن. اجثُ على ركبتيك".

عندما لم يطعه مينارد، دفعه الثلاثة بخشونة إلى أسفل.

قال ستاركي: "لقد وجدناك مذنبًا بارتكاب جرائم ضد الإنسانية".

ندب مينارد حظه في يأس: "مذنب؟ لم أخضع لأي محاكمة! أين محاكمتي؟".

نظر ستاركي إلى الغوغاء، وسألهم: "كم منكم يعتقد أنه مذنب؟".

ارتفعتْ كل الأيدي تقريبًا، وبقدر ما يكره هايدن مينارد، فقد شعر بالسوء إزاء ما سيؤول إليه الأمر.

وفعلًا، أخرج ستاركي مسدسه، قائلًا لمينارد: "يوجد اثنا عشر شخصًا في هيئة المحلفين، وهؤلاء بالتأكيد أكثر من اثني عشر. اعتبر نفسك مدانًا".

ثم فعل ستاركي شيئًا لم يتوقعه هايدن. سلمه المسدس، وأمره: "أعدمه!".

بدأ هايدن يتلعثم وهو يحدق إلى السلاح: "آه.. يا ستاركي، هذا ليس...".

- لو أنك لستَ خائنًا، فأثبت ذلك بوضع رصاصة في رأسه.

- هذا لن يثبت أي شيء.

فجأة، مال مينارد إلى الأمام وبدأ يصلي. رجل يكسب رزقه من قتل الأطفال، يصلي ويرجو النجاة. هذا يكفي لإقناع هايدن بالتصويب على جمجمة مينارد المنافق. واصل التصويب عشرَ ثوانٍ، لكنه لم يستطعْ ضغطَ الزناد، وقال: "لن أفعل. ليس بهذا الشكل".

استعاد ستاركي المسدس، قائلًا: "حسنًا". ثم أشار عشوائيًّا إلى صبي من بين الحشد، بدا لا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره. تقدم الصبي إلى الأمام، فوضع المسدس في يده: "أظهِر لهذا الجبان معنى الشجاعة. نفذْ حكم الإعدام".

بدا الرعب واضحًا على الصبي، لكنَّ كل الأعين تركزت عليه. أصبح قيد الاختبار، وأدرك أن عليه ألا يُخفِق. لذا تجهمتْ ملامحه، واتسعتْ عيناه. وضع فوهة المسدس في مؤخرة رأس مينارد ونظر بعيدًا، ثم ضغط الزناد.

لم يُصدِر صوتًا مرتفعًا، مجرد فرقعة طلقة نارية واحدة، ثم انهار مينارد ميتًا قبل أن يصل إلى الأرض. حدث ذلك بسرعة ونظافة. مجرد جرح دخول في مؤخرة الرأس وجرح خروج أسفل الذقن مباشرة، وقد استقرَّت الرصاصة نفسها وسط العشب الصناعي. لم تتناثر أجزاء متفجرة من الدماغ أو قطع من الجمجمة، وبدتْ خيبة الأمل على ستاركي والحشد لأن عملية الإعدام -في النهاية- جاءت أقل دراماتيكية بكثير من الإثارة التي سبقتها.

ثم أعطى ستاركي أوامره بالاستيلاء على أي مَرْكَبة يمكنهم العثور على مفاتيحها، وقال: "حسنًا، تحرَّكوا!".

سألتْ بام، ساخرة من هايدن: "ماذا عنه؟".

ألقى ستاركي على هايدن نظرة سريعة وارتسمتْ على شفتيه ابتسامة تعالٍ صغيرة، قبل أن يقول: "سنأخذه معنا. ربما يفيدنا"، ثم التفتَ إلى كل المجتمعين، مضيفًا بصوت قوي: "وهكذا أُعلِن رسميًّا إغلاق مخيم الحصاد هذا!".

حصل ستاركي على ما يتوق إليه من هتافات وتملق، فيما نظر هايدن إلى المدير الميت.. والحرس القتلى.. وعشرات الصبية المتناثرين على الأرض وقد فارقوا الحياة، متسائلًا أعليه أن يبتهج أم يصرخ.

***

33 - كونر

الانتظار ليس من مهارات كونر الشخصية. قبل حتى أن يوقِّع والداه على أمر التفكيك، عانى نفاد الصبر وعدم احتمال أوقات الفراغ. في ذلك الوقت، دفعته أوقات الهدوء إلى التفكير في حياته، وهذا ما أغضبه، فدفعه الغضب إلى فعل ذلك النوع من الأشياء المتهورة وغير المسؤولة -وفي بعض الأحيان الإجرامية- التي وضعتْه دائمًا في ورطة.

ومع ذلك، منذ اليوم الذي هرب فيه من منزله، لم يحظَ بأي أوقات فراغ، على الأقل ليس حتى وصوله إلى محمية «أراباتشي». حتى عندما احتُجِزَ في قبو سونيا، شُغِلَ بالسباحة في بحر من القلق الفيروسي الذي سيطر عليه. اضطُرَّ إلى إبقاء دفاعاته يقظة طوال الوقت لحماية نفسه هو وريسا، ولمراقبة رولاند الذي يمكنه الخروج عن السيطرة في أي لحظة.

وما زال يتساءل لو توافرت الظروف المناسبة هل كان رولاند ليقتله حقًّا. في «هابي جاك»، حاصر كونر، وثبَّته إلى الحائط، وحاول خنقه باليد نفسها التي أصبحتِ الآن جزءًا من كونر، لكنَّ رولاند لم يتمكن من مواصلة ذلك. في النهاية، ربما كان رولاند من النوع الذي ينبح فقط ولا يعض، لكنْ لن يعرف أحد ذلك على الإطلاق.

أما كونر -على الجانب الآخر- فقد قتل بعض الناس. أطلق أسلحة فتاكة في حرب ضد شرطة الأحداث في المقبرة. إنه يعلم أن بعض رصاصاته أصابت هدفها وأسقطتِ الناس. فهل هذا يجعله قاتلًا؟ وهل توجد طريقة للتكفير عن ذلك؟

هذا هو السبب خلف احتقار كونر أوقاتَ الفراغ. كل هذا التفكير يمكن أن يدفعه إلى الجنون.

عزاؤه الوحيد هو الشعور المتزايد بالأمان، وصولًا إلى الحالة الطبيعية، لو أن أيَّ شيء في هذا الموقف يمكن أن يُسمَّى طبيعيًّا. لقد أكرمتْ أسرة تاشين وفادتَهم وعاملتهم بلطف، رغم برود أفرادها في البداية تجاهه. منذ اللحظة التي أُعلِن فيها أن كونر حي، جعلوه يشعر كأنه في منزله حقًّا.

لكنْ خلال النهار لا يوجد أحد. يذهب كيلي إلى المدرسة، وهذا جيد لأن كونر لا يتحمَّل قلة صبر ذلك الفتى. أما تشال، فيذهب إلى إقناع قبيلة «هوبي» بخطتهم، وتقضي إلينا أيامَها في جناح الأطفال في المركز الطبي، وعادة ما يخرج بيفان للصيد، لكنه يأتي لتناول العشاء كل ليلة.

يبقى كونر وجرايس وليف -الذين لا يستطيعون الخروج خوفًا من رصدهم- ولهم الحرية في اختيار طريقة قضاء وقتهم.

مضى أسبوع من شهر أغسطس، وها قد اقترب العصر من نهايته في يومهم العشرين هناك. الضوء القادم من النوافذ له لونٌ كهرمانيٌّ غنيٌّ، انعكس على التلال خلال الوادي. تُصبِح الظلال طويلة بسرعة في هذه المنازل الواقعة على جانب الجرف، وعندما تغرب الشمس، تختفي. توجد مساحة صغيرة للشفق في الوادي.

أعلنتْ جرايس -التي تُجيد الترفيه عن نفسها- منذ يومهم الأول في المكان: "توجد الكثير من الأشياء هنا". واليوم بعثرتْ محتويات خزانة أخرى، ثم أعادت تنظيمها بدقة مخيفة. أما ليف -الذي ما زال يتعافى من حادث السيارة- فيمارس بعض تمارين العلاج الطبيعي -التي علمته إياها إلينا- على سجادة مفروشة على الأرضية الرخامية في منتصف الغرفة الكبيرة، فيما جلس كونر على الأريكة على مقربة منه. بعد العثور على سكين جيب لا بدَّ أنها ملك ويل ومفقودة منذ مدةٍ طويلةٍ، بدأ كونر ينحت الخشب، لكنه مهما حاول جاهدًا، لم يعرف ماذا يصنع، لذا انتهى به الأمر إلى تقطيع العصي الأكبر حجمًا إلى أعواد أصغر.

قال ليف لكونر في اليوم الأول الذي تُرِكَ فيه ثلاثتهم بمفردهم في منزل تاشين: "يجب أن تستغل هذا الوقت لتثقيف نفسكَ. لقد أصبحتَ هاربًا من التفكيك، متى، وأنت في الصف العاشر؟ لم تنهِ دراستك الثانوية قطُّ؛ كيف تتوقع أن تحصل على وظيفة عندما ينتهي كل هذا؟".

فكرة "انتهاء كل هذا" أضحكتْ كونر. حاول تخيُّل شكل حياته في عالم بديل، حيث البقاء كاملًا أمر مُسلَّم به، وليس امتيازًا. وافترض أن مهارته

الطبيعية في التعامل مع الإلكترونيات قد تكفل له العمل في النهاية فنيَّ إصلاح في مكان ما. لذا، عندما "ينتهي كل هذا"، وإذا سمحت له معجزة ما بأن يعيش حياة طبيعية، فكيف ستصبح تلك الحياة؟ قد يُقنِع كونر الكونَ البديلَ بإصلاح الثلاجات، لكنَّ كونر هذا الكون يجد الفكرة مرعبة بشكل غامض.

استغراق كل هذا الوقت في التفكير أغضبه مرة أخرى -وهو نمط سلوكي قديم يعود- ورغم أنه لم يعد يوجهه بشكل خاطئ إلى نوبات من الغباء، فإنه منزعج من ظهور هذا الروتين العقلي القديم، لأنه يعلم بوجود أشياء أخرى، وأحاسيس أخرى تأتي معه.

قال كونر، مُلقيًا العصا معدومة الفائدة التي نحتها: "أنا أكره هذا".

توقَّف ليف عن أداء تمرين تمدد يجعله غريب المظهر، وفَرَدَ جسده، مراقبًا في صمت وهدوء، ليرى إلى أين سيصل هذا، فسمع كونر يضيف: "أنا أكره هذا المكان. وجودي في منزل أحدهم، وعناية الآخرين بي؛ كل هذا يحولني إلى شخص لا يشبهني، أو على الأقل لم يعد يشبهني بعد الآن".

نظر ليف طويلًا إلى كونر، حتى أشعره بعدم الراحة، فكونر يرفض أن يحدق إليه الآخرون.

قال ليف: "لم تُجِدْ قطُّ عيشَ مرحلة الصِّبا، أليس كذلك؟".

- ماذا؟

- كنتَ بشعًا؛ مخفِقًا تمامًا ومن النوع الذي لا يتورَّع عن استخدام عُشر مسكين كدرع بشرية.

قال كونر في سخط شديد: "نعم، لكنْ لا تنسَ أنني أنقذتُ حياة ذلك العُشر!".

- هذا شيء إضافي، لكنَّ هذا ليس السبب الذي جعلك في البداية تمسك بي في ذلك اليوم، أليس كذلك؟

لم ينبسْ كونر ببنت شفة، لأن كليهما يعرف أنه على حق، وهذا أثار غضبه.

- ما أعنيه هو أنك خائف من العودة إلى إخفاقك نفسه منذ عامين، لكني لا أرى أن ذلك سيحدث.

- وما السبب أيها العُشر الحكيم؟

نظر إليه ليف، مجيبًا: "أنت مصاب بعقدة همفري دونفي[1]. كلانا مصاب بها. كل ما يحدث لنا يُمزِّقنا إرْبًا، لكننا نتمكن من جمع أشلائنا والعودة من جديد. أنت الآن مختلف عن ذي قبل".

تأمل كونر قوله، وأومأ برأسه متقبلًا ملاحظة ليف. شعر بالارتياح لأن ليف يعتقد حقًّا أنه تغير، لكنَّ كونر لم يقتنع بهذا تمامًا بعد.

***

حدث شيئان على العشاء في تلك الليلة. أيهما أسوأ؟ هذا سيختلف من شخص إلى آخر وفق منظوره إلى الأمر.

عادت إلينا إلى المنزل بعد حلول الظلام مباشرة، وتبعها بيفان الذي أحضر قِدرًا من يخنة الأرانب التي أخذ يغليها على نار هادئة طوال اليوم. شعر كونر بالامتنان لأنه لم يُضطَرَّ إلى رؤية الحيوان مسلوخًا ومجهزًا. ما دام لا يوجد وجه أرنب في الحَساء، فلا بأس. على مائدة العشاء، ثرثر كيلي متحدثًا عن الصبية الذين يتخذون من أرواح الحيوانات المفترسة مُرشدين، وكيف تنمروا على أقرانهم الذين ترشدهم أرواح الحيوانات المروَّضة.

- هذا ظلم بيِّن، وأنا أعلم أن نصف هؤلاء الأطفال تحدثوا عن حيوانات من وحي خيالهم في الرحلة الاستكشافية الروحية على أي حال.

جعل هذا كونر يفكر في لوكاس -شقيقه- الذي حوَّل كل حدث صغير في المدرسة الإعدادية إلى دراما قوية. تلك الذكرى أصابت كونر بقُشَعْرِيرة مفاجئة، ليس لأنه فكر في أخيه، بل لأنه أدرك مُضي وقت طويل منذ أن فكر فيه على الإطلاق. يقترب لوكاس الآن من عُمر كونر عندما هرب من التفكيك.

سأل كونر: "أيمكن لأحدكم أن يمرر اليخنة إلى هنا؟ من الأفضل التركيز على الطعام بدلًا من دخول حقل ألغام من التفكير".

---

(1) عقدة همفري دونفي: أسطورة شعبية في عالم التفكيك ترمز إلى الاضطراب النفسي الذي قد يُصيب ضحايا التفكيك وأسرهم. الأسطورة تتحدث عن المراهق همفري الذي فكَّكه والداه، ثم انتابهما ندم مرضي شديد بعد ذلك، دفعهما إلى قتل كل مَن تلقَّى جزءًا من ابنهما المفكك. "المترجم".

قال بيفان لكيلي: "سيتغلبون على شرور أنفسهم، وإلا سيدفعون ثمن ذلك في النهاية. «الطيور تطير شمالًا كما تطير جنوبًا»"، وهو ما افترض كونر أنه نسخة «أراباتشي» من المثل القائل «كما تدين، تدان».

صاح كونر مناديًا الجالسين في نهاية المائدة: "مرحبًا! إننا بحاجة إلى بعض اليخنة هنا".

بينما يتحلى ليف بالصبر والقدرة على الانتظار، فإن جوع كونر يتطلب الاهتمام.

ملأت جرايس -التي تجلس دائمًا بجوار إلينا- وعاءها حتى فاض، ورغم وجوده أمام إلينا، فهي لم تنتبه إلى ذلك، لأنها منجذبة بدورها إلى قصة كيلي الدرامية، وقالت: "لا يمكنني أن أخبركم بعدد الإصابات التي أراها في المركز الطبي، لأن الأطفال يعتقدون أن أرواح حيواناتهم المرشدة ستحميهم من كسور العظام".

وهنا ناداها كونر بصوت مرتفع وواضح: "مرري اليخنة يا أمي!".

لم ينتبهْ كونر إلى ما قاله للتو، إلا عندما لاحظ نظرات ليف إليه. إحساس الحياة الطبيعية -والأفكار الأُسرية- جعل الكلمة تطفو على السطح تلقائيًّا وبشكل غير متوقع.

نظر الجميع إلى كونر كمن ألقى قنبلة على المائدة.

- أعني... مرري اليخنة فحسب، من فضلك.

مرَّرتها إليه إلينا، وظنَّ كونر أن زلته يمكن أن تمرَّ مرور الكرام، إلى أن قال كيلي: "هل سمحتِ له أن يدعوكِ بأمي الآن؟ حتى أنا لا يمكنني أن أدعوكِ بذلك".

بعد هذا القول، لم يعرفْ أحد كيف يجب أن تُستأنَف المحادثة، لذا قررت إلينا حسم الأمر بدلًا من تركه معلَّقًا، وسألته: "هل أذكركَ بها يا كونر؟".

وضع كونر اليخنة في طبقه، مجيبًا دون أن ينظر إليها: "في الحقيقة، لا. لكنَّ التشابه في العشاء الذي هو نفسه تقريبًا".

قالت جرايس بفم مملوء باليخنة: "أراهن أنه لم يكن لديك أرنب".

تمنى كونر أن يتمكن ثَقْبٌ أسود ما من جذب انتباه الجميع بعيدًا عن هذا الخطأ المحرج. بعد نحو خمس ثوانٍ، تعلم كونر كيفية الحذر بشأن أمنياته.

تحطمتِ النافذة الرئيسية في الغرفة الكبيرة فجأة، وتطايرتْ شظايا حجرية من ثَقْبٍ صغير في الجدار الخلفي، وهو ثَقْبٌ لم يوجد منذ ثانية مضت.

صرخ كونر: "انبطحوا! اهبطوا أسفل المائدة! الآن!".

لقد تحول على الفور إلى وضع المعركة وتولى المسؤولية. إنه لا يعرف هل أدرك أي شخص آخر أنها رصاصة أم لا، لكنهم سيكتشفون ذلك. المهم هو أن يبعدهم عن الأذى. نفذ الجميع أوامره.

- لا يا كيلي، تعالَ إلى هنا، خارج نطاق الرؤية من النافذة!

عندما اقترب كيلي، انطلق كونر خلال الغرفة إلى مفاتيح الإضاءة وأطفأها، ليعمَّ الظلام في الغرفة، حتى لا يتمكن مطلق النار من رؤيتهم. مع ضخ الأدرينالين المفاجئ خلال شبكية عينيه، تكيَّفت عيناه بسرعة ملحوظة مع الظلام.

بكت إلينا، وصاحت: "اتصل بالشرطة يا بيفان!".

أجابها: "لا يمكننا الاتصال بالشرطة".

هنا، أدرك الجميع حقيقة وضعهم فجأة. إذا اتصلوا بالشرطة، فسيُضطَرُّون إلى شرح سبب إطلاق النار عليهم. وسيزاح الستار عن كونر وليف وجرايس.

نهض بيفان وسار نحو النافذة المحطمة، فصرخ كونر: "بيفان! هل أنت مجنون؟ انبطحْ أرضًا!".

لكنَّ بيفان ظل هناك، وأوضحتْ جرايس ما فهمتْه هي وبيفان فقط: "الرصاصة عبرت حتى نهاية الغرفة، كما يحدث في أفلام الحرب القديمة. الرصاصة مرت في مسار أشبه بالقوس من فوقنا. لم يقصدوا قتل أحد".

تساءل ليف: "أهو تحذير؟".

أجابه بيفان: "بل رسالة". ومع ذلك، تردَّد الباقون في النهوض من تحت المائدة.

ابتعدَ كونر عن مفتاح الضوء، ليقف بجوار بيفان وينظر إلى الظلام بالخارج. رأى بعض الأضواء في المنازل خلال الوادي. وارد أن الرصاصة صدرتْ من أي مكان تقريبًا. ولم تتبعْها أخرى.

قال كونر: "أحدهم يعرف أننا هنا، ويريد رحيلنا".

قال كيلي معتذرًا: ”أنا آسف! لقد وعدَتْ نوفا بأنها لن تخبر أحدًا، لكنْ لا بدَّ أنها فعلت. هذا خطأي“.

التفت بيفان إلى كونر، وقال: ”ربما نعم.. وربما لا. في كلتا الحالتين، لستم في أمان في هذا المنزل. سنحتاج إلى نقلكم“.

اقترح كيلي: ”كوخ حمام البخار القديم؟“، وبدا اقتراحه -بطريقة ما- مناسبًا للوضع، لأنهم جميعًا يتصببون عرقًا الآن.

هز بيفان رأسه نفيًا، وقال: ”أعرف مكانًا أفضل“.

***

34 - أونا

بالكاد سمعتْ أونا من الطابق العلوي طرْقًا هادئًا للغاية على باب المتجر. لقد وضعتْ للتوِّ شريحة لحم على المقلاة. لم تكنْ لتسمع الطرقات، لو أن المقلاة أصدرتْ أزيزًا أعلى. نزلتْ من شقتها في الطابق العلوي إلى متجر الآلات الذي اعتادت أن تتدرَّب فيه سابقًا، وتديره الآن. وبينما تمرُّ بورشة العمل، انغرستْ في قدميها الحافيتين نشارة الخشب الحادة المنثورة على الأرض. واصلتْ طريقها مرورًا بصالة العرض، حيث تدلتْ قيثارتها المصنوعة يدويًّا من أعلى كذبيحة من لحم البقر.

وجدتْ بيفان عند الباب مع ليف وكونر وجرايس. انتظرتْ تفسيرًا قبل دعوتهم إلى الدخول.

أخبرها بيفان: "لقد حدث شيء ما. نحتاج إلى مساعدتك".

فتحتِ الباب للسماح لهم بالدخول، قائلة: "تفضلوا".

جلس الجميع على مقاعد الغرفة الخلفية للمتجر، وشرح بيفان أحداث الأمسية: "إنهم بحاجة إلى ملاذ آمن".

قال كونر: "لن يدوم الأمر طويلًا"، رغم جهله على الأرجح بالمدة التي سيستغرقها الأمر. لا أحد منهم يعرف ذلك بالتأكيد.

قال بيفان فيما يتواصل بصريًّا بشكل مكثف: "أرجوكِ يا أونا. قدِّمي هذه الخدمة لأسرتنا".

قالت أونا وهي تحاول إخفاء الذعر البادي في صوتها: "نعم، بالتأكيد. لكنْ لو أن من أطلق النار عليهم يعلم أنهم هنا...".

قال بيفان: "لا أعتقد أنهم سيطلقون المزيد من الرصاصات، لكنْ في حالة حدوث ذلك، يجب أن تُبقِي بندقيتك جاهزة".

- سأفعل، حتى لو لم تقل ذلك.

قال بيفان: "حسنًا فعلتُ عندما أعطيتكِ إياها، لأنك ستجيدين استخدامها لحمايتهم، إذا دعتِ الحاجة إلى ذلك".

نهض ليذهب، مضيفًا: "سأعود للاطمئنان عليهم غدًا، وتزويدهم بالإمدادات والطعام وأي شيء قد يحتاجون إليه. إذا نجح تشال مع قبيلة «هوبي» وأدى ذلك إلى خروج هيئة الأحداث عن المسار الصحيح، فسيتمكنون من مغادرة المحمية قريبًا ومواصلة رحلتهم".

لاحظتْ أونا أن ليف يُحرِّك كتفيه بعدم ارتياح عند سماع ذلك.

قال بيفان ناظرًا إلى عينيها مباشرة بتركيز مرة أخرى: "أعتقد أن هذا هو المكان الأكثر أمانًا بالنسبة إليهم. أتتفقين معي؟".

بادلته أونا النظرات، قائلة: "قد تكون محقًّا".

غادر بيفان المكان راضيًا، ودقَّ الجرس المعلق على باب المتجر في أثناء خروجه. تأكدتْ أونا من إغلاق الباب، ثم رافقتْ ضيوفها إلى الطابق العلوي، لتجد شريحة لحمها تحترق وتملأ المطبخ بالدخان. أطلقتْ سبابًا وهي تطفئ الموقد، وتشغل المروحة، وتسقط المقلاة في الحوض، لتغمرها بالماء. لقد فسدتْ شريحة اللحم مثل شهيتها.

قالت جرايس: "شريحة لحم سوداء بتوابل الكاجون، هكذا يدعوها أخي".

الشقة الصغيرة بها غرفتا نوم. عرضتْ أونا على جرايس غرفتها، لكنَّ تلك الأخيرة أصرَّت على اختيار الأريكة، قائلة: "كلما قلَّت المساحة التي يجب أن أتجول فيها، أنام بشكل أفضل". رقدتْ على الأريكة، وغطَّت في نومها على الفور. غطَّتها أونا ببطانية، ووفَّرت بطانيات للصبيين، قائلة: "تحتوي غرفة النوم الاحتياطية على سرير واحد وكبسولة نوم على الأرض".

قال كونر مسرعًا: "سآخذ كبسولة النوم، ويمكن لليف الحصول على السرير".

قال ليف: "لا خلاف".

هنا، لاحظت أونا أن كونر يرتدي أحد قمصان ويل. حقيقة أنه يرتديه بشكل سافر أثارت غضبها أكثر. عليه أن يعتذر إلى كل خيط من خيوط القميص، ويعتذر إليها. لكنَّ أونا لن تخبره هذا. كل ما قالته هو: "هذا القميص لا يناسبك تمامًا، أليس كذلك؟".

ابتسم كونر معتذرًا، لكنْ ليس بما يكفي، وقال: "مع الأخذ في الاعتبار أنني لم أحظَ بالكثير من الخيارات".

رددتْ قائلةً: "نعم، مع الأخذ في الاعتبار". توقعتْ أن يحاول إيقاعها في حبائله، وربما الاقتراب منها، لأنها افترضتْ أنه هذا النوع من الصبية. وعندما لم يفعلْ، كادت تشعر بخيبة أمل، وتساءلتْ متى بدأت تبحث عن أسباب لكراهية الناس. لكنها عرفتِ الإجابة. بدأ الأمر في اليوم الذي وضعتْ فيه قيثارة ويل في المحرقة الجنائزية، وشاهدتْها تحترق بدلًا من جثة صاحبها.

سلَّمتِ الاثنين أغطيتهما، وأحضرتْ بندقيتها وأسندتها إلى الحائط بالقرب من السلم، قائلة: "أنتم في أمان هنا".

قال ليف: "شكرًا لكِ يا أونا".

- هذا من دواعي سروري يا أخي الصغير.

انتبهتْ إلى ابتسامة كونر عندما دعتْ ليف أخاها، لكنها لم تهتم. فليبتسم! الغرباء يفعلون ذلك دائمًا.

***

35 - ليف

تحتوي غرفة النوم على صور لويل أكثر من تلك الموجودة في منزل تاشين، وكلها تعود إلى وقت يسبق بكثير المدة القصيرة التي عرفه خلالها ليف. راودهما في الواقع إحساس بعدم الارتياح تجاه الغرفة التي بدت أشبه بضريح.

سأل كونر في لا مبالاة: "أتعتقد أنها تواجه صِعابًا تتعلق بحبيبها المفقود؟".

صحح له ليف: "تقصد خطيبها. لقد عرفا بعضهما طوال حياتهما، لذا حاول أن تكون أكثر مراعاة في حديثك".

رفع كونر يديه مستسلمًا، وقال: "حسنًا، حسنًا. أعتذر".

- لو أردتَ أن تكسب ودها، اغسل هذا القميص واتركه هنا عندما نرحل.

- كسب ودها ليس على رأس قائمة أولوياتي.

هز ليف كتفيه، قائلًا: "أعتقد أنكَ لن تحصل على أي تخفيضات على القيثارات".

بعد أن استقرَّ في فراشه، أغمض ليف عينيه. لقد تأخر الوقت، لكنْ جافاه النوم. أمكنه سماع تحركات أونا في المطبخ، وهي تنظف عشاءها المحترق، وتُرتِّب المكان حتى تتظاهر في الصباح بأن الشقة الفوضوية التي شاهدوها الليلة رسمها خيالهم فحسب.

رغم أن كونر لم يتحرك على سريره، فإنه بدا مصابًا بالأرق أيضًا، وقال معترفًا: "الليلة على العشاء هي أول مرة أقول فيها هذه الكلمة منذ ما يقرب من عامين".

استغرق ليف بضع ثوانٍ ليتذكر تلك اللحظة التي سبَّبت الألم لكونر أكثر منه، ولاحظ أنه لا ينوي حتى تَكْرار كلمة "أمي"، فقال: "أنا واثق أن إلينا تعرف ذلك وتتفهمه".

استدار كونر على فراشه ليواجه ليف، ونظر إليه من أسفل في الضوء الخافت، وسأله: "لماذا أجد التعامل مع رصاصة قناص أسهل بالنسبة إليَّ من التعامل مع ما قلته على المائدة الليلة؟".

قال ليف: "لأنك تجيد التصرف في الأزمات، وتُخفِق في مواجهة الوضع الطبيعي".

ضحك كونر من قوله، وردَّد: "أجيد التصرف في الأزمات، وأخفق في مواجهة الوضع الطبيعي. هذا يلخص حياتي كلها، أليس كذلك؟"، صمتَ لحظة، لكنَّ ليف عَلِم أنه سيقول المزيد، وعرف بالضبط ما سيقول: "ليف، هل سبق لك أن...".

قال ليف، لإسكاته: "لا.. ولا ينبغي لك ذلك. ليس الآن على أي حال".

- أنت لا تعرف حتى ما سأسأله.

- إنه سؤال عن الوالدين، أليس كذلك؟

انفعل كونر قليلًا، ثم قال: "لقد كنتَ مُزعِجًا كعُشر، وما زلتَ مُزعِجًا".

ضحك ليف وقلب شعره إلى الخلف. لقد أصبحتْ عادة.

كلما ذكَّره أحدهم بأيامه كعُشر، يجد المواساة والراحة في تغيير وضع شعره الأشقر الطويل الجامح.

قال كونر: "أنا واثق أن والديَّ يعرفان الآن أنني حي. لا بدَّ أن أخي يعرف أيضًا".

لفت هذا انتباه ليف، فعلَّق: "لم أعلم قطُّ أن لك أخًا".

- اسمه لوكاس. لقد حصل على جوائز، وحصلتُ أنا على أوامر الاحتجاز. اعتدنا أن نتشاجر طوال الوقت، لكنْ لا بدَّ أنك تعرف كل شيء عن ذلك. لديك العديد من الأشقاء، أليس كذلك؟".

هز ليف رأسه: "لم يعدْ لي أشقاء الآن. على حد علمي، أنا الآن أسرة مكونة من فرد واحد".

- أعتقد أن أونا قد ترى الأمر بشكل مختلف، يا أخاها الصغير.

اعترف ليف لنفسه بأن هذا يُشعِره بارتياح، لكنْ ليس بما يكفي. قرَّر أن يخبر كونر بشيء لم يُخبِر به أحدًا بعد، ولا حتى ميراكولينا في خلال أيام اليأس الكثيرة التي قضياها معًا: "عندما فجَّر المصفقون منزل أخي، تبرَّأ مني والدي الذي لم أرَه منذ أكثر من عام".

قال كونر: "يا لها من قسوة! يؤسفني ذلك".

- نعم. أبرز ما قاله لي هو أنه كان عليَّ تفجير نفسي في ذلك اليوم في «هابي جاك».

لم يُجِبْ كونر قولَه، وكيف يمكنه ذلك؟ صحيح أن والديْ كونر أرسلاه ليفكَّك، لكنَّ ما فعله والد ليف مستوى آخر تمامًا من القسوة.

- آلمني ذلك أكثر من أي شيء آخر، لكنني نجوتُ وغيرتُ اسمي من كالدر إلى جاريتي، تيمنًا باسم القس دان، الذي تُوفيَ في انفجار المنزل. لقد تبرأتُ من أسرتي على الفور. أفترض أنه إذا عاودني الألم مرة أخرى، فسوف أتعامل معه، لكني لن أبحث عنه.

استدار كونر إلى الجهة الأخرى، وقال متثائبًا: "نعم. ربما من الأفضل ألا نبحث عن الألم".

انتظر ليف حتى هدأ تنفس كونر كدلالة على نوم ثابت وعميق، ثم خرج إلى غرفة المعيشة. وجد أونا تجلس على مقعد مريح بصحبة كوب من شاي الأعشاب؛ من رائحته المتصاعدة بدا أحد تركيبات إلينا العشبية. بدتْ أونا مستغرقة في التفكير ومعقَّدة كالمشروب اللذيذ.

سألها ليف: "ما هذا المشروب؟".

أجفلتْ في البداية عند سماع صوته، ثم قالت: "أوه، تطلق عليه إلينا (téce'ni hinentééni) أي "الانتعاش الليلي". يهدئ النفْس والمعدة. أعتقد أنه في الغالب يحتوي على البابونج والجينسنج".

- هل بقيَ بعضه لي؟

صبَّت له كوبًا، فترك الأوراق تُنقَع، وراقبها وهي ترتفع وتهبط في تيارات السائل المهدئ. جلست أونا قبالته، راضية بالصمت. ظلَّ غطيط جرايس الصوت الوحيد المسموع في الغرفة. عادةً ما يشعر ليف أيضًا بالسلام في حضرة الصمت، لكنَّ ما يدور في الأجواء يتطلب الكلمات.

- أتعتقدين أن بيفان يعرف أنكِ من أطلق تلك الرصاصة خلال النافذة؟

لم تبدُ الدهشة على أونا من قول ليف. ارتشفتِ الشاي ببطء فحسب، ثم قالت أخيرًا: "لقد أهانتني اتهاماتك يا أخي الصغير".

قال ليف: "لطالما احترمتكِ يا أونا، لذا أظهري احترامًا لنفسكِ بما يكفي كي لا تكذبي".

نظرت إليه، وتصارعت عشرات الأفكار في عينيها، قبل أن تضع كوبها جانبًا وتقول: "بيفان يعرف. أنا واثقة من ذلك، وإلا لماذا أحضركم إلى هنا وجعلني أعد بحمايتكم؟"، نظرتْ إلى البندقية الموجودة بجوارها: "وهو ما سأفعله، حتى لو وفرتُ لكم الحماية من نفسي".

سألها ليف: "لماذا؟ لماذا فعلتِ ذلك؟".

قالت أونا ساخرة، وقد بدأت تفقد أعصابها: "لماذا؟ لماذا ولماذا ولماذا! هذا هو السؤال دائمًا، أليس كذلك؟ أسأل "لماذا" طوال الوقت، والإجابة الوحيدة التي أحصل عليها هي حفيف أوراق الشجر وشقشقة الطيور المتزاوجة".

صمتَ ليف، ورأى الدموع تترقرق في عينيها، لكنها لم تسمحْ لها بالانسياب على وجهها.

- لقد فعلتُ ذلك لأن أينما ذهبتَ، تتبعكَ أشياء فظيعة يا ليف. أول مرة أتيت فيها، جاء قراصنة الأعضاء في أعقابكَ وأخذوا ويل. والآن أحضرتَ لنا أشهر هارب في تاريخ التفكيك. اعتقدتُ أن تلك الرصاصة ستجعل أسرة تاشين تدرك السبب، وتترككم جميعًا ترحلون، لكنْ يبدو أنني حصلتُ على ما أستحقه".

- قلتِ إنك تريدنني أن أبقى.

- قلتُ ولم أقل. قلتُ ولم أقل. إنه يوم سيئ. اليوم أردتكَ أن تذهب أنت وأصدقاؤك.

- والليلة؟

- الليلة سأشرب الشاي.

وعادت إلى ارتشاف الشاي في صمت. استطاع ليف تقبُّل ازدواجيتها، رغم عدم إنكاره أنها مؤلمة. هل تخونه بتمني رحيله.. أم إنه يخونها بوجوده هنا من الأساس؟ اقتربتْ أونا أكثر، فوجد ليف نفسه يميل بعيدًا ليحافظ على المسافة بينهما.

قالت له: "إنكَ -أيها الأخ الصغير- نذير الهلاك. وأنا أعلم يقينًا أن بسببك، سيحدث ما هو أسوأ بكثير".

***

36 - كام

شعر كامو كومبري بالذهول إزاء قدرة الموسيقى على تغيير العالم. مجرد أوتار قليلة وبسيطة تُمثِّل وقودًا أقوى من اليورانيوم، وتُزوِّده بالطاقة اللازمة لرحلته. إنها تجمع شظايا الذكريات معًا كأنها نجوم في كوكبة. وصِّل الخطوط، وسيمكنك رؤية الصورة بأكملها.

الآن، بينما يعبر غابة الصنوبر الكثيفة، على بعد ألف وخمسمائة ميل من منزل المدينة المريح في العاصمة، تساءل عما ستفعله روبرتا. هوايتها المفضلة بلا شك هي السيطرة على الأضرار. لقد أصبح الآن هاربًا، وهذا شيء جديد بالنسبة إليه. وتساءل هل تُستَدعى هيئة الأحداث للمساعدة في البحث. إنه هارب، كالهاربين الذين يُبحَث عنهم. الأمر مخيف ويمنح القوة في الوقت نفسه.

لو أنه محق ووجد ريسا في محمية «أراباتشي»، فماذا ستقول له؟ وبِمَ سيجيبها؟ أخذتْ هذه الأسئلة تدور في رأسه. ماذا سيفعل عندما يواجه إوُول آكرون وجهًا لوجه؟ بصرف النظر عن مدى محاولته التخطيط لهذه اللحظات، أدرك أنه لن يصبح مستعدًّا أبدًا.

عندما بدأ حلول الليل، وصل إلى شيء في غير محله بالكامل، لكنه متوقع تمامًا. جدار حجري يمتدُّ إلى ما لا نهاية يمينًا ويسارًا، ويرتفع ثلاثين قدمًا.

بدا الجدار غير قابل للاختراق في البداية، لكنْ عندما اقترب كام، رأى قطعًا بارزة من الصخر الزيتي بين العديد من كتل الجرانيت التي يتكون منها الجدار. ربما هي مجرد ديكور جمالي للجدار، لكنَّ الأمر بدا أكثر من مجرد محاولة لجعل الجدار ممتعًا للعين. كلما أمعن في النظر إليها، أدرك كام أن تلك الأحجار البارزة تخدم غرضًا مختلفًا. إنها رسالة تقول: "لا تذهب أبعد من ذلك.. إلا لو حاجتك أعظم من ارتفاع الجدار".

مسح بعينيه نسبيًّا مواقع الأحجار البارزة، ثم بدأ يتسلق. إنها ليست مهمة سهلة. يبدو أن أبناء قبيلة «أراباتشي» يمنحون الملاذ فقط للهاربين من التفكيك الذين يمكنهم اجتياز الاختبار. وتساءل هل سبق أن سقط أحدهم ومات خلال هذا الاختبار.

في أعلى الجدار، ضربته الشمس التي تحجبها أحجار الجرانيت بقوة، حتى كادت يده تفلت. لقد ظن أنها قد غربت فعلًا، لكنه تفاجأ أنها ما زالت باقية على قمم الأشجار. تساءل هل بإمكان أحد رؤيته. بالتأكيد لا يوجد أي شخص قريب، فالغابة تمتدُّ على الجانب الآخر من الجدار. ومع ذلك، أمكنه رؤية بلدة في الوادي من بعيد. كما رأى أيضًا مضيقًا بدا كمنازل منحوتة على جانبي الجرف. إنه يعرف هذا المكان. أو على الأقل جزءٌ صغيرٌ منه يعرفه.

هبط على الجانب الآخر من الجدار وشقَّ طريقه نحو القرية.

***

مرَّ وقت طويل بعد حلول الظلام قبل أن يخرج من الغابة. المدينة غريبة وحديثة في الوقت نفسه. الطوب الأبيض المتلألئ والطوب البني، والأرصفة ليست من الخرسانة بل من ألواح خشب الماهوجني المطلية. السيارات باهظة الثمن موجودة في كل مكان، لكنْ توجد أيضًا أعمدة ربط للخيول. تعيش قبيلة «أراباتشي» حياة جيدة ويختار أبناؤها تقنيتهم، بدلًا من السماح لها باختيارهم. إنها مدينة صغيرة، لكنْ ليس لدرجة ألا توجد بها بعض الحياة الليلية. يظل وسط المدينة مزدحمًا بعد حلول الظلام. توجد هناك مطاعم ومحال تِجارية مشرقة وجذابة تلبي احتياجات الجمهور الأصغر سنًّا وتمتلئ بالناس. ابتعد عن تلك الأماكن، لكنه جرؤ على المغامرة في شارع تِجاري آخر به البنوك وغيرها من الشركات النهارية، وكلها أغلقت أبوابها في هذا الوقت من الليل. بادره أحد المارة أحيانًا إما بـ "مرحبًا" أو (tous)، وهي الكلمة التي يفترض أن تحمل المعنى نفسه في «أراباتشي»؛ لم يستطع التأكد لأنه لم يتلقَّ أي جزء من مركز اللغة في دماغ ويل تاشين. ردَّ التحية، مع التأكد من إبقاء غطاء رأس السويت شيرت الداكن الذي يرتديه مشدودًا على شعره مع خفض وجهه حتى يبقى في الظلال.

يحمل ويل تاشين ذكريات عن هذه الشوارع. فقد كام معظمها، لأنها في أجزاء من أدمغة آخرين الآن. والباقي ينجرف بداخله كالروائح التي تحملها

الريح. الذكريات تدور كالدُّوَّامات، وتحرك قدميه في اتجاهات لا يستطيع عقله الواعي فهمها، لكنه يعرف أنه يثق بها.

إحدى هذه الدُّوَّامات سحبته إلى شارع جانبي. حتى إنه لم يتذكر أنه غيَّر اتجاهه، لقد حدث ذلك كشيء معتاد للغاية، وهذا ما يمنع أي احتياج إلى التفكير. رائحة الذاكرة قوية جدًّا هنا. تركها تقوده إلى باب متجر مصنوع من خشب الورد. الأنوار مطفأة، المتجر مغلق، مثل كل المحال التِّجارية في هذا الشارع الجانبي الصغير.

حاول فتح مقبض الباب، فوجده مغلقًا، كما ظنَّ. لكن يوجد ما هو أكثر بشأن هذا الباب. التفكير في الأمر لم يحل اللغز، لكنه لاحظ أن أصابعه ترتعش. لمس حجر المبنى المجاور للباب مباشرة. نعم، أصابعه تعرف شيئًا لا يعرفه باقي جسده! مرر يده على الحجر، وشعر بملمسه الخشن والبقع الجافة من الأسمنت بين الطوب حتى وجدتْ أصابعه ما تبحث عنه. يوجد مفتاح احتياطي موجود في فجوة بين الطوب. إنها الأشياء التي تعرفها يداه! حتى عندما نظر إلى المفتاح، لم يتذكره.

وضع المفتاح في القفل، وأداره، وفتح الباب ببطء.

تعرَّف الأشكال المتدلية من السقف على الفور. قيثارات. هل عمِلَ ويل هنا؟ بحث كام في ذكرياته، ولم يستطعِ العثور على دليل على ذلك، لكنه وجد أغنيات من هذا المكان. لقد بدأتْ تُعزَف في رأسه، وهو يعلم أنه إذا استمع لها، فستُنشأ المزيد من العلاقات.

وجد قيثارة على المنضدة. لا بدَّ أن أحدهم قد عزف عليها مؤخرًا، لأنه وجد أوتارها مضبوطة جيدًا. إنها قيثارة باثني عشر وترًا. المفضلة لديه. استنشق الرائحة الخشبية الترابية للمتجر وبدأ يعزف.

***

37 - أونا

رأتْ ويل في حلمها مرة أخرى. هذا يحدث كثيرًا. في بعض الأحيان تتمنى أن يتركها وشأنها، لأن الاستيقاظ دائمًا مؤلم للغاية. لكنْ في هذه المرة، عندما استيقظت، استمرَّت الموسيقى التي عزفها في حلمها. صوتها خافت، لكنها ما زالت موجودة.

في البداية، اعتقدتْ أنها تركت أحد تسجيلاته تعمل في غرفة المعيشة. أو ربما عثرت جرايس -التي تميل إلى إخراج كل شيء من الأدراج- على أحد هذه التسجيلات وتلعب به، لكنْ عندما ذهبت إلى غرفة المعيشة، وجدتْ جرايس نائمة على الأريكة. كونر وليف نائمان بدورهما في الغرفة الاحتياطية، وأدركت أن الموسيقى تأتي من الطابق السفلي.

فتحت أونا الباب، وارتفع الصوت. سمعت صداه في الدَّرج كشبح، لكنه حقيقي للغاية. إنه ليس تسجيلًا. إنها أغنية في عزف حي؛ أغنية ويل التي لا يمكن لأحد سواه أن يعزفها، وكاد قلبها ينفجر في صدرها. إنه حي! إنه حي، وقد عاد إلى المنزل، ويحييها بأغنية!

أسرعت تنزل الدَّرَج، ورداؤها المنزلي يرفرف خلفها. عرفتْ أن ما تفكر فيه لا يمكن أن يحدث، لكنها أرادت بشدة أن يكون هذا صحيحًا، وليذهب المنطق إلى الجحيم.

اقتحمتْ أونا المتجر، لترى شخصًا يجلس على مقعد ويعزف على القيثارة التي أعدَّتها للتو ليأخذها عميل في الصباح. ورغم أنها لم تستطع رؤية وجهه، فقد رأت من طريقة جلوسه أنه ليس ويل.

كبحتْ جماح غضبها بصعوبة عندما أدركت أنه ليس ويل، وسألته: "من أنت؟ وماذا تفعل في متجري؟".

توقف عن العزف، ونظر إليها لحظةً واحدةً فقط، ثم نهض. لاحظتْ شيئًا ما في وجهه قبل أن يبتعد. وضع القيثارة على المنضدة، قائلًا: "أعتذر. لم أعرف أن أحدًا هنا".

- أتعتقد أن بإمكانك اقتحام المنزل بهذه البساطة؟

- لم يكن الباب مغلقًا.

إنها كذبة، فمنذ جاء ليف والآخران للإقامة معها منذ بضعة أيام، وهي تتحقق باستمرار من إغلاق الباب بالمفتاح. ثم رأت المفتاح الاحتياطي على المنضدة بجوار القيثارة. لا أحد يعرف شيئًا عن هذا المفتاح. حتى إنها نسيتْ ذلك، فكيف وجده هذا الدخيل؟

- لم أقصد إزعاجكِ.

- انتظرْ!

أدركتْ أونا أنها يجب أن تتركه يرحل. علمتْ أنها إذا واصلت سحب خيط الأمل هذا، فإن الكثير من الأشياء يمكن أن تنهار. كل شيء يمكن أن ينهار. لكنْ عليها أن تعرف، فسألته: "تلك الأغنية التي عزفتها.. أين سمعتها؟".

قال لها: "سمعتُها ذات مرة من صبي من «أراباتشي»، وتذكرتها".

لكنها علمتْ أن هذه أيضًا كذبة. حتى أولئك الذين يتمتعون بمهارة عزف شيء ما بعد سماعه مرة واحدة فقط، لا يمكنهم أبدًا التقاط الفروق الدقيقة والإحساس. هذا شيء يخص ويل وحده، ومع ذلك...

- اقتربْ قليلًا.

تردَّد، لكنه نفَّذ طلبها. عندما خطا نحو الضوء، أدركت مدى غرابة وجهه المغطى بالكامل بمساحيق تجميل سميكة، كعجوز فانية تحاول إخفاء تجاعيدها.

قال لها: "أعاني مرضًا جلديًّا".

عيناه جذَّابتان ومقنعتان. عادت تسأله: "أأنت هارب من التفكيك؟ لو أنك كذلك، لا تبحث عن مخبأ عندي. عليك العثور على شخص آخر ليكفلك".

قال لها: "أنا أبحث عن بعض الأصدقاء. لقد ذكروا متجر القيثارات هذا".

- ما أسماؤهم؟

صمت قليلًا، قبل أن يقول: "لا أستطيع أن أخبرك بأسمائهم، حتى لا تتعرض سلامتهم للخطر. لكنْ لو أنكِ تعرفينهم، فأنتِ تعرفين من أتحدث عنهم. إنهم هاربون من التفكيك سيِّئو السمعة".

إذن، فقد جاء بحثًا عن ليف وكونر. أو ربما جرايس، ليعيدها إلى الحياة التي انتُزِعَتْ منها. عيناه يبدو فيهما الصدق، لكنَّ الكثير بشأن هذا الزائر يبدو خاطئًا. ربما يعمل لدى هيئة الأحداث، أو ما هو أسوأ من ذلك؛ صائد جوائز يأمل في جلب كونر وليف مقابل مكافأة ضخمة. لكنها قررتْ عدم الاستماع لشكوكها، إلى أن تتعرف نواياه بشكل أفضل.

- حسنًا، إذا لم تتمكن من إخباري بأسمائهم، أخبرني باسمك.

قال وهو يمد يده لمصافحتها: "ماك. اسمي ماك".

فضحه ملمس يده. صلابة قبضته وملمسها. ذاكرتها الحسية عرفتْ تلك اليد قبل حتى أن تعي هي ذلك وتدركه. عندما نظرت إليها، كادتْ تلهث، لكنها أبقتها في كفها. أدارتْ يده قليلًا لتجد ندبة صغيرة على المفصل الثالث من إصبع السبابة؛ موجودة هناك منذ أن جرح ويل نفسه في طفولته. الآن لديها دليل مرئي. أجبرت نفسها على التنفس بهدوء. لم تفهم بعد ما يعنيه هذا تمامًا، لكنها ستفعل. تركت أونا يده وابتعدتْ خوفًا من أن يكشفها شيء ما في وجهها، وقالت: "سأخبرك ما أعرفه عن أصدقائك يا ماك، بشرط واحد".

- أوافق على أي شرط.

أمسكتِ القيثارة من فوق المنضدة، ومدت يدها له بها، قائلة: "أن تعزف لي مرة أخرى".

ابتسم وأمسك القيثارة وجلس على المقعد، قائلًا: "هذا من دواعي سروري!".

بدأ يعزف، والتقطتِ الأغنيةُ خيطَ الأمل الذي جذبتْه أونا بحماقة وأبحرتْ به بعيدًا، فتمزقت حتى الأعماق. الأغنية مؤثرة وجميلة. إنها موسيقى ويل حية، لكنْ صادرة من شخص آخر. تركتْ تدفق اللحن وتناغمه يداعبانها. ثم جاءت من خلف كام، وضربتْه على رأسه بقيثارة ثقيلة بقوة شديدة حتى انكسرت، وسقط هو على الأرض غائبًا عن الوعي.

أنصتتْ للتأكد من عدم وجود أي حركة صادرة من الطابق العلوي. ينبغي ألا توقظ الآخرين. وعندما شعرتْ بالرضا لأن أحدًا لم يسمعها، رفعتْ

«ماك» على كتفيها كجُوال من الدقيق. رغم أنها امرأة صغيرة الحجم، فإن استخدامها المخرطة وفأرة تنعيم الخشب وآلة الصنفرة في العمل أكسبها قوة. بحمله، اختبرتْ حدود قوتها وقدرتها على التحمل، وتمكنتْ من التحرك خلال الشوارع المظلمة ليلًا، وأخيرًا وصلتْ إلى الغابة.

أونا تعرف الغابة جيدًا. هناك شعر ويل أنه في بيته، لذا شعرتْ هي أيضًا بالمثل. حملتْه ما يقرب من نصف ميل، مخترقة الغابة دون أن يضيء طريقها سوى القمر، حتى وصلت إلى كوخ حمام البخار القديم، وهو مكان استُخدِم في السابق لبدء الرحلة الاستكشافية الروحية التقليدية لشباب أراباتشي في سن البلوغ، قبل بناء مكان آخر أحدث.

حال دخولها، مزَّقتْ سترته وقميصه واستخدمتهما لربطه بين عمودين تفصل بينهما مسافة ست أقدام. عقدتِ القماش بإحكام شديد لا يمكن فكه إلا بسكين. سقط باقي جسده اللاواعي على الأرض، وامتدَّت ذراعاه فوقه في وضع الدعاء على هيئة حرف (Y). هكذا تركته يقضي الليلة.

وعندما عادت عند الفجر، أحضرت معها منشارًا كهربائيًّا.

***

38 - كام

أدرك كام أن هذا ليس يومًا جيدًا في اللحظة التي رأى فيها المنشار الكهربائي.

شعر بألم في العديد من المواضع برأسه، دون تحديد مكان الإصابة الفعلي. بدا كأنَّ جميع أعضاء مجتمعه الداخلي قد حملوا السلاح ضد بعضهم ومزقوا دماغه إلى أجزاء صغيرة.

رأى الشابة الجالسة بجوار المنشار تحمل صخرة في يدها، وقالت: "لقد استيقظتَ.. هذا جيد. لقد نفدت الحجارة".

لاحظ وجود صخور في كل مكان حوله. لقد ألقتهم عليه لإيقاظه، وتشهد على ذلك آلام صغيرة في جسده، ودلَّ الألم في كتفيه على حقيقة أن ذراعيه مقيدتان بملابسه الممزقة إلى عمودين على كلا الجانبين. نهض على ركبتيه لتخفيف الضغط عن كتفيه، وتفاجأ بأن مواضع التحامه لم تنقسم، لكنه تذكر قول روبرتا دائمًا إن مواضع التحامه أقوى من أجزاء جسده التي تجمعها معًا.

تأمل ما يحيط به قبل أن يتحدث. إنه في هيكل كبير على شكل قبة مصنوع من الحجارة والطين، أو على الأقل صُمِّمَ ليبدو بهذه الطريقة. تدفق ضوء شمس الصباح من خلال الفجوات الموجودة بين الأحجار. إنه المكان الأكثر بدائية من أي شيء آخر رآه في المحمية. توجد كومة من الرماد في المنتصف، وعلى الجانب الآخر من الرماد، تجلس الفتاة ومنشارها. أنار الضوء المتدفق من خلال الفتحة الموجودة بأعلى وجهها بما يكفي ليعرف أنها فتاة متجر القيثارات. آخر ذكرياته هي العزف لها. والآن يوجد هنا.

أمكنه فقط تخمين ما حدث: "أعتقد أن أغنيتي لم ترقْ لكِ".

أجابت وغضبها يسطع من جميع أنحاء الغرفة كانفجار إشعاعي: "ليستْ أغنيتك على الإطلاق. ومن نظراتك يتضح أنها ليست الشيء الوحيد الذي لا ينتمي إليك".

نهضتْ، ممسكة بالمنشار، وخطت فوق كومة الرماد متجهة إليه. كافح كي يقف على قدميه. وضعت المنشار الصامت على صدره العاري. شعر بفولاذ المنشار البارد وهو يداعب بشرته، فيما تستخدم الفتاة طرفه الملتوي لتتبع مواضع الالتحام في جسد الفتى.

- هذه الخطوط تذهب إلى كل مكان؛ إلى أعلى وأسفل وفي جميع أنحاء جسدك، أليس كذلك؟ مثل رسوم الوسيط الروحاني الرملية القديمة (ظل كام صامتًا، وهي تحرك المنشار على طول جذعه ثم على عنقه) المقصود من خطوط الوسيط الروحاني هو تتبع الحياة والخليقة، أهذا ما تهدف إليه خطوطك أيضًا؟ هل أنت مخلوق؟ هل أنت حي؟".

إنه أهم الأسئلة. قال لها: "عليكِ أن تقرري ذلك بنفسك".

- أأنت ذلك الرجل المصنوع الذي سمعت به؟ ماذا يدعونك؟ «شام كومبليت»؟".

- شيء من هذا القبيل.

تراجعتْ خطوة إلى الوراء، وقالت: «حسنًا، يمكنك الاحتفاظ بكل الأجزاء الأخرى يا شام، لكنَّ هاتين اليدين تستحقان جنازة مناسبة. ثم ضغطت زرَّ تشغيل المنشار الكهربائي الذي زأر عندما دبت فيه الحياة، ونفث دخانًا جهنميًّا لاذعًا وأطلق أزيزًا يصم الآذان، وهذا ما جعل مواضع التحام جسد كام تتألم في ذعر.

- مكابح! ضوء أحمر! حائط من الطوب! توقفي!

- هل ظننتَ أنني لن أعرف عندما أتيت الليلة الماضية؟

ثبتْ عينيه على النصل القاتل، ثم حوَّل بصره بعيدًا عنه للتركيز عليها، ومحاولة اختراقها، قائلًا: "شيء ما جذبني إلى هنا. شيء ما جذبه إلى هنا، وإذا أخذتِ هاتين اليدين، فلن تستمعي لعزفه مرة أخرى أبدًا!".

أخطأ في هذا القول، فقد تحولتْ ملامح وجهها إلى قناع من الكراهية المطلقة، وقالت وهي تُلوِّح بالنصل تجاه ذراعه اليمنى: "لقد اعتدتُ ذلك فعلًا. سأعتاده مرة أخرى".

لم يستطعْ كام فعل شيء سوى الاستعداد. جهَّز نفسه لموجة من الألم، وشاهد المنشار يهبط، لكنْ في اللحظة الأخيرة، غيَّرت أونا اتجاه ذراعها،

وأجهضت الهجوم، فانحرف النصل جانبًا، وقطع سترته المعقودة، محررًا ذراعه اليمنى من العمود.

ألقت المنشار بعيدًا، صارخة في إحباط، ودفع كام ذراعه الحرة نحوها، ونيته الإمساك برقبتها وطرحها أرضًا، لكنه على العكس، وجد يده تمتد إلى مؤخرة رأسها وتفك ربطة شعرها، لتحرره خلفها.

انسدل شعرها الداكن الطويل على ظهرها عندما سقطتِ الربطة على الأرض، فتراجعت مبتعدة، وهي تحدق إليه في عدم تصديق مذعور.

سألته: "لِمَ فعلتَ ذلك؟ لِمَ فعلتَ ذلك؟".

وفجأة فهم كام، وأجابها: "لأنه يحب شعرك منسدلًا. لقد اعتاد نزع شرائط شعرك دائمًا، أليس كذلك؟"، وأطلق ضحكة مفاجئة، حين أصابه شعور الذكرى دفعة واحدة كدوي صوتي.

حدَّقت إليه؛ من الصعب قراءة تعبيرات وجهها. لم يعرف أستركض رعبًا، أم ستلتقط المنشار مرة أخرى. لكنها انحنت لالتقاط ربطة شعرها ونهضت، مع الحفاظ على مسافة بينهما، ثم سألته: "ماذا تعرف أيضًا؟".

- أعرف ما أشعر به عندما أعزف موسيقاه. لقد أحب إحداهنَّ، بعمق.

جعل قوله الدموع تقفز إلى عينيها، لكنَّ كام عرف أنها دموع غضب.

- أنت وحش.

- أعرف ذلك.

- ما كان يجب أن تُصنع أبدًا.

- ليس خطأي.

- تقول إنك تعرف أنه أحبني، لكنْ هل تعرف اسمي حتى؟

بحث كام في ذاكرته عن اسمها، لكنه لم يجد كلمات أو صورًا في الجزء الشخصي من ذكريات ويل تاشين. لا يوجد سوى الموسيقى والإيماءات وتاريخ اللمس المنفصل. لذا، فبدلًا من الاسم، شاركها ما يعرفه.

قال كام: "توجد وحمة على ظهرك، واعتاد أن يدغدغك عندما ترقصان. واعتاد العبث بقرط على شكل حوت. ثم إن لمس أطراف أصابعه المتصلبة -بسبب عزف الجيتار- لثنية مرفقك اعتادت أن تجعلك ترتجفين".

قالت وهي تتراجع خطوة إلى الوراء: "كفى!"، (ثم بهدوء أكبر): "كفى".

- أنا آسف. أردتُ فقط أن تري أنه ما زال هنا.. في هاتين اليدين.

صمتت لحظةً، فيما تنظر إلى وجهه، ويديه. ثم اقتربتْ منه وأخرجتْ سكينًا لتقطع القميص الذي يربطه بالعمود الآخر، قائلة: "أرني".

وهكذا نهض واقفًا، وتخلى عن التفكير، واضعًا كل الثقة بيده، كما فعل عندما بحث عن مفتاح متجرها. لمس عنقها، ومر بإصبعه على شفتيها، وتذكر ملمسهما. ربَّت وجنتها بكفه. ثم لمس بأطراف أصابع يده الأخرى تلك البقعة الفريدة في منحنى مرفقها، فارتجفتْ. ثم رفعت الحجر الثقيل الذي تخفيه في يدها الأخرى وضربته على جانب رأسه، فسقط غائبًا عن الوعي مرة أخرى. وعندما أفاق، وجد نفسه مقيدًا إلى العمودين مجددًا، ووحيدًا مرة أخرى.

***

تحديث الأخبار

في ولاية نيفادا اليوم، خلَّف هجوم منظم على مخيم الحصاد 23 قتيلًا وعشرات الجرحى ومئات المفقودين.

بدأ الأمر في الساعة 11:14 بالتوقيت المحلي، عندما انقطعتْ خطوط الاتصال من مخيم «كولد سبرينجز» وإليه، وبحلول الوقت الذي استُعِيدت فيه الاتصالات بعد ساعة، كان كل شيء قد انتهى. قُيِّدَ الموظفون وأُجبِروا على الاستلقاء على وجوههم، فيما أطلق المهاجمون المسلحون سراح مئات المراهقين المتسمين بالعنف والمقرر تفكيكهم.

وتشير التقارير الأولية إلى أن مدير المخيم قُتِلَ بأسلوب الإعدام. وبينما يستمر التحقيق، يُعتقد أن كونر لاسيتر -المعروف أيضًا بإوُول آكرون- هو المسؤول عن الهجوم.

***

39 - ستاركي

في الحدود الخانقة للمنجم المهجور حيث يتحصَّن المنقولون، ركل ستاركي الجدران الحجرية الداكنة، والعوارض الخشبية المتعفنة. ركل كل شيء طاله، وأخذ يبحث عن شيء قابل للكسر. بعد كل جهوده وكل الأخطار التي تعرض إليها، سُرِقَ منه آخر معيار لانتصاره، ونُسِبَ إلى كونر لاسيتر!

صاحت بام: "سوف تهدم المنجم اللعين بأكمله إذا واصلت ركل العوارض الخشبية بهذه الطريقة".

تمتَّع الباقون جميعًا بالذكاء الكافي للبقاء في عمق المنجم والحفاظ على مسافة آمنة منه، لكنها دائمًا تُقحِم نفسها في عمله.

- فليُهدَم إذن!

- وهل دفننا جميعًا، سيساعدك حقًّا؟ كل أولئك المنقولين الذين تقول إنك تريد إنقاذهم، سيُدفَنون أحياء. إنك ذكي حقًّا يا ستاركي.

ورغم ذلك، ركل إحدى العوارض التي يستند إليها سقف المنجم مرة أخرى، فاهتزت، وتساقطت عليهما حبات من الغبار، وهذا فقط ما جعله يتوقف.

صرخ: "لقد سمعتِهم! إنهم لا يهتمون إلا بإوُول آكرون".

وجه ستاركي هو الذي يجب أن يظهر في الأخبار. هو من يجب أن يعلن الخبراء مواصفاته. ينبغي لهم أن يُخيِّموا عند باب منزل أسرته، ويتطفلوا على تفاصيل حياته الخاصة قبل أن يُرسله والداه ليفكك.

- أنا أؤدي العمل كله، وهو يحصل على الفضل كله.

- إنك تسمي ذلك الفضل، لكنه لديهم يسمى اللوم. يجب أن تسعد لأنهم يبحثون في مكان آخر بعد حمام الدم الذي سال في المخيم!

انقلب عليها ستاركي، راغبًا في الإمساك بها وتلقينها درسًا، لكنها أطول وأكبر منه حجمًا، وهو يعلم أن بام فتاة تردَّ الهجوم. كيف سيبدو أمام الآخرين إذا ضربته؟ لذا بدلًا من ذلك هاجمها بالكلمات.

- إياكِ أن تقبلي تحوريهم للأمر! أعلم أنكِ أذكى من ذلك. ما فعلناه تحرير! لقد حررنا ما يقرب من أربعمئة مفكك وأضفنا أكثر من مئة منقول إلى أتباعنا.

- وفي خلال ذلك مات أكثر من عشرين صبيًّا، إضافة إلى أننا ما زلنا لا نملك إحصاءً دقيقًا لعدد الذين هُدِّؤوا وتُرِكُوا هناك.

- لم نستطعْ منع ذلك!

نظر بعيدًا داخل النفق ذي السقف المنخفض ليرى -في ضوء المصابيح الخافتة المعلقة- مجموعة من الصِّبية تتنصت. أراد الصراخ عليهم أيضًا، لكنه سيطر على أعصابه لكبح جماح هذه الرغبة. خفض صوته حتى تسمعه بام فقط، وذكَّرها: "إننا في حالة حرب. يوجد دائمًا ضحايا في الحرب".

شدَّد تواصله بالعينين، محاولًا دفعها إلى الإشاحة بنظرها بعيدًا، لكنها لم تفعل، ولم تجادله أيضًا. مدَّ يده واضعًا إياها على كتفها ليطمئنها، فلم تدفعها بعيدًا.

- ما يجب أن تتذكريه يا بام هو أن خطتنا نجحت.

وهنا أشاحت بنظرها بعيدًا عنه أخيرًا، في إشارة إلى موافقتها على قوله، وقالت: "هذا الوادي معزول للغاية. اضطُرَّ أولئك الصبية الذين غادروا البوابة إلى قطع طريق طويل. لا أعرف هل سمعت آخر الأخبار أم لا، لكنْ ما يقرب من نصفهم قُبِض عليه فعلًا".

نقل يده من كتفها إلى وجنتها وابتسم، قائلًا: "هذا يعني أن نصفهم هرب. الكوب نصف ممتلئ يا بام. وهذا ما يجب أن نذكره للجميع. أنتِ التالية بعدي في القيادة، وأريدكِ أن تركزي على الإيجابيات بدلًا من السلبيات. أترين أنكِ قادرة على ذلك؟".

ترددت بام، ثم استرخت كتفاها بفعل لمسته اللطيفة، وأومأتْ له برأسها على مضض، كما عرف أنها ستفعل.

- جيد. هذا ما يُعجبني بشأنك يا بام. إنكِ تلقين اللوم عليَّ، كما ينبغي، لكنكِ في النهاية دائمًا تدركين أسبابي.

استدارت لتذهب، لكن قبل أن تغادر، طرحتْ عليه سؤالًا آخر: "كيف ترى نهاية ما نحن فيه يا ستاركي؟".

منحها ابتسامة أوسع من السابقة، وقال: "لا أرى نهاية. وهذا أجمل ما في الأمر!".

***

40 - بام

تحركت بام خلال أنفاق المنجم وغرفه والتقط ذهنها بعض اللقطات. صبي يبكي حدادًا على وفاة صديق. وافد جديد مرعوب؛ يهدئ من روعه منقولٌ أكبر سنًّا. "مسعف" بائس في الرابعة عشرة من عمره يحاول تقطيب جرح في ساقه باستخدام خيط تنظيف الأسنان.

رأتْ مشاهد الأمل واليأس من حولها، ولم تعرفْ أيها أكثر مصداقية.

مرَّتْ بصبي يتقاسم حصته من الطعام مع آخر، وبالقرب منهما شابة تُعلِّم فتاة أصغر منها كيفية استخدام إحدى البنادق الآلية التي صادروها من «كولد سبرينجز».

ثم رأت الصبي الذي أُجبِر على إطلاق النار على مدير مخيم الحصاد، وهو جالس بمفرده؛ يحدق إلى اللامكان. أرادت بام مواساته، لكنها ليست من النوع الذي يواسي الآخرين.

قالت لهم: "ستاركي فخور بكم جميعًا وسعيد بانتصارنا اليوم. لقد نقلنا المعركة إلى أرض العدو، وصنعنا التاريخ!".

هيَّأتهم للمرحلة المقبلة ثم ترددتْ في قول المزيد، لعلمها أنها يجب ألا تسرق الضوء من ستاركي. دورها يقتصر على تمهيد الطريق أمام منقذ المنقولين.

- سيجمع ستاركي الجميع قبل العشاء. لديه الكثير ليخبركم به.

لا يتعلق الأمر طبعًا بإخبارهم بأي شيء، بل الهدف حشدهم وإبقاء تركيزهم على الأمور الإيجابية، تمامًا كما قال لبام. سيقول كلمات لطيفة لرثاء الموتى، لكنه سيلقيها بشكل عابر، ولن يمنح الأمر أهمية كبيرة. سيُوجِّه انتباه الجمهور إلى مكان آخر. إنه يجيد ذلك بمهارة. ولهذا وصلوا إلى هذه المرحلة.

شعرتْ بام برهبة من الطريقة التي يستطيع بها مايسون ستاركي ممارسة السحر في العالم من حوله. لقد أبقى جمعهم غير مرئي فعليًّا أكثرَ من شهر حتى الآن، وخلال هذه الفترة أطعمهم وألبسهم بأموال لا يمكن لأحد تتبعها. نعم، إنها تشعر بالرهبة منه، ويزداد خوفها منه قليلًا كل يوم. قالت لنفسها إن هذا طبيعي. يجب أن يكون القائد الجيد مخيفًا بعض الشيء في طريقة ممارسته السلطةَ.

عندما انتهت من تحضير الجماهير لستاركي، اتجهتْ نحو ممر جانبي من المفترض أنه مألوف، لكنَّ رأسها اصطدم للمرة الألف بقطعة حجر بارزة. الكثير من هذه الأنفاق متشابه؛ إنها تعرف دائمًا مكانها بالضبط عندما تصطدم بهذا الحجر اللعين. تبدأ الجدران في الانفراج، وتؤدي إلى كهف أوسع. تخلق الأضواء المعلقة حول الحافة إحساسًا غريبًا بالظلام في وسط الفضاء، كأنَّ ثَقْبًا أسود يوجد في منتصف الغرفة. إنها غرفة التخزين، حيث تُحفَظ المواد الغذائية والإمدادات. هذا أيضًا هو المكان الذي يوجد فيه هايدن حاليًّا، مع حارس مسلح موجود في جميع الأوقات لحمايته، والتأكد من حسن تصرفه في الوقت نفسه.

قال ستاركي: "قد يسعى للهرب، لكنْ لا يمكننا أن نجعله يبدو سجينًا. لسنا هيئة الأحداث".

هايدن سجين فعليًّا، لكنْ محال أن يجعلوه يبدو سجينًا!

اقترحتْ بام جعله مسؤولًا عن توزيع المواد الغذائية. أولًا: لأن هذا هو العمل الذي أداه في بداية وصوله إلى المقبرة، لذا لديه خبرة فيه. ثانيًا: لأن الصبي الذي شغل هذا المنصب قُتِلَ اليوم.

وجدتْه يجرد بضائعهم المعلبة ويثرثر كثيرًا مع الحارس، جامعًا معلومات عن تحطم الطائرة وكل ما حدث منذ ذلك الحين، بدءًا من الهجمات على «7 - إليفن» ومهمتهم في فندق «بالم سبرينجز» المهجور، ووصولًا إلى معسكر «ريد هيرون» و«أكاديمية إجريت». وهكذا، وجدتْ بام أن عليها التشديد على الحرس بعدم التحدث مع هايدن عن أي شيء لا يتضمن البريد العشوائي والذرة المعلبة.

طلب منها الحارس الذَّهَاب إلى الحمام، وهو مكان بعيد للغاية عن هذا الموقع في المنجم، فسمحت له بالذَّهَاب، قائلة: "سأراقب هايدن حتى تعود". عرض عليها مدفعه الآلي، لكنها رفضته.

دوَّن هايدن ملاحظات عن إمداداتهم الغذائية في دفتر، قائلًا وهو يشير إلى كومة من العلب بحجم جالون: "لديكم الكثير من الفلفل الحار. لا أظن أن بإمكانكم إخفاء هُويَّته ليصبح أي شيء بخلاف الفلفل الحار".

عقدتْ بام ذراعيها أمام صدرها، وقالت: "علمتُ أنك ستتذمر فعلًا. لو أنكَ نسيتَ، لقد أطلقنا سراحك للتوِّ. من المفترض أن تشعر بالامتنان".

- أنا ممتن. في الواقع، أنا منتشٍ، لكنْ لا بدَّ أن السجن في مخيم الحصاد قد أصاب دماغي بالضرر قليلًا، لأنني فجأة أصبحتُ أمنح الأولوية للمخاوف الأكبر قبل مخاوفي الشخصية.

- مثل تخزين الكثير من الفلفل الحار؟

لم يُجِبْ، بل تحرك في جميع أنحاء الغرفة، مواصلًا عملية الجرد. نظرتْ بام بعيدًا، وتساءلتْ متى يعود الحارس. لقد أتتْ إلى هنا لأنها تعتبر مراقبة هايدن وظيفتها، لكنها لا، ولم تحبه قطُّ. هايدن من النوع القادر على اختراق عقلك، لكنه يفعل ذلك فقط من قبيل التسلية.

رفع نظره عن دفتر الجرْد، ليجد بام تحدق إليه، فبادلها النظرات وهلةً، ثم صبَّ انتباهه مرة أخرى على دفتره، أو تظاهر بذلك.

- أنتِ تدركين أنه سيتسبب في مقتلكم جميعًا، أليس كذلك؟

تفاجأت بام، ليس من تعليق هايدن، بل من غضبها. شعرتْ بوجنتيها تحتقنان من الغضب. يجب ألا تسمح له بوضع الأفكار في رأسها. خاصة لو أن تلك الأفكار موجودة فعلًا.

- تحدث بالسوء مرة أخرى عن ستاركي، وستسمع بعد ذلك مباشرة صوت رأسك وهو يتشقق كالبيضة بعد اصطدامه بأقرب عارضة تحمل سقف المنجم.

ابتسم هايدن فحسب، معلقًا: "إنك ذكية يا بام. لم أحسبكِ من الأذكياء قطُّ!".

تذمرتْ، وهي غير واثقة أعليها اعتبار ذلك مجاملة أم إهانة: "أبقِ فمك مغلقًا فحسب، وافعلْ ما تؤمر به، إلا لو أردت أن تُعامل كسجين".

قال هايدن: "سأعقد معكِ صفقة. لن أقول شيئًا لأي شخص آخر، لكني سأخبركِ أنت برأيي. اتفقنا؟".

- طبعًا لا! وإذا حاولتَ، فسوف أقتلع لسانكَ اللعين وأبيعه لمن يدفع أعلى سعر".

قال مقهقهًا: "نقطة لبام! إنكِ تتفوقين حقًّا في التخيلات المزعجة. يومًا ما قد أرغب في دراسة ذلك تحت إشرافكِ".

دفعته؛ ليس بقوة كافية لإسقاطه أرضًا، لكنْ بما يكفي لدفعه إلى الخلف وفِقدانه توازنه، وقالت: "ما الذي يجعلكَ تعتقد أنني أريد سماع أي شيء يخرج من فمكَ؟ وماذا يجعلكَ تعتقد أنكَ تفهم أكثر من ستاركي؟ إنه يفعل أشياء مذهلة! ألديكَ أي فكرة عن عدد الصبية الذين أنقذناهم اليوم؟".

تنهد هايدن ونظر إلى أكوام الأطعمة المعلبة التي أحصاها، كأنَّ كل علبة تمثل صبيًّا آخر أنقذوه، وقال لها: "لن أحسد ستاركي على إحصائيات الإنقاذ، لكني أتساءل ماذا سيعني ذلك على المدى الطويل".

- يعني أن كل هؤلاء الصبية لن يُفككوا.

- ربما... أو ربما يعني ذلك تفكيكهم بسرعة أكبر بمجرد القبض عليهم، مع كل الصبية الآخرين الذين ينتظرون التفكيك.

صرخت بصوت مرتفع للغاية: "ستاركي صاحب رؤية!". تردَّد صدى صوتها في الأحجار المحيطة بها، فتساءلت من قد يستمع. في هذه الأنفاق هناك دائمًا من يُنصِت. أجبرتْ نفسها على الحديث بصوت خفيض، خرج في هيئة همهمة غاضبة: "وَفْقَ ستاركي، الأمر لا يتعلق فقط بتدمير مخيمات الحصاد، بل باتخاذ موقف لمصلحة المنقولين". خطتْ ببطء نحو هايدن وهي تتحدث، فابتعد هو محاولًا الحفاظ على مسافة آمنة بينهما: "ألا ترى أنه يُشعِل ثورة المنقولين؟ المنقولون الآخرون الذين فقدوا الأمل، والذين يعرفون أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، سوف يثورون ويطالبون بمعاملة عادلة".

- وهل يُحقِّق ذلك بالهجمات الإرهابية؟

- اسمها حرب عصابات!

هنا، أصبحتْ بام تواجه هايدن وخلفه الحائط، ومع ذلك لم يبدُ عليه القلق، بل شعرتْ هي كأنها الشخص المحاصر.

- كل خارج عن القانون يسقط في نهاية المطاف يا بام.

هزت رأسها، للتخلص من الفكرة، وأجابته: "ليس إذا انتصر في الحرب".

ابتعد عنها، متجهًا إلى الجانب الآخر من الغرفة، وجلس على كومة علب الفلفل الحار، قائلًا: "رغم أنه يُزعِج المعدة مثل هذا الفلفل الحار، فإنني يجب أن أوضح لكِ على الأقل بعض فوائد الشك. صحيح أن التاريخ مليء بالمجانين ممن ينسبون إلى أنفسهم أهمية أكبر من الآخرين، والذين تمكنوا من شق طريقهم إلى السلطة وقيادة شعبهم بنجاح. لا يمكنني ذكر أيٍّ منهم الآن ارتجاليًّا، لكنني واثق أنني سأتذكرهم".

اقترحت بام: "الإسكندر الأكبر؛ نابليون بونابرت".

مال هايدن برأسه قليلًا، وضاقت عيناه كأنه يحاول تصور ذلك: "أخبريني إذن، عندما تنظرين إلى مايسون ستاركي، هل ترين أيًّا من صفات الإسكندر أو نابليون، باستثناء قِصَر القامة؟".

تصلب فك بام وقالت: "نعم".

ظهرتْ تلك الابتسامة الساخرة على وجه هايدن مرة أخرى، وقال: "أنا آسف يا آنسة، لكنْ لو أردتِ الفوز بالدور، فعليكِ تقديم أداء تمثيلي أفضل بكثير من ذلك".

رغم أن بام شعرت برغبة في خلع بعض أسنان هايدن المستقيمة تمامًا، فإنها لن تدع غضبها يسيطر عليها الآن. ليس بعد أن رأت كيف سمح ستاركي لغضبه بالسيطرة عليه اليوم، فقالت لهايدن، وقد قررت عدم الانتظار حتى يعود حارسه: "انتهتْ محادثتنا".

اكتسبتْ ابتسامة هايدن بعض التعالي، وقال: "لكنك لم تسمعي الجزء الأفضل بعد".

أثارت ابتسامته غضبها أكثر. ربما تضربه في النهاية. عليها أن تغادر الآن، قبل أن تصبح موضوعًا لواحدة من نكاته، لكنها لم تستطع المغادرة، وسألته: "وما هو؟".

وقف هايدن واتجه نحوها، وهذا يعني أنه ربما سيقول شيئًا لن يُعرِّضه لِفقدان بعض أسنانه: "أعلم أنكِ وستاركي ستواصلان تحرير نزلاء مخيمات الحصاد، مهما حدث. في هذه الحالة، أودُّ أن أساعد في إبقاء المزيد من المنقولين أحياء. تذكري أنني ترأستُ قسم التكنولوجيا في المقبرة. أعرف بعض الأشياء التي يمكن أن تساعد".

هنا حان دور بام لتبتسم. إنها تعرف هايدن جيدًا. سألته: "وماذا تريد في المقابل؟".

- كما قلتُ من قبل، كل ما أريده هو أُذُنُكِ، وليس من خلال التفكيك.

ثم بدأ يتحدث بجدية. لم ترَ هايدن جادًّا قطُّ من قبل. هذا شيء جديد: "أريد وعدًا منكِ بأنكِ ستستمعين لي -بحق- عندما يكون لديَّ ما أقوله. لستِ مضطرة إلى الإعجاب بما أقوله؛ عليكِ فقط أن تسمعيه".

ورغم أنها رفضتْ الطلب نفسه قبل خمس دقائق، فإنها وافقتْ هذه المرة، حتى مع إحساسها بأنها تعقد صفقة مع الشيطان.

***

41 - كونر

لو واجه كونر كامو كومبري في أي موقف آخر، فإنه سيكره التجميع بكل المقاييس. من المؤكد أن كونر يملك سببًا لاحتقاره. أولًا: كام فتى المواطنة الاستباقية المحبوب، والنجم الساطع لكل أولئك الذين يُروِّجون للتفكيك كنتيجة طبيعية ومقبولة للحضارة. ثانيًا: -وهو الأهم بالنسبة إلى كونر- ارتباط كام بريسا. مجرد تخيُّلهما معًا -حتى لو تعرضتْ ريسا للابتزاز لكي ترافقه- يجعل يده تنقبض، متحولة إلى قبضة مُحكَمة للغاية، حتى إن أظفاره تجرح راحة يده. تلك القبضة القوية تجتمع فيها غيرة كونر وغضب رولاند. لا، لم يكن كونر وكام ليصبحا عدويْن لدوديْن تحت أي ظروف أخرى.

ومع ذلك، فإن ظروف لقائهما الأول منحتْ كونر بعض التريث -غير المتوقع وغير المرغوب فيه- للتفكير، بسبب أونا.

في اليوم الثامن لكونر وليف وجرايس المتحصنِين في شقة أونا الصغيرة، ومع إعلان مهاجمة كونر مخيمَ الحصاد في نيفادا، أفادتْ أخبار تشال أن قبيلة «هوبي» لا تميل إلى منحه حق اللجوء الوهمي. ورغم أن نشرات الأخبار تراجعت عن هذا الاتهام في اليوم التالي، فإن تشال ظل يواجه مشكلة في إبرام الصفقة، وهذا يعني أنهم سيظلون في وضع الانتظار هنا، من يدري إلى متى!

لو أن منزل تاشين قد أصاب كونر بمتلازمة الكوخ[1]، فإن البقاء عالقًا في منزل أونا يشبه تعبئته في صندوق شحن مرة أخرى. حتى جرايس

(1) متلازمة الكوخ: نوع من الرهاب، يحدث عندما يُحتَجز المرء في مكان منعزل أو في أماكن ضيقة مدةً طويلةً. "المترجم".

التي يمكنها دائمًا إيجاد طرق للترفيه عن نفسها، تواصل التساؤل بنوع من الإصرار: "ألم نصلْ بعد؟"، وعن إمكانية خروجها لعمل شيء ما.

- مجرد نزهة. ربما بعض التسوق. رجاااءً؟

ليف وحده هو الذي بدا غير منزعج من كل هذا، وهذا ما وجده كونر مثيرًا للجنون.

- كيف يمكنكَ الجلوس هكذا، دون أن تفعل أي شيء طوال اليوم؟

فيجيب ليف، ممسكًا بمجلد جلدي مهترئ لا يتركه من يده: "من قال إني لا أفعل شيئًا؟ إنني أتعلم لغة «أراباتشي». إنها في الحقيقة جميلة جدًّا".

- أحيانًا يا ليف، أريد أن ألطمك فحسب.

قالت جرايس من الغرفة الأخرى: "لقد صدمتَه بسيارة فعلًا".

أجابها كونر بهدير غاضب معدوم الفائدة، لكنه على الأقل جعله يشعر بتحسن طفيف. إنه واثق أن بيفان سيقول إنه يتواصل مع روحه الحيوانية.

وذكَّره ليف: "لقد نسيتَ أنني عشتُ تحت الإقامة الجبرية عامًا. لقد اعتدتُ الحياة في ما يشبه السجن".

تقضي أونا معظم وقتها في المتجر، إما في خدمة العملاء، وإما في صنع آلات موسيقية جديدة في الورشة. لقد أصبحتْ أصوات المثاقب والنقر الخفيف بالمطرقة والإزميل معتادة. عندما تتوقف تلك الأصوات يتساءل كونر عمَّا يحدث.

منذ يومين -ثم بالأمس مرة أخرى- سمع كونر أونا تغلق المتجر، وألقى نظرة خاطفة من خلال الستائر لرؤيتها تغادر. لم يكن ليفكر كثيرًا في الأمر، لولا حقيقة أنه رآها تحمل قيثارة في يد وحقيبة بندقيتها الجلدية في الأخرى. إن المكان الذي يمكن أن تذهب إليه بالقيثارة والبندقية لم يأخذ خيال كونر إلى أماكن سعيدة.

قيَّم ليف الموقف كله، قائلًا: "أونا تواجه مشكلة ما".

لكنَّ كونر شك في أن الأمر أكثر من ذلك.

في وقت لاحق من عصر ذلك اليوم، غادرتْ مرة أخرى، وقرر كونر أن يتبعها، مخالفًا تحذيرات ليف أن يتركها وشأنها: "يجب أن نشعر بالامتنان لأنها سمحت لنا بالاختباء هنا. لا ترد لها معروفها بالتدخل في شؤونها".

لكنه لم يملك الوقت للجدال، لو أراد تتبعها بفعَّالية. دفع ليف جانبًا، وهبط الدرج إلى المتجر، ثم خرج إلى الشارع، حيث رآها تنعطف عند الزاوية. لم تخلُ الشوارع من المارة، لكنَّ كونر ارتدى قبعة «أراباتشي» الصوفية التي وجدها في خزانة أونا، لذلك لم يعِرْه أحد الكثيرَ من الاهتمام. إضافة إلى ذلك، فقد تجنبت أونا الأماكن المزدحمة. رغم أن البندقية موجودة في حقيبة، فإن ماهيتها واضحة تمامًا. أينما ذهبتْ، فهي على الأرجح لا تريد أن يستجوبها أحدهم بشأن ذلك، وهو ما يفسر -وَفْقَ تفكير كونر- سلوكَها الشوارعَ الجانبيةَ الأكثر هدوءًا فحسب للوصول إلى وجهتها.

على أطراف المدينة، انتظرتْ أونا حتى خلا الطريقُ من السيارات والمارة، ثم اتجهتْ إلى ممر ضيق يؤدي إلى الغابة. تبعها كونر، تاركًا مسافة طويلة بينهما.

رغم عجزه عن رؤيتها في الغابة الكثيفة، فقد تمكن من تتبع آثار قدميها على الأرض الرطبة بسبب المطر في الصباح الباكر. وجد مجموعات عدة من آثار الأقدام. لقد سارتْ ذَهَابًا وإيابًا على هذا الطريق مرات عدة خلال الأيام القليلة الماضية. وبعد نصف ميل تقريبًا، وصل إلى أحد المباني -لو أمكن تسميته مبنًى حقًّا- عبارة عن هيكل غريب المظهر، على شكل كوخ الإسكيمو، لكنه مصنوع من الطين والأحجار. سمع صوتين في الداخل. أحدهما صوت أونا والآخر لذَكَر، لكنه لم يبدُ أحد الأشخاص الذين التقاهم كونر فعلًا في المحمية.

أول ما جال بذهنه هو أن أونا تلتقي حبيبها هنا ليحظيا بعَلاقة سرية، وربما ينبغي تركهما بمفردهما... لكنَّ الجدال بالداخل لم يبدُ كخلاف بين عاشقين.

صرخ الذَّكَر: "لا، لن أفعل ذلك! ليس الآن ولا مستقبلًا أبدًا!".

قالت أونا: "إذن، سأتركَكَ هنا لتموت".

- الموت أفضل من هذا!

يوجد باب واحد فقط، لكنَّ سطح المكان في حالة سيئة ومليء بالثقوب. بحذر وهدوء، تسلق كونر السطح المنحنِي للبناء الحجري والطيني، حتى يتمكَّن من النظر من خلال فجوة صنعها سقوط الأحجار.

لمس انطباعه الأول وترًا حساسًا بداخله وجعله يُصدِر صوتًا رنانًا مثل أي آلة موسيقية تصنعها أونا. رأى شابًّا في مثل عمره -بشعر غريب متعدد الأنواع ومختلف الألوان- مقيدًا إلى عمود، ويكافح لتحرير نفسه. من رائحة المكان ونظرات الشاب، أدرك كونر أنه هنا منذ مدة، في هذا الوضع البائس اليائس، دون حتى حرية قضاء حاجته في أي مكان سوى ملابسه.

ردُّ فعل كونر الفوري تمثل في تحديد الوضع: "هذا السجين هو أنا عندما احتُجِزتُ في قبو آرجان، وظللتُ أحاول يائسًا الهروب، وأكافح للتمسك بالأمل". شعر بتعاطف قوي للغاية، حتى إنه سيفرض وجوده على كل ما يدور بينهما.

تذكَّر كونر أن أونا ليست آرجان. دوافعها -أيًّا كانت- لا بدَّ أنها مختلفة. لكنْ لماذا تفعل هذا؟ انتظر كونر وراقب، آملًا أن يفهم شيئًا من تصرفات أونا.

قال أسيرها: "إما أن تتركيني أذهب، وإما أن تقتليني. أرجوكِ، نفذي أحد الاقتراحين، وضعي حدًّا لهذا الوضع!".

أجابته أونا بسؤال واحد بسيط: "ما اسمي؟".

- قلتُ لكِ إنني لا أعرف! لم أعرف بالأمس، ولا أعرف اليوم، ولن أعرف غدًا!

- ربما ستُذكِّركَ الموسيقى اليوم إذن.

ثم حلَّت قيوده. لم يحاولْ حتى الركض؛ لا بدَّ أنه يعلم عدم فائدة ذلك. على العكس، أخذ يبكي، وذراعاه ترتخيان. وبين هاتين الذراعين المتراخيتين وضعتْ أونا القيثارة التي أحضرتْها معها، قائلة بلطفٍ هذه المرة: "اعزفْ"، داعبتْ يديه، ورفعتهما إلى موضعهما على الآلة الموسيقية: "امنحِ الآلة الحياة. هذا ما تفعله. وهذا ما فعلتَه دائمًا".

قال متوسلًا: "ليس أنا من فعل ذلك".

ابتعدتْ عنه أونا، وجلستْ قبالته. أخرجتْ بندقيتها من حقيبتها، ووضعتها على ساقيها، قائلة: "قلتُ اعزفْ".

بدأ سجينها يعزف على مضض. ملأتِ الأنغام الحزينة المكان وتردد صداها، وأصبح المبنى بأكمله مثل صندوق القيثارة الخشبي، حتى إن كونر شعر بصدى الصوت يتردد في صدره.

هذه الموسيقى جميلة. سجين أونا هذا هو سيد الآلة الحقيقي. لم يعدْ يبكي، بل أونا هي الباكية. أمسكتْ معدتها كمن تشعر بألم كبير فيها. تحولتْ تنهداتها إلى عويل تردد صداه مع الموسيقى كترنيمة حزن عظيم.

ثم غير كونر موقعه، فأفلتتْ حصاة في حجم بِلية صغيرة من حافة الحفرة وسقطت على الأرض بالداخل. في لحظة، قفزتْ أونا واقفةً على قدميها وأمسكتْ بندقيتها، مصوبةً إياها نحوه من خلال الفجوة الموجودة بين الأحجار.

تراجع كونر كردٍّ فعل منعكس، لكنه فقد توازنه وانزلق إلى الخلف، ساقطًا على القبة الخارجية للمبنى، ليصطدم بالأحجار الصلبة ويصاب بكدمات. هبط على ظهره وهو عاجز عن التنفس أو الحركة لوهلة، وعندما حاول النهوض، وجد أونا أمامه وماسورة بندقيتها على بعد بوصات قليلة من أنفه.

- لا تجرؤ على التحرك!

تجمدَ كونر، وهو شبه مقتنع بأنها ستطلق عليه النار حقًّا إذا تحرك. وهنا، استغلَّ سجينها الفرصة، فهرب إلى الغابة. أطلقتْ أونا سبابًا بلغة «أراباتشي»، وانطلقتْ تطارده. وقف كونر على قدميه، وانضمَّ إلى المطاردة، ليرى أين ستنتهي هذه الدراما النفسية الصغيرة.

عندما اقتربتْ من سجينها الهارب، ألقتْ أونا بندقيتها وقفزتْ نحوه، لتهبط على ظهره وتُسقِطه. تصارعا، وبدا شعرها الطويل كغطاء داكن انسدل عليهما في أثناء تناحرهما على الأرض، وأدرك كونر فجأة أنه الوحيد الذي يتمتع بمزية واضحة، فالتقط بندقية أونا ووجهها نحوهما.

- فلينهضْ كلاكما! الآن!

وعندما لم يستمعا له، أطلق النار في الهواء. هذا لفت انتباههما، فتوقفا عن العراك، ونهض كلاهما على قدميه. هنا فقط لاحظ كونر وجود شيء غريب في وجه هذا الفتى، وسأل: "ما سبب كل هذا بحق الجحيم؟".

صاحت أونا في حدة: "هذا ليس من شأنك! أعدْ إليَّ بندقيتي!".

- ماذا لو أعطيتكِ إحدى رصاصاتها؟

أبقى كونر البندقية موجهة نحوها، لكنه اختلسَ النظرات إلى سجينها. الرُّقع الغريبة التي تصنع وجهه -انفجار نجمي من درجات لون البشرة التي

بدت متدرجة وصولًا إلى ألوان وملمس خط شعره- بدت غير طبيعية، لكنها مألوفة.

فجأة قفزتْ هُويَّة الفتى إلى ذهن كونر. لقد رآه كثيرًا في وسائل الإعلام، وتخيله بما يكفي في كوابيسه. إنه ذلك المُجَمَّع البغيض! وبدا التعرُّف متبادلًا، لأن عينيِ المُجَمَّع المسروقتين تعرَّفتا كونر أيضًا.

- إنه أنت! أنت إوُول آكرون!، (ثم قال): أين هي؟ أهي هنا؟ خذني إليها!

الشيء الوحيد الذي عرفه كونر على وجه اليقين في هذه اللحظة هو وجود الكثير من البيانات والأحداث التي تواجهه ويصعب استيعابها. إذا حاول ترتيب كل ذلك في رأسه الآن، فسيرتكب خطأً فادحًا، وسيحصل أحدهما على هذه البندقية، وينتهي الأمر بشخص آخرَ ميتًا؛ ربما هو. لذا، قال، مشددًا على الهدوء في صوته مع إبقاء البندقية مرفوعة: "هذا ما سنفعله. سنعود جميعًا إلى كوخ الإسكيمو ذاك".

زمجرتْ أونا: "كوخ حمَّام البخار".

- صحيح. أيًّا كان. سنعود إلى هناك، ونجلس، وسنبذل قُصَارى جهدنا في شرح هذا الأمر برمَّته إلى أن أشعر بالرضا. أفهمتما؟

حدقت إليه أونا، ثم اندفعتْ عائدة إلى كوخ حمَّام البخار. تباطأ المُجَمَّع، فنكزه كونر بالبندقية، قائلًا: "تحركْ، وإلا سأحولكَ مرة أخرى إلى الأجزاء التي صُنِعتَ منها".

حدجه المُجَمَّع بنظرة متعالية من عينيه المسروقتين، ثم اتجه عائدًا إلى كوخ حمَّام البخار.

***

يعرف كونر اسمه، لكنَّ مناداته باسمٍ تنسب إليه قدرًا كبيرًا من الإنسانية لا يرضي كونر. لذا فضَّل أن يطلق عليه اسم «المُجَمَّع». بينما يجلس الثلاثة في كوخ حمَّام البخار، تردَّد كلاهما في إخبار كونر بأي شيء، كأنهما مستاءان منه لتطفله على حفلهما الخاص.

قال كونر الذي كشف الكثير فعلًا: "لقد حصل على يديْ ويل. دعانا نبدأ من هذه النقطة".

شرحتْ أونا تفاصيل اختطاف ويل، أو على الأقل ما أخبرها به ليف وبيفان. لم تحصلْ أسرة تاشين على أي إجابات عما حدث لابنها ولم تتوقعْ ذلك قطُّ. نادرًا ما يظهر الصبية الذين أخذهم القراصنة في مخيمات الحصاد؛ فهم يُباعون قطعةً قطعةً في السوق السوداء. لكنْ يبدو أن ويل تاشين حالة خاصة. لم يستطعْ كونر تخيلَ نوعِ الألم الذي لا بدَّ أن أونا تشعر به، علمًا بأن هذا المخلوق الذي أمامهما يحمل يديَ الصبي الذي أحبَّته وموهبته منسوجة حرفيًّا في عقله. موهبته، وذاكرته الموسيقية، لكنْ لا ذكرى لها. هذا يمكن أن يدفع أي شخص إلى الجنون، لكنْ أن تحتجزه سجينًا بهذه الطريقة؟

- في ما فكرتِ يا أونا عندما فعلتِ ذلك؟

ابتسم المُجَمَّع منتصرًا، وصاح: "أونا! اسمها أونا!".

قال كونر: "اهدأ يا صاحِ. إنني لا أتحدث إليك".

اعترفتْ أونا بهدوء وهي تنظر إلى الأرضية الترابية في كوخ حمَّام البخار: "ارتبكتْ أفكاري وقتها، وما زالتْ. (وبدلًا من الحديث عن المُجَمَّع، تحدثتْ عن ويل مرة أخرى. كيف اعتاد ضبط جميع قيثاراتها واختبارها قبل بيعها) لقد وضع روحه في موسيقاه. شعرتْ دائمًا أن جزءًا صغيرًا منه يظل يتردد في الآلة بعد عزفه عليها. حال رحيله، لم تمنح القيثارات الإحساس نفسه قطُّ. الآن، تعزف الموسيقى فحسب".

- لذا فكرتِ في جعل صديقنا هذا عبد قيثاراتكِ الصغير.

رفعتْ عينيها لتحدجه بنظرة خاطفة، لكنْ يبدو أنها لم تعدْ تملك القوة لذلك، فخفضتْ عينيها مرة أخرى.

التفتَ كونر إلى المُجَمَّع ليجدَ عينيه مثبتتيْن عليه، كأنهما تحفران نفقًا بداخله. شدَّد كونر قبضته على البندقية الموضوعة على ساقيه، وسأل المُجَمَّع: "لماذا جئتَ إلى هنا؟ كيف عرفتَ حتى طريقكَ إلى هنا؟".

أجابه: "لديَّ ما يكفي من ذاكرة ويل تاشين، لأعلم أن هذا هو المكان الذي يختبئ فيه صديقكَ المُصَفِّق. وأعتقد أنكَ تعرف سبب وجودي هنا. أنا هنا من أجل ريسا".

سماع اسمها يخرج من بين شفتيه جعل دم كونر يغلي. أراد أن يقول له: "إنها تكرهكَ، ولا تريد أن تجمعكما أي عَلاقة أبدًا"، لكنه رأى سروال المُجَمَّع الملطخ بالبول وشَمَّه، فتذكَّر أنه مجرد أسير لا حول له ولا قوة، تمامًا كحاله

في قبو آرجان. التعاطف هو آخر شيء أراد كونر أن يشعر به، لكنه أحسَّ به رغم ذلك، وهذا ما هزم كراهيته. كاد الإصرار والاستقتال يشعَّان من مواضع التحام جسد المُجَمَّع، وبقدر ما أراد كونر أن يضيف إلى ألم هذا المخلوق، فإنه لم يجد في نفسه القدرة على ذلك.

- أستبتزها إذن لتصبح معك، كما حدث من قبل؟

- لستُ أنا من ابتزها! إنها المواطنة الاستباقية.

- وتريد إعادتها إليهم.

- لا! أنا هنا لمساعدتها، أيها الغبي.

وجد كونر نفسه مستمتعًا بوقته إلى حد ما، وقال: "احذرْ أيها المُجَمَّع، أنا من يحمل البندقية".

قالت أونا: "إنك تُضيِّع وقتك. لا يمكنكَ استخدام المنطق العقلاني معه. إنه ليس إنسانًا. إنه ليس حيًّا حتى".

قال المُجَمَّع بالفرنسية: "أنا أفكر، إذن أنا موجود".

لا يجيد كونر الفرنسية، لكنه يعرف ما يكفي لفهم ما قاله.

- مجرد أنك تفكر، لا يعني أنك موجود. تدَّعي أجهزة الكمبيوتر أنها تفكر، لكنها تحاكي الشيء الحقيقي فحسب. قُمامة تدخل/ قُمامة تخرج، وأنت مجرد كومة كبيرة من القُمامة.

نظر المُجَمَّع إلى أسفل، ولمعتْ عيناه، قائلًا: "أنت لا تعرف شيئًا".

أدرك كونر أنه قد أصاب وترًا حساسًا في نَفْس المُجَمَّع؛ موضوع الحياة برمَّته؛ الوجود، مع وضع خط أسفل هذه الكلمة. مرة أخرى، شعر كونر بتلك الموجة من التعاطف غير المرغوب فيها.

قال كونر، مستغلًّا جدال كام لمصلحته: "طبعًا، ولا حتى المفككون أحياء أيضًا من الناحية القانونية. حال التوقيع على أمر التفكيك، يصبحون قانونًا مجرد مجموعة من الأجزاء. مثلك".

رفع المُجَمَّع عينيه إليه، وسالت منهما دمعة واحدة، امتصتها ركبة سرواله الجينز: "ما الذي ترمي إليه؟".

- ما أرمي إليه هو سواء كنتَ كومة من الأجزاء، أم كيسًا من القُمامة، أم شخصًا كامل الأهلية، فهذا لا عَلاقة له بما أظنه أنا أو أونا أو أي شخص آخر، لذا أسدِ إلينا جميعًا معروفًا وتوقف عن جعل هذه مشكلتنا.

أومأ برأسه وخفض عينيه مرة أخرى، قائلًا: "الجنية الزرقاء".

تدخلتْ أونا: "أترى! إنه كجهاز كمبيوتر، يتحدث بهراء لا معنى له".

لكنْ فجأة، وجد كونر نفسه يتحلى ببصيرة غير متوقعة، فكَّت له شفرة ما قاله المُجَمَّع.

- آسف يا بينوكيو، لكنَّ ريسا ليست جنيتك الزرقاء. لا يمكنها تحويلك إلى فتى حقيقي.

نظر إليه كام وابتسم. تفاجأ كونر بالابتسامة تنزع عداءه، وهذا ما جعله يقبض على البندقية بقوة أكبر. لن يسمح بنزع سلاحه بأي حال.

- وما أدراك أنها لم تفعل ذلك فعلًا؟

قال كونر: "إنها مذهلة للغاية، لكنْ ليس إلى هذا الحد. إذا أردتَ سحرًا، فتحدث إلى أونا. أثق أن أبناء قبيلة «أراباتشي» أكثر توافُقًا مع الأشياء السحرية من بقيتنا".

تصلَّب وجه أونا، وقالت له متجهمة: "لستُ مضطرة إلى تلقِّي الإهانات من هارب من التفكيك".

اعترف كونر: "لقد تحدثتُ بصدق في الواقع. لكنني سعيد بإهانتكِ، لو أن هذا ما تريدينه".

حدجتْه أونا بنظراتها لحظة أخرى، قبل أن تخفض عينيها أرضًا من جديد.

سأل كونر المُجَمَّع: "قلتَ إنك تريد مساعدة ريسا. كيف؟".

- هذا بيني وبينها.

قال له كونر: "خطأ. أنا موجود بينك وبينها. تحدث معي، أو لا تتحدث على الإطلاق".

غضِب المُجَمَّع، وتنفس من أنفه بقوة كتنين على وشك أن ينفث نارًا، ثم تراجع، قائلًا: "يمكنني مساعدتها في إسقاط المواطنة الاستباقية. لديَّ كل الأدلة التي تحتاج إليها. لكنني لن أشاركها مع أي شخص سواها".

بدا المُجَمَّع صادقًا، لكنَّ كونر يعلم أنه ليس أفضل من يحكم على شخصية أحدهم. لقد ارتكب خطأً فادحًا عندما وثق بستاركي. لن يرتكب الخطأ نفسه مرة أخرى. وقال: "هل تتوقع مني أن أصدق ذلك؟ لماذا تُسقِط من صنعوك؟".

- لديَّ أسبابي.

سألتْ أونا كونرَ، وقد نفد صبرها: "أستخبره؟ أم إنك تنوي إبقاءه معلقًا طوال اليوم؟".

تبادل كام النظرات معهما ذَهَابا وإيابًا، وسأل: "يخبرني ماذا؟".

ظن كونر أنه سيستمتع بإبلاغه الخبر، لكنه لم يشعر سوى بفراغ، وهو يقول: "آسف لإحباطك يا صاحِ، لكنَّ ريسا ليست هنا".

فاض اليأس في عيني المُجَمَّع مثل أي إنسان طبيعي، وهذا ما جعل كونر يتساءل هل زارته الجنية الزرقاء فعلًا!

- لكنْ... لكنْ... نشرات الأخبار ذكرتْ أنها سافرت معك!

- نعم، نشرات الأخبار ذكرت أيضًا أنني هاجمتُ مخيمَ حصاد في ولاية نيفادا. أنت من بين الناس جميعًا لا بدَّ أن تعلم ضرورة عدم الثقة بوسائل الإعلام.

- أين هي إذن؟

قال له كونر: "لا أعرف"، (ثم أضاف): "لكن لو أنني أعرف، فلن أخبرك".

نهض المُجَمَّع محبطًا، وقال: "إنك تكذب!".

نهض كونر بدوره، وفي اللحظة التي اندفع فيها المُجَمَّع نحوه. صوَّب كونر البندقية نحو صدره، فتوقَّف في منتصف المسافة بينهما.

- أعطني سببًا فحسب يا صاحِ!

- توقف عن مناداتي بذلك!

قالت أونا: "كونر يقول الحقيقة. هو، وليف، وفتاة تعاني ضعفَ القشرة الدماغية فحسب موجودون هنا. ريسا وورد لم ترافقهم عندما حضروا".

هذه المعلومات أكثر مما أراد كونر أن يعرفه المُجَمَّع، لكنه بدا الآن متقبلًا الحقيقة. سقط على الأرض، واضعًا رأسه بين يديه، متمتمًا: "سيزيف".

لم يحاول كونر حتى اكتشاف ما يعنيه بذلك، وقال له: "أنت تدرك أنني لا أستطيع السماح لك بالرحيل. لا يمكنني المخاطرة بأن تبلغ السلطات بمكاننا".

قالت أونا وهي تتقدم نحو المُجَمَّع: "سوف أقيده مرة أخرى. لم يعد أحد يأتي إلى كوخ حمَّام البخار القديم هذا".

قرَّر كونر: "لا. لن نفعل ذلك أيضًا. سنأخذه معنا إلى منزلك".

- لا أريده هناك!

نظر كونر إلى كليهما، ورأى أن حالتهما العقلية مستقرة إلى حد ما، لذا ضغط زر الأمان بالبندقية، قائلًا: "هذا مؤسف للغاية. والآن، سنغادر هذا المكان، ونسير إلى منزل أونا كثلاثة أصدقاء قدامى عادوا من رحلة صيد في وقت العصاري. هل هذا واضح؟".

وافق كام وأونا على مضض.

ثم التفتَ إلى المُجَمَّع، قائلًا: "سواء تستحقُّ تعاملًا كريمًا أم لا، سأمنحكَ بعضَه". ورغم أن كونر يجد هذا الأمر صعبًا، فإنه قال: "هل أدعوك كامو؟".

- كام.

- حسنًا يا كام. أنا كونر، لكنكَ تعرف ذلك فعلًا. أودُّ أن أقول "يسعدني لقاؤك"، لكني لا أحب الكذب.

أومأ كام برأسه متقبلًا، وقال: "أنا أقدر صِدقك".

- الإحساس متبادل.

***

عندما عادوا إلى المتجر، وجدوا بيفان هناك. عند دخولهم، سمع كونر صوته العميق في الطابق العلوي وهو يتحدث إلى ليف.

قالت أونا: "يجب ألا يعرف شيئًا عن كام. ينبغي ألا تعرف أسرة تاشين أبدًا شيئًا عن يدي ويل. مثل هذه المعلومة ستحطمهم".

أراد كونر أن يقول: "كما حدث معكِ؟"، لكنه بدلًا من ذلك اكتفى بقول: "مفهوم".

أرسلتْ أونا كام إلى الطابق السفلي، ولم يملكْ هو الطاقة أو القدرة على الاعتراض لإنهاكه الشديد.

قالت أونا: "سأنتظر هنا وأتأكد من بقائه في مكانه. أيمكنني من فضلكَ استعادة بندقيتي؟"، وعندما تردد كونر، أضافت: "سيطرح بيفان الكثير من الأسئلة إذا رآك تصعد إلى الطابق العلوي بها".

ورغم أن آخر شيء يريد كونر فعله هو وضع تلك البندقية في يديها، فقد سلَّمها إياها، لكنْ فقط بعد إخراج الذخيرة.

أخذتها أونا، وأسندتها إلى الحائط، ثم مدَّت يدها إلى جيبها، وأخرجتْ عدة رصاصات أخرى، وأظهرتها إلى كونر في تحدٍّ. لكنْ بدلًا من وضعها في السلاح، أعادتِ الذخيرة إلى جيبها فحسب، وجلست على كرسي بالقرب من باب الطابق السفلي، قائلة: "اصعدْ إلى الطابق العلوي واكتشف سببَ وجود بيفان هنا".

يستاء كونر من تلقي الأوامر، لكنه أدرك حاجة أونا إلى الإحساس بالسيطرة مرة أخرى، خاصة في مكانها. توجَّه إلى الطابق العلوي وتركها لحراسة كام.

قال بيفان لحظة دخول كونر: "أريد أن أعرف سبب خروجك".

لم يجبْه كونر، وأنهى الأمر عند هذا الحد. نظر إلى ليف الذي أراد بوضوح أن يعرف ما حدث، لكنه حكيم بما يكفي لعدم السؤال أمام بيفان.

ملأتِ الابتسامة وجه جرايس، وهي تقول: "لقد أثارتْ قبيلة «هوبي» غضب شرطة الأحداث! انظر إلى هذا!".

رفعتْ صوت التلفاز الذي يذيع مؤتمرًا صحفيًّا لم يؤكدْ فيه المتحدث باسم قبيلة «هوبي» -أو ينفي- الشائعات القائلة بأنهم يوفرون ملاذًا لإوُول آكرون. ومع ذلك، بدا أن الصحفيين لديهم الكثير ليواصلوا عرضه. مقطع فيديو مهتز أظهر شخصًا يُنقَل في الظل إلى مبنى مجلس قبيلة «هوبي». تسريبات إعلامية من "مصدر داخلي" أصرتْ على وجود إوُول آكرون هناك. يبدو أن تشال له تأثير قوي.

قال بيفان: "اترك الأمر لأخي، فهو قادر على فعل المستحيل".

ذكَّرَتهم جرايس: "إنها فكرتي! قلتُ لكم أن ترسلوا شرطة الأحداث في رحلة".

قال كونر: "نعم، حدث ذلك يا جرايس"، فعانقتْه لأنه أيَّدها.

قال بيفان: ”في ظل تشتيت انتباه السلطات، حان الوقت الآن لمواصلة عملكم. رتَّبت إلينا لترك سيارة غير مسجلة في استراحة خارج البوابة الشمالية مباشرةً. سأقودكم إلى هناك غدًا. بعد ذلك، اعتمدوا على أنفسكم“.

لم يخبر كونر أحدًا قطُّ في المحمية عن وجهتهم، وأمِل أن يُبقي ليف فمه مغلقًا بشأن هذا الأمر أيضًا. حتى بين الأصدقاء، كلما قل عدد الأشخاص الذين يعرفون، أصبح الاختفاء أسهل. لكنْ يوجد تعقيد إضافي الآن. ماذا سيفعلون بشأن كام؟

***

42 - نيلسون

أكبر مشكلة يواجهها نيلسون حاليًّا ليست الحروق الملتهبة والمتقشرة في النصف الأيمن من وجهه، وليست أيضًا اللدغات المؤلمة على ذراعيه وساقيه من مختلف الحيوانات البرية الصحراوية المجهولة، بل هي موظف تسجيل مبيعات السوبرماركت الهزيل الذي رافقه في الشاحنة خلال الأسابيع القليلة الماضية.

سأله آرجان: "إلى أي مدى نبعد في ظنك؟ أسنظل في طريقنا يومًا؟ أم اثنين؟".

- سنصل بحلول الصباح، إذا واصلنا القيادة خلال الليل.

- أهذا ما سنفعله؟ القيادة طوال الليل؟

- سنرى.

من خلفهما الآن، ظهرت الشمس منخفضة في السماء. عرض آرجان القيادة منذ مغادرتهما نيو أورليانز، لكنَّ نيلسون رفض التخلي عن عجلة القيادة. رغم إحساسه بالتعب، ومقاومته الحمى، فلن يسمح بذلك.

وبعد أكثر من أسبوع من البحث، تبيَّن أن رحلة نيو أورليانز فاشلة. لو أن كونر لاسيتر أتى لأداء عمل ما في منزل ماري لافو، فهذا يعني أنه قد أنهى هذا العمل، ولا يمكن إقناع أي شخص هناك بتقديم معلومات له عن مكان وجوده. رغم أن نيو أورليانز مرتع لأنشطة غير مشروعة، فإن أيًّا منها لا يتضمن على ما يبدو إيواء الهاربين من التفكيك. لقد أضاعا ثلاثة أيام أخرى في التوجُّه شمالًا إلى باتون روج والبحث هناك عن آثار لاسيتر أو حركة سرية مناهضة للتفكيك قد توفر له ملاذًا.

لقد تجوَّلا أكثرَ من أسبوع، وهما يتبعان حدس نيلسون في جميع أنحاء الجنوب العميق، حتى قال موظف تسجيل المبيعات اللعين: "لا أعرف لماذا لا نذهب إلى نيويورك".

سأله نيلسون: "لماذا نذهب إلى هناك؟".

نظر إليه الموظف بغباء فأر، قائلًا: "لقد أخبرتكَ الليلة الماضية".

- لم تخبرني بأي شيء.

- بل فعلتُ. بدوتَ مغيبًا طبعًا من تأثير ما شربتَه، وتلك الحبوب التي تناولتها.

- إنك لم تخبرني بأي شيء!

قال آرجان بتعجرف شديد: "حسنًا، لو أنكَ ترى ذلك. لم أخبركَ بأي شيء".

في النهاية، اضطُرَّ نيلسون إلى مجاراته في مسرحيته اللعينة: "ماذا قلتَ لي؟".

- أخبرتكَ بذلك التقرير الإخباري عن تمثال الحرية. كيف سيستبدلون بذراعه ذراعًا أخرى من الألومنيوم لأن الذراع النُّحاسية ثقيلة جدًّا".

لم يتحلَّ نيلسون بالكثير من الصبر على هذا، فسأله: "ماذا في ذلك؟".

- لقد ذكَّرني هذا بأن كونر تحدث عن موعد مع السيدة ذات الرداء الأخضر. ألا تتذكر حقًّا؟

لم يتذكر نيلسون سماع ذلك، لكنَّ مجاراة الفأر سترضيه كثيرًا، لذا قال له: "الآن أتذكر".

ليس هذا بالضبط هو الدليل القاطع الذي أراده نيلسون، فعبارة "السيدة ذات الرداء الأخضر" يمكن أن تعني الكثير من الأشياء... لكنْ أليس محيط التمثال مكانًا مفضلًا للمحتجين المتعاطفين مع الهاربين من التفكيك؟ ما خطة لاسيتر؟

ما دفع نيلسون أخيرًا إلى التوجه شمالًا هو التقرير الإخباري الذي علم أنه سيذاع في النهاية. صورة آرجان مع بطله إوُول آكرون رآها الجميع خلال الإنترنت، وقد ظل آرجان يتجول في العراء عدةَ أيام. لا بدَّ أن أحدهم سيتعرَّفه، ويبلغ عنه السلطات.

عرف نيلسون أن عليه تقليل خسائره والانطلاق بمفرده، تاركًا آرجان ليلاقي مصيره، لكنه وجد في نفسه أدنى قدر من الشفقة وربما حتى العاطفة.

لقد أسر آرجان فعلًا هاربيْن من التفكيك من أجله. إنها لفتة معدومة الفائدة، لكنَّ الفكرة ذات أهمية، لأن رؤية هذين الوضيعين مقيدين ومكممين وملفوفين عمليًّا كهدية مُقدَّمة له قد أشعره ببعض البهجة في يوم بائس. بمرور الوقت، قد يصبح آرجان مفيدًا كجاسوس يمكنه أن يتسلل وسط مجموعات الهاربين من التفكيك لمصلحته. لذا لم يترك آرجان، بل اصطحبه معه، متبعًا الطريق الرث إلى نيويورك.

وبينما يعبران من فرجينيا الغربية إلى بنسلفانيا، بدأت شكوك نيلسون تبدو كحواجز على الطريق أمامهما، ولم يتوقفْ آرجان عن الثرثرة، فقال مقترحًا: "يجب أن نتوقف في «هيرشي». يقولون إن رائحة المدينة بأكملها تشبه رائحة الشوكولاتة. توجد القطارات الأفعوانية هناك أيضًا. هل تحبها؟".

قالت لافتة على الطريق أمامهما إن بيتسبرج على بعد 45 ميلًا. شعر نيلسون بعودة الحمى. مفاصله تؤلمه، والعرق المتصبب يلسع وجهه. قرَّر أن يقضي الليلة في بيتسبرج. لا يمكنه القيادة طوال الليل. إنه عاجز حتى عن إسكات آرجان.

واصل آرجان هذيانه: "نعم، نيو أورليانز جميلة. يمكنني قضاء بعض الوقت هناك. أراهن أن متجر الفودو جميل أيضًا. رأيتُ شيئًا عن ذلك في التلفاز ذات مرة. ليتكَ أحضرت لنا دمية فودو[1] لإوُول آكرون، لنجعله يشعر ببعض آلامنا".

وهنا سعد نيلسون لأنه ترك آرجان يتحدث، فقد تبين أن حديثه مفيد للغاية.

- صحيح. فلنجعلْه يشعر بألمنا.

قرر نيلسون أن يعتني بنفسه جيدًا الليلة، ويعيد تقييم الوضع الحالي بالكامل.

بيت ماري لافو للفودو ليس شيئًا سمعه آرجان من فم كونر لاسيتر، لكنه شاهده على شاشة التلفاز. لم يدرِ الفأر إلى أي مدى نصب لنفسه المصيدة.

***

(1) دمية فودو: وفقَ معتقد سائد فإن ممارسي السحر الأسود المسمى «الفودو» يمكن أن يغرسوا دبابيس في دمى تمثل أعداءهم ويحرقوها، بحيث يمكنهم السيطرة على صاحب الدمية والتحكم به، أو إصابته باللعنة.

43 - آرجان

قالت أمه دائمًا: "عندما تعطيك الحياة ليمونًا، اعصرْه في عيني أحدهم". ووجدها آرجان على حق. إن تحويل سوء حظك إلى سلاح أكثر فائدة من صنع عصير الليمون. إنه فخور بالطريقة التي أعمى بها قرصان الأعضاء بفعَّالية.

سأل آرجان فيما يفسح ريف بنسلفانيا الطريق لضواحي بيتسبرج: "أراهن أننا سنجد الكثير من الهاربين من التفكيك لنمسك بهم في نيويورك، أليس كذلك؟".

قال له نيلسون: "مثل الفئران".

اقترح آرجان: "ربما يمكنكَ الإمساك ببعضهم. أرني كيف تفعلها. أعني، لو أنني سأصبح تلميذك، فيجب أن أعرف هذه الأشياء".

إن فكرة السفر خلال البلاد مع قرصان أعضاء حقيقي وتعلُّم حيل التجارة تثير حماسه فعلًا، فهي مهنة يمكن أن يستمتع بها. عليه أن يستمر في توجيه نيلسون وتحريكه كعروس «ماريونيت». سيجعله يعتقد أنه بحاجة إليه، حتى يتمكن آرجان من أن يُظهِر له حقًّا كم هو متدرب جيد. أن يجعل نفسه إضافة قيِّمة. هذا ما عليه أن يفعله. لكنْ حتى ذلك الحين، سيبقي نيلسون متدليًا من الخيوط التي يحركه بها.

لقد أعطاه الرجل فعلًا بعض الدروس الأساسية، في أثناء المحادثة فحسب. قال نيلسون: "معظم الهاربين من التفكيك أذكى مما تظن هيئة الأحداث. إن نصبتَ فخًّا غبيًّا، كل ما ستحصل عليه هو هاربون أغبياء. قيمتهم أقل بكثير في السوق السوداء. لو أظهر فحص الدماغ معدل ذكاء مرتفع، يمكنك مضاعفة أموالك".

لقد علَّمه الكثير عن فن نصب الفخ!

قضيا الليلة الماضية في فندق رخيص، لكنَّ الليلة في بيتسبرج، حجز لهما نيلسون جناحًا من غرفتي نوم في مكان فاخر له حرس وستة أعلام ترفرف فوق المدخل.

قال له نيلسون: "الليلة سنغرق في النعيم، لأننا ندين بذلك لأنفسنا".

لو أن هذه هي حياة قرصان الأعضاء، فإن آرجان على استعداد لبذل كل ما في وسعه. الجناح ضخم وتفوح منه رائحة الزهور الطازجة، بدلًا من العفن الفطري. طلب آرجان أشياءَ باهظة الثمن من قائمة خدمة الغرف، دون أن ينزعج نيلسون على الإطلاق، بل قال: "لا يغلو شيء على تلميذي"، رافعًا كأس النبيذ لتأكيد هذه النقطة. لم يكن والده سخيًّا قطُّ، سواء في المال أو في الشعور. بدا الإرهاق واضحًا في صوت تنفس نيلسون. اكتسب الجانب السليم من وجهه لمعانًا شاحبًا. لم يفكر آرجان في أي شيء من هذا، بل انصبَّ تركيزه في الوقت الحالي على شريحة اللحم البقري المشوية الفاخرة التي يتناولها.

بينما يتناولان وجبتهما، تخلى آرجان عن حذره، وبدأ نيلسون يتحدث عرضيًّا عن الأيام المقبلة، فقال: "نيويورك مدينة عظيمة. هل زرتها من قبل؟".

هزَّ آرجان رأسه، وازدرد لعابه كي لا يبدو غير متحضر للغاية في أثناء تناول وجبة فندقية، قبل أن يتحدث: "لا. لكني أردتُ دائمًا الذَّهَاب إلى هناك. عندما كان والدانا حيَّين، قالا إنهما سيصطحبانا إلى نيويورك لرؤية مبنى «إمباير ستايت»، وأحد عروض برودواي. لقد وعدانا بالسفر حول العالم، لكننا لم نذهب إلى أي مكان سوى برانسون بولاية ميسوري"، ثم تناول قطعة أخرى من شريحة اللحم، متخيلًا أن الطعام سيحمل مذاقًا أفضل في نيويورك: "لقد أقسمتُ إنني سأذهب إلى هناك يومًا ما. أقسمت إنني سأحقق ذلك".

مسح نيلسون فمه بمنديل حريري، وقال: "وها قد فعلت. علينا تخصيص بعض الوقت لمشاهدة بعض المعالم السياحية في أثناء وجودنا هناك".

ابتسم آرجان، قائلًا: "سيسعدني ذلك".

ابتسم نيلسون، قائلًا بلطف: "بالتأكيد. تايمز سكوير، سنترال بارك...".

قال آرجان، وقد كاد لعابه يسيل من فرط الحماس والإثارة: "سمعتُ بنادٍ في مصنع قديم؛ تعزف هناك فرقة موسيقية مختلفة كل ليلة، لكنكَ لا تعرف أبدًا اسمها سابقًا".

سأله نيلسون: "هل سمعتَ بذلك من التلفاز؟ مثل بيت الفودو؟".

استغرق الأمر بعض الوقت حتى اخترق عقل آرجان، وأخذ يقفز في أرجائه كالكرة في لعبة «بين بول» الشهيرة، إلى أن استقر في مركزه. انتهت اللعبة بخسارة آرجان.

عندما نظر إلى نيلسون، لم يجدْ أي لطف في ابتسامته، بل هي أقرب إلى الشراسة. بدا كنمر ينتظر لقتل فريسته.

- لم يقلْ لاسيتر أي شيء عن ماري لافو أو "السيدة الخضراء"، أليس كذلك؟

- كنت... سأخبرك...

فجأة، قلب نيلسون المائدة، صائحًا في غضب: "متى؟ قبل حصولك على جولتك مدفوعة التكاليف بالكامل في نيويورك أم بعده؟". تطايرتْ أواني الطعام، وتحطم طبق على المدفأة، وانقضَّ نيلسون، مثبتًا آرجان إلى الحائط بقوة شديدة، فشعر ذلك الأخير بمفتاح الضوء ينغرس في ظهره كسكين، لكنه لن يقتله كالسكين الحقيقية التي يضعها نيلسون الآن على رقبته، ويضغط بقوة، قائلًا: "أقُلتَ شيئًا ليس كذبًا؟ سأعرف لو كذبتَ الآن".

أدرك آرجان أن قول الحقيقة لن يساعده، لذا تجنب السؤال، قائلًا في يأس: "إذا قتلتني، ستسيل الكثير من الدماء. ولم تكن لتطعمني لو نويتَ قتلي حقًّا!".

دفع السكين بقوة أكبر في رقبته، فأسال بعض الدماء، وأجابه: "كل إنسان يستحق وجبة أخيرة".

همهم آرجان: "انتظرْ!"، وألقى بورقته الرابحة الوحيدة التي يجب أن يستخدمها: "توجد شريحة تتبع!".

- عمَّ تتحدث؟

- أختي! في طفولتها، اعتادتْ أن تهيم على وجهها دائمًا، لذلك وضع والداي شريحة التتبع هذه تحت الجلد خلف أذنها. لو أنها ما زالت مع

لاسيتر، يمكننا العثور عليهما. لكني الوحيد الذي يعرف رمز التتبع الخاص بالشريحة. اقتلني وسيموت الرمز معي.

- يا لكَ من لعين! لقد علمتَ بأمر تلك الشريحة طوال الوقت!

- لو أخبرتكَ، لانتهتْ فائدتي في نظرك.

- إنكَ معدوم الفائدة في نظري فعليًّا!

أسقط السكين، واستخدم يده العارية لإغلاق مجرى الهواء في عنق آرجان. لا دماء، ولا فوضى: "الآن بعد أن عرفتُ، يمكنني العثور على هذا الرمز من دونكَ".

حاول آرجان مقاومته، معتقدًا أنه سيخسر وأن هذه هي النهاية، لكنه تفاجأ أنه أقوى من نيلسون. في الواقع، بدا الرجل ضعيفًا على نحو غير معهود. دفع آرجان نيلسون بعيدًا، فتعثر ذلك الأخير، وسقط على ركبة واحدة، قائلًا: "ابقَ ساكنًا ودعني أقتلكَ!".

التقط آرجان السكين من الأرض، استعدادًا للدفاع عن نفسه. لكنَّ نيلسون لم يهاجمه، بل دارت عيناه في محجريهما وارتجف جفناه. حاول الوقوف، لكنه سقط مرة أخرى، هذه المرة على مرفقيه وساقيه.

- عليكَ اللعنة!

ثم انهار مرفقاه، وسقط على السجادة، غائبًا عن الوعي كمن حصل على رصاصة تهدئة.

انتظر آرجان لحظة، ثم أخرى، وبعد ذلك، سأل: "يا هذا! أأنت حي؟".

لم يحصل على إجابة. مد يده إلى أسفل ليتحسس رقبة نيلسون. وجد نبضًا سريعًا وقويًّا، لكنَّ الرجل حرارته مرتفعة.. للغاية.

بإمكان آرجان أن يهرب. يمكنه الانطلاق هاربًا فحسب والخروج من هذا الوضع، لكنه تردد وحدق إلى قرصان الأعضاء الغائب عن الوعي الراقد على الأرض أمامه. ترك الكرة تتقافز في رأسه قليلًا، ثم وضع السكين برفق فوق المدفأة. الكرة ما زالت في الملعب، وما زال يوجد الكثير من الأهداف التي عليه تسجيلها.

***

44 - نيلسون

عندما استعاد وعيه، استغرقه الأمر بضع دقائق ليدرك مكانه. الجناح الرئاسي في فندق «أومني ويليام بن» في بيتسبرج. لقد انساق إلى مطاردة جامحة ما كان له قطُّ أن يتورط فيها.

يعرض التلفاز الموجود في غرفة نومه فيلم حركة بصوت منخفض، فيما جلس موظف تسجيل مبيعات البقالة الحثالة يشاهده في أثناء تناول البطاطس المقلية التي أحضرتها خدمة الغرف. التفت إلى نيلسون، وعندما رآه مستيقظًا، سحب مقعده إلى جوار فراشه، وسأله: "هل تشعر بتحسن؟".

لم يكرمه نيلسون بالرد.

قال آرجان: "هذا الفندق شديد الفخامة، ولديهم طبيب تحت الطلب. لقد أحضرتُه لفحصك. لا تقلق، لقد نظفتُ الفوضى قبل أن يصل إلى هنا ووضعتكَ في الفراش. لقد تحدثتَ إليه قليلًا، ألا تتذكر؟".

ظل نيلسون يرفض الكلام.

- لم أظن أنكَ ستفعل ذلك. لقد تحدثتَ بحماقة وجنون عن مقبرة وإعصار. قال الطبيب إن تلك اللدغات التي أصابتك على ذراعيك وساقيك، نقلتْ إليك عدوى ما. لقد أعطاكَ جُرْعة من المضادات الحيوية. حاول إقناعي بأخذكَ إلى غرفة الطوارئ، لكني منحته مالًا، فصمتَ. لقد أخذتُه من حافظة نقودكَ. آمل أنك لا تمانع في ظل هذه الظروف. لم أخدعك أو ما شابه؛ يوجد إيصال. وحصلتُ من الصيدلية أيضًا على المزيد من المضادات الحيوية وَفْقَ الوصفة الطبية. تناولْها ثلاث مرات يوميًّا مع وجبات الطعام.

ظلَّ نيلسون متجمدًا كالصخرة في أثناء تدفق كل هذه الكلمات. استوعب بعضها، دون الباقي الذي دخل من أذن وخرج من الأخرى فحسب، ثم سأل آرجان أخيرًا: "ماذا تفعل هنا؟".

- لا يمكنني ترككَ على الأرض لتموت، أليس كذلك؟ إننا فريق. النصف الأيمن والنصف الأيسر يشكلان معًا كِيانًا واحدًا.

- اغرب عن وجهي!

عندما لم يتحرك آرجان، أدار نيلسون رأسه لينظر إلى الاتجاه الآخر، وهذه الحركة البسيطة أشعرته بدوار شديد كأنه يركب لعبة في مدينة الملاهي.

قال آرجان: "لا ألومك على غضبكَ مني. ربما كنتَ ستقتلني وربما لا، لكنْ لو أنني سأصبح تلميذك، فأعلم أنني يجب أن أتحمل الكثير".

أجبر نيلسون نفسه على النظر إلى آرجان مرة أخرى، وسأله: "أي عالم ذلك الذي تظن أنك تعيش فيه؟".

قال آرجان: "عالمكَ نفسه". نظر إلى الملصق الموجود على عبوة أقراص الدواء ووضعها على المنضدة، بعيدًا عن متناول نيلسون: "سواء أعجبك ذلك أم لا، فأنت بحاجة إليَّ الآن. ما دمتَ تحتاج إليَّ، فلن تتخلَّص مني. يمكنك حتى أن تعلمني شيئًا أو اثنين عن كيف أصبح قرصانًا للأعضاء. اليد تغسل الأخرى كما يقولون، وأيدي كلانا قذرة نوعًا ما. لذلك سأبقى، ونحصل معًا على ما نحتاج إليه".

حقيقة أنه أصبح الآن يعتمد كليًّا على آرجان سكينر جعلت نيلسون يرغب في الضحك، لولا أن ذلك سيؤلمه للغاية: "هل أصبحتَ ممرضي الآن؟".

قال له آرجان: "أنا ما تحتاج إليه، عندما تحتاج إليه. اليوم أنت بحاجة إلى ممرض، وهذا هو الدور الذي سأؤديه. ربما تحتاج غدًا إلى من يساعدك على نصب فخ للمفككين مرة أخرى، وهذا ما سأصبحه غدًا. وعندما تتعقب كونر لاسيتر وتحتاج إلى مساعدة في القبض عليه، ستسعد للغاية لأنك أبقيتني بالقرب منك". ثم فتح قائمة طعام الفندق، مضيفًا: "لذلك، أنا أفكر في طلب الحَساء لكَ. ولو أحسنتَ التصرف، فربما تتناول بعض المثلجات بعد ذلك".

***

مضى يوم آخر قبل أن يشعر نيلسون بالقوة الكافية للتحرك في جميع أنحاء الجناح. لقد تخلى عن محاولة محاربة آرجان. قد يكون صبيًّا أحمقَ، لكنه أحمقُ داهيةٌ. إنه يعرف كيف يجعل من نفسه عنصرًا لا غنى عنه بالنسبة إلى نيلسون، على الأقل في الوقت الحالي.

قال له آرجان: "أعلم أنك ستركلني خارجًا في اللحظة التي تراها مناسبة. مهمتي التأكد من أنك لن ترى تلك اللحظة أبدًا".

لم يتحدثا عن مهمتهما. لم يطلب منه نيلسون رمز شريحة التتبع، لأنه يعلم أن آرجان لن يتخلَّى عن ورقة المساومة الوحيدة التي يملكها حتى يصبح مستعدًّا. إضافة إلى ذلك، بقدر ما يريد نيلسون المضي قدمًا، فهو يعلم أنه ليس في حالة جيدة. وليس أمامه خيار سوى النقاهة في الجناح الرئاسي.

علَّق آرجان أكثر من مرة، لإغراء نيلسون بالحديث عن مهنته: "لا بدَّ أن عملكَ قرصانًا للأعضاء مربح للغاية، ما دام يمكنك دفع نفقات الإقامة في مكان كهذا". ورغم أن إجراء محادثة مع آرجان ليس مدرجًا تمامًا في قائمة الأنشطة الممتعة لديه، فإن نيلسون لم يملك خيارًا آخر، لذا تحمل ذلك. حتى إنه أخبر آرجان ببعض الأشياء التي يريد معرفتها، موضحًا تفاصيل أفضل أفخاخه. النفق الخرساني المبطَّن بالغراء، علبة السجائر الموضوعة على مرتبة فوق حفرة. علَّق آرجان بالكامل على كل كلمة، وبدأ نيلسون يستمتع بالتفاخر بأفضل ما صاده.

- ذات مرة، أجبرتُ أحد الهاربين من التفكيك على ابتلاع قنبلة يدوية سامة صغيرة، وأخبرته أنني سأفجرها عن بُعد إذا لم يسلمني أصدقاءه. لقد قاد خمسة أطفال آخرين نحوي مباشرةً؛ كل منهم أفضل منه.

- هل فجرتَ القنبلة؟

قال نيلسون لآرجان: "لم تكن قنبلة يدوية، بل حبة توت بري".

ضحك آرجان، وكذلك نيلسون الذي كشف أن ضحكته حقيقية.

لا يمكن لنيلسون أن يقول إنه بدأ يحب آرجان، فلا يوجد في الواقع الكثير مما يثير إعجابه. لكنه بدأ يتقبل ضرورة وجوده. اكتسب آرجان سكينر قيمة بالنسبة إلى نيلسون مثل ذلك الهارب من التفكيك الذي سلَّمه أصدقاءه. مقابل خدماته، أطلق نيلسون سراح آكل التوت البري، لأن في نهاية المطاف،

العدل عدل، وقد رأى نيلسون نفسه دائمًا رجلًا نزيهًا. في النهاية، سيتأكد من حصول آرجان على مكافأته العادلة.

***

انطلقا في اليوم التالي، وقد شعر نيلسون بأنه أقوى، لكنه لم يتعافَ تمامًا. ما زالت اللدغات حمراء منتفخة، والنصف المحترق من وجهه ما زال ملتهبًا ومتقشرًا، لكنَّ الحمى ذهبت على الأقل. تحمل نظرات الانزعاج من نزلاء الفندق الآخرين في أثناء خروجه، تمامًا كما تحملها عندما سجَّل وصوله.

سأله آرجان: "أستخبرني إلى أين نحن ذاهبان؟". الآن بعد أن استعاد نيلسون قوته، تغيَّر آرجان وشعر بعدم الأمان وعدم الثقة باستمرارهما معًا.

- لن نذهب إلى نيويورك.

هذا هو كل ما قاله نيلسون، وهذا ما جعل آرجان يثرثر بشأن أماكن أخرى لم يزرها من قبل، لكنه يود الذَّهَاب إليها، بحثًا عن أي تلميحات قد يقدمها نيلسون، وقال: "ليس منطقيًّا أن نذهب، إلا إذا عرفنا إلى أين".

قال نيلسون، وهو يشعر بسعادة غامرة بسبب انزعاج آرجان: "أنا أعرف إلى أين نحن ذاهبان".

- بعد كل ما فعلتُه من أجلك، أقل ما يمكنكَ فعله هو أن تعطيني تلميحًا.

حال عبورهما نهر «أليجيني» ومغادرتهما بيتسبرج، كشف نيلسون عن جزء من الأمر: "إننا ذاهبان إلى «سارنيا»".

- سارنيا؟ لم أسمع بها من قبل.

- إنها في كندا، خلال الحدود من «بورت هورون» بولاية متشيجان. سأقدمكَ إلى الشخص الذي أتعامل معه في السوق السوداء، على افتراض أنه ليس في إحدى رحلاته الجوية. إنه رجل محترم اسمه ديفان.

لفَّ آرجان وجهه كمن يشم رائحة كريهة، وقال: "اسم مضحك. اعتدنا أن نبيع دجاج ديفان في «بابليكس»".

- من الحكمة عدم إهانته. تدير شركة ديفان مخيم الحصاد الأنجح بالسوق السوداء في هذا الجانب من بورما. المخيَّم الأحدث والأفضل. أُحضِرُ إلى ديفان كل الهاربين من التفكيك الذين يقعون في يدي،

ولطالما عاملني دائمًا بإنصاف وشرف. لو أردتَ أن تصبح قرصان أعضاء، فهو الرجل الذي تحتاج إلى معرفته.

بدا عدم الارتياح على آرجان، وقال: "سمعتُ قصصًا عن السوق السوداء. مشارط صدئة. لا تخدير".

- ما تتحدث عنه يحدث في مخيم البورمي داه زي. ديفان -على العكس- رجل نبيل، وشريف في هذا الشأن. لطالما أنجز الأمر بشكل صحيح أمامي.

قال آرجان: "حسنًا. يبدو الأمر جيدًا".

أضاف نيلسون: "لقد أظهرتُ حسن النية من جانبي، أتوقع منك بعض حسن النية في المقابل. أريد رمز شريحة تتبع أختك".

أدار آرجان عينيه إلى الطريق أمامهما، قائلًا: "ربما لاحقًا".

أوقف نيلسون السيارة بهدوء على جانب الطريق السريع، قائلًا: "وربما الآن، وإلا سيسعدني ترككَ هنا، وأقول لكَ وداعًا، وأتركُكَ تعيش حياتك البائسة دون تدخل مني".

أخذتِ السيارات تمر سريعًا بجوارهما. وبدا آرجان كمن أصابه المرض، وهو يقول: "لن تجد لاسيتر أبدًا من دون هذا الرمز".

- لا يوجد ما يضمن أن أختك ستظل معه بأي حال. لو أنها مزعجة مثلك، فمن المحتمل أنه تركها بعد ساعة من مغادرة هارتسديل.

فكر آرجان في الأمر، محركًا يديه في توتر، وأخذ يعبث بعصبية في قطوب وجهه.

- هل تعدني أنكَ لن تقتلني؟

- أعدكَ أنني لن أقتلك.

- النصف الأيسر، والنصف الأيمن، أليس كذلك؟ إننا فريق؟

- بالضرورة، حتى إن لم يكن ذلك مخططًا له.

تنفس آرجان بعمق، قائلًا: "فلنقابلْ هذا الرجل ديفان، وبعدها سأخبرك".

ضرب نيلسون عجلة القيادة بغضب، ثم هدأ، وأجابه: "حسنًا. ما دام هذا ما تريده"، ثم أخرج مسدس التهدئة، وضغط الزناد، مصيبًا آرجان في صدره.

اتسعتْ عينا آرجان من الصدمة بسبب الخيانة، وقال نيلسون: ”لا أستطيع أن أخبرك بمدى روعة ذلك الإحساس“.

غاب آرجان عن الوعي في مقعده، فأصبح نيلسون راضيًا للغاية. لو اضطُرَّ إلى تحمل وجود آرجان سكينر وهو في طريقه للعثور على كونر لاسيتر وصديقه العُشر القذر، فسيفعل ذلك، رغم أن غياب آرجان عن الوعي المتكرر قد يكون ضروريًّا لتصبح الحياة محتملة. ابتسم نيلسون. في النهاية، ربما يقتل آرجان بالطريقة نفسها التي يخطط لقتل ليف كالدر بها، لأنه تركه مُخدَّرًا على طريق أريزونا. أو ربما يترك آرجان يعيش. كل هذا يقع ضمن نطاق الإمكانية ونطاق قوة نيلسون. عليه أن يعترف أنه حتى في أثناء عمله شرطي أحداث، امتلك سلطة تقرير الحياة والموت. باعتباره قرصان أعضاء، فإن هذا الإحساس أعمق وأكثر بديهية. أصبح يحبه. كل ذلك يعتمد على تعقب أخت آرجان. إنها إذن مسألة وقت فحسب حتى يُحقِّق هدفه بقتل ليف كالدر والحصول على عيني كونر لاسيتر. إضافة إلى المكافأة الضخمة التي سيدفعها ديفان مقابل الباقي طبعًا.

سجَّل نيلسون وجهته في نظام تحديد المواقع العالمي (GPS) الذي حدَّد أسرع طريق إلى سارنيا. ثم -بعد فحص مرآة الرؤية الخلفية- انطلق على الطريق السريع في صمت مشوب بالسعادة والرضا.

***

45 - هايدن

التعاون مع العدو هو الجريمة التي أُدين بها هايدن في محكمة الرأي العام دون أن يحظى بمحاكمة أو عرض حقيقة واحدة. إنه مذنب بنسبة 100 % في نظر صبية مخيم «كولد سبرينجز»، بصرف النظر عن حقيقة أنه بريء بنسبة 100 %. لم يمنحْ مينارد -أو أي شخص في هيئة الأحداث- معلومةً واحدةً. عزاؤه الوحيد هو أن صبية «كولد سبرينجز» فقط هم من يكرهونه. بالنسبة إلى بقية العالم، ما زال هو الصبي نفسه الذي ألقى بيان المكتملين، ودعا إلى انتفاضة ثانية للمراهقين عندما قُبِضَ عليه في المقبرة. لمرة واحدة أسدتْ إليه وسائل الإعلام معروفًا. لا يمكنه أن يقول إنه حزين لوفاة مينارد. لقد جعل الرجل من زنزانة هايدن الفخمة جحيمًا لا تطاق في «كولد سبرينجز»، وفي مرات عدَّة أراد هايدن أن يقتل الرجل بنفسه لو أمكنه هذا. ومع ذلك، فإن كيفية وفاته -ذلك الإعدام بدم بارد على يد نظام ستاركي الدكتاتوري- يعتبر خطأها أكبر بكثير من صوابها. لقد فاحت منها رائحة القسوة بدلًا من العدالة. يعلم هايدن أنه ليس الوحيد الذي يمتلك مثل هذه المخاوف، لكنه لا يستطيع التعبير عنها بصوت مرتفع، ليس عندما يعتقد الناجون من مخيم «كولد سبرينجز» فعلًا أنه قد باعهم إلى هيئة الأحداث.

بفضل ستاركي -حاكم المنقولين- سُمِحَ لهايدن باستخدام الكمبيوتر لمساعدة جيفان في العثور على هدفه التالي وخطة مناسبة لتحرير مخيم حصاد، بحيث لا يفقد الكثير من الصبية حياتهم في النهاية.

«غرفة الكمبيوتر» لديهم هي مساحة مرافق بالقرب من مدخل المنجم؛ ما زالت مليئة بالمخلفات الصدئة: مروحة وقنوات ضخمة تجلب الهواء النقي إلى أعماق المنجم من الناحية النظرية. لافتقار المنجم بشدة إلى كل ما يمتُّ بصلة إلى الحضارة الحديثة، فقد جهَّز جيفان طبق استقبال مخبَّأً في الأدغال خارج

مدخل المنجم، للاستفادة من بعض الأقمار الصناعية الضعيفة الآمنة وتزويد المكان باتصال كامل بالإنترنت.

والآن يعمل هايدن لدى ستاركي. إنها أول مرة يشعر فيها حقًّا أنه يتعاون مع العدو.

قال جيفان الذي يجلس خلفه، ويراقبه وهو يخترق وسائل الحماية المختلفة: "لو أن هذا يعني لك أي شيء يا سيدي، فأنا لا أصدق ما يقوله هؤلاء الصبية عنك. لا أعتقد أنكَ يمكن أن تساعد هيئة الأحداث إطلاقًا".

لم يرفعْ هايدن عينيه عن شاشة الكمبيوتر، وقال: "هل يعني هذا أي شيء بالنسبة إليَّ؟ أعتقد أن هذا يعني كل ما يمكن أن يعنيه صدوره عن شخص خان كونر، وتسبب في القبض على المئات من المكتملين".

ازدرد جيفان لعابه بصوت مسموع صدر عن تفاحة آدم، وقال له: "يقول ستاركي إن ذلك كان سيحدث على أي حال. لو لم نخرج، لقُبِضَ علينا نحن أيضًا".

أراد هايدن المجادلة في هذه النقطة، لكنه يعلم أن أصدقاءه قليلون ومتباعدون هنا. لذا لا يمكنه أن يبعد عنه من يتقرَّب إليه. وهكذا، أجبر نفسه على النظر إلى جيفان والبحث فيه عن شيء أقرب إلى الإخلاص، وقال: "أنا آسف يا جيفز. لقد حدث ما حدث، وأنا أعلم أنه ليس خطأك".

بدا واضحًا أن جيفان شعر بالارتياح بعد التصالح مع هايدن. حتى الآن، يراه في منزلة ضابطه الأعلى. على هايدن أن يحرص على عدم فِقدان هذا الاحترام.

قال جيفان: "يقولون إنه حي. أعني كونر. حتى إنهم ظنوا بعضَ الوقت أنه معنا".

- نعم، حسنًا، أعتقد أن هذه هي الحياة الخامسة من حيواته التسع، لذلك بقي له القليل من الأرواح.

وهذا ترك جيفان في حيرة من أمره، فضحك هايدن، قائلًا: "لا تفكر كثيرًا في الأمر يا جيفز. لا يستحق كل هذا العناء".

فجأة، بدا كأنَّ مصباحًا كهربائيًّا قد أضاء عمليًّا فوق رأس جيفان، وصاح: "أوه! تعني أنه كالقط[1]. فهمتُ!".

يوجد حاليًّا حارسان مخصصان لهايدن، إضافة إلى جيفان. أحد الحارسين مهمته التأكد من عدم تعرضه إلى هجوم من قبل غاضبين -من نزلاء مخيم «كولد سبرينجز»- يسعون إلى الانتقام. أما الحارس الثاني، فمهمته التأكد من أنه لن يهرب، لأن غرفة الكمبيوتر قريبة جدًّا من مدخل المنجم، فيما تتمثل مهمة جيفان في التجسس على أنشطة هايدن من خلال الإنترنت، للتأكد من أنه لا يفعل أي شيء مريب. الثقة ليست جزءًا من عالم ستاركي.

قال جيفان: "إنك تواصل العودة إلى مخيم الحصاد هذا".

- لأنه صاحب الاحتمالية الأكبر حتى الآن.

درس جيفان صورة القمر الصناعي، وقال مشيرًا إلى الشاشة: "لكنِ انظر إلى كل تلك أبراج الحراسة عند البوابة الخارجية".

- بالضبط. أمنهم كله يتركز على الخارج.

- مم.

من الواضح أن جيفان لم يفهم الأمر بعد، لكنْ لا بأس، سيفهم لاحقًا.

- بالمناسبة، لقد مات تاد.

لم يخطط هايدن لقول ذلك. لم يخطرْ حتى على ذهنه. ربما طفتْ تلك الذكرى إلى السطح بسبب حرارة غرفة الكمبيوتر المرتفعة التي ذكَّرته بذلك اليوم الفظيع الأخير في طائرة الاتصالات بالمقبرة، «الكوم بوم». ذلك اليوم الذي كاد يموت فيه هايدن وفريقه من التقنيين، لولا أنه أطلق النار على زجاج الطائرة الأمامي. ما زالت تمر به لحظات مظلمة يعتقد فيها أنه ارتكب خطأً عندما لم يحترم رغباتهم ولم يتركهم يموتون، بدلًا من القبض عليهم.

شعر هايدن بالرضا والانزعاج في الوقت نفسه عندما رأى نظرة الرعب على وجه جيفان، وهو يردد: "تاد مات؟".

- لقد قُلِيَ حتى الموت في «الكوم بوم»، لكنْ لا تقلق.. هذا أيضًا ليس خطأ ستاركي.

(1) في الأمثال الشعبية الغربية، للقط تسعة أرواح، فيما نقول نحن العربَ أن للقط سبعة أرواح فقط! "المترجم".

لم يعرفْ هل فهم جيفان سخريته، أم لا، فهو يفهم الكلام حرفيًّا، تمامًا كشفرة الكمبيوتر. ربما من الأفضل ألا يفهم.

- لم أرَ ترايس هنا. لقد قاد الطائرة، أليس كذلك؟

خفض جيفان عينيه، قائلًا لهايدن: "لقد مات ترايس أيضًا. لم ينجُ من الحادث".

قال هايدن: "نعم. أتخيل أنه لم ينجُ".

وسواء مات ترايس نتيجة الحادث، أم بسبب تدخل بشري سري، فهذا أمر فكر هايدن أنه لن يعرفه أبدًا. من المؤكد أن الحقيقة ماتت مع ترايس. سمع هايدن خطى تصعد المنحدر الحاد من عمق المنجم. الطريقة التي تنحَّى بها الحارس جانبًا بكل طاعة، أنبأت هايدن بهُويَّة الزائر، حتى قبل ظهوره.

- حالما تَذكُر الشيطان، يحضر! لقد تحدثنا عنك للتو يا ستاركي. تذكرنا أنا وجيفان خدعك السحرية. خاصة تلك التي جعلت فيها طائرة تِجارية تختفي.

قال ستاركي رافضًا الانفعال: "لم تختفِ. إنها في قاع بحر «سالتون»".

قال جيفان لستاركي: "لم يدعُك شيطانًا بحق".

حرفي كشفرة الكمبيوتر.

وأوضح ستاركي: "لدينا عدو مشترك. الشياطين موجودون جميعًا بالخارج، وقد حان الوقت ليحصلوا على ما يستحقون".

أزاح ستاركي جيفان من مقعده بإشارة بسيطة من رأسه، وجلس في مكانه، فاحصًا الصورة التي تظهر على الشاشة، وسأل: "أهذا مخيم حصاد؟".

- مخيم حصاد «مون كريتر» على وجه الدقة، ويوجد في محمية فوهات القمر في «أيداهو».

سأل ستاركي: "ماذا عنه؟".

اندفع جيفان، كأنه يعرف فعلًا سبب أهمية ذلك، وقال: "كل حرسه يركزون على الخارج!".

قال هايدن: "نعم. ولا يملكون أعينًا في مؤخرات رؤوسهم".

عقد ستاركي ذراعيه أمام صدره، موضحًا نفاد صبره ووقته، وسأل: "وما أهمية ذلك؟".

سحب هايدن نافذة أخرى لأعلى، تُعرَض فيها المخططات، وثالثة تعرض مسحًا جيولوجيًّا قياسيًّا، وقال موضحًا: "أهميته كالتالي: متنزَّه فوهات القمر الوطني حقل من الحُمَم البركانية مليء بالكهوف، وجميع مواسير المرافق في المخيم ممدودة في الكهوف. الكهرباء والصرف الصحي والتهوية وكل شيء". كبَّرَ هايدن الصورة التخطيطية للمهجع الرئيسي للمخيم وبدأ يشير إلى العناصر الموضحة بها: "لذلك، إذا خلقنا مصدر تشتيت عند البوابة الرئيسية في منتصف الليل -هجومًا وهميًّا مثلًا- فسوف يلفت ذلك كامل انتباههم. ثم، بينما تركز قوات الأمن اهتمامها كله على البوابة، ندخل نحن من خلال فتحة المرافق هذه في قبو المهجع، ونُدخِل كل هؤلاء الأطفال إلى الكهوف، ثم نغادر الكهوف هنا، على بعد ميل تقريبًا".

أثار كل هذا انبهار ستاركي حقًّا، وقال: "وبحلول الوقت الذي يدركون فيه أن مفككيهم قد اختفوا، سنصبح نحن أحرارًا وفي أمان".

- هذه هي الفكرة العامة. ولن يصاب أحد بأذى في هذه العملية.

صفع ستاركي هايدن على ظهره بقوة آلمته، وقال: "خطة عبقرية يا هايدن! عبقرية!".

- اعتقدتُ أن نهج "الاختفاء" قد يروق لك.

لمس الشاشة، مغيرًا زاوية المخطط لإظهار مستويات المهجع: "الفتيان في الطابق الأرضي، والفتيات في الطابق الثاني، وموظفو مخيم الحصاد في الطابق الثالث. لا يوجد سوى سُلَّمين، لذلك إذا سيطرنا عليهما وهدأنا أي موظف يحاول النزول، فيمكننا نظريًّا الدخول والخروج قبل أن يكتشف أحد ما يحدث".

- متى يمكننا التنفيذ؟

بدا نوع من الجشع في عيني ستاركي، جعل هايدن يغلق النوافذ المفتوحة على شاشة الكمبيوتر، كي لا تولد المزيد من المكايد: "حسنًا، بعد «كولد سبرينجز»، ظننتُ أنك تريد الكمونَ مدةً من الوقت".

قال ستاركي: "مستحيل. يجب أن نضرب الحديد وهو ساخن. فلنوجِّه ضربات متتالية. ضع أنت خطة الإنقاذ. سأعتني أنا بتشتيت الانتباه. أريد تنفيذ هذا في أقل من أسبوع".

ارتجف هايدن عندما فكر في أن شيئًا نظريًا كهذا سيصبح حقيقيًا بسرعة كبيرة للغاية، وقال: "أنا لا أعتقد حقًا...".

- ثق بي. لو أردتَ تنظيف سمعتكَ هنا، فهذه هي الطريقة يا صديقي.

ثم وقف، وقد أصبح قراره نهائيًا: "نفذ الخطة يا هايدن. أعتمد عليك".

وانصرف ستاركي، قبل أن يتمكن هايدن من إبداء المزيد من التحفظات. وحال رحيله، اتخذ جيفان مقعده بجوار هايدن مرة أخرى، مشيرًا: "لقد دعاك صديقه. هذا جيد حقًا!".

قال هايدن: "نعم، هذا يثير حماسي بلا نهاية".

أخذ جيفان ذلك على محمل الجد، كما علِم هايدن أنه سيفعل.

لقد قال ستاركي إن لديهم عدوًا مشتركًا، فسأل هايدن نفسه: "هل عدو عدوي صديقي إذن؟". بطريقة ما، لم يبدُ القول المأثور القديم صحيحًا عندما وضع في اعتباره أن هذا الصديق هو مايسون ستاركي.

***

هاجمت كتيبة المنقولين مخيم حصاد «موون كريتر» بعد ستة أيام. رسم هايدن وفريق -يتكون بالكامل من صبية يعرفونه من المقبرة- خريطة الكهوف قبل الهجوم بيومين. بالنسبة إلى الحدث الفعلي، قاد ستاركي الطريق مع فريق العمليات الخاصة، لكنه اعترف أن وجود هايدن وفريقه هناك فكرة جيدة أيضًا. تركوا أثرًا من المشاعل في أنفاق الحُمَم البركانية المتعرجة، ووصلوا إلى خطوط السباكة والمواسير في المخيم في الساعة 1:30 صباحًا، وتبعوها إلى فتحة القبو، المغلقة من الجانب الآخر، وانتظروا.

ثم -في الثانية صباحًا- اصطدمتْ شاحنة محترقة مملوءة بالذخيرة بالبوابة الخارجية لمخيم الحصاد، وبدأ إطلاق النار من الأراضي البركانية القاحلة خلفها. بام هي المسؤولة عن تشتيت الانتباه، ولم يحسدها هايدن على هذا الوضع، فمهمتها صعبة، وعليها مع فريقها من المنقولين أن يجعلوا هذا يبدو كأنه هجوم حقيقي على المخيم، ويواصلوا عملهم لمدة عشرين دقيقة على الأقل.

وفي لحظة بدء إطلاق النار في الخارج، بدأتِ العملية في الداخل. أمر ستاركي تابعه المُهوَّس بالهدم:

"انسف الفتحة! الآن!".

قال هايدن: "لا، ليس بعد". عَلِمَ هايدن أن المبنى بالكامل سيدخل في وضع الإغلاق، وهو إجراء أمني سيصب في مصلحتهم. مصاريع الصلب ستهبط على النوافذ، وتُغلَق أبواب الطوارئ. لن يتمكن أي شخص من الدخول أو الخروج من المهجع حتى يُعاد ضبط نظام الأمان.

عدَّ هايدن إلى عشرة، وقال: "الآن، هيا!".

انفجر مدخل الفتحة، ليندفع خلالها مسلحون بمسدسات تهدئة فقط، متكدسين، ومتجهين لمواجهة أيًّا كان ما ينتظرهم.

استيقظ المفككون في المهجع فعلًا بسبب الانفجارات وإطلاق النار في الخارج، واستعدُّوا للموت أو الخلاص. إنها الليلة الأخيرة.

طاردتْ قوة الإنقاذ حارسًا ومستشارًا في أثناء صعودهما السُّلَّم إلى الطابق الرئيسي، وهو مساحة مشتركة ضخمة تصطفُّ على جانبيها صفوف تلو الأخرى من الأسرَّة. المساحة مظلمة تمامًا، لا تنيرها سوى أضواء الطوارئ التي سطعت على الأسرَّة بزوايا مائلة، وهذا ما جعل عوارضها الأمامية الخشبية تبدو كشواهد القبور. كتمت المصاريع الفولاذية أصوات المعركة في الخارج، ولم يستطعْ أحد رؤية ما في الخارج، لكنَّ هذا يعني أيضًا أن من بالخارج لا يمكنهم رؤية ما في الداخل. ومع انصباب اهتمام المخيم على الهجوم الوهمي على البوابة الخارجية، أصبح فريق الإنقاذ غير مرئي فعليًّا.

لم يُضِع ستاركي أي وقت، فقال معلنًا: "لقد تحررتم للتو. فليتجه الجميع إلى القبو. لا تأخذوا أي شيء سوى الملابس التي ترتدونها وأحذيتكم. هيا! تحركوا!".

أنذرتْ أصوات إطلاق مسدسات التهدئة بإسقاط العديد من الموظفين الآخرين على يد فريق العمليات الخاصة التابع لستاركي، والذي يجيد جميع أعضائه التصويب بشكل مزعج.

ثم صعد ستاركي إلى الطابق العلوي ليعلن تحرير الفتيات، تاركًا هايدن وفريقه لتحريك الحشود إلى أسفل ثم إلى الخارج.

في غضون عشر دقائق، نُقِلَ ما يقرب من ثلاثمئة طفل إلى الكهوف وأصبحوا في طريقهم إلى الحرية. اضطُرُّوا فقط إلى ترك الأعشار خلفهم، لأنهم في مبنى مختلف، ثم إنهم يرفضون إنقاذهم بطبيعتهم.

قاد هايدن وفريقه المفككين المحررين خلال كهف الحُمَم البركانية إلى نقطة الخروج، حيث انتظرتهم على طريق منعزل ونقلتهم جميعًا أربع شاحنات توصيل داكنة "مستعارة" ومعدة لاحتفالات المساء.

ظل إطلاق النار الناتج عن الهجوم المزيف مستمرًّا بعد خروجهم من الكهوف، لكنه أصبح بعيدًا، كصوت جبهة معركة بعيدة. وبينما امتلأت الشاحنات بالصبية بسرعة، جرؤ هايدن على التفكير في أن ربما، ربما فقط، يمكنه تحويل حرب العصابات التي يخوضها ستاركي إلى شيء ذي معنى، بل حتى مثير للإعجاب. وربما لا يصبح الطريق أمامهم قاتمًا على أي حال.

لم يدرِ أن ستاركي -الذي ما زال لا يراه أحد في أي مكان- قد مهَّد لهم للتو طريقًا جديدًا إلى الجحيم.

***

46 - ستاركي

في نظر ستاركي، لم يتعلق السحر قطُّ بأداء الحيل. لا بدَّ من وجود أسلوب. لا بدَّ من الاستعراض، ويجب وجود جمهور. من المسلَّم به أن إخفاء ثلاثمئة طفل يعد خَدْعَة فائقة البراعة، لكنَّ تحرير مخيم الحصاد يعني ما هو أكثر من مجرد تحرير مفككيه. رأى ستاركي صورة أكبر وأروع.

حال تحرُّك الفتيات في الطابق الثاني نحو القبو، وانشغال هايدن بإخراج الجميع خلال الكهوف، استغرق ستاركي لحظة لدراسة السقف المرتفع للمهجع الكبير، مع ملاحظة مراوح السقف. مطفأة كلها، لكنَّ هذا جيد. في الواقع، هذا أفضل.

قال لأفراد فريقه: "أريدكم أن تصعدوا إلى الطابق العلوي وتُحضِروا لي ستة موظفين. هدِّئوا كلَّ مَن يسبب لكم المتاعب، لكنْ تأكدوا من إحضار أشخاص واعين لي".

سأل أحدهم: "لماذا؟".

- ما الهدف مما نفعله؟ إننا نرسل رسالة.

عادوا بثلاثة رجال وثلاث نساء. لم يعرف ستاركي شيئًا عن وظائفهم في المخيم. يوجد إداريون، وجراحون، وطهاة، لا يهم. بالنسبة إلى ستاركي، كلهم متشابهون. كلهم مُفكِّكُون. أمرهم بتقييدهم وتكميم أفواههم بشريط لاصق، ثم نظر إلى مراوح السقف مرة أخرى؛ ست مراوح معلقة على ارتفاع عشر أقدام من الأرض. وأحضر ستاركي الكثير من الأحبال.

لا أحد في فريق العمليات الخاصة يعرف الكثير عن ربط العُقَد. نصبوا مشانق فظَّة وغير أنيقة، لكنَّ الجماليات غير مهمة، ما دامتْ قوية. مع استمرار معركة تشتيت الانتباه في الخارج مثل معارك شواطئ نورماندي،

أوقف ستاركي وفريقه الأسرى الستة على الكراسي ووضعوا الأنشوطات في أعناقهم، مع ربط الطرف الآخر من الأحبال في شفرات مراوح السقف، وجذبوا الأحبال بقوة كافية حتى يشعر الأسرى بذلك، لكنْ ليس بما يكفي لإيذائهم. حال الانتهاء من العمل، تقدَّم ستاركي إلى الأمام لمخاطبة أسراه.

- اسمي مايسون مايكل ستاركي، قائد جيش المنقولين. إنكم مدانون بارتكاب جرائم ضد الإنسانية. لقد فكَّكتم آلاف الصبية الأبرياء -الكثير منهم منقولون- ويجب أن تحاسَبوا.

صمت مؤقتًا ليتركهم يفكرون قليلًا في قوله. ثم اقترب من أول أسراه، وهي امرأة لم تستطع التوقف عن البكاء، وقال: "أرى أنكِ خائفة".

أومأت المرأة -العاجزة عن التحدث بسبب الشريط اللاصق- برأسها وتوسلت بعينيها الدامعتين.

قال لها: "لا تقلقي. لن أؤذيكِ، لكنني أريدكِ أن تتذكري كل ما قلته. عندما يأتون ليطلقوا سراحكِ، أريدكِ أن تخبريهم. يمكنكِ أن تفعلي ذلك من أجلي؟".

أومأت المرأة إيجابًا.

- أخبريهم أن هذه هي البداية فحسب. إننا قادمون إلى كل مَن يدعم التفكيك ويسيء معاملة المنقولين. لا يوجد مكان يمكن أن تختبئوا فيه منَّا. تأكدي من إخبارهم. تأكدي أن يعرفوا.

أومأت المرأة برأسها مرة أخرى، وربَّت ستاركي ذراعها بيده السليمة، وهذا ما منحها قدرًا من الارتياح، وتركها هناك على كرسيها، دون أن تصاب بأذى.

ثم ذهب إلى الخمسة الآخرين، وركل الكراسي من أسفلهم واحدًا تلو الآخر.

***

الجزء الخامس

جريمة قتل المنقولين

تشارلي فوكوا، المرشح التشريعي في أركنساس، يؤيد عقوبة الإعدام للأطفال المتمردين...

«هافينجتون بوست» - بقلم جون سيلوك

تاريخ النشر: 2012/10/8 الساعة 1:29 مساءً

تاريخ التحديث: 2012/10/15 الساعة 8:08 صباحًا

وَفْقَ صحيفة «أركنساس تايمز»، في كتاب فوكوا الصادر عام 2012، كتب المرشح أن بينما يحب الآباء أطفالهم، يمكن إعداد عملية ما للسماح بتشريع معاقبة "الأطفال المتمردين" بالإعدام. وأشار فوكوا إلى أن تنفيذ الحكم على طفل بالموت يتطلب موافقة قضائية. وكتب فوكوا أن من غير المرجَّح أن يسعى العديد من الآباء إلى قتل أطفالهم على يد الحكومة، لكنْ مثل هذه السلطة ستُعَدُّ بمنزلة وسيلة لوقف الأطفال المتمردين.

ووَفْقَ صحيفة «أركنساس تايمز»، كتب فوكوا:

"إن الحفاظ على النظام المدني في المجتمع يعتمد على أساس الانضباط الأسري. لذلك، يجب إبعاد الطفل الذي لا يحترم والديه نهائيًا عن المجتمع، بطريقة يتعظ بها جميع الأطفال الآخرين وتنبههم إلى أهمية احترام الوالدين. إن عقوبة إعدام الأطفال المتمردين ليستْ شيئًا يمكن الاستخفاف به. المبادئ التوجيهية لتطبيق عقوبة الإعدام على الأطفال المتمردين لا تمنح الآباء سلطة شاملة لقتل أطفالهم. وعليهم اتباع الإجراء المناسب. ورغم أن هذا الإجراء سيُستخدم نادرًا -ووَفْقَ القانون- فإنه سيمنح الوالدين السلطة وسيُعدُّ حافزًا هائلًا للأطفال لكي يمنحوا الاحترام اللائق لوالديهم.

المقال كاملًا:

charlie-fuqua-/08/10/http://www.huffingtonpost.com/2012 arkansas-candidate-death-penalty-rebellious-children_n_1948490. html

"أعتقد أن رؤيتي مقبولة إلى حد ما من قبل معظم الناس".

تشارلي فوكوا

الزوجان راينشيلد

طُلِبَ من جينسون وسونيا راينشيلد الاستقالة من منصبيهما في الجامعة. وأشار المستشار القانوني إلى "الاستخدام غير المصرح به للمواد البيولوجية" باعتباره السبب. منحوهما الخيار، إما تقديم الاستقالة وإما القبض عليهما مع تلطيخ اسميهما –وعملهما– بالوحل.

لم تُجِبْ شركة «بيودايناميكس للمستلزمات الطبية» مكالماتِ جينسون منذ أسابيع. عندما طلب معرفة السبب، ادَّعى موظف الاستقبال -الذي ارتبك بعض الشيء من حدته- عدم وجود سجلات لمكالماته السابقة لديهم، وذكر أن في الواقع، اسمه ليس مدونًا في نظامهم على الإطلاق.

لكنَّ الأسوأ لم يأتِ بعد.

ذهب جينسون -غير حليق ولم يستحمَّ لمدة أسبوع تقريبًا- ليفتح باب المنزل، استجابةً لدقِّ الجرس. وجد هناك صبيًّا في الثامنة عشرة أو نحو ذلك. استغرق الأمر لحظة حتى تعرفه جينسون كونه أحدَ أصدقاء أوستن -مساعد أبحاث جينسون، الذي أعيد تأهيله وإبعاده عن الشوارع- الذي أقام معهما طوال العام الماضي، استجابة لفكرة سونيا. لقد حوَّلا قبو منزلهما إلى شقة له. إن له حياته الخاصة بالتأكيد، لذا فإن الزوجين راينشيلد لا يتابعان مجيئه وذَهابه، ومن المعروف أنه يغيب عدة أيام في الأوقات التي لا يوجد فيها عمل يؤديه. في الوضع الحالي، لم يدعُ غيابه إلى القلق، خاصة أن جينسون لم يعدْ له مكتب أو مختبر أبحاث.

قال الصبي: "لا أعرف كيف أخبركَ بهذا، لذا سأقوله فقط. لقد أخذوا أوستن لتفكيكه الليلة الماضية".

تلعثم جينسون لحظةً في حالة إنكار وقائي، ثم قال: "مستحيل! لا بدَّ من وجود خطأ ما، فقد تجاوز سن التفكيك الآن! في الواقع، لقد احتفل بعيد ميلاده نهاية الأسبوع الماضي".

قال الصبي: "عيد ميلاده الفعلي غدًا".

- لكنْ... لكنْ... إنه ليس جانحًا! لديه منزل! وعمل!

هزَّ الصبي رأسه، قائلًا: "هذا لا يهم. لقد وقَّع والده أمر التفكيك".

وفي الصمت المذهل الذي أعقب ذلك، نزلتْ سونيا على الدرج الداخلي، متسائلة: "ما الأمر يا جينسون؟".

لكنه وجد نفسه عاجزًا عن إخبارها. لا يمكنه حتى تَكْرار الكلمات بصوت عالٍ. أتتْ لتقف إلى جانبه، وواصلَ الصبي الواقف عند الباب حديثه، وهو يعصر قبعة صوفية في يديه: "والده يعاني مشكلة مخدرات، وهذا سبب خروج أوستن إلى الشوارع في البداية. ووَفْقَ ما سمعتُه؛ عرض عليه أحدهم مبلغًا كبيرًا من المال ليوقِّع تلك الأوراق".

لهثتْ سونيا وغطتْ فمها في ارتياع عندما أدركتْ ما حدث، واحتقن وجه جينسون غضبًا، وهو يقول: "سنوقف ذلك! سندفع كل ما يجب دفعه، ونُرشي من نحتاج إلى رشوته...".

قاطعه الصبي وهو ينظر إلى سجادة الترحيب أمام باب المنزل: "فات الأوان! لقد فُكِّكَ أوستن هذا الصباح".

لم يستطعْ أيهما التحدث. وقف الثلاثة في لوحة تُجسِّد الحزن العاجز، حتى قال الصبي: "أنا آسف"، وانطلق مبتعدًا. أغلق جينسون الباب ثم عانق زوجته. لم يتحدثا عن الأمر. لم يستطيعا ذلك. شكَّ جينسون أنهما لن يثيرا هذا الموضوع في أحاديثهما مرة أخرى، وعلم أن القصد من ذلك هو تحذيرهما، لكنَّ التحذير لدفعهما إلى فعل ماذا؟ ابقيا هادئين؟ ادعما التفكيك؟ اختفيا عن وجه الأرض؟ وإذا حاول التلويح بسيفه في وجه منظمة المواطنة الاستباقية، فما الفائدة من ذلك؟ إن رجالها لم يخرقوا القانون في الواقع. لم يفعلوا ذلك قطُّ! بل إنهم يصوغون القانون ليشمل كل ما يرغبون في تحقيقه.

ترك سونيا، واتجه إلى السلم المؤدي إلى الطابق العلوي، رافضًا النظر إليها، وقال: "سأخلد إلى الفراش".

- إنها الظهيرة فحسب يا جينسون!

- لماذا يجب أن يُحدِث ذلك فرقًا؟

في غرفة النوم، أغلق الستائر، وبينما يدفن نفسه تحت الأغطية في الظلام، تذكر عندما اقتحم أوستن منزلهما وضربه على رأسه. في هذه اللحظة، تمنى جينسون لو أن الضربة قد قتلتْه، لأن في تلك الحالة، ربما ظلَّ أوستن كاملًا.

***

47 - كونر

ستاركي. كان يجب أن يدرك أنه ستاركي. لم تتطابق أعداد القتلى التي أُبلغَ عنها نتيجة تحطم الطائرة في بحر «سالتون» والأعداد التي عُرِفَ أنها هربت. غباؤه الشديد جعله يعتقد أن ستاركي إما بين الموتى، وإما ظل مختبئًا، راضيًا بتنصيبه أميرًا على مجتمع المنقولين الصغير. بينما يستعد كونر لمغادرة شقة أونا ومواصلة الرحلة إلى أوهايو، لم يسعْه إلا الانجذاب إلى التقارير الإخبارية الواردة في كل المحطات الإذاعية عن الهجوم على مخيم حصاد «موون كريتر».

سأله ليف: "أتعني أنك تعرف هذا الرجل؟".

أوضح كونر: "إنه الذي سرق طائرة الهروب. لقد رأيتَها تُقلِع من المقبرة، أليس كذلك؟ اصطحب المنقولين جميعًا عليها، وترك بقيتنا لمواجهة شرطة الأحداث".

- رجل لطيف.

- نعم. حماقتي جعلتني لا أرى عامله النفسي قبل فوات الأوان.

إن عمليات الإعدام الخارجة عن القانون المتعمَّدة في «موون كريتر» هي أول خط يرسمه ستاركي على الرمال، وسرعان ما سيتعمق، متحولًا إلى خندق. لقد شنق خمسة موظفين وأبقى السادسة حية لتروي القصة. أدى التركيز الإعلامي إلى تضخيم صورة مايسون ستاركي، لتصبح أكبر بكثير من قامته البالغة خمس أقدام وست بوصات. وأدرك كونر -بقدر ما يكره الاعتراف بذلك- أنهما يتشابهان الآن. كلاهما شخصية مُقدَّسة مختبئة، يكرهها البعض، ويعشقها آخرون. مذموم ومحتفًى به. لن يتفاجأ إذا بدأ أحدهم في صنع

قمصان تحمل صورتهما جنبًا إلى جنب، كأنَّ وضعهما المتمرد يجعلهما بأي حال رفيقيْ السلاح.

زعم ستاركي أنه يتحدث نيابة عن المنقولين، لكنَّ الناس لا يُفَرِّقون عندما يتعلق الأمر بالهاربين من التفكيك. في نظر عامة الناس، هو الصوت المجنون لجميع المفككين، وهذه مشكلة كبيرة. في الوقت الذي يمتلئ فيه خندق ستاركي بالدماء، سينمو الخوف من الهاربين من التفكيك، وهذا ما يُدمِّر كل ما حارب كونر من أجله.

لقد اعتاد أن يغرس في المكتملين بالمقبرة أهمية الحفاظ على سرعة بديهتهم واستخدام عقولهم. اعتاد أن يقول لهم: "إنهم يعتقدون أننا عنيفون بشكل ميؤوس منه، ومن الأفضل تفكيكنا. علينا أن نثبت للجميع في العالم أنهم مخطئون".

كل ما تطلَّبه الأمر لتدمير جميع ما عمل كونر من أجله هو ركل ستاركي خمسةَ كراسي.

أغلق كونر التلفاز، وقد آلمته عيناه من كل هذه التغطية الإعلامية. قال لليف: "لن يتوقف ستاركي عند هذا الحد. سيزداد الأمر سوءًا".

أشار ليف: "هذا يعني وجود ثلاثة أطراف في هذه الحرب الآن".

أدرك كونر أنه على حق، وقال: "لو أن الطرف الأول تدفعه الكراهية والثاني الخوف، فماذا يدفعنا؟".

اقترح ليف: "الأمل؟".

هز كونر رأسه في إحباط، وقال: "سنحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك بكثير. ولهذا علينا أن نذهب إلى آكرون ونكشف ما تعرفه سونيا".

ثم سمع صوتًا من خلفه يسأل: "سونيا من؟".

إنه كام الذي خرج من الحمام. لقد حبستْه أونا في القبو كإجراء وقائي، لكنْ لا بدَّ أنها أرسلتْه في إحدى زياراته المعتادة إلى الحمام. شعر كونر بالغضب يتصاعد داخله، ليس من كام، بل من نفسه لأنه كشف عن معلومتيْن مهمتيْن. وجهتهم واسم سونيا.

صاح كونر في حدة: "هذا ليس من شأنكَ اللعين!".

رفع كام حاجبيه، فتقلصت مواضع التحام الأنسجة متعددة الأعراق في جبهته، وقال: "وتر حساس. لا بدَّ أن سونيا هذه مهمة بالنسبة إليك لكي تتصرف بهذه الطريقة".

كانت خطتهم هي ترك كام في قبو أونا إلى أن يبتعد ليف وكونر للغاية، بحيث لا يتمكن من تتبع مسارهما. بهذه الطريقة، رغم معرفته أين كانا، فإنه لن يعرف إلى أين سيذهبان، ولا يمكنه نقل المعلومات إلى صانعيه، لأنه لا يوجد دليل على ادعاءاته بالانقلاب عليهم.

ومع ذلك، عرف كام الآن اسم المرأة التي يبحثان عنها، إضافة إلى المدينة التي يتجهان إليها. إذا عاد إلى المواطنة الاستباقية، فلن يمر وقت طويل حتى يدرك العاملون بها أن سونيا هذه هي زوجة مؤسسهم الذي تنصَّلوا منه، والمفقودة منذ زمن طويل.

أدرك كونر أن كل شيء قد تغير الآن، وأن حياتهم ازدادت تعقيدًا بلا حدود.

***

48 - ليف

تغيرتْ أشياء أكثر مما يدرك كونر، لكنَّ ليف لم ينوِ بعد أن يفاجئه بإعلانه الكبير حتى الآن. اكتفى بمشاهدته وهو يمسك بذراع كام بقوة شديدة، لكنَّ ليف أدرك أنه استخدم يد رولاند ليفعلها، لذا أصبح الأمر مفهومًا. جذبه نحو الدَّرَج بسبب شعوره بالقلق، وسأله: "ماذا تنوي أن تفعل؟".

منحه كونر ابتسامة ساخرة تمتزج بالمرارة، وقال: "سأجري معه مناقشة هادفة"، ثم جذب كام ليهبطا الدرج، تاركًا ليف وحده مع جرايس التي تنصتت على كل شيء في أمان من غرفة أونا. يعلم ليف أن جرايس متغير آخر يجب التعامل معه. طوال كل هذا الوقت، حافظتْ على مسافة بينها وبين ليف، ولمْ يتبادلا معًا سوى أقل القليل من الحديث.

سألته: "أسيأتي كام معنا إلى أوهايو؟".

- لماذا بحق السماء قد يصطحبه كونر إلى أوهايو؟

هزتْ جرايس كتفيها، قائلة: "أبقِ الأصدقاء بالقرب منكَ، والأعداء أقرب. حسبما أعتقد، توجد ثلاثة خيارات. نتركه أو نأخذه معنا أو نقتله. لأنه يعرف الكثير، فهذا يُخفِّض الأمر إلى الخيارين الأخيرين، ولا يبدو كونر من النوع القاتل، رغم أنه صدمك بالسيارة".

ذَكَّرها ليف: "لقد كان حادثًا".

- نعم، على أي حال، أفضل استراتيجية هي إحضاره معنا. انتظرْ وسترى. سيعود كونر ويخبرك أنكما قد حصلتما على رفيق سفر.

ترددتْ لحظة، ونظرتْ إليه، ثم أشاحت بنظرها بعيدًا: "متى ستخبره أنك لن تذهب؟".

نظر إليها ليف في صدمة ممزوجة بالغضب. لم يخبرْ أحدًا بقراره بعد.. لا أحد! كيف عرفت؟

- لا تنظرْ إليَّ بغرابة. الأمر واضح لأي شخص يمتلك نصف عقل. إنك تواصل الحديث عن ذَهَاب كونر إلى أوهايو ومهمته للعثور على سونيا. لقد أخرجتَ نفسك فعلًا من تلك الصورة الموجودة برأسك. ولهذا يجب أن أذهب معه، حتى يكون كلانا معًا لإبقاء كام تحت السيطرة.

- إنكِ تشعرين بالارتياح لأنني لن آتي، أليس كذلك؟

أشاحت جرايس بنظرها بعيدًا عنه، وأجابته: "لم أقلْ ذلك قطُّ".

ثم أضافت: "هذا لأنني أعلم أنكَ لا تحبني!".

ابتسم ليف، قائلًا: "لا، في الواقع، أنتِ التي لا تحبينني".

- هذا لأنني ما زلتُ أفكر في أنك سوف تنفجر! أعلم أنكَ تقول إن هذا لن يحدث، لكنْ ماذا لو أنه ممكن؟ الناس يخطون فوق الألغام التي ليس من المفترض أن تعمل بعد الآن، فتنفجر بهم، فماذا لو أنك مثل أحد تلك الألغام؟

أجابها ليف علميًّا عندما صفق بيديه. أجفلت جرايس، لكنْ لم يحدث شيء سوى التصفيق الذي لم يكن حتى بصوت مرتفع.

- إنك تسخر مني الآن فحسب.

قال ليف: "في الواقع، الكثيرون ممن صادفتهم يعتقدون أن من صار مصفقًّا ذات مرة، سيصبح مصفقًّا دائمًا. لكني لم أنفجر وأصعد بنا جميعًا إلى عنان السماء عندما صدمتني السيارة، أليس كذلك؟ لو أنني سأنفجر، لفعلتُ عندئذٍ".

هزَّت جرايس رأسها، قائلة: "ما زلتَ غير آمن. ربما لن تنفجر، لكنكَ لست آمنًا بطرق أخرى. يمكنني أن أقول ذلك فحسب". لم يفهم ليف بالضبط ما تعنيه، لكنه شعر أنها على حق. فهو لم يعدْ مصفقًا، لكنه أيضًا لم يعدْ نموذجًا للاستقرار. إنه غير واثق من تصرفاته؛ جيدة أم سيئة. وهذا يخيفه.

قال لها ليف: "يسعدني أنكِ ستذهبين مع كونر، لأنه سيجيد العناية بكِ".

قالت جرايس وقد شعرتْ ببعض الإهانة: "تقصد أنني أنا من ستعتني به. إنه يحتاج إليَّ، لأن لا يمكن الانتصار في وضع كهذا من دون العقل. أعلم

أنهم يطلقون عليَّ اسم "ضعيفة القشرة الدماغية" وما إلى ذلك، لكنْ رغم هذا، يوجد في عقلي هذا الركن الذي يشبه محطة قطارات «جراند سنترال». الأشياء التي لا يستطيع الآخرون العثور عليها، أجدها أنا بسهولة[1]. لطالما كره آرجان ذلك، واعتاد أن يصفني بالغبية، لمجرد أنني أجعله يشعر بالغباء".

قال ليف مبتسمًا: "أخبرني كونر بكل شيء عن كيف أخرجتِه عند مداهمة الشرطة منزلكِ. أنتِ من فكرتِ في إرسال شرطة الأحداث للبحث عنَّا في مكان آخر، وكشفتِ أيضًا أن مُطلِق النار لم يحاول قتلنا".

قالت جرايس في فخر: "صحيح! وأنا أعرف حتى من هو مُطلِق النار، لكنْ كما اعتادتْ أمي أن تقول دائمًا، إخبار الآخرين بكل ما تعرفه سيجعل رأسك فارغًا. على أي حال، فكرتُ في الأمر ولم أرَ أي حاجة إلى الكشف عن هُويَّة مطلق النار".

شعر ليف بدفء شديد تجاه جرايس لأول مرة، وقال: "لقد كشفتُ ذلك بدوري، وأنا أتفق معكِ. لا أحد يحتاج إلى أن يعرف"، ثم فكر: "لكنْ ربما توجد أشياء تحتاج جرايس إلى معرفتها". فكَّر في الوضع الذي تسبب فيه ستاركي وأدرك أن إذا كانت جرايس تلك المفكرة المدبرة التي تبدو عليها، فربما يجب إسناد ذلك التحدي إليها. قال لها: "لديَّ قطار أريدك أن تمرريه خلال محطة «جراند سنترال»".

- أرسلْه إذن.

- السؤال هو: كيف يمكنكِ الفوز في حرب ثلاثية الأطراف؟

قطبتْ جرايس حاجبيها، وهي تفكر في الأمر، وقالت: "هذا صعب. سأفكر في الأمر، ثم أجيبكَ". ثم عقدتْ ذراعيها أمام صدرها: "لا يمكنني طبعًا أن أمنحك إجابة إذا لم تأتِ معنا، أليس كذلك؟".

منحها ليف ابتسامة اعتذارٍ، قائلًا: "لا تعطيني الإجابة، إذن. أعطي كونرَ إياها".

***

(1) تحتوي محطة قطارات «جراند سنترال» في نيويورك على قسم للمفقودات؛ يشتهر بقدرته الفائقة على إعادة الأشياء المفقودة إلى مالكيها، بنسبة نجاح تصل إلى 80%، رغم أن عدد العناصر التي يُعثَر عليها في المحطة وتسلم إلى هذا القسم يصل شهريًّا إلى أكثر من 20 ألف عنصر. "المترجم".

49 - كونر

قبض كونر على ذراع كام بإحكام، ورافقه إلى أسفل الدرج. وجدا أونا في الغرفة الخلفية لمتجرها، تصنع قيثارة جديدة، وتهرب من همومها بالاستغراق في عملها.

- لقد أرسلتِه إلى هناك دون سابق إنذار لأي منا!

رفعتْ أونا عينيها عمَّا تفعله، وقالت باهتمام طفيف، كأنهم قد غادروا فعلًا في ذهنها: "أرسلتُه إلى الحمام. لم يوشكْ أن يفرَّ، أو شيئًا من هذا القبيل!".

لم يكلفْ كونر نفسه عناء شرح سبب غضبه. إنها مضيعة لجهده. وواصل النزول إلى القبو مع كام الذي لم يقاوم، بل قال في لا مبالاة مزعجة: "توجد إذن امرأة اسمها سونيا في آكرون".

رفع كونر يده عنه، وتركه حرًّا، قائلًا: "يمكننا أن نجعل سكان «أراباتشي» يحبسونك كعدو للقبيلة، وسوف تتعفن في سجن قبلي بقيةَ حياتكَ البائسة".

قال كام: "ربما، لكنْ ليس دون محاكمة، وكل ما أقوله لهم سيُدوَّن في السجل العام".

ابتعد كونر عنه، وضم قبضتيه، مزمجرًا في إحباط تام، ثم عاد إلى الخلف، ليجد يد رولاند تصطدم بفك كام. سقط كام أرضًا على مقعد خشبي متهالك، واستعدَّ كونر لضربه مرة أخرى، لكنه لم يلبث أن نظر إلى تلك الذراع، متواصلًا بالعينين مع سمكة القرش. قد يكون هذا مُرضِيًا، لكنه لا يساعد على حل الموقف. إذا سمح لذاكرة رولاند العضلية بالتحكم في تلك الذراع، فسيفقد كونر أكثر من مجرد أعصابه. بمعنى أنه سيفقد جزءًا من روحه.

أمر القرش: "توقف!"، وعلى مضض، استرختْ عضلات قبضة رولاند. كام هو السجين هنا، وليس كونر. عليه أن يُذَكِّر نفسه أنه بصرف النظر عن

مدى شعوره بالتهديد، فما زالت له اليد العليا في الموقف. مدَّ يده إلى أسفل وأوقف المقعد الساقط، ثم تراجع مسيطرًا على غضبه، وقال لكام: "اجلس!".

نهض كام من الأرض المتربة، وتوجَّه إلى المقعد، وهو يفرك فكه، قائلًا: "إن ذراعك المزروعة هذه تملك مجموعة من المواهب الخاصة بها، أليس كذلك؟ ماذا عن هذه؟ أهي عين شخص آخر أيضًا؟ هذا يجعلك على بعد خطوتين من أن تصبح مثلي تمامًا".

أدرك كونر أن كام يحاول حثه على فِقدان السيطرة مرة أخرى، لكنه لن يسمح بحدوث ذلك، لذا أعاد التركيز على الموضوع الأصلي، قائلًا بهدوء نسبي: "ليس لديك سوى اسم ومدينة. إنه أكثر مما أريدك أن تعرفه، لكنْ حتى لو أبلغتَ هذه المعلومات إلى من صنعوك، فلن يُحدِث ذلك فرقًا. سونيا مجرد اسم رمزي، على أي حال".

- اسم رمزي، حقًّا؟

تجاهل كونر الأمر كأنه بلا أهمية، وقال: "طبعًا! أتظنني غبيًّا بما يكفي لأقول اسمًا حقيقيًّا، في الوقت الذي يمكن لأي شخص سماعه؟".

منحه كام ابتسامة عريضة، قائلًا في زهو: "إنك لا تكفُّ عن الكذب. أعتقد أنه يوجد جزء من دماغي في الفص الجبهي الأيمن هو جهاز كشف الكذب، وهو يضيء الآن باللون الأحمر".

قال كونر، دون أن يجد ما يفعله سوى التزام قصته: "صدِّق ما تريد. ستبقيك أونا محبوسًا في هذا القبو المدةَ التي تريدها، وعندما تسمح لك بالرحيل -إذا سمحتْ لك بالرحيل- يمكنك إخبار المواطنة الاستباقية بكل ما تريد؛ ولن يجدونا رغم ذلك".

- لماذا أنتَ مقتنع بشدة بأنني سأعود إليهم؟ لقد أخبرتكَ فعلًا أنني أكرههم مثلكَ تمامًا.

قال كونر: "هل تتوقع مني أن أصدق أنكَ عضضت اليد التي صنعتكَ؟ نعم، ربما تفعل ذلك من أجل ريسا، لكنْ ليس من أجلي. أرى أنكَ ستذهب إليهم، وسوف يقبلون عودتك بأذرع مفتوحة، قائلين: لقد عاد الابن الضال".

هنا، طرح كام سؤالًا سيظل عالقًا في ذهن كونر طويلًا: "هل يمكن أن تعود يومًا إلى من أرادوا تفكيككَ؟".

ألقى السؤال كونر في دُوَّامة، فسأله: "ما.. ما عَلاقة ذلك بأي شيء؟".

أخبره كام: ”التجميع جريمة بشعة مثل التفكيك. لا يمكنني تغيير حقيقة وجودي في هذا العالم، لكنني لا أدين بأي شيء لمن جمعوني. لو أن الأمر بيدي، لمحوتُ من صنعوني من الوجود. أمِلتُ أن تساعدني ريسا على ذلك، لكنْ في غيابها، يبدو أنني سأُضطَرُّ إلى الاعتماد عليك“.

رغم أن كونر لا يثق به، فقد شعر بوجود جرح عميق لا يندمل في كلماته. ألمه حقيقي. رغبته في إسقاط صانعيه حقيقية. قال لكام: ”أثبتْ ذلك إذن. اجعلني أصدق أنك تريد تدميرهم بقدر ما أريد ذلك“.

- لو فعلتُ، أستأخذني معك؟

أدرك كونر فعلًا أن لا خيار أمامهم سوى اصطحابه معهم، لكنه حاول إخفاء ذلك عنه، فقال: ”سننظر في الأمر“.

صمت كام لحظة، وأجرى تواصلًا بصريًّا خاليًا من الشعور مع كونر، ثم قال: ”ب - س - م - هـ - ي - أ - ر - ي - هـ - ن - ل - ر - أ“.

- ماذا؟

- إنه اسم مستخدم مكون من ثلاثة عشر حرفًا على سحابة التخزين العامة. أما بالنسبة إلى كلمة المرور، فهي الجناس الناقص لريسا وورد. عليك اكتشاف ذلك بنفسك.

- لماذا يجب أن أهتم بما حفظته على السحابة؟

- ستهتم عندما تعرف طبيعته.

نظر كونر في أرجاء القبو المزدحم، ليجد قلمًا ودفتر ملاحظات بين بقايا الخشب الموجودة على المنضدة. ألقاهما إلى كام، قائلًا: ”اكتب اسم المستخدم. لا يملك الجميع ذكريات فوتوغرافية مغروسة في الرأس، ثم إنني لن أخمن كلمة المرور، لذا ستكتب ذلك أيضًا“.

نظر إليه كام في سخرية، لكنه نفَّذ طلبه. عندما انتهى من الكتابة، أخذ كونر الورقة ووضعها في جيبه، ثم أغلق القبو على كام، عائدًا إلى شقة أونا. وهناك أخبر ليف وجرايس: ”لقد قررتُ أن أصطحب كام معنا“، ولم تبدُ علامات المفاجأة على أي منهما.

***

50 - ليف

أبلغ ليف كونر بعدم ذَهَابه في الصباح، قبل ساعات قليلة فقط من الموعد المقرر لأن يصطحبهم بيفان إلى السيارة التي تنتظرهم خارج البوابة الشمالية. ظن أن كونر سيغضب، لكنَّ هذا لم يحدث. ليس في البداية، فقد بدتْ على وجه كونر نظرة شفقة، وهو ما رآه ليف أسوأ من الغضب.

- إنهم لا يريدونك هنا يا ليف. أيًّا كان ما تتوهمه بشأن البقاء هنا، فلا بدَّ أن تُخرِجه من رأسك. إنهم لا يريدونك.

نصف كلامه فقط صحيح، لكنْ من المؤلم سماعه على أي حال. قال ليف لكونر: "لا يهمُّ. المهم هو ما أريده، وليس ما يريدونه هم".

- إذن، أستختبئ هنا فحسب؟ هل تتظاهر بأنك من المحظوظين، وتعيش حياة بسيطة في المحمية؟

- أعتقد أنني قادر على إحداث فرق هنا.

هنا، بدأ صوت كونر يرتفع، مع تصاعد غضبه إلى السطح: "كيف؟ بالذَّهَاب للصيد مع بيفان وتقليل عدد الأرانب؟".

هذا جيد. الغضب شيء يستطيع ليف التعامل معه. قال: "إنهم بحاجة إلى البدء في الاستماع إلى أصوات خارجية. يمكنني أن أصبح هذا الصوت!".

- استمع لنفسك! بعد كل ما مررتَ به، كيف يمكنكَ أن تظل ساذجًا هكذا؟

هنا حان دور ليف ليغضب: "أنت الذي تعتقد أن التحدث إلى عجوز سيغير العالم. لو تحدثنا عمَّن يخدع نفسه، فهو أنت!".

لم يجد كونر ما يقوله، ربما لأنه عرف أن ليف على حق، ثم قال أخيرًا: "كيف يمكنك الابتعاد، فيما يوشكون أن يطيحوا بقانون «كاب - 17»؟".

- أتعتقد حقًّا أن أي شيء يمكننا فعله سيغير ذلك؟

صاح كونر: "نعم! إنني أعمل على ذلك، وسأواصل العمل، وإلا سأموت وأنا أحاول".

- أنت إذن لا تحتاج إلى مساعدتي. سأصبح مجرد ثقل حديدي يلتفُّ حول عنقك. دعني أفعل شيئًا مفيدًا هنا، بدلًا من الاكتفاء بالوجود معك بلا فائدة.

تصلبتْ ملامح كونر، وقال: "حسنًا. افعلْ ما شئتَ بحق الجحيم؛ لا أهتم"، لكنْ بدا بوضوح أنه يعني العكس. ثم ألقى بطاقة إلى ليف الذي نظر إليها قليلًا في عدم اكتراث، قبل أن يمسكها.

- ما هذه؟

- اقرأها. كان من المفترض أن تصبح هُويَّتك الجديدة حال مغادرتنا المحمية.

وجدها بطاقة هُويَّة مزورة لأحد أبناء «أراباتشي»، وبها صورة سيئة له لا يتذكر التقاطها. الاسم الموجود على بطاقة الهُويَّة هو "ماهبي كينكاجو". رؤيتها جعلتْ ليف يبتسم، قائلًا: "لقد أحببتُها. أعتقد أنني سأحتفظ بهويتي الجديدة. ما الاسم الذي أطلقوه عليك؟".

نظر كونر إلى هويته، وقال: "بييز-نيب هبيت. إلينا تقول إنها تعني «القرش المسروق»". نظر إلى القرش على ذراعه لحظةً، وفرد أصابعه لتسترخي قبضته، ثم قال لليف، وقد تحول غضبه إلى تَقَبُّل للموقف على مضض، وربما احترام اضطراري لاختيار صديقه: "شكرًا لكَ لأنكَ أخرجتني من المقبرة، وشكرًا لإنقاذي من قرصان الأعضاء. لولاكَ، لربما شُحِنتْ أجزائي حول العالم".

هز ليف كتفيه، قائلًا: "لا عليكَ. لم يكن الأمر بهذه الصعوبة"، وهو ما يعرف كلاهما أنه غير صحيح.

***

51 - أونا

ظننتْ أونا أنها ستشعر بالارتياح لأن التزامها تجاه بيفان قد انتهى الآن برحيل ضيوف منزلها غير المدعوين. ومع ذلك، فحقيقة أنها الوحيدة التي تعرف أين ذهبتْ يدا ويل وأين تكمن كل موهبته -وهي معرفة لا يمكنها مشاركتها مع أي شخص- تعدُّ عبئًا يصعُب تحمُّله. قد تعود الأمور إلى سابق عهدها، لكنْ بالنسبة إلى أونا، لن تعود الأمور إلى طبيعتها مرة أخرى.

تمنتْ لو أن والديها هنا، أو إلدر لينا -معلمتها التي تركت لها متجر الآلات الموسيقية- لكنهم جميعًا تقاعدوا في «بويرتو بيناسكو»، وهو منتجع على بحر «كورتيز» يقدم خدماته لمتقاعدي المحظوظين. ربما تستطيع أونا أن تتقاعد في عمر التاسعة عشرة؛ تأخذ ملابسها فحسب وتنتقل إلى هناك، لتقضي أيامها كأرملة عجوز لم تُتَح لها فرصة الزواج قطُّ.

من المتوقع أن تأتي أسرة تاشين عند حلول الظلام، وتأخذ ضيوفها وتتركها في عزلة مضطربة. والآن سيرحل كام أيضًا. اعتقدتْ أن كونر سيطلب منها عزله مدةً أطولَ قليلًا، قبل إعادته إلى العالم، لكنه سيذهب مع الآخرين.

شُغِلَتْ عصر ذلك اليوم بالعمل على قيثارة جديدة من خشب الساتان، إذ أخذتْ تثني الجوانب بيدها وتصقلها، ثم قبل حلول الظلام مباشرة، سمعتِ الموسيقى صادرةً من القبو.

أدركتْ أنه كام بالتأكيد، وحاولتْ قدر استطاعتها، لكنها عجزتْ عن تجاهل الأمر، ففتحتْ الباب ونزلتْ ببطء، لتجد كام جالسًا على مقعد، ويعزف على قيثارة الفلامنكو القديمة التي لا بدَّ أنه وجدها في زاوية منسية وضبطها بنفسه. بدتِ الموسيقى الصادرة من هذه القيثارة القديمة كأنها تمتص الأكسجين من الغرفة. لم تستطعْ أونا التقاطَ أنفاسها. عزف أنغامًا قوية،

محملة بالغضب والندم، وكذلك بالعزم السلمي. لم يعزفْ ويل هذا اللحن على الإطلاق في حياته، لكنه بالتأكيد من تلحين ويل الفريد.

انغمس كام في الموسيقى حتى إنه لم يرفع عينيه، لكنه عرف أن أونا موجودة بالقبو. لا بدَّ أن يعرف. لم ترغبْ في الحديث، لأن الكلمات ستكسر التعويذة التي نسجتها أصابع ويل على الأوتار. تصاعدتْ أنغام كام وعزف على الوتر قبل الأخير، ثم اختتم الأغنية، فتردَّد صدى تلك النغمات الأخيرة في كل المساحات الفارغة بالقبو، من بين ذلك الفراغ الذي تعرف أونا أنه بداخلها. بدا الصمتُ الذي أعقب ذلك بأهمية الموسيقى نفسها التي سبقته، كأنه جزء من المقطوعة. وجدتْ أنها لا تستطيع كسر هذا الصمت.

في النهاية، نظر إليها كام، قائلًا: "لقد ألَّفتُ موسيقى تلك الأغنية من أجلكِ". وجدتْ صعوبة في قراءة تعبيرات وجهه، لأنه -مثلها- مليء بالشعور الكثير الذي تحمله الأغنية.

بطريقة لا يمكن تفسيرها، شعرتْ أونا بالانتهاك. كيف يجرؤ على اختراقها بعمق شديد مستخدمًا موسيقاه؟ نعم، موسيقاه، لأن كام وضع روحه على روح ويل، فأنتج شيئًا جديدًا، بُنِيَ على الأساس الذي وضعه الوحوش الذين صنعوه.

سألها: "هل أحببتِها؟".

كيف يمكنها الإجابة عن هذا السؤال؟ لم تجدْ هذه القطعة الموسيقية مخصصة لها فقط؛ بل إنها هي. بطريقة ما قَطَّر كل ذرة من كِيانها وحوَّلها إلى موسيقى تتناغم وتتنافر. وربما يسألها أيضًا هل تحب نفسها، وهو سؤال أصبح معقدًا مثل خصائص نغمات للأغنية.

وبدلًا من إجابته، قالتْ بصوتٍ متقطع: "عِدني أنك لن تعزف هذه الأغنية مرة أخرى أبدًا".

تفاجأ كام بطلبها، وفكر في الأمر، قائلًا: "أعدكِ أنني لن أعزفها أبدًا لأي شخص غيركِ". ثم وضع القيثارة جانبًا ووقف، مضيفًا: "وداعًا يا أونا. لقد كانت معرفتكِ -تردد في البحث عن الكلمة- "ضرورية"، ربما لكلينا".

وجدتْ أونا نفسها منجذبة إليه، كما حدث عند ظهوره أولَ مرة في متجرها، لكنْ هذه المرة وجدت نفسها عاجزة عن مقاومته. اقتربتْ منه، ونظرتْ إلى يده اليسرى، واحتضنتها بقوة بكفها وداعبتها. ثم نظرتْ إلى

يده اليمنى وأمسكتها أيضًا. لم ترفع عينيها عن هاتين اليدين قطُّ، وشبَّكتْ أصابعها بأصابعه.

سألها: ”لن تضربيني بحجر مرة أخرى، أليس كذلك؟“.

أغمضتْ عينيها، مستمتعةً بملمس هاتين اليدين اللتين ما زالت تعشقهما. وضع يده اليمنى على وجهها وداعب وجنتها، فشعرتْ بتلك الرعشة القديمة مرة أخرى، وهذه المرة تمسكتْ بهذا الإحساس، وهو ما جعلها تكره نفسها.

أخيرًا نظرت إلى عينيه، فأصابتها صدمة غير متوقعة لرؤية عينيْ شخص غريب. وبينما تقبله، أدركتْ أنها تقبل شفتي غريب أيضًا. كيف يمكن أن تتناغم موسيقاه مع روحها، وينفصل باقي شخصيته عنها تمامًا؟ ما كان لها أن تسمح بحدوث هذا قطُّ، لكنها لم تستطعْ ترك يديه اللتين حصل عليهما بشكل غير مشروع. ووجدتْ صعوبة بالقدر نفسه في إنهاء القبلة.

قالت له: ”حالما ترحل من هنا، لا تعدْ أبدًا“. ثم همستْ في أذنه بيأس وحماس: ”إنني أحتقركَ يا كامو كومبري“.

***

52 - كونر

عليهم السفر ليلًا، لأن سيارة ممتلئة بالشباب تصبح دائمًا موضع شك. في الليل، من الأسهل إخفاء هُويَّاتهم، ولن تعترض طريقهم دورية الطريق السريع، ما دام كونر لا يسرع بالسيارة أو يفعل أي شيء يلفت الانتباه. ثم إن السيارة سيدان أرجوانية؛ ليست من النوع الذي لا يلفت الأنظار، وهذا سبب آخر لضرورة القيادة ليلًا.

قالت لهم إلينا في أثناء توديعهم: "فعلنا ما بوسعنا". ودَّعتهم أسرة تاشين في متجر أونا، وتطوعت أونا لتوصيلهم إلى السيارة التي انتظرتهم خارج البوابة الشمالية للمحمية، وهي الطريقة الوحيدة لإبقاء وجود كام سرًّا عنهم.

جاء وداع ليف لكونر هادئًا ومتكلفًا، ولم يُجِدْ أي منهما قول كلمات الوداع.

قال ليف لكونر: "أحسِن التصرف، وابقَ مكتملًا".

منحه كونر ابتسامة ضئيلة، وقال: "غيِّر تصفيفة شعرك".

قال له: "في المرة القادمة التي أراك فيها".

في منتصف الليل عبروا من كولورادو إلى كانساس. جلس كام وجرايس في الخلف؛ لم يثِقْ كونر بكام كثيرًا حتى يسمح له بالركوب في المقعد الأمامي، ولم يثِقْ به أيضًا بما يكفي لتركه يجلس في المقعد الخلفي بمفرده. شعر كونر فجأة بأنه يرى مشهدًا رآه من قبل، عندما مر باللافتة المؤدية إلى مخرج هارتسديل والمكان التقريبي الذي اصطدم فيه بالنعامة. لقد مات الطائر منذ زمن، لكنَّ كونر واصل الإمساك بعجلة القيادة، تحسبًا لمحاولة طائر آخر الانتحار أمام سيارته.

عندما اقتربوا من المدينة، سأل: "أتشعرين بالحنين إلى مدينتك يا جرايس؟".

قالت: "مدينتي تُشعِرني بالغثيان دائمًا. امضِ في طريقك!".

وجد كونر نفسه يحبس أنفاسه في أثناء عبورهم من المخرج، كأنَّ المكان سيمد مخالبه ويسحبهم إلى الداخل. حال مرورهم، بدا الهواء أخف داخل السيارة. عرف كونر أن هذا وهم صوَّره خياله فحسب، لكنه شعر بالامتنان لإحساسه بأن رحلتهم قد عادت إلى المسار الصحيح.

أراد كونر مواصلة القيادة طوال الليل، لكنَّ النعاس سيطر عليه بعد الثالثة صباحًا بقليل، فقال له كام: "يمكنكَ أن تترك لي مهمة القيادة. يوجد القليل من السائقين الممتازين في مجتمعي الداخلي. أنا واثق من قدرتي على حشدهم لأداء هذه المهمة".

- لا، أشكرك.

السماح لكام بالتحكم في أي شيء ما زال بعيدًا عن مستوى ثقة كونر به، وأي شخص يتحدث عن "المجتمع الداخلي" لا ينبغي له حقًّا أن يجلس خلف عجلة قيادة السيارة على أي حال.

انطلقوا في مدينة «راسل» بولاية كانساس، بحثًا عن مكان غير واضح لقضاء الليل. تتطلب معظم الفنادق التفاعل مع الناس، وأي تفاعل سيعني مشكلة، لكنْ مثل معظم المدن الواقعة بين الولايات، يوجد نُزُل صغير في راسل يوزع مفاتيح غرفه من خلال آلة بيع. كل ما يتطلبه الأمر هو بطاقة هُويَّة ونقود. في أثناء وقوفهم أمام كشك البيع، أمسك كام بطاقة هُويَّة كونر، وأخذ ينظر إليها باستمتاع مزعج.

- «بييز-نيب هبيت»! يا له من اسم معقد!

ضحكت جرايس، قائلة: "إنه ركبتي النحل!".

استعاد كونر بطاقة الهُويَّة وأدخلها في فتحة الماكينة، قائلًا: "لو أدى المهمة، فهو أفضل اسم في العالم". قبِلَ كشك البيع بطاقة الهُويَّة دون مشكلة. غذى كونر الماكينة ببعض الأموال التي قدمتها لهم أسرة تاشين، فحصلوا على غرفة ليلةً كاملةً، بلا قلق، أو متاعب. اختبأوا في غرفة بها سريران، سيضطرون إلى مشاركتهما، لكنْ لمَّا كان اثنان منهم فقط سينامان في الوقت نفسه، فإن الترتيب جيد.

سألت جرايس كونر: "أتريدني أن أراقب كام حتى الفجر لكي تتمكن من النوم؟"، ورغم احتجاج كام، مؤكدًا أنه لا يحتاج إلى من يراقبه، فقد جلستْ جرايس على مقعد بجوار الباب، وهكذا حتى لو نامت، سيُضطَر كام إلى المرور من خلالها ليهرب. ولتسلية وقتها في أثناء المراقبة، شاهدت أفلامًا وثائقية عن الحروب القديمة على قناة التاريخ.

قال كونر ببراءة: "ظننتُ أنكِ ستهتمين أكثر بشبكة قنوات الألعاب. أعني لأنكِ تحبين الألعاب بشدة".

حدقتْ إليه جرايس، شاعرة بالإهانة، وقالت: "تلك البرامج تعتمد كلها على حظ غبي وأشخاص أغبى. أحب مشاهدة الحروب. الاستراتيجيات والمآسي تجتمع كلها في مكان واحد، وهذا ما يجعلك تواصل اهتمامك".

استسلم كونر للنوم في دقائق معدودة على خلفية الأصوات الخافتة لقصف المدفعية في القرن العشرين. واستيقظ بعد بضع ساعات على أشعة الشمس المتدفقة من خلال شق في الستائر، والتلفاز الذي يعرض رسومًا متحركة قديمة، تماثل في عنفها الأفلام الوثائقية عن الحرب.

قالت جرايس: "آسفة. لم أتمكنْ من إغلاق الستائر بإحكام أكبر من ذلك".

سمع كونر أصوات الأنشطة الدائرة في الغرف المحيطة بهم. أجهزة تلفاز أخرى مكتومة الصوت، وصنابير مياه تُفتَح وتُغلَق، وأبواب تُغلَق في أثناء مغادرة المسافرين إلى أي مكان يتجهون إليه. وجد كام نائمًا، دون أي اكتراث بالعالم على ما يبدو، فطلب كونر ممتنًّا من جرايس أن تحصل على قدر من الراحة، فاحتلتْ مساحة كونر على السرير الآخر، وغطتْ في النوم في غضون دقائق.

تأمل كونر الغرفة التي لم ينتبهْ إليها كثيرًا عند وصولهم، فوجدها مساحة نوم قياسية ذات فعَّالية لا تُذكَر؛ تنتشر على الطرق السريعة في جميع أنحاء العالم. أثاث مؤسسي باللون البيج وسجادة داكنة مصممة لإخفاء البقع. أسرَّة مريحة لضمان عودة الزائر إلى المكان. توجد كذلك واجهة كمبيوتر مدمجة في المكتب، وهي أيضًا قياسية هذه الأيام. أخرج كونر قصاصة الورق التي تحتوي على اسم المستخدم وكلمة المرور، التي قدمها له كام، وسجل الدخول، ليعرف هل تلك المعلومات تستحق عناء اصطحاب كام معهم.

اتضح أن كام لم يخدعه. حال تسجيل الدخول، حصل على حق الوصول إلى صفحة تلو الأخرى من الملفات التي خبَّأها كام في سحابة التخزين العامة. الملفات تمزَّقت رقميًا، لكنْ أعيد تجميعها بشق الأنفس. إنها الاتصالات الجارية داخل منظمة المواطنة الاستباقية التي من المفترض ألا يراها أحد من خارج المنظمة أبدًا. الكثير منها بدا معدوم الفائدة: رسائل البريد الإلكتروني للشركات التي تكون لطيفة بشكل يخدر العقل. قاوم كونر رغبته في تخطيها. ومع ذلك، كلما قرأ أكثر، بدأتِ العبارات الرئيسية في الظهور. أشياء مثل «التركيبة السكانية المستهدفة» و«الانتشار في الأسواق الرئيسية». والأمر المثير للفضول أيضًا هو العناوين التي تذهب إليها وتأتي منها العديد من رسائل البريد الإلكتروني هذه. بدتْ هذه الرسائل في حقيقتها اتصالات بين المحركين والداعمين للمواطنة الاستباقية وموزعي وسائل الإعلام، فضلًا عن مرافق الإنتاج. توجد رسائل بريد إلكتروني تناقش الإعلانات باهظة الثمن في جميع أشكال الوسائط. بدت غامضة جدًّا -عمدًا- لكنها مجتمعة تبدأ في الإشارة إلى بعض الاتجاهات المخيفة.

شاهد كونر بعض الإعلانات التي بدا أن الرسائل تشير إليها. لو أن ما فهمه -من جمع كل ذلك معًا- صحيح، فإن منظمة المواطنة الاستباقية -تحت أسماء مختلفة غير ربحية- تقف وراء كل الإعلانات السياسية الداعمة لتفكيك المراهقين. وهذا ليس مفاجئًا، لقد شكَّ كونر في ذلك فعلًا. وما أدهشه هو أن منظمة المواطنة الاستباقية تقف أيضًا خلف الإعلانات المناهضة لتفكيك المراهقين، لكنها تؤيد القصف الدماغي للسجناء، والتفكيك الطوعي للبالغين.

تفاجأ بصوت من خلفه، يقول: "هذه المعلومات أضاءت أمام عينيك الكثير من الحقائق، أليس كذلك؟ حتى لو أن إحدى هاتين العينين ليست عينك". التفت كونر، ليرى كام جالسًا في السرير؛ يراقبه في أثناء فحصه المواد التي منحه مدخلًا إليها، وأضاف: "هذه مجرد فتحة لجحر الأرانب. أضمن لك العثور على ما هو أفظع وأكثر إثارة للرعب، كلما تعمقنا أكثر".

أشار كونر إلى نوافذ مختلفة على سطح المكتب تعرض إعلانات سياسية تهاجم هيئة الأحداث، وتصف تفكيك الأطفال بأنه غير أخلاقي، وقال: "أنا لم أفهم ذلك! لماذا تلعب المواطنة الاستباقية على الجانبين؟".

قال كام: ”لضمان تحقيق الاستفادة لو رجحتْ أي من الكفتين“. ثم وجه إليه السؤال الأغرب على الإطلاق: ”أخبرني يا كونر، أهذه تجربتك الأولى مع الحمل؟“.

- ماذا؟

- أجب عن السؤال، بنعم أو لا فحسب.

- نعم. أعني لا! اخرس! أي نوع من الأسئلة الغبية هذا؟

ابتسم كام، قائلًا: ”أرأيتَ؟ ستتنصب اللعنات على رأسك، بصرف النظر عن كيفية إجابتك. من خلال اللعب على كلا الجانبين، تحافظ المواطنة الاستباقية على تركيز الناس على الاختيار بين نوعين مختلفين من التفكيك، وهذا ما يجعل الناس ينسون السؤال الحقيقي...“.

- وهو: أيجب تفكيك أحد على الإطلاق أم لا؟

قال كام: ”أصبت الهدف“.

الآن، أصبح للأمر معنى. تذكر كونر كل الأشياء التي أخبره بها ترايس نيوهاوزر في المقبرة، عن الطبيعة الخبيثة والماكرة لتعاملات المواطنة الاستباقية. تلاعبهم الخفي بسلطة الأحداث. الطريقة التي استخدموا بها الأدميرال لتخزين المفككين لمصلحتهم، في الوقت الذي اعتقد فيه الأدميرال، ومن بعده كونر أنهما يقدمان حقًّا ملاذًا آمنًا لهؤلاء الصبية.

قال كونر: ”لذلك أيًّا كان الجانب الذي يفوز، فإنه يحافظ على الوضع الراهن. يستمر تفكيك الناس، ويزداد ثراء اتحاد التفكيك“.

- اتحاد التفكيك؟

- هذا ما أطلقه أحد الأصدقاء ذات مرة على كل مَن يُكوِّنون ثرواتهم من التفكيك. الشركات المالكة لمخيمات الحصاد، المستشفيات التي تقوم بعمليات الزرع، هيئة الأحداث، وغيرهم“.

نظر إليه كام بحاجب واحد مرفوع، ففقدت مواضع الالتحام على جبهته تناظرها المتوازن، وقال: ”كل الطرق تؤدي إلى روما. إن صناعة التفكيك هي الأربح في أمريكا، بل ربما في العالم كله. ومحرك اقتصادي كهذا يحمي نفسه. علينا أن نصبح أذكى منهم لتدمير هذه الصناعة“.

ثم ابتسم كام، مضيفًا: ”لكنهم ارتكبوا خطأً كبيرًا“.

- ما هو؟
- لقد صنعوا شخصًا أذكى منهم.

***

تأمل كام وكونر المعلومات ساعةً أخرى، لكنها كثيرة للغاية، ومن الصعب تحديد ما هو مهم وما هو غير مهم.

قال كام لكونر: "توجد سجلات مالية. إنها تكشف اختفاء مبالغ ضخمة من المال، كأنما امتصها ثَقْبٌ أسود".

اقترح كونر: "أو دخلت في جحر أرنب".

- بالضبط. إذا استطعنا أن نعرف أين تذهب هذه الأموال، فأعتقد أننا سنحصل على السيف الذي ستقتل به حركة المواطنة الاستباقية نفسها. (ثم صمت وهلة، وأضاف): "أعتقد أنهم يمولون شيئًا فظيعًا للغاية. أكاد أخشى معرفة كُنهه".

ورغم أن كونر رفض الاعتراف بذلك، فقد شاطره الإحساس نفسه.

***

53 - بام

إنها تنفذ الأوامر، وتعتني بالوافدين الجدد. حاولتْ ألا تفكر في خماسي «موون كريتر». هكذا تدعو وسائل الإعلام موظفي مخيم الحصاد الذين شنقهم ستاركي. لقد أصبحوا شهداء الآن، وهذا دليل -وَفْقَ بعض النقاد السياسيين- على ضرورة تفكيك بعض المراهقين الفاسدين.

قُتِلَ اثنان من المنقولين، وجُرِحَ سبعة في المعركة الوهمية التي خاضتها بام عند البوابة الخارجية، فبينما لم تحاول بام وفريقها قتل أي شخص فعليًّا، حرص الحرس الذين بادلوهم إطلاق النار على ذلك. حتى إن خروجهم سالمين من هناك يعتبر معجزة. وفي النهاية، أدى هجومهم غرضه. وبدا محاولة فاشلة لاقتحام المخيم، إلى أن أوقفتْ قوات الأمن حالة الطوارئ وأنهت إغلاق مبنى المهجع، ووجدتْ ما وجدتْه.

أُعدِمَ خمسة أشخاص دون محاكمة في مهجع «موون كريتر». الصور مثيرة للقلق مثل أي شيء شاهدته بام في كتب التاريخ.

إنها مشغولة. يجب أن تُبقِي نفسها مشغولة. بعد العودة إلى المنجم مباشرة، عملوا على فصل المنقولين عن باقي الصبية. هذه المرة، بدلًا من ترك الصبية غير المختارين في العراء ليتدبروا أمرهم بأنفسهم، رتَّبت بام لنقلهم إلى «بويز»؛ أقرب مدينة رئيسية. لن يساعدهم أحد، لكنهم على الأقل سيستطيعون الاختفاء وسط المباني وزحام المدينة. ومن يدري، ربما تجدهم منظمة مقاومة الانقسام وتؤويهم. هذا لو أن مقاومة الانقسام ما زالت موجودة.

خمسة أشخاص.. كبير مستشاري الأولاد، وحارس البوابة، وموظفة مكتب، وممرضة مرأب التفكيك، وصديق الطباخة الذي زار المكان الخطأ في عطلة نهاية الأسبوع الخطأ.

والآن، بفضل المرأة الوحيدة التي أنقذ حياتها، يعرف الجميع اسم مايسون مايكل ستاركي. قالت له بام عندما هدأتْ بما يكفي للتحدث إليه بلا غضب: "تهانينا. أنتَ الآن العدو رقم واحد للشعب". لم تصدق عينيها عندما رأته يبتسم، فسألته في استنكار: "كيف يمكن أن ترى هذا شيئًا جيدًا؟".

قال لها: "إنهم يخشونني. أصبحتُ قوة لا يستهان بها، وهم يعرفون ذلك الآن".

وفي اليومين التاليين لتحرير مخيم «موون كريتر»، شهد الدعم القوي والشرس والشامل الذي يحصل عليه من المنقولين على وضعه الجديد الأكبر من الحياة. ولم يقتصرِ الأمر على جيش المنقولين فحسب. لقد نشأتْ مجتمعات كاملة عبر الإنترنت من العدم، وأعلنتْ: "المنقولون يتحدون!"، و"استمِرَّ يا ستاركي، استمرَّا!"، كأنه رجل العصابات جيسي جيمس لص العربات الخشبية ذات الأربع عجلات. بدا أن كل مَن عرفه حاول القفز على كتفيه لسرقة خمس عشرة دقيقة من الشهرة، ونشْرَ قصصٍ وصورٍ له، حتى يعرف العالم كل جزء من حياته -قبل أن يصبح هاربًا من التفكيك- وكل تفصيلة من ملامح وجهه.

تبيَّن أنه أطلق النار وقتل أحد أفراد فرقة شرطة الأحداث الذين أخذوه من منزله لتفكيكه، وهذا ما أظهره في صورة أكثر خطورة، ومع ذلك، وبشكل لا يصدق، كلما ذمَّه المجتمع الراقي، حصل على المزيد من الدعم من المحرومين.

كل ذلك حقَّق لستاركي ما أراده بالضبط. لقد طغى اسمه على شهرة اسم كونر لاسيتر، لأنه شنق خمسة أشخاص بدم بارد. ومن يدري كم سيقتل المرة القادمة؟

لا! مستحيل أن تسمح بام لنفسها بمثل هذا التفكير. إن مهمتها تسليط الضوء على الجانب الإيجابي. لقد أنقذوا مئات الهاربين من التفكيك. هذا شيء عظيم في الوضع الراهن. ذكَّرتْ نفسها بأنها وافقت على أن تصبح جزءًا من هذا. عندما كانا في مقبرة الطائرات، وضع ستاركي ثقته بها وحدها وليس أي شخص آخر. اختارها لتصبح التالية بعده في القيادة في كل الأمور، لو أنها ليستْ كاتمة أسراره، فهي على الأقل صدى صوته. إنها تدين له بالولاء رغم كل شيء. لقد أخذ على عاتقه مهمة إنقاذ المنقولين، وتمثيل من لا صوت لهم، وقد نجح في ذلك. من هي لتُشكِّك في أساليبه؟

لكنَّ هايدن شكَّك في ستاركي منذ وصوله، حتى لو فعل ذلك أمامها فقط وعندما تبدي استعدادًا للاستماع له فحسب. ومع ذلك، فقد تحدى ستاركي وجهًا لوجه، عندما علم بأمر الشنق، ورفض العودة إلى غرفة الكمبيوتر، لأنه لا يريد التورط نهائيًّا في عملية التحرير التالية. غضِب ستاركي طبعًا، وزأر كالإعصار، لكنَّ هايدن -الذي لم تعتقد بام قطُّ أنه قوي لهذه الدرجة- تصدى له، قائلًا: "لن أعمل لحساب إرهابي. لذا اقطعْ رأسي الآن، أو اغرب عن وجهي بحق الجحيم".

لو حدث ذلك أمام أي شخص آخر سوى بام وجيفان، لربما اضطُرَّ ستاركي في الواقع إلى كسر عنقه على الطراز القديم، ليصبح عبرة للمنقولين. أولئك الذين ما زالوا يعتقدون أن هايدن تعاون مع شرطة الأحداث سيُرحِّبون بذلك. لكنْ عندئذٍ تحول غضب ستاركي فجأة إلى ضحك، وهذا ما أعطاه بطريقة ما قوة أكبر في تلك اللحظة من غضبه. إذا لم تتمكن من الفوز، فاسخرْ من الأمر. لطالما اتبع هايدن هذا الأسلوب، لكنَّ ستاركي سرقه منه الآن.

- لا تحاولْ أبدًا أن تبدو جادًّا يا هايدن، فهذا مضحك للغاية. فلتعدْ إذن إلى العمل في مخزن الأغذية.

قالها كأنَّ هذه هي خطته منذ البداية، وأضاف: "إنها وظيفة وضيعة لعقل متواضع القَدرات".

حسنًا، من الواضح أن عقل هايدن ليس متواضع القدرات كما يودُّ ستاركي أن يصدق، لأن بعد يوم ونصف، أرسل ستاركي بام في مهمة لإقناع هايدن بالعودة إلى غرفة الكمبيوتر، كأنَّ تأثيرها فيه أكبر من تأثير ستاركي. إن الإقناع اللطيف ليس من مواهب بام، كما أظهر هايدن فعلًا أنه لن يسمح لأحد بالتنمر عليه. إنها مهمة حمقاء، لكنها في الآونة الأخيرة شعرتْ بأنها حمقاء للغاية.

وجدتْ هايدن في غرفة الإمدادات، جالسًا أمام عارضة داعمة في تلك البقعة المركزية المظلمة. لم يبدُ مشغولًا للغاية بأمور المخزون والتوزيع، رغم أنه يكتب في دفتر الجرد. عندما رآها الحارس المناوب المصاحب لهايدن، وقف ورفع سلاحه، محاولًا التظاهر بأنه لم يغفُ على جُوال من الأرز.

لم ينظرْ هايدن إليها حتى وهي تقترب، فسألته: "لماذا تكتب في الظلام؟".

- لأني كاتب سيئ للغاية، من الأفضل ألا يرى أحد كتاباتي، ولا حتى أنا.

خطتْ نحو بركة الظلام لتجدها ليستْ مظلمة على الإطلاق. يبدو الأمر هكذا عندما يأتي المرء من الجانب ذي الإضاءة الأعلى. لم يقفْ لتحيتها، بل واصل الكتابة فحسب.

- ماذا تكتب، إذن؟

- أكتب يومياتي في أثناء وجودي هنا. بهذه الطريقة، عندما يأتي دورنا لنُشنَق عقابًا على ما نفعله، سيوجد سجل لما حدث فعلًا. إنني أسمي يومياتي «جحيم ستاركي»، رغم أني لستُ متأكدًا تمامًا من مستوى هذه الجحيم.

أوضحت بام: "لقد توقفوا عن شنق الناس". ثم فكرتْ في عمليات الإعدام غير القانونية التي نفذها ستاركي: "أو على الأقل لا يشنقون الناس رسميًّا".

- صحيح. أفترض أنهم سيقصفون أدمغتنا فحسب. أو على الأقل سيفعلون ذلك إذا أُقِرَّت قوانين القصف المقترحة.

أغلق دفتر الملاحظات ونظر إليها للمرة الأولى، ثم وقف في مواجهتها: "أخبريني إذن، ماذا تفعلين هنا يا بام؟ ماذا تريدين؟".

- نريدكَ أن تشرح لجيفان كيفية اختراق وسائل الحماية الإلكترونية. ليس عليك فعل أي من عمليات اختراق. كل ما عليك فعله هو أن تشرح له الكيفية.

- جيفان يعرف كيفية هزيمة وسائل الحماية، لقد فعل ذلك طوال الوقت في المقبرة. لو أنه لم يفعلها، فلا بدَّ أنه لا يريد ذلك، لكنه يخشى أن يخبر ملك المنقولين.

- ملك المنقولين؟ أهذا ما تطلقه عليه وسائل الإعلام الآن؟

اعترف هايدن: "لا. إنه مصطلح يعبر عن ولعي به. لكنْ إذا بدأوا يدعونه بهذا الاسم، فأنا واثق أن ستاركي سيحب ذلك. أراهن أنه سيبني لنفسه مذبحًا حتى يتمكن عامة الناس من تقديسه وتقديم القرابين. بالمناسبة، لديَّ فكرة بشأن التحية المناسبة لملك المنقولين. إنها أشبه بتحية هتلر".

ضحكتْ بام، وقالت: "إنك أحمق حقًّا يا هايدن!".

منحها ابتسامته المتعالية المعتادة التي سعدتْ هي في الواقع برؤيتها، وقال: "ما دمتِ أنتِ القائلة، فسأعتبر ذلك بمنزلة مجاملة".

تردَّد لحظةً، وألقى نظرة سريعة على حارسه الذي غفا على جُوال الأرز مرة أخرى، ثم اقترب منها، قائلًا بهدوء: "ستصبحين قائدة أفضل من ستاركي يا بام". ساد الصمت بينهما. لم تستطعْ بام حتى الرد على قوله، فأضاف: "لا يمكنكِ أن تخبريني أنكِ لم تفكري في الأمر".

إنه على حق؛ لقد فكرتْ في ذلك، لكنها رفضتْ الفكرة قبل أن تترسخ. قالت له: "ستاركي لديه مهمة. يملك هدفًا. ماذا أملك أنا؟".

هز هايدن كتفيه، قائلًا: "الفطرة السليمة؟ غريزة البقاء؟ بنية جسدية قوية؟".

قررتْ بام بسرعة أنها لن تنجرَّ إلى مثل هذه المحادثة، فقالت: "ضع دفتر الملاحظات جانبًا، وابدأ في ممارسة عملك. لم نجدْ طعامًا كافيًا بالأمس، تأكد من وجوده الليلة".

أجابها بإشارة بذيئة من يده، فغادرتْ، وهي ترمي ثمرة بطاطس على الحارس النائم لإيقاظه.

***

في عصر ذلك اليوم، انقلب عالم بام رأسًا على عقب تمامًا، بصرف النظر عن أنه مقلوب فعلًا منذ البداية بشكل خطِر. حدث هذا بسبب «التافهات». لطالما وصفتْ بهذه الكلمة فئة الفتيات اللاتي تكرههنَّ أكثر من غيرهنَّ. مخلوقات صغيرة لطيفة عاشت حياةً خاليةً من الهموم ومليئةً بالامتيازات، وتقتصر مشكلات كل منهنَّ على اختيار لون الأظفار والصِّعاب التي تواجهها مع حبيبها. تلك الفتيات اللاتي تبدو أسماؤهنَّ عادية، لكنْ مكتوبة بغرابة. حتى بين صفوف جيش المنقولين، توجد فتيات مؤهلات لوصفهنَّ بالتافهات؛ دائمًا متكبرات ومتفاخرات، حتى عندما تتمزق ملابسهنَّ وتصبح خرقًا بالية. بطريقة ما، ورغم كل الصِّعاب التي تحمَّلنها، يتمكنَّ من الظهور بمظهر جميل وتافه وضحل كبقعة زيت.

توجد ثلاث فتيات منهنَّ على وجه الخصوص شكَّلن فريقهنَّ الصغير الخاص خلال الأسابيع القليلة الماضية. اثنتان من السيينا، وواحدة من الآمبر، والثلاث جميلات بشكل مزعج. لم يشاركن في تحرير أي من مخيمي الحصاد. في الواقع، لا يبدو أنهنَّ يفعلن أي شيء سوى التحدث في ما بينهنَّ والسخرية من الآخرين. سمعتهنَّ بام أكثر من مرة، وهنَّ يغتبنها ويسخرن من طولها

المفرط، وشكلها الرجولي، وسلوكها العام. مبدأها المعتاد هو تجنبهنَّ، لكنْ في ذلك اليوم، اجتاح بام إحساس عدواني. أرادتْ أن تخوض عراكًا، أو على الأقل تجعل الآخرين يشعرون بالبؤس، ولم تجدْ ضحايا أفضل من الفتيات جميلات المظهر، المتنمرات على بنيتها القوية.

وجدتهنَّ في مِنْطَقة المنجم المخصصة "للفتيات فقط". إنه المكان الذي يذهبن إليه لتجنب التورط في عَلاقة غير مرغوب فيها مع الصبية الذين يغازلونهنَّ. لم تلاحظ بام مؤخرًا مثل تلك المغازلات، لكنها لم تفكر في أي شيء في البداية.

قالت لهنَّ: "يحتاج ستاركي إلى نقل الذخائر إلى عمق المنجم. لقد اخترتُ ثلاثتكنَّ لتنفيذ هذه المهمة. حاولن ألا تُفجِّرن أنفسكنَ!".

سألت كيتلين: "لماذا تطلبين منا ذلك؟ كلفي بعض الأولاد بهذه المهمة".

- لا. إنه دوركنَّ اليوم.

تذمرت إيمالي: "لكنْ ليس من المفترض أن أرفع أشياءَ ثقيلة".

قالت ماكيلا: "هذا صحيح. ثلاثتنا كذلك".

- وَفْقَ من؟

تبادلن النظرات، وكل منهن لا تريد الإجابة، وفي النهاية قررت إيمالي التحدث باسم المجموعة: "حسنًا، وَفْقَ ستاركي".

منْح ستاركي امتيازات خاصة لفرقة التافهات أثار المزيد من غضب بام. حسنًا، إنها ركيزته الأساسية في هذا المكان، يمكنها سلب أي امتيازات ممن تختاره. قالت لهنَّ: "كل المنقولين يُسهِمون. تحركن، وابدأن العمل!".

همستْ ماكيلا بشيء في أذن كيتلين التي تبادلتْ نظرة تخاطرية مع إيمالي، فهزَّت تلك الأخيرة رأسها والتفتتْ إلى بام، راسمة ابتسامة اعتذار مزيفة على وجهها، وقالت: "لدينا حقًّا إذن خاص من ستاركي مباشرةً".

- إذن بعدم فعل أي شيء؟ لا أعتقد ذلك.

- ليس إذنًا بألا نفعل شيئًا، بل بأن تهتم كل منَّا بنفسها.

أكملت كيتلين: "وبثلاثتنا".

ردَّدت ماكيلا كالببغاء: "صحيح، أنفسنا وثلاثتنا".

كل كلمة خرجت من أفواههنَّ، جعلت بام ترغب في لطمهنَّ عقابًا على سخافتهن، وصاحت: "عمَّ تتحدثن؟".

تبادلن تلك النظرة التخاطرية الثلاثية مرة أخرى؛ ثم قالت إيمالي: "ليس من المفترض حقًّا أن نتحدث إليكِ في هذا الأمر".

- حقًّا. هل أمركن ستاركي بذلك؟

أخيرًا، نهضت إيمالي لتواجه بام ونظرت إليها في ثبات، قائلة ببطء: "ليس بالضبط. علينا أن نعتني بأنفسنا.. لأن ستاركي منحنا وقاية من التفكيك".

بام ليست غبية. إنها ليست ماهرة عندما يتعلق الأمر بالمواد الدراسية، لأن وضعها عاقَ طريقها طوال الوقت، لكنها دارسة سريعة البديهة دائمًا في مدرسة الحياة. ومع ذلك، وجدتْ هذا بعيدًا للغاية عن نطاق مفهومها للواقع، فلم تستوعبْه!

نهضتِ الفتاتان الأخريان، ووضعتْ ماكيلا يدها على كتف بام في تعاطف، قائلة: "منحنا وقاية من التفكيك تسعةَ أشهر. هل فهمتِ الآن؟".

أصبحتْ بام كمن أصابها انفجار بمدافع الهاون. لقد تعثرتْ في الواقع واصطدمتْ بالحائط، قائلة: "إنكنَّ كاذبات! لا بدَّ أنكنَّ تكذبن!".

لكنْ في تلك اللحظة، بعد أن صرَّحن بالأمر، ظهرتْ في أعينهنَّ نظرة غريبة منتشية. إنهنَّ يقولن الحقيقة! يا إلهي، إنهنَّ يقولن الحقيقة!

قالت كيتلين: "سيصبح رجلًا عظيمًا".

- إنه كذلك فعلًا.

وقالت الثالثة: "قد نكون جميعًا منقولين، لكنَّ أطفاله لن يصبحوا كذلك".

لم تعرف بام حتى من تتحدث. كلهنَّ متشابهات في نظرها الآن. ثلاثة رؤوس ناطقة في جسد واحد، كهيدرا[1] رهيبة وجميلة.

- لقد وعد بأنه سيرعانا. ثلاثتنا.

- أقْسَمَ إنه سيفعل.

- وأنتِ لا تعرفين هذا الإحساس...

---

(1) الهيدرا: وحش خرافي متعدد الرؤوس ينتمي إلى الميثولوجيا الإغريقية، وكلما قُطِعَ أحد رؤوسه، نبتَ مكانه رأسان جديدان. "المترجم".

- لا يمكنكِ أن تعرفي كيف يبدو الأمر...
- أن يقع اختياره عليكِ...
- أن تتأثري بعظمتِه.
- لذلك لا يمكننا حمل الذخائر اليوم...
- أو غدًا...
- أو في أي وقت قادم.
- تقبلي أسفنا الشديد يا بام.
- نعم، نعتذر للغاية.
- نرجو تفهمكِ.

***

اندفعتْ بام تجوب أنفاق المنجم المتشابكة كالمتاهة، بحثًا عن ستاركي، حتى ضلت طريقها وانهارت أفكارها وعواطفها؛ من حسن الحظ أنها لم تنفجر مثل المصفقين. وجدتْه واقفًا أمام الكمبيوتر وهو ينظر من فوق كتف جيفان إلى هدفهم التالي، لكنْ في الوقت الحالي، لا مجال لأن تُعطي بام أي أهمية لذلك الآن. أخذتْ تلهث بعد الركض في أرجاء المنجم. أدركتْ أن انفعالاتها بادية على ملامحها، وأن وجهها محتقن بلون الدم. رأت أنه كان عليها أن تتوغل أكثر في المنجم وتسير وتُخرِج الأبخرة التي تملأ رأسها، إلى أن يتلاشى غضبها واشمئزازها. لكنها لم تستطع.

- متى نويتَ أن تخبرني؟

نظر إليها ستاركي لحظة، وتناول رشفة مياه من زجاجته، ثم أمر جيفان بالانصراف. من النظرة البادية على وجهها، أدرك ما تتحدث عنه بالضبط. كيف لا يعرف؟

- لماذا تظنين أن هذا من شأنك؟
- أنا التالية بعدكَ في القيادة، وأنت لا تخفي أسرارًا عني!
- يوجد فرق بين السر والتكتم.
- تكتم؟ لا تجرؤ على التحدث أمامي عن التكتم بعد أن سجلتَ أهدافك الثلاثة الصغيرة.

- ما أفعله بالخارج خطِر حقًا. لستُ غافلًا تمامًا عن ذلك. أعلم أن الأمر قد يخرج عن السيطرة ويصبح فوضويًا، لكني أريد أن أترك أثرًا من بعدي إذا لم أتمكن من النجاة، وليس الأمر كأنني أجبرتهنَّ على ذلك!
- إنك لا تجبر أحدًا أبدًا، أليس كذلك يا مايسون؟ إنك تنومهم مغناطيسيًّا فحسب! تبهرهم، وفي طرفة عين، يصبح الناس على استعداد لفعل أي شيء من أجلك.

هنا انتقل ستاركي إلى الشيء الوحيد المعلق بينهما؛ الشيء الوحيد الذي لا ينبغي قوله.

- إنكِ غاضبة فحسب لأنك لستِ إحداهن!

لطمته بام بشدة، حتى إنه تعثَّر وكاد يسقط على جهاز الكمبيوتر. وعندما التفت إليها والغضب في عينيه، وجدها مستعدةً وفي انتظاره. أمسكتْ يده المحطمة واعتصرتها بين كفيها بقوة. جاء رد الفعل على الفور. تراخت ساقاه، وسقط على ركبتيه، فواصلت هي الضغط بقوة أكبر.

صرخ متوسلًا: "اتركيها.. أرجوكِ.. اتركيها".

قبضتْ على يده لحظة إضافية، ثم أفلتتها، وهي على استعداد لأي شيء سيفعله بها بعد ذلك. فليطرحْها أرضًا! فليبصق في وجهها! فليضربها مرارًا وتَكْرارًا. ستحصل منه على نوع من التجاوب على الأقل. سيمنحها بعض عواطفه على الأقل.

لكن بدلًا من الانتقام، أمسك يده المحطمة فحسب، ونهض مغمضًا عينيه إلى أن زال الألم.

قالت: "أبعد كل ما فعلتُه من أجلك؟ بعد كل ما فعلتُه من أجلك، تذهب إليهنَّ؟".

- أرجوكِ يا بامبي...
- لا تناديني بذلك الاسم! لا تناديني به أبدًا!
- لو وضعتكِ في موضعهن، فلن تتمكني من مرافقتي في تغيير العالم، أليس كذلك؟ سيصبح الأمر خطِرًا للغاية!
- لم تمنحني حتى الخيار!

- ثم ماذا؟ كيف يمكنكِ أن تصبحي التالية في القيادة من بعدي، لو جمعتْ بيننا مثل هذه العلاقة؟

لم تجدْ بام إجابة عن ذلك، ولا بدَّ أن ستاركي قد أدرك تأثيره فيها، لأنه اقترب خطوةً أخرى، وأصبح لطيفًا، وهو يقول: "ألا تعلمين مكانتكِ عندي يا بام؟ ما بيننا شيء لن أحصل عليه أبدًا مع أولئك الفتيات".

- وما حصلن عليه، لن أناله أبدًا.

نظر إليها متأملًا، وبعد تقييم الموقف، سألها: "أهذا حقًّا ما تريدينه يا بام؟ أهذا ما سيسعدك؟ حقًّا؟"، ثم اقترب منها أكثر حتى شعر بأنفاسها. إنها فارعة الطول، حتى إنه بدا أقصر مما هو عليه فعلًا عندما وقف على هذا القرب منها.

مد عنقه لتقبيلها، لكنْ بقيت بوصة تفصل بين شفاهما، وبدلًا من معاناة الإهانة الناتجة عن الوقوف على أطراف أصابعه، مد يده خلف رأسها، وجذبه إلى أسفل ليقبِّلها تلك القبلة التي لها تأثير الشعوذة. قبلة أشبه بعمل فني يستحق التصفيق؛ إنها كل ما حلمت به بام.. لكنْ لا شيء سيغير حقيقة أنها مجرد خَدْعَة سحرية، واليوم لا يوجد جمهور يصفق لها.

- أعتذر عن جرح شعوركِ يا بام. إنك على حق. أنت تستحقين شيئًا حقيقيًّا مني.

- ما حدث الآن ليس حقيقيًّا يا مايسون.

ارتسم على وجهه شيء بين الابتسامة والعبوس، وقال: "إنه حقيقي وَفْقَ مفهومي".

***

تجولتْ بام في أرجاء المنجم، وشعرتْ بالإنهاك بكل معنى الكلمة. غضبها من ستاركي لم يعدْ يعرف إلى أين يذهب، وكذلك كل عواطفها. شعرت بالشوق إلى شيء مفقود لا يمكن تسميته. لو أنها أكثر سذاجة، لقالت إنه براءتها، لكنَّ بامبي آن كوفالت فقدت براءتها منذ زمن طويل للغاية.

اصطدم رأسها بقوة بصخرة بارزة من السقف المنخفض. لم تدرك حتى إلى أين تتجه، حتى اصطدم رأسها بتلك الصخرة.

انهمك هايدن في ملء عربة بالطعام لوجبة المساء، وقال عندما رآها: "أنتِ مجددًا؟".

التفتت بام إلى حارسه، قائلة: "اذهبْ وأحضرْ لي شرابًا".

بدا مرتبكًا، وهو يجيبها: "لكنَّ كل الماء والأشياء الأخرى موجودة هنا".

- حسنًا. اذهب إذن وأحضر لي بعض السوشي!

- ماذا؟

- أيُعقل أنكَ حقًّا بهذا الغباء؟ اخرجْ من هنا فحسب، بحق الجحيم!

- أمرك يا آنسة بام.

ثم اندفع إلى الخارج، فتعثر عمليًّا في سلاحه، وقال هايدن مستمتعًا: "الآنسة بام" يبدو اسمًا جيدًا لمعلمة روضة أطفال. هل فكرتِ يومًا في مثل هذه المهنة؟".

- أنا لا أحب الأطفال.

- إنك لا تحبين الكبار كثيرًا أيضًا، ولا أي شيء بينهما.

لسبب ما، جعل قوله الدموع تقفز إلى عينيها بغزارة، لكنها كبحتها ومنعتها من الهطول، رافضة السماح لهايدن برؤيتها.

قال هايدن: "إنك تنزفين".

شعر بالقلق، وتقدم خطوة تجاهها، لكنها لوحت له بيدها، ليتوقف، قائلة: "إنني بخير"، ولمست رأسها، فشعرت بوجود جرح صغير بسبب اصطدام رأسها بالسقف. هذا أقل مشكلاتها. ستحدد موعدًا مع الصبي الذي يخيط الجروح بخيط تنظيف الأسنان، وقالت لهايدن: "يجب أن نتحدث معًا".

- عن ماذا؟

تحققتْ من عدم عودة الحارس، وأنهما بمفردهما حقًّا، وقالت له: "لقد وعدتُ أن أستمع لك. تحدث إذن، الآن!".

***

54 - القوة

تأتي الغارة دون سابق إنذار؛ تمامًا كما فعل فريق من ملاحقي شرطة الأحداث ليلًا. فريق عمليات خاصة حقيقي، ليس مثل الصبية الهزليين الذين يُطلِق عليهم ستاركي العمليات الخاصة. طارد الغزاةُ المنقولين الذين يحرسون مدخل المنجم قبل أن يتمكنوا حتى من رفع أسلحتهم والإسراع إلى الأنفاق، وهذا ما أدى إلى تهدئة أي شخص يظهر في الأفق. الأمر الذي تلقَّته تلك القوات بسيط: اقبضوا على مايسون ستاركي.

أيقظت هذه الضجة الصبية النائمين داخل المنجم في الوقت المناسب، ليتدافعوا محاولين الحصول على الأسلحة التي تعلموا استخدامها دون تردد أو خوف. أسقطوا العديد من المتسللين فعلًا، لكنهم وجدوا المزيد خلفهم، وهذه القوةٍ مُدجَّجة بأسلحة لم يرَها المنقولون من قبل: مدافع رشاشة جماعية ترشُّ سهامًا صغيرة ذات رؤوس مخدرة بمعدل ينذر بالخطر، وتخلق أمامهم جدارًا لا مفر منه من الصبية الغائبين عن الوعي. وهكذا انهارت طبقات الحماية المحيطة بستاركي، حتى أصبح مكشوفًا وضعيفًا أمام القوة الغازية.

رفع ستاركي سلاحه، لكنه اكتفى بالتلويح به، إلى أن تمكن مهاجموه من الاستيلاء على السلاح والإمساك به.

انتهت العملية بأكملها في أقل من خمس دقائق.

***

55 - ستاركي

كان من الجنون الاعتقاد بأن من المستحيل المساس به. وقد عَرَفَ ذلك الآن. لقد اختار مكانًا يخفى عن الأنظار جيدًا كمخبأ للمنقولين، لكنَّ شرطيي الأحداث ماهرون في التغلب على أكثر الهاربين من التفكيك مقاومة. قاوم ستاركي، لكنْ بلا فائدة، وعانت يده المحطمة ألمًا شديدًا بسبب القبضة الحديدية لمهاجميه، لدرجة استنزفت قوة باقي جسده؛ تمامًا كما حدث عندما أمسكته بام.

في كل مكان حوله في الأنفاق تناثرت أجساد المنقولين الثمينة الغائبة عن الوعي، مع وجود بقع صغيرة من الدم على ملابسهم حيث انغرست أسهم التهدئة في أجسامهم. لم يعد أحد يقاتل الآن. كل مَن ظل واعيًا، يحاول الفرار. أدرك المنقولون أن مهاجميهم أكثر تسليحًا وتفوقًا.

صرخ فيهم ستاركي: "تعمقوا أكثر إلى داخل المنجم! ابتعدوا قدر الإمكان. لا تدعوهم يأخذونكم أحياء".

رغم شعوره بالرعب، فقد حمل في قلبه الغضب -الذي استخدمه جيدًا- واليقين بأنه سيعيش إلى الأبد كشهيد.

هبَّت الرياح على مدخل المنجم، لكنها ليست رياحًا طبيعية. من أعلى، هبطت طائرة مروحية أكثر ظلامًا من الليل، واندفعت كرات الأعشاب مبتعدة عن مكان هبوطها، كأنها تسارع بالهرب من وزنها الساحق. هذه المرة، لم يجد ستاركي في جَعبته أي خَدْعَة لتجنب القبض عليه، لذلكَ استسلم للأمر، وفكَّر: "أعتقد أنني مهم بما يكفي لتأخذني طائرة مروحية".

فُتِحَ الباب، وأُلقِي به إلى الداخل، فسقط على أطرافه الأربعة. شعرتْ يده اليسرى أنها ستتحطم مرة أخرى. قال لنفسه: "لماذا لا يهدئونني؟ لا أستطيع تحمل هذا. أريد أن ينتهي الأمر".

شعر بالتسارع الرأسي للمروحية وهي تقلع، وعندما رفع عينيه، رأى داخل هذه المروحية الصناعية الكبيرة مشهدًا لم يتوقعه. أُعِدَّتْ المساحة بفخامة، بدلًا من ملئها بمقاعد تقييد فولاذية. إنها قاعة فخمة يكسوها الجلد والنُّحاس والخشب المصقول؛ أشبه بمقصورة يخت أكثر من كونها مساحة داخل طائرة مروحية.

جلس رجل يرتدي سروالًا وسترة مريحة على أحد المقاعد الفخمة الكثيرة في مواجهة شاشة التلفاز. أطفأ التلفاز مؤقتًا باستخدام جهاز التحكم عن بعد، والتفت ليواجه ستاركي الذي تساءل فيما يملأه الإحساس بالغثيان والارتباك، أهو مُهدَّأ دون أن يدري، وهذه هلوسة مؤقتة قبل أن يفقد وعيه تمامًا. لكنَّ رؤيته ليست مهتزَّة؛ المشهد الذي أمامه حقيقي، وإحساسه بالدُّوَار سبَّبته حركة المروحية، لا أكثر.

قال الرجل: "لطالما تطلعتُ إلى مقابلتك يا مايسون مايكل ستاركي".

تأمله ستاركي.. داكن الشعر، أشيب الفودين، ويتحدث الإنجليزية بوضوح، دون أي علامة تشير إلى لهجة بعينها، مع أسلوب مثالي للغاية، وهو أمر مقلق.

سأل ستاركي، وهو يعلم أن عليه أن يفعل، حتى لو لم يرغب في معرفة الإجابة: "ماذا يحدث هنا؟".

قال له الرجل: "الأمر ليس كما تعتقد. تعالَ؛ اجلس. توجد أمور لنناقشها معًا". أشار بجهاز التحكم عن بعد نحو التلفاز، ليعيد تشغيل الفيديو المسجل المتوقف مؤقتًا، وهو مجموعة من المقتطفات الإخبارية، جميعها تتحدث عن ستاركي، وأضاف: "لقد صنعتَ ضجة كبيرة بين عشية وضحاها".

استجمع ستاركي ثباته، وكافح حتى يستطيع الوقوف. مالت المروحية قليلًا إلى اليمين، فاضطُرَّ إلى الاستناد إلى جدارها لتحقيق التوازن، لكنه لم يقترب من الرجل.

- من أنت؟

- صديق. هذا كل ما تحتاج إلى معرفته حقًّا، أليس كذلك؟ أما بالنسبة إلى اسمي، حسنًا، الاسم شيء غريب. الأسماء يمكن أن تُحدِّد هويتنا، وأنا لا أرغب في وضع تعريف لي. على الأقل ليس في السياق الحالي.

لكنَّ ستاركي سمع اسمًا يُذكَر في أثناء القبض عليه. وفي خضم الاضطراب، لم يفهمه، لكنه تذكر الحرف الأول. قال ستاركي متحديًا الرجل: "اسمك الأخير يبدأ بحرف الـ«د»".

أجفل الرجل، لكنْ قليلًا فحسب. ربَّت المقعد المجاور له، قائلًا: "من فضلك اجلس يا مايسون. أنت لا تعرف أبدًا متى سنواجه بعض الاضطرابات الجوية غير المتوقعة".

جلس ستاركي على مضض. هداه تفكيره إلى أن هذا الرجل سيحاول عرض صفقة عليه، لكنْ أي نوع من الصفقات؟ لقد قبضوا عليه وعلى جيش المنقولين فعلًا. ربما يعتقدون أنه يعرف مكان وجود كونر لاسيتر، لكنْ حتى لو يعرفه، فقد أصبح ستاركي الآن جائزة أكبر لهيئة الأحداث. ما الذي قد يدفعهم حتى إلى التفاوض؟

قال الرجل: "لقد تسببتَ في الكثير من الذعر والارتباك لدى العامة. بعض الناس يكرهونك، وبعضهم يحبك".

زمجر ستاركي: "لا يهمني رأي الناس".

قال الرجل في تعالٍ شديد: "أوه، بل يهمك بالتأكيد". أراد ستاركي مهاجمته، لكنه علم أن ذلك ليس من الحكمة في شيء. أضاف الرجل: "علينا جميعًا مراقبة صورتنا في أنظار هذا العالم، وتطويعها بالشكل المناسب لتحقيق مصالحنا".

أدرَك أن هذا الرجل يتلاعب به، لكنْ ما غايته؟ يكره ستاركي هذا الشعور بعدم السيطرة. أخيرًا، أطفأ الرجل التلفاز، وأدار مقعده حتى يصبح في مواجهة ستاركي مباشرة، وقال: "أنا أمثل حركة توافق بشدة على أفعالك، والجنون الواضح في أساليبك، لأننا نعلم أنه ليس جنونًا على الإطلاق".

ومرة أخرى، لم يكن هذا ما توقعه ستاركي، فقال في دهشة: "حركة؟".

- أودُّ أن أسميها منظمة، لكنْ تمامًا كنظريتي في موضوع الاسم؛ هذا سيحدد هُويَّتنا أكثر بكثير مما تقتضيه الحكمة.

- إنك لم تخبرني بعد بما تريد.

منحه ابتسامة واسعة؛ ليست دافئة ولا مريحة، وأجاب: "نريد تحرير مخيمات الحصاد، والأهم من ذلك، معاقبة من يديرونها. وهذا شيء نودُّ بشدة أن نرى المزيد منه".

ظل الأمر يبدو كخَدْعَة في نظر ستاركي، فسأل: "لماذا؟".

- لأن حركتنا تزدهر بالفوضى، فالاضطراب يؤدي إلى التغيير.

شكَّ ستاركي أنه يعرف ما يتحدث عنه الرجل، رغم خشيته من نطق الكلمة بصوت مرتفع: "أتعني المُصفِّقين؟".

ارتسمتْ على وجهه تلك الابتسامة مرة أخرى، وقال: "ستُدهَش من شدة عمق جذور الحركة، ومدى التزام الأفراد بها. نريدك أن تنضم إلينا، لو رغبتَ في ذلك".

هزَّ ستاركي رأسه، قائلًا: "لن أصبح مُصفقًا".

ضحك الرجل بصدق، وقال: "لا، نحن لا نطلب منك ذلك. يا لها من خسارة للجميع في تلك الحالة! إننا ببساطة نريد مساعدتك في جهودك بأي طريقة ممكنة".

- وماذا تريدون في المقابل؟

أعاد الرجل تشغيل الفيديو مرة أخرى. ظهرتْ على الشاشة لقطة تعرض الغرفة الطويلة في مهجع الفتيات في «مون كريتر»، والعاملين الخمسة القتلى الذين أُعدِموا بلا محاكمة؛ شنقًا من مراوح السقف، وقال ببهجة: "المزيد من الصور المميَّزة مثل التي صنعتها هنا. صور ستطارد أرواحَ البشرِ أجيالًا".

درس ستاركي الاتفاق. القوة التي سيجلبها للمنقولين؛ الشهرة التي سيمنحها له، وقال: "يمكنني فعل ذلك".

- تمنيتُ أن تقولها. نمتلك ثروة من الأسلحة الحديثة وأتباعًا مخلصين -رغم أنهم متعصبون إلى حد ما- على استعداد للتضحية بأنفسهم لخلق نقاط إثارة للفوضى.

ثم مدَّ يده ليصافح ستاركي، لكنْ يده اليسرى، وليست اليمنى. لقد فعل ذلك عمدًا، وقال: "اعتبرنا شركاءك يا مايسون". ورغم أن يد ستاركي اليسرى ما زالت تنبض بالألم، فقد مدَّها وترك الرجل يصافحها، مقاومًا اللسعة الحارقة، لأنه يعلم أنه عندما يتعلق الأمر بالتحالفات، فالألم هو الذي يوقِّع الاتفاقية.

***

لم تذهبِ المروحية إلى أي مكان، بل عادت أدراجها عندما انتهت المحادثة وأُبرِمَتِ الشراكة، تاركة ستاركي في المكان نفسه الذي التقطتْه فيه، بالقرب من مدخل المنجم.

في هذه اللحظة، شعر ستاركي بالتسامي عن كل الواقع المحيط به. شعر أنه لا يسير كالعادة، بل يرتفع إلى جزء من البوصة عن الأرض. وبينما يخطو إلى مدخل المنجم الذي يشبه الكهف، بدا له أن كلِ شيء من حوله يتحرك بشكل مختلف؛ ليس ببطء، بل بدا كأنَّ العالم ينشقٌّ من المنتصف، صانعًا طريقًا في استقباله. وجد الصبية في المنجم وقد بدأوا يستعيدون وعيهم، لأن الأسهم سريعة المفعول التي أصابتهم استمرَّ تأثيرها أيضًا وقتًا قصيرًا، إذ إن الغرض منها ليس الإمساك بالمنقولين، بل إعاقة حركتهم مدةً تكفي لاصطحاب ستاركي لحضور اجتماع القمة في الطائرة.

الصبية الذين تمكنوا من تجنب أسهم التهدئة، بذلوا قُصَارى جهدهم لإيقاظ الآخرين. عندما رأوا ستاركي، وقفوا في رهبة. لا بدَّ أن هذا ما شعر به الصبية في «هابي جاك» عندما رأوا كونر لاسيتر يخرج حيًّا من مرأب التفكيك.

صرخوا ونقلوا الأخبار السارة إلى الأنفاق العميقة داخل المنجم: "لقد هرب! لقد هرب ستاركي!".

أسرع إليه جيفان، وسأله: "ماذا حدث؟ كيف هربتَ؟ لماذا لم يأخذونا؟".

قال له ستاركي: "لن يأخذنا أحد إلى أي مكان. أمامنا الكثير من العمل لننجزه، لكن يمكننا الانتظار حتى الصباح". أمر بتغطية الغائبين عن الوعي بالبطانيات، وتحرك في أرجاء المنجم، مهدئًا المخاوف، ومطالبًا الجميع بالحصول على قدر جيد من الراحة ليلًا، وأضاف: "تنتظرنا أيام مثيرة".

سأل منقول واسع العينين: "إلى أين أخذوك؟".

قال له ستاركي: "إلى السماء. وقد أصبح لنا أصدقاء عظماء الشأن للغاية".

***

56 - هايدن

أتتِ الإمدادات كمعجزة من السماء. الطعام أفضل بكثير من كل ما اقتاتوه سابقًا. لحم مُحَمَّر ومحفوظ بطريقة تفريغ الهواء ولا يحتاج إلى تبريد. الخضراوات بكميات ضخمة لا حاجة إلى إحصائها. وجد هايدن وظيفته في المخزن تتحول إلى عمل بدوام كامل. لكنَّ الأشياء الأخرى التي يُحضِرها هؤلاء "الشركاء" الجدد هي التي أزعجته بشدة؛ ترِد أسلحة قادمة لم يسبق له أن رأى مثلها قطُّ. أشياء مثل مدافع بازوكا وما يشبه قاذفات الصواريخ المحمولة يدويًّا، وهي أثقل من الصبية الذين من المفترض أن يستخدموها. لم يقل ستاركي شيئًا عن هُويَّة هؤلاء المُحسِنين الجدد، وتساءل هايدن مَن ذلك الذي أصابه الجنون بما يكفي لتسليح المراهقين الغاضبين بأسلحة مخصصة للجيوش بشكل واضح. لكنَّ الأكثر إثارة للرعب هو كيف يمكن أن يستخدمها ستاركي.

لم يعدِ ستاركي يزعج هايدن، بل إنه أصبح يعتبره غير موجود، فهو ضئيل للغاية لا يستدعي الاهتمام، لكنه خطِر جدًّا بحيث لا يمكن التخلي عنه.

سألت بام هايدن: "لماذا لم تهرب بعد؟ لقد أُتيحت لك العديد من الفرص للإفلات من ذلك الحارس غير الكفء".

قال هايدن: "وأترككم أيها الطيبون؟ لن أفعل ذلك أبدًا!".

الحقيقة هي أنه بقدر ما يريد الهروب من هذا الكابوس وإنقاذ نفسه، فإنه لا يستطيع فعلها وهو يعلم أنه سيترك كل هؤلاء الصبية ليحترقوا في فرن غرور ستاركي. نعم، يعشقه الكثيرون منهم ويطيعونه، لكنْ لأنهم في أمسِّ الحاجة إلى بطل فحسب. هايدن لا يرغب في أن يصبح بطلًا. إنه يريد فقط البقاء حيًّا، والحفاظ على حياة من حوله.

كما خشى هايدن، اختار ستاركي الهدف التالي لجيش المنقولين بسرعة. لقد استسلم جيفان واستخدم مهاراته لاختراق وسائل الحماية. لديهم الآن كل المعلومات التي يحتاجون إليها للهجوم. هذه المرة لن يشنوا هجومًا سريًّا أو خفيًّا أو حتى اندفاعًا مجنونًا عند البوابة. سيدخل المنقولون بقبضة حديدية. يعتبر هايدن نفسه ذكيًّا وماكرًا، لكنه لم يستطعِ اكتشاف طريقة لإيقاف ستاركي سوى إصابته برصاصة في رأسه، وهو ما لا يستطيع هايدن فعله.

طلبتْ بام من هايدن أن يهمس لها بما يفكر فيه، وكذلك بما يعرفه. وهكذا، بينما شُغِلَ ستاركي بتجهيز المنقولين للهجوم التالي، اصطحبَ هايدن بام إلى غرفة الكمبيوتر وعرض عليها بعض الأشياء التي كشفها في العالم الخارجي.

بدأ يعرض إعلانًا سياسيًّا تلو الآخر، وقال: "لقد انتشر المزيد والمزيد من هذه الأشياء على الإنترنت وعلى شاشة التلفاز. إنهم يهاجمون موجات الأثير".

أراها الدعوات الحماسية لإلغاء قانون «كاب - 17» والسماح مرة أخرى بتفكيك المراهقين الأكبر سنًّا. توجد إعلانات عن التدابير والمقترحات والمبادرات على بطاقات الاقتراع التي تدعو إلى التفكيك الإلزامي للمراهقين «غير المرغوب فيهم»، ومواصلة تقليص حجم دور الأيتام الحكومية من خلال التفكيك، ووعود من الدولة ببناء المزيد من مخيمات الحصاد، وأكثر من ذلك.

لم تكترثْ بام، قائلة: "وماذا في ذلك؟ يوجد دائمًا طَنٌّ من تلك الإعلانات. لا جديد في هذا الشأن".

- نعم، لكنِ انظري إلى هذا.

وأظهر لها رسمًا بيانيًّا يوضح تَكْرار ظهور الإعلانات، مضيفًا: "انظري كيف بدأت الإعلانات تتدفق على موجات الأثير بعد تحرير «كولد سبرينجز» مباشرة، ثم تضاعفتْ تقريبًا بعد واقعة «مون كريتر»". استغرق بعض الوقت في التحقق مما حوله للتأكد من عدم مراقبتهما، لكنه تحدث هامسًا على أي حال: "قد يكون كل ما يفعله جيش المنقولين هو تحرير الصبية من مخيمات الحصاد، لكنَّ الناس في أرجاء البلاد يشعرون بالخوف يا بام، وجميع هذه القوانين التي فُقِدَ الأمل في إقرارها قبل بضعة أشهر، تكتسب الآن المزيد والمزيد من الدعم. ستاركي يريد الحرب، أليس كذلك؟ لكنْ حالما يرى الناس أنها حرب، سيضطرون إلى اختيار أحد الجانبين، وكلما زاد الخوف، زاد ميل

الناس إلى جانب هيئة الأحداث. وهذا ما يعني أنه إذا تحول الأمر إلى حرب.. فسنصبح نحن الخاسرين".

تخيل هايدن النتائج فعلًا. سيُعلَن تطبيق القانون العسكري على الأحداث، تمامًا كما حدث خلال انتفاضة المراهقين. سيُسحَب الصبية من منازلهم ويُفَككون عند ارتكابهم أدنى المخالفات، وسيسمح العامة بحدوث ذلك، بسبب الخوف.

مال مُقترِبًا منها، محاولًا إيصال هذه النقطة إليها: "مقابل كل مخيم حصاد نهدمه، سيظهر آخران. ستاركي لا يعمل على وقف التفكيك يا بام. كل ما يفعله هو التأكد من أن الأمر لن ينتهي أبدًا!"، أمكنه أن يرى من خلال النظرة الشاحبة على وجه بام أنها فهمت الأمر أخيرًا، فواصل: "قد يرغب هؤلاء الأشخاص الذين يمولون حرب ستاركي في العبث بالنظام، لكنَّ هذا النوع من العبث لن يؤدي إلا إلى جعل النظام أقوى ويمنح هيئة الأحداث مزيدًا من السلطة".

وهنا، قالت بام شيئًا لم يفكر فيه هايدن قطُّ: "ماذا لو أن هذا ما يريدون؟ ماذا لو أن الأشخاص الذين يمولون ستاركي يريدون أن تحظى هيئة الأحداث بمزيد من القوة؟".

ارتجف هايدن، لأنه أدرك أن بام ربما أصابت للتوِّ كبدَ الحقيقة.

***

57 - ليف

عمَّ السلام والهدوء كلَّ شيء. تخفي واحة محمية «أراباتشي» حقيقةَ ما يجري خارج أبوابها وأسوارها. دعوات إلى إلغاء قانون «كاب - 17» ورفع السن القانونية للتفكيك إلى الثامنة عشرة وربما أكثر من ذلك. إزالة أدمغة المجرمين المدانين وتفكيك بقية أجسادهم. السماح للناس بإخضاع أنفسهم طوعًا للتفكيك مقابل المال. كل هذا يلوح في الأفق، وقد يحدث بعضه أو جميعه، والأسوأ من ذلك، ألا يُوقِفه أحد. إن ليف -مثل كونر- يعلم ضرورة أن يفعل شيئًا.

قالت له إلينا: "ألقِ حجرًا في النهر، وسيغرق في القاع. ضعْ صخرة في مسار النهر وسيتدفق ماؤه من حولها. الشيء المُقدَّر له أن يحدث، سيحدث، بصرف النظر عما تفعله".

تتمتع إلينا بالعديد من الصفات الجميلة، لكنَّ نظرتها السلبية والقدرية للعالم ليست إحداها. من سوء الحظ، يوجد الكثيرون في المحمية يشاركونها النظرة نفسها.

اعترض ليف: "ما يكفي من الصخور يبني سدًّا".

فتحت إلينا فمها لتطلق مثالًا مجازيًّا آخر، ربما عن كيفية انفجار السدود، وتسببها في فيضانات أسوأ من فيضانات الأنهار، لكنها فكرت في الأمر بشكل أفضل، وقالت: "تناولِ الإفطار؛ ستصبحْ أقل غرابة".

امتثل ليف لقولها، وتناول «كعك اليام» الذي -وَفْقَ إلينا- اعتادوا تقديمه مع شراب الصبار، لكنْ منذ انقراض الصبار، اضطُرُّوا إلى استبدال القيقب به. لا يستطيع ليف أن ينكر أن جزءًا من سبب اختياره للبقاء هنا هو الاحتماء

من العالم، بين الأشخاص الذين يهتم بهم بصدق، ويهتمون به بصدق، لكنْ يوجد غرض أكبر لبقائه.

توجد مقولة منتشرة بين المحظوظين: "أينما تذهب «أراباتشي»، تتبعها الأمم". باعتبارها القبيلة الأنجح ماليًّا بين قبائل المحظوظين، وربما الأهم من الناحية السياسية، فإن السياسة المطبقة هنا كثيرًا ما تنتشر إلى قبائل أخرى. في حين أن قبيلة أراباتشي ما زالت الأكثر انعزالًا، إذ أقامت حدودًا تتطلب جوازات سفر، فإن العديد من القبائل الأخرى -وخاصة تلك التي لا تعتمد على السياحة- جعلتِ الوصول إلى أراضيها أصعب أيضًا، وأخذت زمام المبادرة من قبيلة أراباتشي. من الخارج، ليس لدى معظم الناس أي فكرة عن عدد الصخور الموجودة فعلًا في النهر. إذا تمكن ليف من إيجاد طريقة لجمع تلك الصخور معًا، فقد يتغير مسار التاريخ تمامًا.

المشكلة هي ويل تاشين وما حدث عندما جاء ليف إلى هنا أولَ مرة. مثل أونا، يرى أبناء «أراباتشي» أن ليف نذير هلاك. ربما هو ضحية مجتمعه، لكنه مثل حامل الطاعون، فهو يجلب لهم الأشياء التي يفضلون عدم معرفتها. لو أراد امتلاك أي تأثير هنا، فعليه استمالتهم.

***

في يوم السبت، أخبر أسرة تاشين أنه سيذهب إلى المدينة، قائلًا: "توجد فرقة موسيقية تعزف في حديقة «هيتي». أودُّ أن أسمعها".

سأله تشال: "أتعتقد أن من الحكمة أن يراك الجميع هكذا؟ أعضاء المجلس يتغاضون عن الأمر ويتظاهرون بعدم رؤيتك، ما دمتَ بعيدًا عن الأنظار، لكنْ كلما ظهرت بوضوح أكبر أمام الآخرين، سيزداد احتمال اعتراضهم على وجودك".

لم يصرِّح بما يُخطِّط له حقًّا، بل قال: "لا يمكنني الاختباء إلى الأبد".

رغم أن كيلي قد توسَّل للذَّهَاب معه، فقد منعوه لإطلاقه سبابًا بلغة «أراباتشي»، وهو ما اعتقد أنه يمكن أن يفلتَ منه، لكنَّ هذا لم يحدث. هذا جيد جدًّا، فآخر ما يريده ليف هو توريط كيلي في ما ينوي فعله. إنه بحاجة إلى الذَّهَاب بمفرده.

***

عندما وصل ليف، وجد الحفل قد بدأ فعلًا. ربما يوجد مئتا شخص منتشرين على الملاءات وكراسي الحديقة للتنزه والاستمتاع بأحد أيام أغسطس الدافئة. الفرقة جيدة. عزفت مزيجًا غريبًا من الموسيقى المحلية التقليدية والبوب والأغاني القديمة. عرض يرضي جميع الأذواق.

تحرَّك ليف ببطء، محاولًا ألا يلفت الانتباه قدر الإمكان، لكنه رأى شخصًا عرضيًّا كشف هُويَّتَه، وهمس في أذن من بجواره. حسنًا، سيجدان الكثير للثرثرة حوله خلال الدقائق القليلة القادمة.

شقَّ ليف طريقه نحو المقدمة، وحالما انتهت الفرقة من عرضها الأول، سحب قطعتين من الورق من جيبه وصعد إلى المسرح. أنزل ميكروفون المغني الرئيسي إلى أسفل بضع بوصات حتى يمكنه التحدث دون أن يحجب وجهه، وقال: "عفوًا. عفوًا، هل يمكنكم أن تعيروني انتباهكم؟". أصابه الذهول من مدى ارتفاع صوته ورنينه: "اسمي ليفي جيداديا جاريتي، لكنكم على الأرجح تعرفونني باسم ليف كالدر. إنني أحد الهابطين من السماء «ماهبي»، واستقبلتني أسرة تاشين".

صرخ أحدهم باستخفاف من بين الجمهور: "إننا نعرفك، والآن اهبط عن خشبة المسرح".

وافقه القليلون، وارتفعتْ بعض الضحكات الساخرة. تجاهل ليف ذلك كله، وواصل: "كنت حاضرًا عندما عرض ويل تاشين نفسه على قراصنة الأعضاء، مقابل إنقاذ أكثر من اثنتي عشرة حياة، تشمل حياتي. رغم أن أحد القراصنة قد مات هناك، فإن الاثنين اللذين عاشا أخذا ويل، وباعاه ليُفكَّك، ثم هربا".

صرخ أحد المقاطعين الآخرين: "نعم، أخبرنا بشيء لا نعرفه".

قال ليف: "أنوي ذلك، لأني كشفتُ اسميهما، وأعرف أين أجدهما"، ثم أمسكَ قطعتي الورق، وكل منهما تحمل صورة مكبرة لقرصان أعضاء. أحدهما فقد أذنًا، والآخر وجهه يشبه وجه الماعز. وفجأة، صمت الحشد بأكمله، فواصل حديثه: "تشاندلر هينيسي ومورتون فريتويل. لقد اصطادا الهاربين من التفكيك مدةً في «دنفر»، لكنهما الآن يصيدان في «مينيابوليس»"، ثم وضع الصورتين جانبًا، واقترب من الميكروفون قدر استطاعته: "سأتعقبهما وأعيدهما إلى هنا لمواجهة العدالة. (وأضاف، بلغة «أراباتشي» في طلاقة) من سيساعدني؟".

استمرَّ الصمت.

- قلت من سيساعدني؟

للحظة طويلة، ظنَّ ليف أن أحدًا لن يتقدم، لكنه سمع بعد ذلك صوتًا واحدًا –صوت امرأة– من الجزء الخلفي من الحشد. قالت بلغة «أراباتشي»: ”أنا“.

إنها أونا. لم يرَها ليف حتى من مكانه. شعر بالامتنان والاضطراب في الوقت نفسه. أمِل تجميعَ مجموعة كبيرة من الناس. لو أنهما بمفردهما فقط، ما الفرصة المتاحة أمامهما لإحضار هذين القرصانين؟ ما الفرصة المتاحة لهما للنجاة من مثل تلك المحاولة؟

وبينما شقت أونا طريقها خلال الحشد نحو المسرح، صاح أحدهم: ”هيا! صفِّقوا للمصفق!“.

بدأ الناس يصفقون؛ ببطء في البداية، لكنَّ الإيقاع تسارع، وعندما وصلت أونا إلى المسرح، هتف الجمهور. هنا اختفت شكوكه كلها. لقد بدأتْ محاولته لكسب تأييد شعب «أراباتشي»، وإذا نجح، فيعلم أنه سيستطيع جرهم إلى المعركة ضد التفكيك. سيحصل أخيرًا على السد المنشود!

سألته أونا وسط الحشد المبتهج: ”أواثق أنك تعرف ما تفعله أيها الأخ الصغير؟“.

ابتسم لها ليف، وأجاب: ”لم أثق بأي شيء في حياتي، كما أنا واثق الآن“.

***

الجزء السادس

آكرون

إرهابيون يخططون للهجوم على بريطانيا بقنابل داخل أجسادهم، لتجاوز أجهزة المسح الضوئي الجديدة في المطارات

بقلم كريستوفر ليك، محرر الشؤون الداخلية في «ذا ميل أون صنداي». التحديث: 17:01 بتوقيت شرق الولايات المتحدة، 30 يناير 2010

حتى الآن، دأب الإرهابيون على مهاجمة شركات الطيران، وقطارات الأنفاق، والحافلات من خلال وضع قنابل في الحقائب، أو الأحذية، أو الملابس الداخلية لتجنب كشفها. لكنَّ عملية نفذها جهاز «إم15» كشفت عن أدلة تفيد بأن «تنظيم القاعدة» يخطط لمرحلة جديدة في حملته الإرهابية من خلال إدخال "قنابل جراحية" داخل الناس لأول مرة.

وأضاف مصدر بارز أن المفجرين الذكور سيُخفون المتفجرات بالقرب من الزائدة الدودية أو في الأرداف، في حين توضع المادة المتفجرة داخل صدور الإناث بنفس طريقة زراعة الغرسات لتعزيز الشكل.

وقال الخبراء إن مادة (PETN) المتفجرة (بنتاريريثريتول رباعي النترات) ستوضع في كيس بلاستيكي داخل جسد الانتحاري قبل خياطة الجرح مثل شق العملية العادية وتركه ليشفى.

وتخشى مصادر أمنية أن يتظاهر حاملو القنابل داخل أجسادهم بأنهم من مرضى السكري الذين يحقنون أنفسهم، لمنع أي شخص من إيقاف عملياتهم الانتحارية.

وقال باتريك ميرسر، رئيس اللجنة الفرعية لمكافحة الإرهاب بمجلس العموم: "يواصل أعداؤنا تطوير أساليبهم باستمرار، في محاولة للتغلب على أساليبنا في الكشف. هذا أحد أكثر الأشكال وحشية التي يمكن أن يستخدمها المتطرفون، وبينما نعيد تطوير وسائل أمن السفر، علينا أن نأخذ هذا التطور الجديد في الاعتبار".

وأكدت مصادر أمنية حكومية رفيعة المستوى الليلة الماضية أنها على علم بالتهديد الجديد المتمثل في القنابل البشرية، لكنها ليست مستعدة للإدلاء بأي تعليق رسمي.

نُشِرَ بإذن من «ذا ميل أون صنداي». اقرأ المقال كاملًا هنا:

http://www.dailymail.co.uk/news/article-1247338/Terrorists-plan-attack-Britain-bombs-INSIDE-bodies-foil-new-airport-scanners.html

الزوجان راينشيلد

جلس الدكتور جينسون راينشيلد على مقعد، في غرفة مظلمة، بمفرده. ذهبتْ زوجته لتنام، لكنه لم يستطع النوم. بعد قضاء ساعات طويلة يوميًّا في الفراش، عدةَ أسابيع، عانى أرقًا ساحقًا، وصداعًا لا ينتهي، وفراغًا في روحه لا يمكنه وصفه.

لو أنه أكثر سطحية، لأصبح من الممكن أن يحيا في منتهى السعادة، فهو في نهاية المطاف، يملك ملايين الدولارات في حسابه المصرفي. يمكنه الذَّهَاب مع سونيا إلى أي مكان يريدانه، ويعيشان حياتهما في رفاهية باهظة، لكنْ ما الفائدة؟ وأي مكان يمكنهما الذَّهَاب إليه، دون أن يُذَكِّرهما بالظلام الذي تركاه خلفهما؟

التفكيك ينتشر. والصين أول من قفز إلى عربة القطار، تلتها بلجيكا وهولندا وبقية دول الاتحاد الأوروبي. ادَّعى الروس أنهم مَن توصَّلوا إلى الفكرة، كأنها شيء يستحق الادعاء. وفي دول العالم الثالث، حيث تتغير القوانين بنفس سرعة تغيُّر الحكومات، نمتْ تجارة الأعضاء البشرية في السوق السوداء لتصبح صناعة كبرى.

وماذا عن محاولته تغيير كل ذلك؟ ماذا عن "إنجاز حياته الذي سيقضي على التفكيك"؟ بعد محاولة أخيرة للحصول على بعض الإجابات من «بيودراينكس للأجهزة الطبية»، رُفِعَتْ دعوى قضائية ضده وأمر تقييدي يمنعه من الاقتراب مسافةَ مئة ياردة من أي موظف في «بيودراينكس».

في كل يوم، يذكره قبو منزله بأن أوستن -الذي اهتمَّ به جينسون وسونيا واعتبراه في منزلة الابن- قد رحل، وكأنَّ الأمور بحاجة إلى الازدياد سوءًا، فقد فُكِّكَ هو وسونيا تخيليًّا. قبل طرد جينسون من منظمة المواطنة الاستباقية لرغبته في فعل بعض الخير في العالم، عمل على إزالة البصمة الرقمية. من

المفترض أن تصبح تلك وسيلة لحماية خصوصية المرء على شبكة الإنترنت، من خلال إزالة المراجع والصور غير المرغوب فيها وغير المصرح بها.

لكنْ مثل كل شيء آخر، وجدتِ المواطنة الاستباقية طريقةً لاستخدامها كسلاح. والآن حُذِفتْ كل الإشارات إلى جينسون أو سونيا راينشيلد من الذاكرة الرقمية للعالم. ليس أنها غير موجودة فحسب، بل وَفْقَ السجلات العامة، فهي لم توجد قطُّ يومًا. أولئك الذين يعرفونهما سوف ينسونهما في النهاية، وحتى لو لم يحدث هذا، فسوف يموت هؤلاء الأشخاص في النهاية. ستُمحَى آثار أقدام جينسون وسونيا من على هذه الأرض، كما يحدث للآثار الموجودة على رمال الشاطئ عند ارتفاع المد.

وهكذا، جلس جينسون راينشيلد وحيدًا على مقعده، وكتم كل غضبه، وخيبة أمله في داخله، حتى شعر في النهاية بقلبه ينقبض في صدره، ويصاب بالتشنج القاتل الناتج عن السكتة القلبية.

لكنه سعِد بذلك، وشعر بالامتنان لأن الكون اختار أخيرًا أن يُظهِر له بعض الرحمة.

***

58 - كونر

قالت اللافتة الموجودة على الطريق السريع "مرحبًا بكم في آكرون، عاصمة المطاط في العالم". السماء المظلمة والمهدِّدة أنذرت بأي شيء ما عدا الترحيب. وجد كونر نفسه يقبض على عجلة القيادة في اضطراب، فخفَّف قبضته. اهدأ. اهدأ. إنها مجرد لافتة.

علَّق كام من خلف كونر: "مسرح الجريمة".

ثم خفَّف من حدة الأمر بإضافة: "هذا طبعًا يعتمد على تعريفك للجريمة".

اكتفتْ جرايس -التي ما زالت تجلس بجوار كام في المقعد الخلفي- بفكِّ رموز لوحات السيارات، وتحليلها. قالت إن إحداها مكتوب عليها سبابًا بحروف معكوسة. الأخرى مرسوم عليها قلب وبجواره كلمة «سول»، فقالت: "لا بدَّ أنها سيارة رجل كوري حصل على قلب أحد المفككين".

بدتْ جرايس محصنة ضد مستوى الاضطراب المتزايد في السيارة حتى اقتربتْ من سيارة دورية متوقفة على جانب الطريق السريع، فصاحتْ: "خففْ سرعتك! خففْ سرعتك!".

قال لها كونر: "لا تقلقي يا جرايس. أنا ملتزم الحدَّ الأقصى للسرعة".

سيبدو الأمر غبيًّا إذا التقطتِ الشرطة تجاوزهم السرعةَ، وقُبِضَ عليهم بعد الوصول إلى هذه النقطة. لقد تحطمتِ الغابة الآن بسبب التطويرات الفرعية في الضواحي، وبينما يطوي الطريق، حاول كونر العثور على المكان الذي التقت فيه حياته وحياة ريسا وليف. إنه لا يعرف حتى هل هذا هو الطريق السريع نفسه. بدا الأمر كأنه شيء ليس من حياة أخرى فحسب، بل من عالم

آخر تمامًا. العالم الذي بدأ العودة إليه للتو. شعر كأنه فرودو[1] عند أبواب «موردور». من كان ليظن أن ولاية أوهايو يمكن أن تحمل مثل هذا النذير المشؤوم؟

سأل كام من المقعد الخلفي: "هل تعرف ما تبحث عنه؟ آكرون مدينة كبيرة".

اكتفى كونر بهذا الرد: "ليست كبيرة للغاية".

أدرك كونر أن وجود كام في هذه الرحلة شر لا بدَّ منه، لكنه تمنى ألا يجلس كام خلفه مباشرة حيث لا يستطيع رؤيته، إلا من خلال نظرات مريبة في مرآة الرؤية الخلفية. عرْض المعلومات الذي قدمه كام لم ينجحْ في استمالة كونر. يوجد شيء ما مخادع ومبهم بشكل أساسي بشأن ذلك الفتى المُجمَّع، أو على الأقل بشأن نواياه. إن منحه مزية الشك يمكنْ أن يصيبهم جميعًا باللعنة.

- أتصور أنكَ بالضرورة تعرف آكرون جيدًا.

قال له كونر: "لا على الإطلاق. لقد أتيتُ إلى هنا مرة واحدة فقط".

أضحك قوله كام، الذي قال: "ومع ذلك فإنهم يطلقون عليك اسم إوُول آكرون".

- نعم، الأمر مضحك فعلًا.

ينتمي كونر في الواقع إلى إحدى ضواحي «كولومبوس»، على بعد ساعات من هنا، لكنَّ آكرون هي المكان الذي خدَّر فيه نيلسون بسلاحه. آكرون هي المكان الذي أصبح فيه سيئ السمعة. ولم يعرف وقتها حتى أين هو. لم يعلم أنه في آكرون، إلا عندما ألصقوا به لقب إوُول آكرون المزعج.

صاح كونر فجأة: "الشمال المركزي".

سألته جرايس: "ماذا؟".

- إنه اسم المدرسة. «مدرسة الشمال المركزي الثانوية». علمتُ أنني سأتذكر ذلك في النهاية.

- أستذهب إلى المدرسة؟

(1) فرودو: أحد أبطال سلسلة الروايات الخيالية «سيد الخواتم» أو (Lord of The Rings)، التي أبدعها الكاتب البريطاني جي آر. آر. تولكين. "المترجم".

- إنها نقطة الصفر. إننا نبحث عن متجر للتحف بالقرب من المدرسة. سأعرفه عندما أراه.

سأله كام: "هل أنت واثق من ذلك؟ الذاكرة أمرها غريب".

قال كونر: "هذا في ما يتعلق بك فحسب".

أدخلَ اسم المدرسة في نظام تحديد المواقع (GPS)، فوجَّهَهم صوت لطيف بثقة، رغم أنه بلا روح إلى حد ما. وفي خلال خمس عشرة دقيقة، أصبحوا في الجانب الشرقي من المدينة. انعطفوا عند الزاوية، فبدتِ الأمور مألوفة لكونر بشكل مثير للقلق.

بدتِ المدرسة كما هي بالضبط. ثلاثة مبانٍ من الطوب الأحمر المؤسسي بدتْ بطريقة ما مخيفة في نظره، كما حدث في مستودع الكتب المدرسية في تكساس، عندما سافرت أسرة كونر إلى دالاس وتجولوا في المبنى سيئ السمعة، الذي أطلق فيه أوزوالد النار على كينيدي. أخذ كونر نفسًا عميقًا ومرتجفًا.

إنه منتصف صباح الثلاثاء، لذا فالمدرسة تعمل. إنه الوقت نفسه تقريبًا من اليوم الذي انطلق فيه إنذار الحريق وانفتحت أبواب الجحيم. مرَّ بهم كونر ببطء أمام المدرسة. على الجانب الآخر من الشارع توجد منازل، لكنَّ أمامهم يوجد شارع تِجاري رئيسي.

سأله كام: "أيوجد أي شيء محدَّد يجب أن نبحث عنه؟ أتوجد أي خصائص أو علامات مميزة لمتجر التحف هذا؟".

قال كونر: "نعم، يبيع أشياءَ قديمة"، فضحكت جرايس.

تساءل كونر ماذا ستفعل سونيا عندما تراه. ثم طرأتْ على ذهنه فكرة فظيعة: ماذا لو أنها ماتت؟ أو ماذا لو قُبِضَ عليها لإيوائها مفككين؟ لم يُعبِّر عن مخاوفه، لأنه ربما لو لم يتحدث عنها بصوتْ مرتفع، لن تصبح واقعًا.

ضغط كونر المكابحَ، وكاد يخترق إشارة المرور الحمراء. عَبَرَ أحد المشاة الشارع وهو يحدق إليهم.

قالت جرايس: "لستَ سائقًا ماهرًا، أليس كذلك؟".

ثم التفتت إلى كام، وسألته: "أتعلم أنه كاد يقتل ليف؟".

أصرَّ كونر: ”إن قيادتي جيدة، لكنَّ هذا المكان يلتهم عقلي“. نظر حوله، في انتظار أن يتغير لون إشارة المرور، ”لا أعرف أيًّا من هذا، لكنني أعلم أن المتجر لا يمكن أن يكون على بعد أكثر من بناية أو بنايتين“.

اقترحتْ جرايس: ”إذن، قُدِ السيارة حول المدرسة في دائرة تتسع. رغم أن الشوارع ليست دائرية، فإنها تبدو كشكل لولبي مربع“.

قال كام: ”هذا ما يُسمَّى «دُوَّامة أولام»، بالمناسبة. إنها طريقة لرسم الأعداد الأولية بيانيًّا. في الغالب، لن تعرف ذلك“.

نظر إليه كونر باشمئزاز في مرآة الرؤية الخلفية، وسأله: ”هل كل مَن في مجتمعك الداخلي أغبياء؟“، فأخرس قوله كام.

وسَّعوا نطاق بحثهم، إلى أن ضغط كونر المكابح فجأة مرة أخرى، لكنْ ليس بسبب إشارة المرور الحمراء، وصاح: ”ها هو ذا. ما زال موجودًا“.

احتوتِ الواجهة غير الجذابة للمتجر الواقع عند الزاوية على لافتة بسيطة مكتوب عليها «تُحف جودبير هايتس». لأنه يقع على بعد بنايتين من الطريق الرئيسي، فلا يبدو أنه يحظى بالكثير من الرواج. أوقف كونر سيارته في الجهة المقابلة من الشارع، وجلسوا بها صامتين عشرَ ثوانٍ تقريبًا. ثم فكَّ حزام أمانه، قائلًا: ”حسنًا، فلنذهب ونتسوق بعض التحف!“.

***

59 - سونيا

لم تتفاجأ بمجيء الصبي لاسيتر إلى هنا، لكنها تفاجأت بمن يصاحبه. إن المُجمَّع الذي ظهر من العدم هو آخر رفيق سفرٍ توقعت رؤيته معه. ومع ذلك، لم تُبدِ دهشتها، كما لم تُبدِ سعادتها الغامرة برؤية كونر أيضًا. من وجهة نظر سونيا، فإن الأحاسيس الحقيقية تُشكِّل عائقًا. إنها تؤلمك دائمًا في النهاية. لقد خدمها وجهها الخالي من التعبيرات جيدًا على مر السنين، وفي مناسبات عدَّة، أنقذ حياتها.

قالت لكونر، وهي تضع المصباح الذي أصلحته للتو جانبًا: "لقد عدتَ إذن، ودون أن تنقصك صحبة من الأصدقاء!".

لم تبادرْ بمعانقته أو حتى مصافحته، وجاراها كونر، محافظًا على مسافة بينهما، فقد تعلم أيضًا فنون الهدوء الدفاعي الرفيعة. ومع ذلك، فهو لم يصل إلى مستوى إجادة سونيا. يمكنها استشعار مدى ارتياحه لوجوده هنا، ومدى سعادته لرؤيتها، حتى لو لم يظهر ذلك على وجهه؛ شعرتْ بذلك من هالته العامة.

قال مبتسمًا: "مرحبًا يا سونيا، أم يجب أن أدعوكِ الدكتورة راينشيلد؟".

تفاجأتْ بقوله، فهي لم تسمعْ هذا الاسم بصوت مرتفع منذ سنوات. خفق قلبها بقوة، لكنها ظلت تمنع عواطفها من الظهور على وجهها، واختارتْ عدم الرد على اتهامه -لأن هذا الاسم يعد في الواقع الحالي اتهامًا- رغم علمها أن عدم الرد هو بمنزلة اعتراف.

سألتْه: "أستقدم لي مجموعتك الصغيرة؟ أم إنك لم تتعلم بعد أي أخلاق؟".

بدأ بالمرأة الغامضة عريضة المنكبين التي تبدو في غير مكانها وسط هذا الثلاثي، رغم أن الأمانة تقتضي تأكيد أن أيًّا من الثلاثة لا يتناسب مع الآخر حقًّا.

- هذه جرايس سكينر. لقد أنقذت حياتي قبل بضعة أسابيع.

الوحيدة التي تقدمتْ إلى الأمام هي جرايس، مُجبِرة سونيا على مصافحتها، وقالت: "مرحبًا. سمعتُ أنكِ قد أنقذتِ حياته أيضًا، لذا أعتقد أننا زميلتان الآن".

ثم قدَّم كونر المُجمَّع على مضض، لكنَّ سونيا أوقفته قبل أن ينطق اسمه، قائلة: "أعرف من هو". اقتربتْ من كام، ونظرت إليه من خلال عدسات النظارة العتيقة كأي شيء آخر في متجرها؛ ضريبة رفض زرع عينين جديدتين: "مم.. لا توجد ندوب على الإطلاق، مجرد مواضع التحام. تحياتي لبُناتِك".

بدا عليه عدم الارتياح لفحصها إياه، رغم تخيُّلها أنه معتاد ذلك. قال لها ببعض الفظاظة: "إنهم جرَّاحون، وليسوا عمال بناء".

- يقولون إنك تتحدث تسع لغات.

- إضافة إلى أنني أدرس المزيد.

قالت مرة أخرى، منزعجة من النبرة المتغطرسة في صوته: "مم.. أثق أنه ليس من المفاجئ لك أن وجودك يثير اشمئزازي".

قال، متنهدًا في استسلام: "فهمتُ. لستِ أول من يخبرني ذلك".

- ولن أكون الأخيرة، أنا واثقة من ذلك، لكنْ ما دمنا نفهم بعضنا، فلا بأس.

في الخارج، مرَّ زوجان شابان منخرطيْن في محادثة. راقبتهما سونيا حتى تأكدت من عدم دخولهما المتجر، وشعرت بالارتياح مع ابتعادهما. وهنا أدركتْ أنها أمضتِ الكثير من الوقت بصحبة زوارها على مرأى من الجميع، فقالت لهم: "ادخلوا الغرفة الخلفية، إلا إذا أردتم مراقبة المبيعات".

قال كونر وهو يقود الآخرين خلال الستار إلى الغرفة الخلفية: "لديَّ الكثير من الأسئلة".

- ستصاب إذن بخيبة أمل، لأن ليس لديَّ إجابات.

قال مباشرة: "إنكِ تكذبين. لِمَ تكذبين؟".

تبسمتْ سونيا من قوله، وقالت: "كما أرى، لقد ازددتَ حكمة قليلًا عما كنت عليه عندما غادرتَ. أو ربما أصبحتَ أكثر إرهاقًا".

- كلاهما، كما أظن.

- وطالت قامتك قليلًا أيضًا. أم إن الأمر أنني انكمشت فحسب؟

ابتسم كونر في حكمة، وقال: "كلاهما، كما أظن".

ثم رأتْ سمكة القرش على ذراعه. فارتجفتْ، وحاولتْ أن تشيح بنظرها بعيدًا، لكنَّ الوشم لفت انتباهها، فقالت: "لا أريد أن أعرف شيئًا عن ذلك بالتأكيد"، رغم أنها تعرف كل شيء عنه فعلًا، من مصدر مختلف.

سأل كونر: "كيف هي الأمور في قبوكِ؟ أما زلتِ متمسكة بحيلك القديمة؟".

قالت لهم: "أنا مخلوق لا يتخلى عن عاداته. ومجرد انهيار منظمة مقاومة الانقسام لا يعني أن أنهار أيضًا بالضرورة". ثم نظرتْ إلى كام الذي بدا كجاسوس يسجل لقطات ذهنية لكل ما يراه، وسألت كونر: "أيمكنني الثقة به؟".

أجابها كام بنفسه، قائلًا: "أهدافنا متشابهة. في أي ظروف أخرى، كنت سأقول لا، لا يمكنك الثقة بي، لكنني أريد القضاء على المواطنة الاستباقية بقدر ما يرغب في ذلك صديقي الهارب من التفكيك. لذا، فبالنسبة إلى جميع النوايا والأغراض، أنا هارب".

صدقته سونيا بنسبة 50 بالمئة فقط، لكنها قبلتْ بحكم كونر في ما يخص الــ50 بالمئة الأخرى، وقالت: "مم.. الضرورة تصنع من الغرباء رفاقًا، كما يقولون".

ردَّ كام كمن يشارك في عرض ألعاب: "«العاصفة» لشكسبير. في الواقع، إن البؤس هو الذي يصنع من الغرباء رفاقًا، لكنَّ الضرورة لا بأس بها أيضًا".

أمسكتْ سونيا بعصاها الموضوعة بجوار مكتبها، ونقرت بها على صندوق تخزين عتيق يقبع في وسط الغرفة الخلفية المزدحمة، وقالت له: "حسنًا، أرنا فائدتك، وادفع هذا جانبًا".

نفَّذ كام طلبها. لاحظتْ سونيا أن عيني كونر مسلطتان على الصندوق، فهو الوحيد الذي يعرف أهميته؛ ما يحتويه وما يخفيه.

بمجرد دفع الصندوق جانبًا، أخذ كونر على عاتقه إزاحة السجادة الإيرانية المغبرة أسفله، ليكشف عن الباب السحري. مدَّتْ سونيا -الأقوى بكثير مما يبدو عليها- يدها إلى أسفل، وسحبتِ الحلقة الحديدية، ورفعتِ الباب. وهنا، فَسَحَتِ الهمسات المجال بسرعة للصمت في مكان ما بأسفل.

قالت سونيا للصبية الثلاثة، مُلوِّحة بإصبعها نحو جرايس التي أخذتْ تلمس كل شيء تقريبًا: "سأعود فورًا. ولا تلمسوا أي شيء".

وبينما وطأتْ سونيا الدرجات الخشبية شديدة الانحدار بقوة لكنْ ببطء، أخفتِ ابتسامة ماكرة. أدركت أن الأمور ستتعقَّد. إنها تخشى ذلك، لكنها تتطلع إليه أيضًا. العجوز تحتاج إلى بعض الإثارة في حياتها.

عندما وصلتْ إلى الدرجة السفلية الأخيرة، قالت: "إنها أنا فحسب"، فخرج جميع صبيتها الهاربين من التفكيك من مخبأهم، أو على الأقل أولئك الذين يهتمون.

سألها أحدهم: "ماذا عن الغداء؟".

- لقد تناولتَ الإفطار للتو. لا تكن خنزيرًا.

شقَّتْ طريقها إلى فجوة صغيرة في الزاوية البعيدة من متاهة القبو المزدحم، وهناك انهمكتْ فتاة -لها عينان خضراوان مذهلتان وشعر بني مُموَّج بلطف مع خصلات كهرمانية- في تنظيم مخبأ لمستلزمات الإسعافات الأولية.

قالت لها سونيا: "لديكِ زوار".

نظرتْ إليها الفتاة في حذر شديد، خشية التعلق بأحبال أمل واهية، وسألتها: "أي نوع من الزوار؟".

ابتسمتْ سونيا في خبث، وقالت: "الملاك والشيطان الماكثان على كتفيكِ يا ريسا. أتمنى أن تتمتعي بالحكمة الكافية لتعرفي أيهما الشيطان، وأيهما الملاك".

***

60 - ريسا

المصادفة ليست هي التي جعلت مساريْ حياة ريسا وكونر يلتقيان مرة أخرى في آكرون، بل إنه الغياب المطلق للخيارات الأخرى.

خلال كل الفترة التي تجوَّلتْ فيها ريسا بيأس منذ وُضِعَتْ على متن الحافلة لتفكيكها، لم تشعرْ بأدنى أمل في الإحساس بالأمان إلا في قبو سونيا. لقد أُخلِيَتِ المقبرة، وأمضت وقت راحة لطيف في متجر أودري، لكنها شعرتْ هناك بالاضطراب يوميًّا، أما المخابئ التي نُقِلَتْ إليها في الظلام، فإن منزل سونيا هو الوحيد الذي عرفتْ موقعه الفعلي.

كان بإمكانها التراجع والبقاء تحت الحماية الغريبة لمجتمع ساي-فاي، لكنها أدركتْ أن معظم شعب تايلر لم يرحبْ بوجودها حقًّا. لأسباب واضحة، لم تستطعْ قطُّ أن تشعر بأنها جزء من هذا المجتمع. لم يتركْ لها ذلك سوى حياة الشوارع، أو حياة الاختباء وحيدة. لقد سئمتِ التلفُّت حولها في توجس، والنوم في صناديق القُمامة كهاربة حديثًا من التفكيك، في انتظار أن يتعرفها أحدهم، رغم تغيُّر مظهرها. وفي تلك الحالة، ستصبح مسألة وقت فحسب حتى يبلغ أحدهم السلطات عنها، ويحصل على المكافأة، ويسلمها إلى المواطنة الاستباقية التي لا بدَّ أنها قد أعدَّتِ العديد من الخطط للتعامل معها.

ولم يبقَ أمامها سوى خيار واحد قابل للتطبيق.. سونيا.

عندما وصلتْ ريسا منذ بضعة أسابيع، وجدتْ عملاءَ في متجر التحف، يتفاوضون مع سونيا على منضدة جانبية عادية. سارت ريسا استراتيجيًّا في ممر آخر، متعجبةً من كيفية وضع العديد من العناصر بشكل غير مستقر فوق بعضها دون أن تسقط، وهو دليل تجريبي على أن ولاية أوهايو ليست عرضة للزلازل.

أخيرًا غادر الزوجان، وهما يحملان منضدتهما بصعوبة، ولم تقدمْ سونيا لهما أي مساعدة سوى تحذيرهما: "انتبها لعتبة الباب؛ إنها غير مستوية". بمجرد إغلاق المفصلات الصدئة للباب، خطَتْ ريسا إلى الأمام، لتُظهِر نفسها وتلفت الانتباه.

زمَّت سونيا شفتيها عندما رأتها هناك، ربما شعرتْ بالإهانة لأنها تسللتْ دون أن تلاحظ وجودها، وسألتها: "أيمكنني مساعدتك في العثور على شيء ما؟".

شعرتْ ريسا ببعض الرضا لأن سونيا لم تتعرَّفها على الفور. وعندما فعلتْ أخيرًا، أطلقتِ العجوز صيحة فرحة غير معهودة، وأسقطتْ عصاها حتى تتمكن من معانقة ريسا.

وفي تلك اللحظة أدركتْ ريسا أن هذا أقرب ما يمكن أن تعرفه على الإطلاق عن شعور العودة إلى المنزل.

الآن، وبعد مرور أسبوعين من وجودها في قبو سونيا، وجدتْ ريسا نفسها تؤدي نفس دور ويندي بالنسبة إلى الأولاد المفقودين في رواية «بيتر بان ووينْدي»، لأن في الآونة الأخيرة، يبدو أن الأولاد فقط هم من تمكَّنوا من الوصول إلى مكان سونيا البعيد للغاية، وهذا ما يدل على الحقيقة المحزنة المتمثلة في أن المزيد من الفتيات الهاربات من التفكيك يقعن فريسة لقراصنة الأعضاء والانتهازيين الآخرين.

عندما أخبرتها سونيا أن "زوارًا" حضروا من أجلها، بدأتْ ريسا تصعد الدرج في تخوف، لكنَّ وتيرة صعودها تسارعتْ عندما تحوَّل هذا التخوف إلى حماس. يوجد القليل جدًّا من الأشخاص الذين قد تُرسِل سونيا ريسا إليهم في الطابق العلوي.

لم تجرؤ على أن تأمل رؤية شخص معين من هؤلاء القلائل هنا، لأنها لم ترغبْ في ظهور خيبة الأمل على وجهها لو وجدت هايدن أو إمبي مثلًا، وكليهما ستسعد برؤيته، لو لم تتعلق بأمل أكبر من ذلك. أسرعتْ تعبُر الباب السحري المفتوح، فكاد رأسها يصطدم بحافة لوح الأرضية، ورأته على الفور. لم تقلْ شيئًا لأنها وثقت لحظةً أن ما تراه من نسج خيالها؛ أن عقلها قد ألصق وجه كونر على وجه شخص آخر، لأنها تريد رؤيته بشدة. لكنْ ما تراه ليس خيالًا. إنه هو وعيناه تعكسان دهشتها. وهنا سمعتْ صوتًا يقول: "ريسا؟".

لم يصدرِ الصوت من كونر، فاتجهت عيناها قليلًا نحو اليمين، لتجد أنه كام الذي تحول ذهوله فعلًا إلى ابتسامة عريضة.

بدأ رأس ريسا يدور، وهي لا تدري أيهما يجب أن تنطق اسمه أولًا، فأخذت تتلعثم: "كـ... كـ...". أصابها ما يشبه الصدمة الارتجاجية عندما رأت الاثنين معًا، فتراجعت خطوة إلى الوراء، واصطدمت بحافة الباب السحري، فانغلق بعد أن عبرته سونيا بلحظة واحدة. لو لم تصعد المرأة الدرج بسرعة أكبر من سرعة نزولها، لسحق الباب المرتد جمجمتها.

لم تستطع ريسا التوفيق بين ما تراه: هذان الجزءان المنفصلان من حياتها يقفان جنبًا إلى جنب. خُيِّلَ إليها أن الكون نفسه قد خانها، وفضحها، وتركها ضعيفة ومُعرَّضة لجميع الهجمات. لم تكن على وفاق مع كونر أو كام عندما تركتهما. فجأة أصبح تفكيرها دفاعيًّا، وتحولتْ دهشتها عند رؤيتهما إلى ريبة.

- م.. ماذا يحدث هنا؟

تقدم كام -الذي ما زال يشعر بالذهول لرؤيتها- خطوة إلى الأمام، لكنَّ كونر حجبه تمامًا، عندما خطا متوقفًا أمامه، دون أن يدرك حتى إنه فعل ذلك، وسألها في حذر: "ألن تلقي علينا التحية حتى؟".

قالت في ضعف أغضبها من نفسها: "مرحبًا".

ازدردتْ لعابها، ولاحظتِ الآن فقط وجود شخص آخر أيضًا. فتاة لا تعرفها، فاكتفتْ بالنظر إليها في الوقت الحالي.

مع تلاشي احتمالات حدوث مشهد لقاء عظيم، كألعاب نارية رطبة لا تشتعل، ضربتْ سونيا عصاها بالأرض في إحباط لجذب انتباههم، قائلة: "حسنًا، لا تقفا هكذا فحسب. امنحانا مشهدَ حب يليق بكل العصور، أو على الأقل لقطة مضحكة سريعة الانتشار".

قال كام بغطرسة شديدة، جعلتْ ريسا ترغب في لطمه: "يُسعِدني التنفيذ".

قال كونر بازدراء رافض أغرى ريسا بلطمه أيضًا: "إنها لا تتحدث إليك".

ليس هذا ما يفترض أن يحدث في هذه اللحظة! خلال هذه الأشهر العدَّة، تصورتْ لقاءها وكونر عشرات المرات بعشرات الطرق المختلفة. لم يشعرْ أيّ منهما في تلك التصورات بالقلق من كسر الجليد. أما كام، فقد اعتقدتْ أنها لن

تراه مرة أخرى، لذلك لم تفكر مطلقًا في فكرة لقائه. ومن الغريب أنها وجدتْ نفسها سعيدة برؤيته أكثر مما توقعت. لقد أضاع هذا الإحساس تركيزها على كونر، ولهذا شعر جزء منها بالاستياء منهما. لا ينبغي لأيهما أن يعمل على تشويش لحظاتها مع الآخر. ولا ينبغي أن يسمح القدر العاقل الرحيم بارتباك وغموض عواطفها. لكنْ متى أظهرت لها الحياة أي تعاطف؟

لقد تغلَّب كام الآن على حضور كونر الطاغي. وقفا هناك جنبًا إلى جنب كأنهما ينتظران أن تختار ريسا أحدهما. فجأة أدركتْ ريسا أنها تجهل تمامًا كيف تتعامل مع هذا الوضع. وجدتْ ذلك مرعبًا كالوقوع في فخ قرصان الأعضاء.

وهنا أنقذتها تلك الفتاة المجهولة الموجودة في الغرفة، عندما تقدمتْ منها وأمسكتْ يدها وصافحتْها بقوة، وهي تنقل نظراتها بين كونر وكام، قائلة: "مرحبًا، أنا جرايس. يمكنكِ أن تدعيني جرايس أو جرايسي -لا مانع لديَّ في كلتا الحالتين- أو حتى إليانور، لأن هذا هو اسمي الأوسط. إنه لشرف لي أن ألتقيكِ يا آنسة وورد. هل يمكنني أن أدعوكِ ريسا؟ أعرف كل شيء عنكِ من أخي، الذي يعشقكِ نوعًا ما. حسنًا، كان يعشق كونر أكثر، لكنه اهتم بكِ أيضًا، رغم أنكِ بدوتِ مختلفة حينها، لكنْ أعتقد أن هذا حدث عمدًا. تغيير لون عينيكِ تصرف ذكي. يعتقد الناس أن الشعر هو سبب تغير المظهر، لكنَّ العينين هي التي تجعل الشخص يبدو مختلفًا".

قالت ريسا، وقد أربكها حماس جرايس الشديد: "نعم، هذا ما قالته مصففة الشعر التي أنجزت هذا العمل".

- أيوجد طعام في ذلك القبو هناك، لأنني جائعة؟

لاحقًا فقط، أدركت ريسا مدى فعَّالية تدخل جرايس الفظ في نزع فتيل الموقف المتفجر تمامًا. كأنها خططت للأمر تقريبًا.

***

61 - كام

هذا يغير كل شيء.

حقيقة أن ريسا أصبحت الآن جزءًا من المشهد، أجبرتْ كام على إعادة تقييم أهدافه وكذلك أساليبه لتحقيقها. باعتباره هاربًا، احتاج إلى هذا التعاون الهش مع كونر. رغبته في النجاة تطلبتْ ذلك، ورغم يقينه أن كونر عدو له، فلا يمكنه مواجهة أكثر من عدو في الوقت نفسه، وعدوه الآن هو المواطنة الاستباقية.

اعترف كام لنفسه أنه بُهِرَ بكونر بقدر ما احتقره منذ اللحظة التي التقاه فيها. لا يمكنه أن ينسى كيف أظهر له تعاطفه -ورحمته- عندما لم تفعل أونا. ربما أنقذ كونر حياته في ذلك اليوم في كوخ حمَّام البخار. لو عُكِسَتِ الأدوار، لم يكنْ كام ليفعل الشيء نفسه، وهذا جعل كونر يستحق التأمل والدراسة.

وهكذا نصَّت خطته -منذ تلك اللحظة فصاعدًا- على التقرب من كونر واستخدامه للمساعدة في إسقاط منظمة المواطنة الاستباقية. بعد ذلك، بمجرد إسقاط روبرتا وجميع رفاقها من ذوي النفوذ والأقوياء، سيعرف كام كونر جيدًا بما يكفي للتخلص منه أيضًا. عليه أن يفهم بوضوح المكانة التي وضعتْ ريسا إِوُول آكرون فيها، قبل أن يتمكن من التخطيط لهدم هذه المكانة، تاركًا كونر لاسيتر لا شيء في عيني ريسا.

لكنِ الآن بعد أن أصبحت ريسا هنا فعلًا، شعر كام كأنه قد تحوَّل إلى قرد مضطر إلى ضرب صدره أمامها للفوز بشعورها. ألهذه الدرجة من التدني وصل به الأمر إذن؟

طقوس تزاوج بدائية تتسامى لتتخذ مظهرًا متحضرًا؟ ربما، لكنَّ كام يعرف أنه يُمثِّل خطوة إلى الأمام على طريق التطور البشري. إنه كائن مُركَّب،

وهو يؤمن بأن مجتمعه الداخلي سيتحفز في سبيل التفوق على كونر في كل مرة. لكنْ لماذا يجب أن يحدث هذا الآن؟

لم تصطحبهم سونيا إلى القبو، ليبقوا مع الهاربين من التفكيك المختبئين بأسفل، وأشارت إلى كام بإبهامها، كمن توقف سيارة على الطريق، قائلة: "سيمزقون هذا الشخص بمجرد رؤيته".

قال لها كام ببرود: "من الوقاحة الحديث عن أحدهم بصيغة الغائب".

قال كونر ساخرًا: "حقًّا؟ عندما تكون مُجمَّعًا من أجزاء مئة شخص، أليس الحديث عنك بصيغة غائب واحد صحيح يعتبر مجاملة؟".

استعدَّ كام تمامًا لمهاجمة كونر، لكنه تذكر وجود ريسا، واختار ألا يفعل ذلك. فلترَه نموذجًا لضبط النفس!

ثم تأملتْ سونيا كونرَ لحظةً، وقالت: "أنت أيضًا لن ترغب في النزول إلى القبو في وجود كل تلك الأعين المفتونة بك. لعلكَ قد حصلتَ على ما يكفيكَ مدى الحياة من تقديس الأبطال".

غمغمتْ جرايس التي شعرتْ بالتأكيد أنها إنسانة عادية وسط كائنات مميَّزة: "أما أنا، فلم أفعل".

قالت لها سونيا: "اعتبري نفسكِ محظوظة إذن. في هذه الأوقات، كلَّما قلَّ اهتمام الآخرين بكِ، زادت فرصكِ في العيش بما يكفي لرؤية الأشياء تتغير".

دعمها كام، قائلًا: "أحسنتِ القول!"، لكنَّ سونيا صاحت في وجهه: "لم يسألكَ أحد".

أخذتهم إلى الزقاق الخلفي الذي تنتظرهم فيه سيارة «سابربان» قديمة بثلاثة صفوف من المقاعد؛ تحتاج إلى غسل عميق، وطلبت منهم جميعًا ركوبها. رغم أن كام بذل قُصَارى جهده للجلوس بجانب ريسا، فإن جرايس اندفعتْ لتركب خلفها مباشرة اتباعًا لمبدأ «السيدات أولًا» وجلست بجوار ريسا، التي نظرت إلى كام ومنحته ابتسامة مغتَصبة كمن تقول: "حظ سعيد المرة القادمة". لم يستطعْ قراءة ما بداخلها على الإطلاق. لم يعرفْ هل تشعر بالارتياح لوجود جرايس بجوارها، أم إنها تشعر بخيبة أمل. نظر إلى كونر الذي بدا لا يهتم بالمكان الذي يجلس فيه. «بدا» هي الكلمة الأساسية عند وصف حال كونر. إنه ماهر للغاية في إخفاء ما يجري في تلك المساحة المحيرة بين أذنيه.

لأنه آخر الركاب، حاول كام الجلوس في المقعد المجاور للسائق، لكنَّ سونيا لم تسمح بذلك، قائلة: "توجد فرصة أقل لرؤيتك في الخلف، لأن تلك النوافذ أكثر إعتامًا. إضافة إلى ذلك، فإن وجهك «متعدد الثقافات» يُشتِّت انتباه عجوز تحاول قيادة سيارة كبيرة". وهكذا، تُرِكَ المقعد المجاور للسائق فارغًا، وانتهي الأمر بكام جالسًا في الخلف مع كونر، الذي سأل: "إلى أين سنذهب، إذن؟".

أدارت ريسا عنقها إلى الخلف، وأجابته مبتسمة: "سترى".

لم يستطعْ كام أن يحدد أهي الابتسامة نفسها التي منحته إياها منذ قليل، أم إنها تحمل المزيد من الدفء. لم يسعْه احتمال جهله بالإجابة. الإحباط الناتج عن ذلك، جعله يشعر بالحِكَّة في مواضع التحامه. علم أن كل هذا من صنع خياله، لكنَّ الدغدغة في مواضع التحامه بدتْ حقيقية للغاية. إن العَلاقة غير المعلنة وغير المحددة بين ريسا وكونر تثير جنونه.

قادتْ سونيا سيارتها بحذر كبار السن، ومع ذلك أخذت تصطدم بكل نتوء وحفرة على الطريق وتطلق سبابًا يمكن أن يجعل وجه عامل تحميل بضائع يحمرُّ خجلًا. وبعد خمس دقائق، توقفتْ أمام منزل متواضع مكوَّن من طابقين.

وعندما توقفوا، سألت ريسا: "هل منحتِها تنبيهًا؟".

وضعتْ سونيا السيارة في مكان انتظار السيارات بدفعة حاسمة، قائلة: "أنا لا أمنح تنبيهات. أنا أتصرف، والناس يتعاملون مع الأمر".

تساءل كام بلا سبب أستصبح روبرتا هكذا إذا عاشت مدة كافية لتصير في هذا العمر. وأصابه التصوُّر بقُشَعْرِيرة غير متوقعة وغير مرغوب فيها.

بمجرد مغادرة السيارة، قادتْهم سونيا بسرعة إلى بوابة جانبية، حيث بدأ كلب صغير من نوع «تشيه تزو» في النباح فعلًا، ولم يُبدِ أي علامة على التوقف في أي وقت قريب.

قالت لهم سونيا: "إننا نعيش في عالم خلفي، لذا أسرعوا قبل أن يصاب الجيران بالفضول". فتحت البوابة، متجاهلةً الكلب الذي حاول عض أقدام الجميع في وقت واحد، في دفاع غير مجدٍ عن أراضيه، وقادتهم إلى الفناء الخلفي، مضيفة: "في أحد هذه الأيام، سأركل هذا الكلب الأحمق ركلة ترسله

إلى خارج البلاد". وعندما رأت ريسا نظرة جرايس القلقة، أكدتْ لها أن سونيا لا تعني ذلك.

في وجود سياج خشبي مرتفعٍ حول محيط الفناء، يصبحِ الباب الخلفي أقل وضوحًا بكثير من الأمامي. دقّت سونيا الباب بشدة، ثم دقّته مرة أخرى، وقد افتقرت إلى ما يكفي من الصبر لانتظار الرد عليها. وأخيرًا جاءت امرأة إلى الباب. بدتْ في منتصف الأربعينيات من عمرها وحملتْ طفلةً صغيرةً ترتدي فستانًا يحمل رسم «الفأرة ميني». خمَّن كام أن الطفلة منقولة. يبدو أن الناس في منتصف العمر هذه الأيام يجدون دائمًا أطفالًا تُرِكوا على عتبات منازلهم.

سألت المرأة المحاصرة: "يا إلهي. ماذا حدث؟"، ثم سأل كونر لاهثًا وهو ينظر إلى الصغيرة: "ديدي؟". ورغم أن الفتاة لم تبدِ أي إشارة تدل على تعرُّفه، فإن المرأة التي تحملها بدت عليها السعادة والدهشة في الوقت نفسه لرؤية كونر، وقالت: "لقد غيرتْ اسمها إلى ديردري".

قالت ريسا: "حسنًا، ما زلتُ أطلق عليها ديدي. أنتَ تتذكر هانا، أليس كذلك يا كونر؟".

بدا واضحًا أنها تحاول إنقاذه من الحرج الناتج عن عدم تذكر اسم المرأة، التي عندما نظرتْ إلى كام، شحب وجهها، فلم يستطع كام مقاومة قول: "خَدْعَة أم حلوى؟[1]"، رغم أن عيد جميع القديسين ما زال على بعد أشهر.

وضعتْ هانا صغيرتها ديردري أرضًا، وطلبتْ منها الركض إلى الداخل واللعب، وهو ما أسعدها فعله للغاية، وتبعها الكلب -العاجز عن منع نفسه من النباح- على مسافة كافية لحراسة الموضع بين المطبخ وغرفة الطعام.

قالت هانا، وعيناها ما زالتا مثبتتين على كام: "إنكَ تمتلئين بالمفاجآت يا سونيا"، ثم أدخلتْهم جميعًا قبل أن يلفتوا انتباهًا غير مرغوب فيه من سكان الحي. وجد كام المنزل حارًّا للغاية، لكنْ ربما راوده هذا الإحساس فحسب لتناقض الأجواء في الداخل وبرودة اليوم الملبد بالغيوم.

---

(1) في عيد جميع القديسين (الهالوين)، يطرق الأطفال أبوابَ المنازل قائلين هذه العبارة "خَدْعَة أم حلوى؟"، أي إذا لم يعطِ صاحب المنزل الطفل حلوى، فسيؤدي الطفل خَدْعَة، أو يلقي سحرًا على صاحب المنزل وممتلكاته كنوع من العقاب. "المترجم".

قالت ريسا: ”أقضي أيامي في مساعدة سونيا، لكنْ هانا أكرمتْ وفادتي وسمحتْ لي بقضاء الليل هنا خلال الأسابيع القليلة الماضية“. وبعد أن استقرَّ بهم المقام في الداخل، قدَّمت الباقين إلى هانا، وتركتْ كام للنهاية، وبوعي ذاتي عرَّفته، قائلة: ”إنه كامو كومبري الوحيد والفريد من نوعه“.

سأل كام وهو يصافح هانا: ”هل أنتِ من أعضاء منظمة مقاومة الانقسام؟“.

حدجته بنظرة الشك نفسها كما يفعل الجميع ممن لا يُبهرون به، وقالت: ”لا. لم أنتمِ قطُّ إلى مقاومة الانقسام. أنا مجرد مواطنة تشعر بالقلق“.

ثم وجهتْ حديثها إلى سونيا: ”يجب أن نتحدث؛ وحدنا“.

اصطحبتْ هانا سونيا إلى غرفة أخرى، وقبل أن تدخل، ألقت نظرة خاطفة عليهم وقالت: ”راقبي ديردري يا ريسا. أما بقيتكم، فاسترخوا واستريحوا، لكنْ لا تبالغوا في ذلك“.

رافقتهم ريسا -مضيفتهم المؤقتة الآن- إلى غرفة المعيشة المليئة بألعاب الأطفال قبل سن المدرسة ذات الألوان الأساسية المتناثرة عشوائيًّا على الأرض. تجاهلت ديردري الزائرين، واكتفت بإلقاء الكتل البلاستيكية نحو الكلب، الذي التقطها، لأنه لم يعد مهتمًّا بالدفاع عن الأرض. احتوتِ الغرفة على العديد من الساعات. لا بدَّ أن هانا تهوى جمعها. أشارت جميعها إلى أوقات مختلفة، فجميعها غير متصلة بمصدر للطاقة. حسنًا، جميعها تقريبًا. توجد ساعة واحدة تدقُّ، لكنَّ كام لم يستطعْ تحديد مصدر الصوت. وفكَّر ساخرًا: ”هذا مناسب للغاية! من المفترض أن يعتمد منزلُ متعاطفة مع الهاربين من التفكيك على أهمية الوقت، لكنَّ الساعات كلها تتعارض مع بعضها“.

أسدلتْ ريسا الستائر، فيما استقرُّوا في مقامهم الجديد، إلى أن يتخذ اجتماع القمة بين سونيا وهانا قرارًا بشأن ما يجب فعله معهم. قالت ريسا في حرج شديد لا يشبهها مطلقًا: ”حسنًا، ها نحن هنا“.

قال كام: ”وهذه هي التنانين“، ولم يعرفْ هو نفسه بالضبط سبب قوله ذلك أو ما يعنيه. كل ما عرفه هو أن ما قاله -بطريقة غريبة- صحيح. إنه يعلم أن ريسا لا تزال تحاول استيعاب وجوده مع كونر هنا. إنها حتى لم تسأل كيف اجتمعا معًا، وهو ما أنبأ كام بأنها بعيدة كل البعد عن التعامل مع الأمر، حتى إنها لا تريد أن تعرف. جلسوا جميعًا متباعدين على أريكة والمقعدين

المواجهين لها، في محاولة لمنع هذا الشعور بغرابة الموقف. جرايس هي الوحيدة التي ظلَّت واقفة. أخذتْ تتجوَّل في أرجاء الغرفة، وبدت محصَّنة ضد الاضطراب وهي تفحص الصور الفوتوغرافية والحُلي وتُدخِل يدها في وعاء حلوى «جولي رانشرز» الموضوع على رف مرتفع جدًّا بحيث لا تستطيع ديردري الوصول إليه.

تمنى كام أن يتمكن من الوصول إلى جزء واحد على الأقل من نفسه يحتفظ بهذا القدر من البراءة. حتى الأعشارُ المقيمون بداخله ليسوا سذجًا بما يكفي ليشعروا بالأمان في غرفة معيشة هانا المريحة. إن أجزاء ذاكرته المنتمية إلى الأعشار تتعلق أكثر بالشعور بالتفوق، لذلك كل ما يمكنه أن يستخرجه منها هو الانعزال. هذا لن يجعل ريسا تحبه.

أوضحتْ ريسا: "هانا هي المعلمة التي أنقذتني أنا وكونر من رجال شرطة الأحداث في بداية هروبنا".

قال كام بصعوبة: "أوه، من الجيد أن نعرف ذلك".

كل ما فعله تفسيرها هو تعزيز التاريخ الذي يجمعهما هي وكونر، لذا يكره كام الاضطرار إلى سماع ذلك. أما جرايس، فقد سعدتْ بوجودها خارج إطار هذه المحادثة، ووضعتْ وعاءَ الحلوى على منضدة القهوة في غرفة المعيشة. أثارتْ رؤية وعاء حلوى «جولي رانشرز» نصف الممتلئ خلافًا سخيفًا داخل كام. لقد أطلق عليه «قلق الاختيار». همهم محدثًا نفسه: "النعيم في عين أحدهم، هو الجحيم في عين آخر"، لكنه أدرك أنه قالها بصوت مرتفع بما يكفي ليسمعه الجميع، لذا شرح لهم: "ليست براعم التذوق فقط هي التي تخلق تفضيلًا للنكهات. مجتمعي الداخلي دائمًا على خلاف عندما يتعلق الأمر بأشياء مثل تلك الحلوى. جزء مني يحب التفاح الأخضر وآخر العنب. أحدهم لديه انجذاب خاص نحو الخوخ -وهي النكهة التي لم تعد تُصنَّع بعد الآن- ويجد آخر مفهوم «جولي رانشرز» برمَّته مثيرًا للغثيان". تنهَّد، محاولًا التخلص من قلق الاختيار الذي لا معنى له: "إن أوعية الأشياء المختلطة تمثل لعنة بالنسبة إليَّ".

حدجه كونر بنظرة ميتة فارغة يجب التدرب عليها جيدًا: "إنك تتحدث كأنَّ أحدًا يهتم فعلًا".

منحتْ ريسا كامَ تلك الابتسامةَ المغتصبةَ مرة أخرى، وسألته: "كيف يمكن للناس أن يهتموا بما يحدث داخل عقلك يا كام، في حين أنهم لا يستطيعون اكتشاف ما بداخل عقولهم؟".

بدتْ كمن تُلمِّح بقولها إلى كونر، لكنها لم تلبثْ أن ربَّتت يده بلطف، وتحوَّل التلميح الساخر إلى مداعبة مرحة.

سأل كام ريسا، محاولًا أن يبدو مرحًا بدوره: "لِمَ لا تختارين نكهة لي؟" ، لكنَّ ريسا تجنبتِ الأمر بقولها: "بعد المتاعب التي مرَّت بها روبرتا لتجد لك أسنانًا جميلة، لِمَ تُعَرِّضها للتسوس؟".

أعلنت جرايس: "لقد أخذتُ مفضلاتي، لكنَّ هذا لا يهم". أشارت إلى صف الحلوى الذي صنعته بمسافات جيدة بين كل قطعة وأخرى، ووضع خاتمة نهائية للموضوع بقولها: "أنا أتناولها دائمًا وَفْقَ الترتيب الأبجدي".

قرر كام أن يطيع الذاكرة الحسية التي لا تحب الحلوى الصلبة، لذا لم يأخذ أيًا منها.

سألت ريسا كام في تردد: "كيف حال أصدقائكَ في المواطنة الاستباقية؟".

قال لها: "إنهم ليسوا أصدقائي مثلما هم ليسوا أصدقائك".

أوشك أن يخبرها بانقلابه عليهم وتخليه عن الأضواء الساطعة لمساعدتها، لكنَّ كونر سرق الكشف منه، وأسرع يقول: "لقد أراني كامو بعض الأدلة الضارة التي يمكننا استخدامها ضدهم".

شعر كام بالأسف الشديد لعرضه تلك الملفات على كونر. لو علم أنه سيواجه ريسا وجهًا لوجه هنا في آكرون، لاحتفظ بكل شيء ليقدمه لها. والآن استاء من كونر لمجرد معرفته بهذه الأسرار.

أضاف كام، موجهًا حديثه إلى ريسا: "ويوجد المزيد. يمكنني أنا وأنتِ أن نتحدث لاحقًا".

تحرك كونر بعدم ارتياح، ووجه انتباهه إلى الصور الموجودة بالغرفة، قائلًا: "أعتقد أن هانا مطلقة أو أرملة منذ وقت قريب. توجد صور لرجل معها في بعض الصور، من بين ذلك صورة مع ديردري، لكنَّ هانا لا ترتدي خاتم زواج".

قالت جرايس دون أن ترفع عينيها عن صف الحلوى: "إنها أرملة بالتأكيد. لا توجد امرأة تحتفظ بصور زوجها السابق".

هز كونر كتفيه، قائلًا: "على أي حال، يبدو أنها مهتمة حقًّا بتربية ديردري هذه كابنة لها".

اعترفتْ ريسا: "هذا صحيح. حسنًا فعلنا عندما تركناها مع هانا. لا يعني ذلك أننا حظينا بالكثير من الخيارات".

اتجاه المحادثة أشعر كام بعدم الارتياح، فسأل: "من هما والدا الطفلة بالضبط؟".

ابتسم له كونر، واضعًا ذراعه حول كتفي ريسا، وقال: "إنها طفلتنا. ألا تعلم؟".

للحظة صدقه كام، لأنه يعلم أن ريسا تملك العديد من الأسرار التي لم تُكشَف بعد. شعر كام بالإحباط، إلى أن تملصتْ ريسا ببراعة من ذراع كونر، وشرحتْ: "إنها رضيعة منقولة، التقطها كونر من مدخل المنزل". لقد اعتنينا بها مدةً وجيزةً. ثم تطوعتْ هانا بتسلُّمها قبل نقلنا إلى المخبأ التالي".

سألها كام الذي شعر بارتياح كافٍ جعله يستمتع بالفكرة: "وهل وجدتِ الأمومة تجربةً مثيرة للاهتمام؟".

قالت ريسا: "نعم، لكني لستُ في عجلة من أمري لتَكْرار الأمر". ثم وقفتْ وابتعدتْ عن كام وكونر، مضيفة: "سأرى ما يوجد في الثلاجة. لا بدَّ أنكم جوعى".

بعد انصرافها، تغير سلوك كونر قليلًا. تجهم وجهه، وأصبح رماديًّا غائمًا مثل السماء في الخارج، وهو يقول محذرًا كام: "كفَّ عينيك ويديك عنها! أهذا واضح؟ لا تُسبِّب لها أي حزن أكثر مما تسببت فيه فعلًا".

قال كام: "آه! الوحش أخضر العينين الذي يهزأ من اللحم الذي يتغذى عليه[1]! لقد أخبرتني ريسا أنك من النوع الغيور، لكنكَ عطيل ضعيف وباهت".

- سأفكك بيديَّ العاريتين لو لم تتركها وشأنها.

ضحك كام من قوله، وقال: "شجاعتك التي لا طائل منها ستتسبب في سقوطك. كل هذه غطرسة فارغة لا يوجد ما يدعمها".

- غطرسة؟ بل أنت المغرور الممتلئ بذاته! أو بالآخرين، لو أردت الدقة.

بدا كأنَّ سيفًا قد سُحِبَ من غمده أخيرًا في هذه المبارزة. رفعت جرايس عينيها عن حلوى «جولي رانشرز»، وحتى ديردري والكلب -في الجانب الآخر

---

(1) «الوحش أخضر العينين...»: هكذا وصف إياجو الغيرة في قصة «عطيل» لويليام شكسبير. "المترجم".

من الغرفة- بدا عليهما الانتباه. ما ردُّ الفعل الذي سيصدر عن كام؟ رغم أن الأجزاء الجامحة في نفسه أرادتْ أن تنفجر غاضبة، فإنه كبح جماحها. الغضب هو ما يريده كونر. هذا ما يعرف كونر كيفية التعامل معه. لن يستجيب كام لذلك.

في النهاية، أجبر كام نفسه على الرد بهدوء: "حقيقة أنني أفضل منك جسديًّا وفكريًّا وإبداعيًّا ليست غطرسة أو غرورًا؛ إنها حقيقة بسيطة. أنا الرجل الأفضل، لأني خُلِقْتُ هكذا. لا حيلة لي في ما أملك، كما لا حيلة لك في ما تفتقر إليه".

تبادلا نظرات قاسية حتى تراجع كونر، قائلًا: "لو أردتَ أن نتبارز للفوز بريسا، فهذا ليس الوقت المناسب. إننا جميعًا الآن بحاجة إلى أن نصبح أصدقاء".

فأشارت جرايس: "ليس بالضرورة أن يصبح الحلفاء أصدقاء. خذ الحرب العالمية الثانية كمثال؛ لم نكنْ لنفوز بها دون دعم روسيا، رغم كراهية الجانبين بعضَهما في ذلك الوقت".

قال كام، متأثرًا مرة أخرى بحكمة جرايس غير المتوقعة: "سننظر إلى ذلك بعين الاعتبار".

ثم وجَّه حديثه إلى كونر: "في الوقت الحالي، دعنا نتفق على أن ريسا محظورة. مِنْطَقة منزوعة السلاح".

قالت جرايس: "إنك تخلط بين الحروب. المِنْطَقة منزوعة السلاح كانت كوريا".

قال كونر: "إنها إنسانة، وليست مِنْطَقة"، ثم ذهب ليلعب مع ديردري، واضعًا حدًّا لجميع المفاوضات. قال كام لجرايس، والذي لاحظ أيضًا الأفلام الوثائقية التي استغرقت في مشاهدتها بالفندق: "لقد نسيتِ أن الولايات المتحدة وروسيا كادتا تقصفان بعضهما بالقنابل النووية بعد الحرب العالمية الثانية".

قالت جرايس وهي تعود إلى الحلوى التي تتناولها: "أنا لا أنسى شيئًا. عندما تصلان إلى هذه المرحلة حقًّا، أتوقع أنني سأبني لنفسي ملجأً للحماية من القنابل".

***

62 - كونر

هذا يغير كل شيء. سرعان ما تحطَّم حماس كونر الأوَّلي عند رؤية ريسا تحت وطأة الواقع. ليس المقصود وجود كام، بل حقيقة وضعهم. الآن بعد أن أصبحت ريسا معهم، لم تعد بعيدة عن الأذى. لقد اشتاق إليها كونر، ولا شكَّ في ذلك. طوال هذه الأشهر، ظل يتألم، متمنيًا سماع صوتها وكلماتها ليشعر بالارتياح. كم تاق إلى تدليك ساقيها، رغم علمه أنها لم تعد مشلولة! لم يتغير شعوره تجاهها. حتى عندما ظنَّ أنها خانت القضية وأصبحتْ صوتًا شعبيًّا يدعم التفكيك، علم في أعماقه أنها لا يمكن أن تفعل ذلك بمحض إرادتها.

وهكذا، عندما ظهرت على الهواء مباشرة على شاشة التلفاز لتكشف أن الأمر مجرد خَدْعَة، ووجهتْ لطمة قوية إلى المواطنة الاستباقية، أحبها أكثر. بعد ذلك، اختفتْ تمامًا واختبأتْ كما حدث معه، فشعر بالارتياح. اعتاد النظر إلى السماء ليلًا، وهو يعرف أنها موجودة في مكان ما، وتستخدم ذكاءها الحاد للحفاظ على سلامتها.

لكنَّ كونر ليس ملاذًا آمنًا الآن. في ظل ما يعتزمون الكشف عنه عن المواطنة الاستباقية، وما يمكن أن يتعلمه من سونيا، ستصبح ريسا في خطر أكبر بكثير في صحبته. رحلته الآن إلى النيران لم تعد بعيدة، وطبعًا سترغب في الذَّهَاب معه. وظل صدى كلمات كام يتردد في ذهنه: "أنا الرجل الأفضل، لأني خُلِقْتُ هكذا".

رغم كل ذكائه المختار بعناية، فمن الغباء أن يعتقد كام أن الغيرة هي ما يدور حوله هذا الأمر. نعم، اعترف كونر بوجود قدر معين من الغيرة يُخيِّم على الأمور، لكنَّ التنافس على محبة ريسا يبدو هدفًا تافهًا، مقارنة بحاجة كونر إلى حمايتها من نفسه ومن كام.

بينما يلعب كونر مع ديردري على أرضية غرفة المعيشة، حاول تبديد غضبه الذي لن يفيد في هذا الوضع. إن الاستسلام لغيرته لن يؤدي إلا إلى تشتيت انتباهه.

استلقتِ الطفلة أرضًا، واضعة قدميها في وجه كونر، وقالت: "خَدْعَة أم حلوى! شُمَّ رائحة قدمي!".

وجد رائحة قدميها تشبه رائحة طعام الأطفال الذي لا بدَّ أنها قد وطأته، ورأى دوائر برتقالية من البطاطا الحلوة المهروسة تُشوِّه نقوشَ البط المنتشرة في جميع أنحاء جوربها.

قال كونر، وهو يكاد لا يصدق أن هذه الطفلة هي نفسها التي أخذها من أمام باب منزل المرأة البدينة ذات العينين الصغيرتين اللامعتين وابنها البدين لامع العينين كأمه: "يا له من جورب جميل!".

قالت ديردري في سعادة: "جورب منقوش بالبط!"، ثم لمستِ القرش الموشوم على ذراعه بسبابتها اللزجة، وأضافتْ ضاحكة: "ذراع منقوشة بالسمك! ذراع منقوشة بالسمك! ذراع سمكية!".

فتحت ضحكتها صمام تخفيف الضغط في نفس كونر. لقد قلَّلت ديردري إحساسه بالإحباط.

قال للطفلة: "إنها سمكة قرش".

كررت ديردرى: "سمكة قرش! قرش.. قرش!"، ثم ركَّبت رأسًا بلاستيكيًّا لدمية امرأة على جسم بلاستيكي صغير لرجل إطفاء، وسألتْ كونر: "هل رأتْ والدتك القرش المرسوم على ذراعك؟ أهي غاضبة؟".

تنهد كونر. إنه يرى الأطفال كالقطط. يحبون دائمًا القفز في أحضان الأشخاص الذين يعانون الحساسية. تساءل كونر أتدري ديردري أن الموضوع الذي أثارته أمامه للتو يكفي لإصابته باضطراب عصبي وطفح جلدي.

قال لها: "لا. أمي لا تعرف شيئًا عن القرش".

- أستوبخك؟

أجابها كونر: "لا داعي للقلق".

كررتْ ديردرى: ”لا داعي للقلق“، وثبتت إطار سيارة لعبة فوق رأس الشخصية البلاستيكية الصغيرة، وهذا ما جعلها تبدو كقلنسوة روسية كبيرة الحجم.

لا تعرف ديردري بوجود رسالة في الصندوق العتيق الموضوع في غرفة سونيا الخلفية. توجد في الواقع مئات الرسائل. جميعها كتبها الهاربون من التفكيك، وكلها مكتوبة للآباء الذين سلموهم ليُفكَّكوا. منذ اللحظة التي رأى فيها كونر الصندوق في وقت سابق من ذلك اليوم، أخذ يتخيل ما سيحدث عند تسليم تلك الرسالة يدويًّا، ويراقب من مكان مخفي فيما يقرأها والداه. مجرد التفكير في الأمر الآن تسبب في انغلاق قبضة رولاند بشدة. تخيل تلك القبضة تضرب زجاج النافذة، وتنتزع الرسالة منهما قبل أن يتمكنا من قراءتها، لكنه طرد الفكرة من رأسه، وفتح أصابعه بحذر، موجهًا اليد للعودة إلى ألعاب مرحلة ما قبل المدرسة.

جمعتْ يد رولاند قطع لعبة «الليجو» معًا بالكفاءة نفسها التي تتمتع بها يد كونر الطبيعية، وهذا ما يُثبِت أنها يمكن أن تبني بقدر ما يمكنها أن تهدم.

***

لا بدَّ أن قوى الإقناع التي تتمتع بها سونيا تصل إلى مستوى خارق، لأن هانا وافقتْ على إبقائهم جميعًا تحت حمايتها.

قالت لهم هانا: ”يمكن لجرايس أن تنام مع ريسا. ويمكنكما أيها الصبيان أن تتشاركا غرفة الحياكة الخاصة بي. توجد بها أريكة تتحول إلى سرير، عليكما إما أن تتشاركاها، وإما أن تتعاركا حتى يفوز بها أحدكما. دعوني أوضِّح هذا الأمر؛ منزلي ليس مخبأً. إنني أفعل هذا لأنه الشيء الصحيح الواجب فعله فحسب، لكنْ لا تستغلوا طبيعتي الطيبة“، ثم طلبتْ منهم الابتعاد عن النوافذ والاختباء إذا طرق أحدهم الباب.

سارع كونر بإجابتها: ”إننا نعرف التعليمات. لسنا حديثي العهد بهذه الأمور“.

قال كام، مشيرًا إلى جرايس: ”البعض منا كذلك. مما أفهمه، لقد أقحمتَها في هذا“.

أخبرته جرايس، لتمنع كونر من الانسياق إلى معركة مع كام: ”لقد أقحمتُ نفسي، ويمكنني الاختباء جيدًا مثل أي شخص آخر“.

شعرتْ سونيا بالرضا لأن الوضع تحت السيطرة، فقالت وهي تستعد للمغادرة: "يجب أن أُطعِم الشياطين المقيمين في قبو منزلي، قبل أن يشعروا بالقلق"، رغم أن كونر يعرف من خلال تجربته أنهم قلقون دائمًا.

هبَّت العاصفة بعد عشرين دقيقة؛ تيار مستمر من المطر والبرق البعيد هدَّد بالاقتراب لكنه لم يفعل قطُّ. طلبتْ هانا البيتزا للعشاء، وهو أمر طبيعي سخيف في وضعهم الخَطِر.

تقع غرفة الحياكة في الطابق العلوي مع باقي غرف النوم، وهي مساحة صغيرة بها أريكة صغيرة تتحول إلى سرير، ومزيَّنة بكرانيش تهين مفهوم الرجولة ذاته.

عرض كام، ليتأكد أن ريسا ترى كرمه المتفاني: "سأنام على الأرض".

لكنَّ ريسا ابتسمتْ لكونر، وقالت لكام: "لقد سبقكَ إلى ذلك".

قال كونر: "نعم".

- يجب أن أصبح أسرع في المرة القادمة.

شعر كام بالضيق، لأنه ما زال حبيسَ وضعِ المنافسة. لبقية اليوم، بذلت ريسا قُصَارى جهدها لتجنب الوجود في الغرفة مع كليهما في الوقت نفسه، ولما كان كام لا يسمح لكونر بالغياب عن عينيه، فإن تفاعلهما الوحيد مع ريسا حدث في خلال حضورها السريع إلى غرفتهما الضيقة، لتزويدهما بالأغطية والمناشف ولوازم الاستحمام، وقالت فيما تعطي كونرَ معجون أسنان وكامَ فرشاة أسنان: "إننا نحتفظ بمجموعة من الأغراض للصبية المقيمين في قبو سونيا".

سألها كام بابتسامة جذابة أزعجتها: "أمن المفترض أن نتشارك فرشاة الأسنان؟".

ارتبكت ريسا، وقالت معتذرة: "سأعثر على أخرى".

لم يرَ كونر ريسا مرتبكةً من قبل. ازدادتْ كراهيته لكام لأنه يربكها، لكنه أدرك أن السبب ليس كام فحسب، بل وجودهما معًا. تساءل كونر كيف ستتعامل معه ريسا في غياب كامو كومبري.

كشف ذلك بعد العشاء، في أثناء استحمام كام.

انهمكتْ جرايس في اللعب مع ديردري، وشهدت الضحكات الصادرة من غرفة الطفلة على نجاحها. اجتهد كونر في العثور على وضعية مريحة على الفراش المترب، عندما ظهرتْ ريسا عند مدخل غرفته هو وكام؛ وقفتْ عند الباب، وقد أوضح صوت المياه في الحمام أن كام لن يعود قبل بضع دقائق على الأقل.

سألته في تردد: "أيمكنني الدخول؟".

جلس كونر على السرير، محاولًا أن يبدو أقل انزعاجًا مما يشعر به: "بالتأكيد".

جلستْ على المقعد الوحيد في الغرفة وابتسمتْ، قائلةً: "لقد اشتقتُ إليك يا كونر".

هذه هي اللحظة التي اشتاق إليها كونر. إنها لحظة احتفظ بها في ذهنه حتى يتمكن من مواصلة حياته، لكنْ بقدر ما يرغب في استعادة إحساسها به، علِم أنه لا يستطيع ذلك. لا يمكنهما أن يصبحا معًا. لا يمكنه إعادتها إلى هذه المعركة الآن بعد أن أصبحتْ آمنة. لكنْ لا يمكنه أيضًا دفعها نحو كام. لذا أمسكَ يدها، لكنْ ليس بمنتهى القوة، وقال: "نعم. وأنا أيضًا"، لكنَّ كلماته لم تُظهِر حرارة ما يشعر به حقًّا.

تأملته، فتمنى ألا تكشف حقيقة ما يدور خلف ملامحه الهادئة، وقالت: "كل تلك الأشياء التي قلتُها: الإعلانات التِجارية، وإعلانات الخدمة العامة لمصلحة التفكيك؛ إنك تعلم أنني تعرضت للابتزاز، أليس كذلك؟ هددوني بمهاجمة المقبرة لو لم أفعل ما يريدون".

أوضح كونر: "لقد هاجموا المقبرة على أي حال".

هنا، بدأت تشعر بالقلق، وسألته: "كونر، إنك لا تعتقد...".

قاطعها، وقد عجز عن تضليلها وإظهار عكس ما يشعر به: "لا، لا أعتقد أنكِ خُنتِنا، لكن الكثير من المكتملين ماتوا في تلك الليلة". ما أراده حقًّا هو إحاطتها بذراعيه ومعانقتها بإحكام. أراد إخبارها أن التفكير فيها هو الشيء الوحيد الذي يحثه على الاستمرار. لكنه بدلًا من ذلك، أضاف: "لقد ماتوا. لا يوجد ما يقال بعد ذلك".

- أستلقي عليَّ اللوم بعد ذلك بشأن ستاركي؟

قال كونر: "لا، بل أنا من يُلام على ذلك".

خفضتْ ريسا عينيها، وللحظة رأى الدموع تتراكم فيهما، لكنْ عندما نظرتْ إليه مرة أخرى، وجد وجهها متصلبًا. استخدمتْ درعًا مرة أخرى لإخفاء ضعفها، وقالت وهي تبعد يدها عنه: "حسنًا، يسعدني أنك حي، ويسرني أنك بأمان".

قال كونر: "إنني في أمان بقدر ما يمكن توقعه، مع الأخذ في الاعتبار أن قرصانًا مارقًا، والمواطنة الاستباقية، وهيئة الأحداث يطاردونني".

تنهدت ريسا: "أعتقد أننا لن نصبح آمنين أبدًا".

قال كونر قبل أن يتمكن من إيقاف نفسه: "أنتِ آمنة. قدِّمي لنفسك معروفًا، وابقي هكذا".

هنا، نظرتْ إليه في شك، وسألته: "ماذا يُفترَض أن يعنيه هذا؟".

- هذا يعني أنكِ مستقرة في هذه الحياة مع هانا وديدي. لِمَ تخسرينها؟

- مستقرة؟ إنني هنا منذ أسبوعين فحسب! لم يستقرَّ هذا الأمر كثيرًا.. والآن أنت هنا...

لم يعتبر كونر نفسه ممثلًا قطُّ، لكنه تظاهر بالغضب قدر استطاعته، وقاطعها قائلًا: "والآن أنا هنا.. ماذا؟ أتظنين أنكِ ستنضمين إليَّ في مواجهة كل هؤلاء؟ ما الذي يجعلكِ تعتقدين أنني أريد ذلك؟".

عجزتْ ريسا عن الرد، كما تمنى أن يحدث. وبعد أول لكمة عاطفية وجهها لها، تابع كونر: "الأمور مختلفة الآن يا ريسا. والإحساس الذي جمعنا في المقبرة...".

قاطعتْه ريسا، لتنقذه من ألم كذبة أخرى، وتمنحه بدلًا من ذلك نوعًا مختلفًا من الألم: "لم يجمعنا شيء. لقد تلاقتْ طرقنا فحسب"، ثم هبتْ واقفة، وفي اللحظة نفسها ظهر كام عند الباب، وأضافتْ: "لكنها تفرقت الآن".

خرج كام من الحمام بمنشفة كبيرة التفتْ حول نصفه السفلي، لكنَّ نصفه العلوي ظل عاريًا، فظهرت عضلات بطنه الست المثالية وصدره المنحوت. تأكد كونر أنه جاء إلى هنا بهذه الهيئة عمدًا، لأنه يعلم بوجود ريسا.

- ماذا فاتني؟

وضعتْ ريسا يدها بلا خجل على صدره، متتبعة الخطوط التي تلتقي فيها أنسجته، وقالت بلطف: "لم يكذبوا يا كام. لقد شُفِيَتْ مواضع الالتحام تلك

بمثالية. لا توجد ندوب على الإطلاق"، ثم ابتسمتْ له وطبعتْ قبلة على وجنته قبل أن تخرج من الغرفة.

أمِلَ كونر أن اهتمامها المفاجئ بكام يهدف إلى إغاظته فحسب، لكنه لم يتأكد من ذلك. ولصرف انتباهه بعيدًا عن هذا الأمر، نظر إلى ذراعه المزروعة، وتركها تشتت تفكيره. إنه حريص على عدم غلق يده في هيئة قبضة. بعض الناس يُعبِّرون عن عواطفهم بوضوح وتبدو على ملامحهم، أما كونر فتتركز عواطفه في مفاصل أصابعه التي تنغلق بقوة في بادرة هجومية أو دفاعية. وهكذا ركَّز انتباهه في هذه اللحظة على سمكة القرش على معصمه. عيناها الناريتان غير الطبيعيتين؛ أسنانها كبيرة الحجم؛ المنحنى العضلي لجسمها. إنها مثال للقبح، لكنها رشيقة بشكل مقلق. كم يكرهها! في الواقع، لقد أصبح يحب كرهه العظيم لها.

أغلق كام الباب، وفي وقاحة كشف باقي جسده وهو يرتدي ملابسه، لكنَّ كونر لم يعرْه اهتمامًا. وفي المرة التالية التي نظر فيها إلى كونر، ملأتِ ابتسامته وجهه كمن يعرف أكثر منه، وقال: "عندما يتعلق الأمر بريسا، لا عجب في أي اتجاه تهب الرياح".

قال كونر: "ستنثر الرياح الرمال في عينيك، لو لم تأخذ حذرك".

- أهذا تهديد؟

- أتعلم؟ إنك لست بنصف الذكاء الذي تظنه.

ثم ذهب إلى الحمام بدوره، ليغتسل بماء بارد من شأنه أن يُخمِد الحرارة المشتعلة في رأسه.

***

63 - جرايس

رغم أن اللعب مع ديردري ممتع، فإن الهدف منه فحسب هو تهدئة عقل جرايس. توجد قوى كبيرة تعمل في هذا المنزل، وهذه القوى قريبة جدًّا من تمزيق بعضها. حتى الآن، اتحد كام وكونر بقوة سعيًا خلف الهدف نفسه، رغم التنافس بينهما. ورغم أن جرايس تعتبر نفسها مجرد رفيقة طريق، فهي تعلم أنها ترى الأشياء التي لا يراها الآخرون.

فمثلًا، ترى كونر، وتعلم أنه يحب ريسا ويدفعها بعيدًا عنه عمدًا لإنقاذها. لكنه لن ينقذها؛ ستقاوم ريسا، وتفسد خطته من خلال إلقاء نفسها في الحرب ضد التفكيك بتهور أكبر مما سبق. وقد تتسبب محاولته لإنقاذها في مقتلها.

أما ريسا، فلو لم يظهر كونر، لربما بقيتْ هنا، لكنِ الآن أصبح الأمر غير وارد. لن يتوقع كونر ذلك أبدًا. إنه مقتنع بأنه يعرفها أفضل مما يفعل حقًّا.

ونصل إلى كام؛ الشبيه بمدفع حقيقي سريع الطلقات. سيرحب بحماقة بأي اهتمام تمنحه إياه ريسا، سواء حقيقي أم لغرض في نفسها. وفي النهاية كل ما تُقدِّمه لن يكفيه. سيشعر بالخيانة والاستغلال، وحتى لو فضَّلته ريسا على كونر، فلن يصدق ذلك. لن يثق بقرارها. سيتفاقم غضبه المرتبك. تعرف جرايس أن كام سينفجر قريبًا، وليكنِ الله في عون أي شخص على مقربة منه بما يكفي ليصاب بشظية.

لذا تلعب جرايس مع ديردري المسالمة، لكنها تسمع كل كلمة، وترى كل حركة يفعلها الآخرون، وتعرف أن أي شيء تقوله سيؤثر في لوحة اللعب المنكوبة هذه.

***

في وقت متأخر من تلك الليلة، استلقتْ جرايس مستيقظةً وأخذت تحدق إلى السقف، حيث يزحف ظل شجرة خلال السقف في شؤم كلما سطعتْ أضواء سيارة مارة.

نهضتْ ريسا وذهبتْ بهدوء إلى الباب، فقالتْ جرايس: ”لا تفعلي. لا تفعلي ذلك، رجاءً“.

- إنني ذاهبة إلى الحمام فحسب.

- لا، هذا غير صحيح.

ترددتْ ريسا، ثم تماسكتْ قليلًا، وقالت: ”يجب أن أذهب“.

ثم أضافت: ”هذا ليس من شأنكِ على أي حال“. لكنَّ جرايس عرفتْ أنها مخطئة.

غادرتْ ريسا، فأغمضتْ جرايس عينيها، وسمعتْ صرير باب غرفة الشابين وهو يُفتَح. إنها تعرف ما سيحدث هناك. ستجلس ريسا على سرير كونر، وتوقظه بلطف، لو أنه ليس مستيقظًا فعلًا. أما كام -الذي ينام على الأرض- فليس نائمًا، بل يتظاهر بالنوم، وسيسمع كل شيء.

ستهمس ريسا بشيء لكونر، على غرار: ”يجب أن نتحدث“، وسيحاول كونر تأخير ذلك، قائلًا: ”في الصباح“. لكنها ستلمس وجهه، وهذا سيجعله ينظر إليها. لن يريا عيني بعضهما إلا على بصيص ضوء الشارع الخافت المنعكس في الخارج، والذي سيصبح كافيًا. حتى في الظلام، سيسقط قناع كونر المتصلب، وستعرف ريسا الحقيقة. لن يتحدثا، لأن الأحاسيس لا تحتاج إلى الكلمات أبدًا، بل يكفي التواصل في صمت. تواصل لا يمكن إنكاره. سيغادران الحجرة مباشرة. ويغلقان الباب، لكن جزئيًّا فقط، حتى لا يصدر صوتًا. سيبادر كونر بتقبيلها، لكنَّ ريسا ستبادله العاطفة مضاعفة. ستختفي أي أسئلة عن شعورهما تجاه بعضهما في لحظة يظنان فيها أنهما بمفردهما في العالم. قبلة واحدة فقط، وبعدها ستغادر ريسا وتنام في رضا كطفلة لما تبقى من الليل.

لكنَّ كام سيعرف. وسيبدأ في وضع الخطط. لا تدري جرايس كُنه هذه الخطط بالتحديد، لكنها تعلم أنها لن تفيد أحدًا، ولا حتى نفسه. لم ترَ أي أمل في تحقيق ربح، إلى أن يحدث شيء جذري. بدأ الظل يغيب، وأصبح السقف مظلمًا دون ظل شجرة متعرج، ومع ذلك يوجد صوت محرك سيارة. لا، بل

سيارتين، لكنْ بلا أضواء. لماذا يقود الناس سياراتهم في هذا الوقت من الليل دون إضاءة مصابيحها؟

نظرتْ من النافذة، لترى شاحنة صغيرة وسيارة سِيدان داكنة اللون تقفان بجانب الرصيف. فُتِحَتِ الأبواب الخلفية للشاحنة، وتجمَّع فريق من المسلحين، ودون صوت تسللوا فوق العشب نحو المنزل.

شعرتْ جرايس بنبضات قلبها تتسابق بأقصى سرعة. احتقنتْ أذناها ووجنتاها بسبب تدفق الأدرينالين. لقد عثروا عليهم! سمعتْ أصواتًا هامسة، فأنصتت على أمل أن يقولوا شيئًا مفيدًا.

همس قائد الفريق: "أنتم الثلاثة في الخلف، انتظروا الإشارة".

ثم همس آخر: "إنه هنا. أكاد أشم رائحته".

وفجأة عرفتْ جرايس كل ما تحتاج إلى معرفته. خرجتْ من الغرفة لترى ريسا وكونر في خضم تلك القبلة التي عرفتْ أنها ستحدث بينهما، وسألتها ريسا في دهشة: "جرايس! ماذا...".

لكنْ قبل أن تتمكن من إكمال سؤالها، سمعوا جميعًا صوت اصطدام مزدوج للأبواب الخلفية والأمامية، فدفعتهما جرايس إلى غرفة كام وكونر، وأغلقت الباب خلفها. قفز كام واقفًا ومستيقظًا تمامًا، كما عرفتْ جرايس أن هذا سيحدث. تولتْ زمام الأمور، لأنهم لا يملكون الكثير من الوقت. إنها تعرف أن فرص النجاة في مثل هذا الموقف لا تزيد على خمسين بالمئة فحسب في أحسن الأحوال.

همست: "ادخلي تحت السرير يا ريسا! وادفنْ وجهك في وسادتك يا كونر.. الآن!".

ثم التفتتْ إلى كام: "وأنت، ابقَ في مكانكَ بالضبط!".

حدَّق إليها كام في استنكار، قائلًا: "أأنتِ مجنونة؟ إنهم يعرفون أننا هنا!".

سمعوا صوت خطوات على الدرج. بقيت ثوانيَ فحسب. قالت له جرايس، قبل أن تلحق بريسا تحت السرير: "لا، إنهم يعرفون أنكَ هنا".

***

64 - كام

اقتحمَ الغرفةَ رجلان في ملابس سوداء ومسلحين بمسدسات تهدئة «ماجنم» كاتمة للصوت. وجَّه أحدهما سلاحه نحو كام، فرفع يديه إلى أعلى تلقائيًّا، وقد أغضبه القبض عليه بهذه السهولة، لكنه يعلم أن المقاومة لن تؤدي إلا إلى تهدئته.

لكنَّ المهاجم الثاني لم يتردد في تهدئة الصبي النائم على الفراش، فانتفض كونر من تأثير الطلقة وغاب عن الوعي.

قال الحارس الذي يُصوِّب سلاحه مباشرة نحو صدر كام: "من الصعب العثور عليك يا سيد كومبري".

كاد يضحك من قوله، وسأله في دهشة: "أنا؟ ألديك أي فكرة من الذي هدأته للتو؟".

قال: "إننا لا نهتم بـالمحظوظين الذين عشتَ معهم في الأحياء الفقيرة. لقد جئنا إلى هنا من أجلكَ".

حدَّق إليه كام في ذهول، وفجأة أدرك القوة الفظيعة والرائعة التي مُنِحَها. قوة الإنقاذ والتدمير. لقد عرف الآن للتو أن حتى في الأسر سيصبح بطلًا بصرف النظر عما يفعله. السؤال هو أي نوع من الأبطال يريد أن يكون؟ وفي نظر مَن؟

***

65 - روبرتا

لم تدخل المنزل إلا بعد أن منحها قائد الفريق تصريحًا كاملًا. في الداخل، ظل الرجال في حالة تأهب قصوى، رغم إمساكهم بطرديتهم، وارتفعتْ صرخات حادة لطفلة صغيرة بدتْ كنفير إنذار سيارة.

قال لها قائد الفريق: "لقد هدأنا الأم، لكننا قلقنا بشأن تخدير الطفلة. الجَرْعة قد تقتلها".

قالت روبرتا: "حسنًا فعلتم. لم نفقدِ الليلة عنصر المفاجأة، ولا حتى إنسانيتنا". ومع ذلك، أزعجها بكاء الطفلة، فأضافت: "أغلق باب الغرفة عليها. أثقْ أنها ستواصل البكاء إلى أن تعود إلى النوم".

تبعتْ قائد الفريق إلى الطابق العلوي، وهناك دفع اثنان آخران من قوة الضبط التابعة للمواطنة الاستباقية كامَ نحو الحائط في غرفة نوم مظلمة وقيدا يديه خلف ظهره. مدَّت روبرتا يدها وأشعلت الضوء.

- أيجب عمل هذه الأشياء دائمًا في الظلام؟

بمجرد إحكام الأصفاد، اقتربت منه ببطء، وقالت: "أدرْه في مواجهتي".

استدار نحوها، فنظرتْ إليه. لم ينبسْ ببنت شفة، وقالت هي: "لا تبدو في حالة شديدة السوء رغم وضعك المزري".

حدق إليها في تحدٍّ، قائلًا: "إن حياة الهروب تناسبني".

- إنها مسألة رأي.

- أخبريني، كيف وجدتِني؟

خللتْ شعره بأصابعها، وهي تعلم أنه يكره ذلك، لكنها تعلم أيضًا أنه لا يستطيع إيقافها وهو مكبل اليدين، وأجابته: "لقد اختفيتَ فعلًا من الشبكة القياسية في الوقت الذي أدركتُ فيه رحيلك. لقد ظننتُ أنكَ غادرت البلاد،

لكنكَ أذكى من ذلك بكثير. لم يخطرْ ببالي مطلقًا أنك ستلجأ إلى محمية المحظوظين، أو حتى إنهم سيقبلون إيواءك. لكنهم شعب لا يمكن التنبؤ بتصرفاته، أليس كذلك؟ في النهاية، ظهرتْ بصمة إبهامك -أو ينبغي أن أقول بصمة ويل تاشين- عند مسح هُويَّة شخص يُدعى بييز-نيب هبيت في نُزُل «آي موتيل».

تجهَّم وجهه؛ ربما تذكر بدقة وقت لمسه تلك الهُويَّة ومكانها، ومن ثَمَّ ترك البصمة التي أوقعته.

عبَّرت روبرتا عن استيائها منه، قائلة: "أحقًّا يا كام، أقمت في نُزُل «آي موتيل»؟ لقد خُلِقتَ لـ«فيرمونت» و«ريتز كارلتون»!".

- والآن ما الذي خُلِقتُ من أجله؟

- هذا شيء لم يتحدَّد بعد.

ثم نظرتْ إلى الشاب الغائب عن الوعي والملقى على السرير، وسألت: "هل أفترض أن من دواعي سروري مقابلة السيد هبيت؟".

صمت كام لحظة، ثم قال: "نعم. إنه هو".

جلستْ على الفراش، دون أن تكلف نفسها عناء فحص الصبي فاقد الوعي. وقالت لمجرد إزعاج كام في الغالب: "لا بدَّ أنه أصبح نجم المحمية عندما استعرضك هناك. لو أنك بقيتَ في المحمية، لربما استطعتَ الهروب منا طويلًا. لماذا لم تفعل؟".

هز كام كتفيه ومنحها أخيرًا ابتسامته الشهيرة، قائلًا: "فيلياس فوج[1]. أردت أن أرى العالم".

- حسنًا، لم تقضِ ثمانين يومًا تمامًا، لكنْ أرجو أن يكفيك ذلك.

ثم التفتت إلى قائد الفريق، وقالت: "حان الوقت لإنهاء هذا الأمر".

- هل نأخذ الآخرين؟

وبَّخته روبرتا: "لا تنطق بالسخافات! لقد حصلنا على ما جئنا من أجله. لا أرغب في تعقيد الأمور بالاختطاف".

---

(1) فيلياس فوج: بطل رواية (حول العالم في 80 يومًا) للكاتب الفرنسي جول فيرن، وهو ثري إنجليزي يقرر محاولة السفر حول العالم في 80 يومًا، لكسب رهان تبلغ قيمته 20 ألف جنيه إسترليني. "المترجم".

سألها كام: "ماذا عن أخذي، أليس اختطافًا؟".

قالت روبرتا، وقد سعدتْ بابتلاعه الطعم: "لا. بحسب القانون، يعتبر ذلك استرجاعًا للممتلكات المسروقة. في الواقع، يمكنني توجيه اتهامات ضد كل مَن في هذا المنزل، لكني لن أفعل. لا داعي للانتقام".

أخرجوه إلى السيارة، لكنْ بلطف، بناءً على أوامر روبرتا. في الطابق العلوي، واصلتِ الطفلة البكاء، لكنَّ الصوت انكتم إلى حد كبير عندما أغلقوا الباب الأمامي المكسور. الأم، أيًّا كانت، وبقية هذا الطاقم غير اللائق سوف يستعيدون وعيهم في النهاية -بحلول الصباح، أو بعد بضع ساعات- لرعاية الصغيرة سريعة الغضب.

انطلقوا مع كام الجالس بجوار روبرتا في الأريكة الخلفية من السيارة السِّيدان، وما زال مقيدًا بالأصفاد، رغم أنه لم يقاومهم. والآن بدأ كام يبتسم بلا توقف. عليها أن تعترف بأن الأمر مثير للقلق بعض الشيء.

- أفترض أن السيناتور والجنرال غضبا عندما غادرتُ.

أخبرته روبرتا في سعادة: "على العكس. لم يعلما قطُّ أنك غادرت. أخبرتهما أنني سأعود معكَ إلى هاواي بضعةَ أسابيع قبل أن تصبح تحت قيادتهما. وأنكَ ترغب في قضاء بعض الوقت في العيادة لإجراء تغيير تحفيزي. وبطبيعة الحال، هذا ما سنذهب لنفعله الآن، حتى يمكنك الحصول على بعض إعادة الضبط الخفيف للقشرة الدماغية".

كرر: "إعادة ضبط القشرة الدماغية...".

أخبرته روبرتا: "إنه أمر متوقع. لقد تعرضتَ للكثير من التفكير الخاطئ منذ تجميعك. لكنْ يسعدني أن أخبركَ أن لدي طريقة فعَّالة للتعامل مع الأخطاء الموجودة في عقلك الرائع.. ويمكنني تصحيح الأمر".

لم تستطعْ روبرتا مقاومة الاستمتاع بانتصارها وهي تشاهد الابتسامة تترك وجهه أخيرًا.

***

66 - كونر

فتح كونر عينيه ليجد نفسه في الغرفة ذاتها والسرير ذاته الذي هدأوه عليه. إنه يعلم أن هذا لا يمكن أن يكون صحيحًا. لقد جاءوا من أجلهم، أليس كذلك؟ فكر: "لا، لقد عرفتْ جرايس حقيقة الأمر. لقد جاءوا من أجل كام".

- مرحبًا بعودتك من أرض التهدئة.

أدار رأسه ليرى سونيا تجلس على مقعد مجاور. حاول الاتكاء على مرفقيه ليجلس في الفراش، لكنه شعر بالدوار، وارتخى مرفقاه من تحته، وسقط رأسه على الوسادة، مع إحساسه برنين داخل دماغه مثل قرع الجرس.

- هوِّن على نفسك الآن. أعتقد أن سابق خبراتك مع الإصابة بطلقات التهدئة قد علَّمتك ضرورة التعامل مع الأمر ببطء عندما تفيق.

كاد يسأل عن ريسا، لكنها ظهرت عند الباب، وسألت: "هل استيقظ؟".

أمسكتْ سونيا عصاها ونهضت في تهالك، لتخلي المقعد لريسا، قائلة: "بالكاد.. إنه وقت الظهيرة تقريبًا. حان الوقت لفتح المتجر، وإلا قد تتكدس الحشود أمام الباب". لكنْ قبل أن تغادر الغرفة، ربَّتت ساق كونر في ود، وأضافت: "سنتحدث لاحقًا. سأخبرك بكل ما تريد معرفته عن زوجي. أو على الأقل ما ظل باقيًا في عقلي الأحمق هذا".

ابتسم كونر لقولها، مجيبًا: "أنا واثق أنكِ تتذكرين أشياءَ تعود إلى العصر الحجري".

- لا تتذاكَ!

تمايلت في سيرها في أثناء الخروج، فاحتلَّت ريسا المقعد، واحتضنتْ يدَ كونر بكفها التي ربَّتها كونر بدوره، وعلى عكس اليوم السابق، فعلها بكل إخلاص.

- يسعدني أننا تركناك تنام دون محاولة إيقاظك. لقد احتجتَ إلى الراحة.

- إنكِ لا تحصلين على الراحة عند تهدئتكِ. إنكِ فقط تغيبين عن الوعي.

ثم ازدرد لعابه وتنحنح ليستعيد صفاء صوته، وسألها: "ماذا حدث إذن؟".

شرحتْ له ريسا كيف لم يعثرِ المهاجمون عليها هي وجرايس قطُّ عندما اختبأتا أسفل الفراش، وكيف قيدوا كام واصطحبوه معهم. أصيب كونر بالدهشة من حظهما الحسن، لكنْ ربما لا ينبغي أن يشعر بذلك. لو أن مهمة ذلك الفريق اقتصرتْ على القبض على كام، فمن الطبيعي ألا يهتموا كثيرًا برفاقه في السفر. دخلوا وأخذوه، ثم خرجوا. لقد أُنجِزَتْ مهمتهم، دون أن يدركوا تمامًا أنهم قد أضاعوا الغابة، لمجرد الحصول على شجرة واحدة.

قالت ريسا: "كان بإمكان كام تسليمنا جميعًا لهم، لكنه لم يفعل. لقد ضحى بنفسه من أجلنا".

أوضح كونر: "حتى لو فعل، لأمسكوا به على أي حال. من المبالغة وصف ما فعله بالتضحية".

- امنحْه بعض الفضل، لو أنه سلَّمنا لهم لرجحت كفته بجدية في التفاوض معهم لإنقاذ نفسه.

ثم فكرتْ لحظة، وخففتْ مسكتها ليده قليلًا: "إنه ليس الوحش الذي تظنه".

انتظرتْ ردَّه، لكنَّ تعبه الشديد وإحساسه بعدم الاتزان بسبب آثار التهدئة، منعاه من معارضتها. وربما وافقها في رأيها، فرغم كل شيء، منحهم كام معلومات عن المواطنة الاستباقية. ومع ذلك، تبدو دوافعه متعددة الطبقات، لذا لا يمكن أن تُرَى سوى ضبابية.

- لقد أنقذنا كام يا كونر، على الأقل اعترِفْ بذلك.

قال شيئًا يمكن اعتباره -من زاوية معينة- إشارة متحفظة لاعترافه بفضل كام: "في اعتقادكِ، ماذا سيفعلون معه؟".

قالت ريسا: "إنه طفلهم الذهبي. سيزيلون عنه الشوائب، ويستعيدون لمعانه مرة أخرى". ثم ابتسمت وأفكارها تتجه إلى كام، مضيفة: "لو سمعني كام، سيشير طبعًا إلى أن الذهب لا يفقد بريقه".

حملت ابتسامتها بعض الدفء، ورغم أن كونر يعرف أنه يلعب بالنار، فقد جرؤ على التعليق: "لولا أنني أعرف الحقيقة، لاعتقدتُ أنك تحبينه".

نظرتْ إليه ببعض البرود، وسألته: "أتريد حقًّا مناقشة هذا الأمر؟".

اعترف كونر: "لا".

لكنَّ ريسا خاضت في الأمر على أي حال: "أنا أحب ما فعله من أجلنا. يروق لي أن قلبه أنقى مما يعتقده الجميع. يروق لي أن براءته أكبر بكثير من قدراته ومهاراته المتعددة، لكنه لا يعرف ذلك حتى".

- ويروق لكِ أنه مفتون بكِ تمامًا.

ابتسمتْ، وأرجعتْ شعرها إلى الخلف كعارضات إعلانات الشامبو، وقالت: "حسنا، هذا غني عن القول".

جاء هذا التصرف بعيدًا تمامًا عن طبيعتها، لذا ضحك كلاهما.

جلس كونر، وقد زال دوار رأسه، وقال لها: "يسعدني أنكِ اخترتِني قبل أن يأتوا للقبض عليه".

قالت ريسا بقليل من الانزعاج: "لم أخترْ أي شيء".

قال كونر بلطف: "حسنًا، إنني سعيد فحسب. هذا كل شيء".

لمس وجهها بيد رولاند، فأصبحتْ سمكة القرش على بعد بوصات فقط منها، لكنه أدرك أخيرًا أنها لن تقترب بما يكفي أبدًا لعضها.

***

قررتْ سونيا -التي لا تزال في الطابق السفلي- أن مطالبة هانا بإبقاء المجموعة أصبح غير مقبول. لا يمكنها أن تطلب منها إبقاء الهاربين في منزلها بعد هجوم الليلة الماضية.

قالت لهم هانا والدموع في عينيها: "أنا آسفة، لكن يجب أن أفكر في ديردري الآن".

حملت الصغيرة بين ذراعيها، وتمنتْ لهم جميعًا التوفيق. شعر كونر بغصة في حلقه، لأنه لن يرى تلك الطفلة المنقولة التي أنقذها مرة أخرى أبدًا.

اصطحبتْ سونيا ثلاثتهم في سيارتها الـ«سابربان» ذات النوافذ الداكنة، وأعادتهم إلى متجرها. قررتْ إبقاء المتجر مغلقًا اليوم، وهناك في الغرفة

الخلفية، تحدثتْ معهم عن قضايا ذات ثقل يكفي لتصدع الأرض أسفلهم. أصرَّ كونر على حضور جرايس هذه الجلسة، لأن رغم هزها ركبتيها في تململ، وتظاهرها بعدم الاهتمام كثيرًا بالمحادثة، فإن كل مظاهر جرايس خادعة.

بدأ كونر الحديث: "أخبرني مصدر موثوق يعمل مع المواطنة الاستباقية بقصة مثيرة جدًّا للاهتمام. (لم يعرف حتى هل نجا ترايس نيوهاوزر من الحادث في بحر «سالتون» أم لا، لكنه لا يعتقد ذلك، لأن ترايس لم يكن ليسمح قطُّ بالمذابح التي ينظمها ستاركي الآن باسم الحرية. لكنْ على الأقل نقل إليه ترايس ما يعرفه قبل أن يُضطَرَّ إلى قيادة تلك الطائرة لصالح ستاركي) ذكر مصدرِي أن اسم جينسون راينشيلد ما زال يبث الخوف في قلوب الدائرة الداخلية للمواطنة الاستباقية".

أطلقتْ سونيا ضحكة نمَّت عن رضاها مع بعض الشماتة، وقالت: "يسعدني سماع ذلك. أتمنى أن يصبح دائمًا الشبح الذي يؤرق منظمتهم القبيحة".

حاول كونر اختيار كلماته بعناية، لكنه أدرك أنه لا توجد طريقة دقيقة لقول ما يريده، فتلعثم: "إذن، هل صحيح أنهم... قتلوه؟".

قالت سونيا: "لم يُضطَرُّوا إلى ذلك. عندما تمزِّق رجلًا حتى جذوره، لا يبقى منه الكثير بعد ذلك. مات جينسون محطمًا. لقد أراد أن يموت مع أحلامه، ولم أستطعْ إيقافه".

سألت ريسا التي تسمع هذا كله لأول مرة،: "من هو؟".

تنهدت سونيا في حزن، وأجابتها: "إنه زوجي العزيز. وشريكي في الجريمة".

لفت هذا انتباه جرايس، رغم أنها لم تقلْ أي شيء حتى الآن، وقال كونر: "لقد محتْه المواطنة الاستباقية من تاريخها".

- تاريخها؟ لقد محتْه من تاريخ العالم! هل تعلم أننا فزنا بجائزة نوبل؟

حدقتْ ريسا إليها في ذهول، فضحكتْ سونيا من تعبير وجهها، وقالت: "حصلنا عليها في العلوم الحيوية يا عزيزتي. في ذلك الوقت، كان جمع التحف القديمة مجرد هواية بالنسبة إليَّ".

سألتها: "أحدث هذا قبل حرب الجوهر؟".

أومأتْ سونيا برأسها، وقالت: "الحروب لها طريقتها في تغيير الناس، والتسبب في اختفاء أشياء كثيرة".

احتكَّ كرسي كونر بالأرضية الخشبية وهو يسحبه إلى الأمام، قائلًا: "لقد بحثتُ أنا وليف عن اسمه في كل مكان على شبكة الإنترنت. اختفى تمامًا. لكنْ عثرنا على مقال واحد به خطأ إملائي، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي وجدناه بها".

ثم أضاف: "رأيتُ صورتكِ في المقال، وهكذا عرفنا أنكِ متورطة في الأمر بطريقة أو بأخرى".

استدارتْ سونيا لتبصق على الأرض، قائلة: "حذْفنا من التاريخ يُعَدُّ بمنزلة إهانة قصوى. لكنَّ هذا الأمر جعل اختفائي عن أعينهم -وعن أعين الجميع- سهلًا".

قال كونر: "إننا نعلم أنكِ مُؤسِّسة منظمة المواطنة الاستباقية"، ثم لاحظ سقوط فك ريسا السفلي في ذهول مرة أخرى.

- بل أسسها جينسون. لقد أخرجتُ نفسي من هذا الأمر بحلول ذلك الوقت. أدركتُ أن شيئًا سيئًا، بل ودمويًّا على وشك الحدوث، لكنه كان مثاليًّا. المثالية أفضل سماته وأعمق عيوبه.

دمعتْ عيناها، وأشارت إلى علبة المناديل الموضوعة على المكتب المزدحم، فسلمتْها إياها جرايس. مسحتْ عينيها مرة واحدة، ثم لم تدمع مرة أخرى.

قال كونر: "إننا نعلم أن الغرض الافتراضي من المواطنة الاستباقية كان أن تصبح منظمة رقابية؛ تحمي العالم من إساءة استخدام التكنولوجيا الحيوية. ماذا حدث؟".

قالت سونيا في حزن: "لقد أخرجنا الجني من القمقم. والجني لا يُخلِص لأي سيد".

من أسفل، سمعوا تذمر هاربيها المختبئين وهم يتجادلون، فضربتْ سونيا بعصاها على الباب السحري ثلاث مرات، ليصمتوا فورًا. أسرار بأسفل، أسرار بأعلى. وجد كونر نفسه يميل مقتربًا منها أكثر عندما بدأت تسرد قصتها.

- أنا وجينسون رائدان في تقنيات التطعيم العصبي التي سمحتْ باستخدام كل جزء من جسم المتبرع في عملية الزرع. كل عضو، كل

طرف، كل خلية دماغية، وذلك بغرض إنقاذ الأرواح، وجعل العالم أفضل. لكنَّ الطريق إلى الجحيم مفروش بالنوايا الحسنة".

سألها كونر: "أتقصدين اتفاقية التفكيك؟".

أومأتْ سونيا برأسها إيجابًا، وقالت: "لم تطرأ الفكرة على ذهن أحد قطُّ في الوقت الذي أتقنَّا فيه تقنياتنا، لكنَّ حرب الجوهر اشتعلتْ، ومع إخفاق الأنظمة المدرسية في جميع أنحاء البلاد، ملأ المراهقون الهمجيون الشوارع بأعداد هائلة، فشعر الناس بالخوف، واليأس". شردتْ عينا سونيا بعيدًا وهي تعود بذاكرتها إلى الخلف: "لقد أخذتِ اتفاقية التفكيك تقنيتنا المنقِذة للحياة وحوَّلتها إلى سلاح لاستخدامه ضد كل هؤلاء الصبية الذين لم يرغب أحد في التعامل معهم. ووافق أعضاء مجلس إدارة منظمة المواطنة الاستباقية على ذلك، وطردوا جينسون من منصبه، لأنهم رأوا ما هو أكثر من مجرد المال: لقد رأوا صناعة بأكملها تنتظر أن تولد".

وجد كونر نفسه يأخذ نفسًا عميقًا ومرتجفًا عند سماع أن التفكيك قد "وُلِدَ".

واصلت سونيا: "لقد حدث ذلك بسرعة كبيرة، في وقت لم ينتبهْ فيه أحد. أُنشِئَتْ هيئة الأحداث دون احتجاجات شعبية أو مقاومة كبيرة. سعد الجميع للغاية بمجرد إنهاء حرب الجوهر وإبعاد المراهقين الجانحين عن الأنظار وعن التفكير. لم يرغبْ أحد في التفكير إلى أين يذهبون. في ذلك الوقت، أصبح متاحًا إمداد كل مَن يريد بأجزاء بشرية مجهولة المصدر. وحتى لو لم تُرِدْ يدين أكثر شبابًا أو عينين أكثر إشراقًا، فقد انتشرت إعلانات في كل مكان لإقناعك بذلك. قالت اللوحات الإعلانية: «جدِّد نفسك من الداخل والخارج!». «أضفْ خمسين عامًا إلى حياتك»". هزَّت سونيا رأسها بمرارة، مضيفة: "لقد خلقوا الرغبة.. والرغبة تحوَّلت إلى احتياج، وحاكوا خيوط التفكيك في أنسجة كل شيء".

لم ينبسْ أي منهم ببنت شفة، كأنها لحظة صمت، حدادًا على العديد من الصبية الذين فقدوا حياتهم بسبب منظومة التفكيك الرهيبة، أو الصناعة كما أسمتْها سونيا. طاحونة اتجار بلحوم البشر، تعمل خارج نطاق الأخلاق، لكنْ في إطار القانون وبموافقة المجتمع الكاملة.

لكنْ فجأة، أدرك كونر شيئًا ما، وسألها: "ما زال في القصة المزيد من التفاصيل، أليس كذلك يا سونيا؟ لا بدَّ من ذلك، وإلا لماذا يظل رجال المواطنة

الاستباقية خائفين من الرجل الذي هزموه؟ لماذا ما زال اسم جينسون راينشيلد يجعلهم يرتجفون؟".

هنا، ابتسمت سونيا، وسألتهم: "ما الكلمة التي تبثُّ الخوف في قلب أي صناعة؟"، وعندما لم يُجِبْ أحد، همست بها كتعويذة سحر أسود: "إنها التقادم".

***

في متجر التحف، في زاوية قذرة لا تشهد عمومًا الكثير من الحركة، توجد كومة من أجهزة الكمبيوتر القديمة المغبرة مكدسة فوق بعضها، وتتحدى الجاذبية لإسقاطها، وهو ما لا يحدث أبدًا. هذا هو المكان الذي قادتهم إليه سونيا، قائلة: "أحتفظ بهذه الأشياء لأن بين الحين والآخر يأتي أحد هواة الجمع للبحث عن آلات قديمة -لكنْ ليس في كثير من الأحيان- وعندما يفعلون ذلك، فإنهم لا يدفعون الكثير أبدًا".

سألها كونر: "إذن، لماذا نحن هنا؟".

نكزتْه بعصاها بخفة أكثر من المعتاد، وأجابته: "لتوضيح نقطة معينة. التكنولوجيا لا تتقادم جيدًا، وليست مثل قطعة أثاث جميلة"، وجلستْ على إحدى قطع الأثاث الجميلة تلك؛ مقعد خشبي مصمم بانحناءات مع وسادة من المخمل الأحمر، وقد يتجاوز سعره قيمة كل أجهزة الكمبيوتر مجتمعة: "عندما وافقوا على اتفاقية التفكيك، استسلمتُ. شعرتُ بالاشمئزاز من الدور غير المقصود الذي أديتُه في تحقيق ذلك. لكنَّ جينسون قاوم التفكيك حتى وفاته. والآن بعد أن أصبح الناس يدمنون تجديد أجزائهم، عرف جينسون أن الطريقة الوحيدة للقضاء على التفكيك هي منحهم أجزاءً بشرية أرخص لا تحتاج إلى حصاد. أزِلِ الحاجة إلى الحصاد، وفجأة ستستيقظ ضمائر الناس، وينتهي التفكيك".

قال كونر: "إن المحظوظين يستخدمون مرشديهم الروحانيين من الحيوانات في عمليات الزرع. وهكذا تمكنوا من تجنب التفكيك".

قالت سونيا: "سأفعل ما هو أفضل. ماذا لو تمكنتَ من إنماء عدد لا نهائي من الخلايا، ووضعها في آلة -مثل طابعة الكمبيوتر- وطباعة أحد الأعضاء بنفسك؟".

تبادل الجميع النظرات. لم يتأكد كونر تمامًا هل تتحدث العجوز بلاغيًّا فحسب، أم تلقي دعابة، أم إنها مجرد امرأة مجنونة.

اقترحت ريسا: ”أتعنين شيئًا مثل... منشئ أظفار إلكتروني؟“.

قالت سونيا: ”مع تعديل الفكرة. لقد حققتِ التكنولوجيا المماثلة قفزة هائلة إلى الأمام“.

قال كونر: ”أوه... إن صورة الكبد لن تساعد أحدًا كثيرًا“.

بدت نظرة غريبة في عيني سونيا؛ أطلتْ من خلالها العالمة التي كانتها يومًا، وسألته: ”ماذا لو أنها ليست مجرد صورة؟ ماذا لو أمكنك الاستمرار في طباعة طبقة تلو الأخرى من الخلايا فوق بعضها، فتزداد سمكًا أكثر وأكثر؟ ماذا لو تمكنتَ من حل مشكلة تدفق الدم من خلال برمجة الفجوات في تسلسل الطباعة وتبطين تلك الفجوات بغشاء نصف منفذ ينضج ليُشكِّل أوعية دموية؟“، في هذه اللحظة وهي توزع نظراتها على كل منهم في أثناء حديثها الحماسي، بدتْ كمن تخضعهم للتنويم المغناطيسي. فجأة لم تعد عجوزًا، بل عالمة تتغذى جذوة حماسها بالنيران التي حملتها بداخلها لسنوات، ونهضت من مقعدها، فبدت قصيرة القامة، لكنْ كاد كونر يقسم إنها كبناية شاهقة تطل عليهم من أعلى، وواصلت: ”ماذا لو اخترعتَ طابعة يمكنها بناء أعضاء بشرية حية؟ وماذا لو بعتَ براءة الاختراع لأكبر شركة مصنعة للأدوية في البلاد؟ وماذا لو أخذوا كل هذا العمل، ودفنوه؟ وأخذوا المخططات وأحرقوها؟ وأخذوا كل طابعة وحطموها، ومنعوا أي شخص من معرفة وجود هذه التكنولوجيا؟“، ارتجف جسد سونيا كله، ليس ضعفًا، بل غضبًا، وأضافت: ”ماذا لو أخفوا الحل الذي يكفل انتهاء التفكيك، لأن الكثيرين استثمروا مبالغ ضخمة في الحفاظ على الأمور.. كما هي بالضبط؟“.

شقَّ الصمت المخيف الذي أعقب حديثها صوت واحد متواضع لا يسعى إلى إبهار أحد؛ صوت جرايس التي سألت: ”وماذا لو أن طابعة أعضاء واحدة ما زالت تختبئ في أحد أركان متجر للتحف؟“.

تحوَّل غضب سونيا إلى ابتسامة الجَدَّة المثالية، وقالت: ”ماذا لو وُجِدتْ فعلًا؟“.

***

الخاتمة: الأرملة راينشيلد

قبل سنوات من ولادة كونر، أو ريسا، أو ليف، عانتْ سونيا البرد القارس في أحد أيام فبراير، وهي تحمل صندوقًا ثقيلًا من الكرتون المقوى من سيارتها إلى وَحْدَة تخزين؛ مجرد واحدة من بين العديد من الوحدات المجهولة في مُجمَّع كبير.

لقد أُقيمت جنازة زوجها قبل أسبوع واحد فقط، لكنَّ سونيا ليست من النوع الذي ينغمس في الإشفاق على الذات طويلًا.

وَحْدَة تخزينها هي الأكبر بين الوحدات كلها. كبيرة بما يكفي لتناسب جميع الأثاث والحلي والأشياء الثمينة التي جمعتها هي وزوجها الراحل على مر السنين. والحق يقال، كانت في الغالب أشياؤها. لم يهتم جينسون بالماديات. كل ما أراده مكانًا في التاريخ ومقعدًا مريحًا. حسنًا، لقد سُرِقَ منه أحدهما ومات على الآخر.

القفل المعلق على الوَحْدَة غطاه الصقيع. لقد مرَّ أسبوع واحد فقط منذ أن كدَّس العمال كل شيء بالداخل، وأصبح القفل قديمًا فعلًا. حاولت إدخال المفتاح في القفل، لكنَّ قفازها السميك للغاية عاقَها. في النهاية، اضطُرَّت إلى خلعه وتحملت أصابعها برودة الجو وهي تُدخِل المفتاح، وتديره، وتزيل القفل.

نُقِلَ كل شيء إلى وَحْدَة التخزين هذه. منزلها فارغ الآن، لكنْ لن يبقى كذلك طويلًا. لقد بِيعَ إلى أسرة جميلة، أو هكذا أخبرها سمسار العقارات. سَعَّرته سونيا بأقل من سعر السوق للتأكد من سرعة بيعه.

أما كل الأموال التي تلقاها جينسون مقابل حقوق طباعة الأعضاء، فقد اختارت منح أصدقاء أوستن الجزء الأكبر منها. يقولون إنهم أنشأوا منظمة

سرية لمحاربة التفكيك؛ أطلقوا عليها المنظمة السرية لمقاومة الانقسام، أو شيء من هذا القبيل. حسنًا، لو أمكنهم استخدام هذا المال لإنقاذ مفكك واحد من الخضوع لمشارط الجراحين، فالأمر يستحق.

رفعت سونيا الباب المتحرك إلى أعلى بصعوبة، وواجهتْ زخرفَ حياتها، كل شيء وُضِعَ في مكانه بدقَّة كقطع البازل. كم هو غريب أن تُضغَط كل مكونات عالم المرء في مثل هذه المساحة الصغيرة.

شعرتْ باليأس لحظةً عند النظر إلى أشيائها، لكنها أسقطتْ هذا الإحساس عن كاهلها، كما تسقط الثلوج في الخارج. لو أنها تعلمتْ درسًا من زوجها الراحل، فهو ضرورة ألا يدع المرء أحداث ماضيه تقتل مستقبله. والمستقبل هو كل ما تملكه سونيا الآن، بعد أن محوْا ماضيها بفعَّالية. لقد اضطُرَّت في الواقع إلى شراء جواز سفر ورخصة قيادة مزيفين، لأن وثيقتيها الحقيقيتين أصبحتا الآن غير صالحتين للاستخدام. ومع ذلك، احتفظتْ باسمها الأول، واختارتِ الإبقاء على جزء من هويتها نكاية في أولئك الذين لن يتورعوا عن إلقائها بكل سرور في غياهب النسيان.

ورغم أن سونيا لا تريد أن تُنسى، فقد قررت الرحيل. لم تهتم بالمكان، لكن عند شراء تذكرة طيران يجب أن تحدد وجهتك، لذا قبل أن يأتي عمال نقل الأثاث، ذهبتْ إلى نموذج الكرة الأرضية في مكتب جينسون، وأدارته ثم أغمضتْ عينيها، واضعة إصبعها عليه. استقرت إصبعها في البحر الأبيض المتوسط، في جزيرة «كريت»، فقررتِ الذَّهَاب إليها. إنها لا تتحدث اليونانية، لكنها ستتعلم، وستعتبر الجزيرة بمنزلة العالم بأسره الذي ستقضي فيه حياتها أمدًا طويلًا.

بحثتْ في مساحة التخزين المزدحمة عن مكان آمن لتضع فيه الصندوق الثقيل الذي تحمله. محتوياته حساسة للغاية، لا يمكن أن تسمح للعمال بالتعامل معها. إنه شيء أرادتْ أن تفعله لنفسها، ولو أن جينسون هنا، لأسعده أيضًا أنها تفعل ذلك. تخيلتْه وهو يبتسم لها كما فعل في تلك الليلة الرائعة التي اتسمتْ بالفخامة والسعادة، عندما تناولا أغلى وجبة في المدينة، وشربا الشمبانيا، وحلما في جرأة بالانتقال من الظلام إلى النور مرة أخرى.

تمتعتْ سونيا بحكمة كافية لتعرف أنها مرت بحقب من النور والظلام طوال حياتها. والآن وقت الظلام الحالك، لكنها لا تستطيع أن تتركه يلتهمها، كما التهم جينسون. ومع مرور الوقت، ربما تجد نفسها في مكان مضيء مرة

أخرى، وتتمتع بالشجاعة والعزم الكافيين لاتخاذ موقف. للنهوض وفعل شيء حيال الطريق إلى الجحيم الذي مهَّدته نواياهما الطيبة، أو بشكل أدق، الطريق الذي مهَّده لهما الآخرون. لكنَّ هذا سيحدث في غد بعيد. إنها متعبة ومحطمة في الوقت الحالي وتحتاج إلى الهرب فحسب.

أخيرًا وجدت مكانًا مناسبًا في وَحْدَة التخزين، فوضعتْ به الصندوق برفق، وتأكدتْ أنه في مكان لا يمكن أن يسقط فيه ولا يسقط عليه أي شيء. ثم نظرت إلى أكوام المتعلقات من حولها، قائلة بصوت مرتفع: "يا لها من أشياء كثيرة!". يمكنها أن تفتح متجرًا للتحف بكل تلك النفايات التي جمعتها! إذا عادت يومًا إلى الولايات المتحدة، فربما تفعل ذلك.

شقَّت طريقها في رضا إلى مدخل الوَحْدَة، وسحبتِ الباب المتحرك، لتغلقه على حياتها القديمة عشرةَ أعوام، وربما عشرون عامًا.

وبينما قادت السيارة مبتعدة، تفاجأت عندما وجدت نفسها تبتسم رغم كل شيء. نعم، المنظمة نفسها التي أسسها جينسون انقلبت عليهما في نهاية المطاف لتدمر حياتهما، كما حاولت تدمير كل بصيص أمل.

لكنها أخفقت في ذلك.

الأمل يمكن أن يتعرض للإصابات والضربات. قد يُدفن تحت الأرض، أو حتى يغيب عن الوعي، لكن لا يمكن قتله. لقد اختفتِ المخططات الخاصة بطابعة الأعضاء. وكذلك جميع النماذج الأولية الكبيرة تحطمتْ وصُهِرَتْ ودُفِنَتْ في قبر بلا شاهد من التكنولوجيا المدمِّرة.

لكنْ لم يعرف أحد بوجود النموذج الأوَّلي الأصغر. ذلك الذي أعاد إلى أوستن أصابعه المفقودة، ذلك الذي احتفظ به جينسون مخبأً في صندوق من الكرتون المقوى في مكتبه.

انطلقتْ سونيا على الطريق السريع متجهة إلى المطار، وأشعلتِ المذياع، فوجدتْ محطة تذيع موسيقى الروك الكلاسيكية التي أحبتها في طفولتها، فصاحبتها بالغناء، متجاهلة الرياح الجليدية التي تهز السيارة.

لقد مات حلم جنسون بلا أدنى شك.. لكنْ عندما يحين الوقت المناسب وتبدأ الرياح في تغيير اتجاهها، يمكن لأكثر الأحلام موتًا أن تُبعَث من قبرها.

***

شكر وتقدير

مثل كامو كومبري، استمدَّ هذا الكتاب -وجميع الكتب والقصص في عالم التفكيك- الحياة من العديد من الناس. في البداية، أودُّ أن أشكر محرري ديفيد جيل، والمحرر المساعد نافاه وولف، والناشر جاستن تشاندا، لدعمهم، ومواصلة السماح لي بتقسيم الرواية إلى ثلاثية، والآن أصبحت "دستوبيا" من أربعة كتب. شكرًا جزيلًا للجميع في دار «سيمون آند شُستر»، من بين ذلك جون أندرسون، وآن زافيان، وبول كرايتون، وليديا فين، وميشيل فضل الله، وفينيسا كارسون، وكاترينا جروفر، وشافا وولين.

أودُّ أن أشكر كلَّ مَن دعمني خلال هذا العام الحافل بالأحداث - وخاصة أطفالي، بريندان، وجارود، وجويل، وإيرين، ووالدتهم إيلين جونز، و"أختي الكبرى" باتريشيا ماكفول، ومساعدتي مارسيا بلانكو؛ وصديقتي العزيزة كريستين "ناتاشا" جوثالز.

شكرًا للأشخاص الرائعين الذين حافظوا على مسيرتي المهنية لتظل في المسار الصحيح، وهم: وكيلي الثقافي أندريا براون، ووكيليَّ لصناعة الترفيه ستيف فيشر وديبي دوبل هيل، ومدير أعمالي تريفور إنجلسون؛ والمحاميان شيب روزنمان ولي روزنباوم.

أنا مدين بشدة لمارك بيناردوت، وكاثرين كيميل، وجوليان ستون، وشارلوت ستاوت، وفابر ديوار، الذين أدتْ جهودهم الدؤوبة وإيمانهم بـ«مفكك» إلى إبرام صفقة تحويل سلسلة الكتب بأكملها إلى أفلام، وهو ما لم يكن ليحدث لولا جهود روبرت كولزر ومارجو كليوانس من شركة «كونستانين فيلمز» وشغفهما بهذه الكتب.

شكرًا لميشيل نولدن على تعاونها في القصص القصيرة القادمة في عالم التفكيك؛ وماثيو ديركر ووندي دويل، لعملهما على موقعي الإلكتروني؛

وسيمون باول، وتايلر هوتزمان، وآني ويلسون، وميرا ماكنيت، وماثيو سيتزكورن، وناتالي سومورز، الذين بدأوا مشجعين واستمروا في المساعدة للحفاظ على وجود صفحات فيسبوك وتويتر لعالم «مفكك» وشخصياته!

شكرًا للودفيكا فورتند وميشيل وأرتي شايكفيتش لترجمة العبارات الروسية، ولستيفاني ساندرا براون لخبرتها في اللغة البرتغالية.

وأخيرًا، أدين بالامتنان لجميع المعلمين وأمناء المكتبات الذين يقدمون هذه الكتب للأطفال والكبار على حد سواء، وكذلك للقراء والمعجبين. إن حديثكم المشغوف هو الذي أحدث فرقًا كبيرًا في العالم!

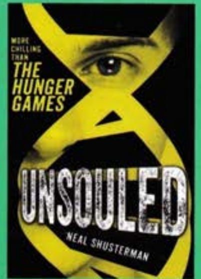
***

مُفرَّغ
UNSOULED

الرواية الأعلى مبيعًا التي بدأت بـ«مُفكك»، مرورًا بـ«منقوص»، تصل الآن إلى محطتها الثالثة «مُفَرَّغ».

في هذا الكتاب الثالث من دستوبيا التفكيك، يواصل المراهقون كفاحهم من أجل الإنسانية. بعد تدمير المقبرة، يهرب كونر وليف، لكنهما للمرة الأولى لا يهربان لمجرد الاختباء عن عيون شرطة الأحداث، بل ينطلقان بحثًا عن سونيا رانشيلد؛ المرأة التي حاولت المواطنة الاستباقية محوها من التاريخ. ترى ما العقبات والأخطار التي ستواجههما وتعطل مسارهما؟ هل سيعثران على سونيا ويجدان عندها إجابات لكل الأسئلة التي تؤرقهما ويتمكنان من القضاء على التفكيك؟

أما كام -الفتى الأعجوبة المجمع من أجزاء المفككين- فبعد رحيل ريسا عنه يشعر أنه مُفرَّغ بلا روح. لذلك يقرر العمل على تدمير المواطنة الاستباقية من الداخل، لينال رضا ريسا وحبها، فيسترد روحه، لكنه لا يعلم أن ريسا بعد هروبها تواجه الأهوال والغرائب، ورغم ذلك لا تتراجع عن السعي خلف الهدف نفسه، وهو القضاء على التفكيك.



الطرق التي يسير فيها كل أبطالنا مليئة بالمفاجآت والأحداث المثيرة غير المتوقعة، التي ستغير في النهاية حياتهم جميعًا.

غلاف: محمود هشام



www.aseeralkotb.com
contact@aseeralkotb.com
aseeralkotb
aseeralkotb
aseeralkotb